

أَعْلَامُ

الحفاظ والمحدثين

عَبْرَ
أَرْبَعَةِ عَشْرَ قَرْنًا

تراجم علمية منهجية موثقة وحافلة بالمعلومات

لسير الحفاظ والمحدثين

تُجَلِّي حياتهم الشخصية، وشمائلهم الجليلة، ومواقفهم الفذة، وتستعرض جلائل أعمالهم في الرحلة والطلب، ونشر العلم والتصنيف، اعترافاً بحقهم، وحثاً على الاقتداء بهم

القرن الأول الهجري

الجزء الأول

تأليف

عبدستار شيخ

الدار السامية
بيروت

دار الفقه
دمشق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . . أما بعد:

فقد ذكر علماء الإسلام في جُملة أعلام نبوة سيدنا محمد ﷺ ودلائل رسالته: تلك الأجيال الكثيرة من الرجال العظماء، والأعلام النبلاء، والسادة النوايغ، الذين جاؤوا من بعده ومن بعد أصحابه، فاتَّبَعوه على دينه، ودَعَووا الناس إلى اتِّباع هذا الدين، وقاموا بخدمته أعظم قيام، فنشروا علومه، وبيَّنوا محاسنه وفضائله، ووقفوا وقفة الأبطال في وجه أعدائه، يُبطلون مكائدهم، ويفندون مزاعمهم، ويُفسدون عليهم حُطَّطهم في تضليل الناس عنه والتَّيْل منه.

لقد كانت تلك الأجيال الكثيرة من سادات الرجال، وبحق، عُلَماء عظيمًا من أعلام نبوة نبينا المصطفى ﷺ ومعلماً بارزاً من معالم أمتنا الإسلامية، إذ لم يجتمع هذا العدد الكبير من أولئك الرجال المناصرين المصدِّقين النابهين، في أمة كما اجتمع في أمتنا، وعلى مدى القرون المتطاولة!!

ويأتي في مقدمة هؤلاء: أولئك الرجال الذين عُتُوا بحديث رسول الله ﷺ حفظاً وتدويناً، وشرحاً وتبييناً، هؤلاء الرجال الذين حملوا لقب الحفاظ والمحدثين، والذين أقاموا صرح علمٍ شامخ هو علم الحديث، وصرح مكتبة كبرى هي المكتبة الحديثية.

لقد عكف هؤلاء العلماء الأبرار الذين ازدانت بهم قرون الإسلام على حديث رسول الله ﷺ، وقاموا على خدمته، وبذلوا أقصى ما عندهم من طاقة بشرية في هذا

المقام. لقد اخترعوا عِلْمَيْنِ عَجِيبَيْنِ دَقِيقَيْنِ هُمَا: علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل، ودرسوا في ضوئهما الأسانيد وتفحصوها، وميّزوا الصحيح من الفاسد، والقوي من العليل. . . وتعرفوا على رجال الأسانيد، فأعطوا كل واحد ما يستحقه من الوصف في سيرته وحفظه وأدائه، وبيّنوا من يُقبل حديثه ومن لا يُقبل. . . وقسموا الحديث إلى: صحيح وحسن وضعيف وموضوع. . . وصنّفوا المؤلفات العديدة والمجموعات الكثيرة في أحاديث رسول الله ﷺ، ودونها في كتب وأبواب، وتفنّنوا في ذلك، ثم شرحوا تلك المصنّفات واستنبطوا منها الأحكام الشرعية.

ولا تَسَلَّ عَمَّا لقي هؤلاء العلماء الأفاضل من الأهوال والمتاعب، وعمّا بذلوه من الجهد والنَّصَب!! لقد أفنوا أعمارهم في السَّفَر والترحال، وفي السَّهَر والكتابة، وفي تحمل الشدائد ومرافقة المصاعب والمتاعب.

لقد قام هؤلاء بعمل هائل، حقّقوا معه لأمتهم أمراً عظيماً «لقد سهروا الليالي، وحرّموا على أنفسهم الراحة، حتى نقّحوا مئات الألوف من الأحاديث الشائعة، وكان عملهم من أروع الملاحم البشرية، ولا يقل عَظَمَةً عن بناء جدار الصين العظيم، وهم بعملهم البطولي قد سدّوا المنافذ في وجه الذين كانوا ينوون شراً بالإسلام باصطناع الأحاديث الكاذبة المدسوسة»^(١).

لقد كان عمل أولئك الحفاظ والمحدّثين تصديقاً لوعد الله عزّ وجلّ بحفظ كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فحفظ سنة رسول الله ورعايتها يأتي في باب حفظ القرآن الكريم، لأن السنّة المطهّرة مبيّنة للقرآن، شارحة له، فكان من عناية الله بكتابه أن سحّر له هذا الحشد الكبير من علماء الحديث الذين بذلوا أقصى ما عندهم في هذا الميدان من الجهاد العظيم، والبذل والتضحية والمناصحة والمنافحة!!

* * *

(١) من مقال للكاتب جعفر رائد، نشره في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١١/١٠/١٩٩٤ م.

وهذا الكتاب - أيها القارئ الكريم، وكما ترى من اسمه - ديوان كبير في التراجم والسِّيَر، جمع فيه مؤلفه تراجم المئات من ذلك الجيل العظيم من جنود الإسلام وحماته، جيل الحفاظ والمحدثين، وذكر في كل ترجمة تفاصيل حياة العَلم، ومسيرته في طلب العلم وتبليغه، وعدّد شيوخه وتلامذته، وتحدّث عن تأليفه ورسائله، وفضائله ونوادره، وأتى بدررٍ من كلماته، وعرّج على مواطن العِبْرَة والأسوة في حياته. كل ذلك في منهجيّة واضحة المعالم، بيّنة المقاصد.

لقد قرأ المؤلف الفاضل كل ما وقع عليه من كتب التراجم واستوعبها وألّم بها، ثم أعاد صياغتها في نظام جديد، ووفق خطة واحدة لكل مجموعة من رجالات الحديث، يجمعهم زمان متقارب، وتشابه سيرهم على وجه العموم، كما في الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، وكما في طبقات القرن الواحد والمِصر الواحد.

وأخسبُ أنّ هذا الكتاب الكبير سوف يُشبعُ نَهَمَ طلاب العلم والباحثين والمختصين الذين يتطلّعون إلى المزيد من أخبار العلماء، وسوف يزودهم بقسطٍ وافٍ من معرفة شيوخ الحديث، ويغنيهم عن الرجوع إلى العشرات من الكتب التي تناثرت فيها أخبار القوم.

ولسوف يقف طلاب العلم في أجزاء هذا الكتاب على عِبَرٍ وعظايتٍ بالغات من سير أولئك العلماء الأبرار، ويطلعون على حكايات ونوادر من حياتهم الحافلة تحفزهم على الجدّ في متابعة طريقهم في طلب العلم والتزوّد منه، متأسين بأولئك المعلمين الكبار والأساتذة الجهابذة، كما أنهم سوف يُلْمَونَ بشدّراتٍ نافعةٍ من علوم الحديث ورجاله وفنونه، يتعرّفون معها على قصة نشأة هذا العلم الجليل ومسيرته عبْر التاريخ.

إنّ هذا الكتاب سوف يكون - بعون الله وتوفيقه - موسوعةً كبرى لتراجم عددٍ جُمّ من سادات علماء المسلمين، وعلى مدى أربعة عشر قرناً، تجمّعت كلّها في أجزاء كتابٍ واحدٍ، وهيمنت عليها خطة منهجيّة مستوعبة مفصلة.

إنني وأنا أكتب هذا التقديم للأجزاء الأربعة الأولى من هذه الموسوعة،
والتي انتظمت تراجم رجال القرن الأول الهجري، أتوجه بالشكر والتحية للعالم
الشاب الأستاذ عبد الستار الشيخ على ما بذل من جهد رائع في إعداد هذه الأجزاء،
وأدعو الله عز وجل له أن يمدّه بعونه وتوفيقه ليكمل مسيرة هذه الموسوعة الجامعة
الرائدة.

وإلى لقاء قريب إن شاء الله عز وجل في التقديم لأجزاء رجال القرن الثاني
الهجري، والحمد لله أولاً وآخراً.

يوم الجمعة ٨/رمضان/١٤١٧ هـ

١٧/١/١٩٩٧ م

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وخلق الإنسان من عدم فجعله سمياً بصيراً، وعلمه بالقلم ما لم يكن يعلم فكان فضله عليه عظيماً، وأرسل إليه الرسل ليهدوه للتي هي أقوم وأحسن قبلاً.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المكمّل الوجيه، المصطفى على جميع الخلق فتعالى مصطفىه، الذي أوتي القرآن ومثله معه فتعالى مجتبيه. أذبه ربّه فأحسن تاديبه، ورباه فأكمل تربيته، وشرح له صدره، ورفع ذكره، واصطفته لرسالته، واختاره من خلقه، فهو ﷺ خيار من خيار أكمل الناس روحاً وعقلاً، وأحسنهم خلقاً وخلقاً، وأشرفهم مجداً وعزاً، وأصدقهم قولاً وفعلاً، وأسدهم رأياً ومسلكاً، وأرشدهم طريقاً ومنهجاً، أرسله رحمة للعالمين، فبشجر وأنذر، وأدب وعلم، وسلك بالناس السبيل الأقوم، ففتح الله به أعيناً عمياً، وأذناناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، وهدى به من الضلالة، فكشفت ببعثة الغمى، وبسطت بوجوده النعمى.

ورضى الله عن صحابته الأبرار، الأخيار الأطهار، زهبان الليل، وفرسان النهار، آمنوا وصدقوا، وأووا ونصروا، ووردوا ماء العين صافياً زلالاً، فأخذوا القرآن والسنة عن نبيهم عن جبريل عن رب العزة؛ فكان سندهم صحيحاً عالياً، وسأحوا في الأرض ففتحوا البلاد بالجهاد والسنان، والقلوب بالقرآن والإيمان، وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة نقيّاً صافياً زلالاً.

ورضى الله عن التابعين، وأتباع التابعين، ومن سلك هديهم، ونهج طريقهم إلى يوم الدين.

وَنَصَّرَ اللهُ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ، الَّذِينَ وَعَوْا حَدِيثَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، فَأَدَّوهُ كَمَا سَمِعُوهُ، وَتَقَوَّأْهُ عَنْ تَحْرِيفِ الْغَالِبِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ. وَبَعْدُ:

أهمية السنة:

فقد أنزل الله سبحانه كتابه الحكيم على رسول الله ﷺ منهجاً وهدايةً ومعجزةً، وأعطاه السنة الشريفة مفصلةً للكتاب وشارحةً له؛ تفصل الأحكام المُجَمَّلة الواردة فيه، وتقيّد المُطلَق، وتُخصِّصُ العام، وتقرِّرُ الأحكام التي لم ينصَّ عليها. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) وأوجب اتباعه وطاعته، والنزول على حكمه، وعدم مخالفة أمره؛ فقال عز وجل: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣)، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤)، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٦)

والآيات في وجوب متابعة الرسول ﷺ والعمل بالحديث النبوي كثيرة قاطعة صريحة في ذلك.

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٥) سورة النور: الآية ٦٣.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

الاهتمام بها ونقلها، ودور الصحابة في ذلك :

لذا اهتمَّ الصحابة والتابعون ومن تلاهم بحفظ الأحاديث النبوية، وأودعوها حوافظهم الفذة، وبذلوا في ذلك أعظم الجُهد، وتناقلوها جيلاً بعد جيل، فَرَوْا أحاديثَ الوضوء، والطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والنكاح، والطلاق، والبيوع، والجهاد، والإمارة، والحدود، والقضاء، والأطعمة، والأشربة، واللباس، والزينة، والآداب، والزهد، والرفائق، والفتن والملاحم، وعلامات الساعة، وصفة البعث والجنة والنار، والبرِّ والصِّلَة، والفضائل، والقَدْر، والتوبة، والتوحيد، والاعتصام بالسنة، والحِجْل، والأيمان والندور، والفرائض، والشمائل النبوية الشريفة، وتفاصيل أحواله ﷺ: من أكله وشربه، ومنامه ويقظته، وقيامه وقعوده، وصمته وكلامه، وهديته في شؤونه الخاصة والعامّة، وغير ذلك .

وكانت الحلقة الأولى في سلسلة الإسناد الشريف بعد النبي ﷺ هم الصحابة الذين رووا عن المعصوم ﷺ مشافهة، أو أخذ بعضهم عن بعض، وعددهم كثير جداً، قال الحافظ ابن الصّلاح: (روينا عن أبي زُرْعَة أنه قيلَ له: أليس يُقال: حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث؟ قال: ومن قال ذا قَلَقَل اللّه أنبياءه؟! هذا قول الزنادقة، ومن يُحصي حديث رسول الله ﷺ، قبض رسول الله ﷺ عن مئة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة، ممن روى عنه وسمع منه، وفي رواية: ممن رآه وسمع منه. فقيلَ له: يا أبا ذُرْعَة، هؤلاء أين كانوا، وأين سمعوا منه؟ قال: أهل المدينة، وأهل مكة، ومن بينهما، والأعراب، ومن شهد معه حجّة الوداع، كلُّ رآه وسمع منه بعرفة)^(١).

وذكر الذهبي أن عدد الصحابة الذين رووا الحديث نحو ألف وخمسة مئة نفس^(٢).

(١) علوم الحديث لابن الصّلاح ٢٩٨، وانظر: مقدمة الإصابة ٤/١ .

(٢) تجريد أسماء الصحابة ١/ج، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٣٨٢ - ٣٨٥ .

وبعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ، وامتداد الفتوحات الإسلامية المظفرة؛ تفرَّق الصحابةُ في الأمصار: في مكة، والمدينة، والطائف، والشام، والكوفة، والبصرة، وواسط، والمدائن، والجزيرة، ومصر، واليمن، وخراسان، وأصبهان، وغيرها، وقام الصحابةُ بنشر ما حفظوه من الكَلِمِ النَّبَوِيِّ، فأقبلَ عليهم أئمةُ الحديث وفرسانُ الرواية من التابعين، فأخذوا عنهم الأثرَ الشريف، وأودعوه قلوبهم.

ومع اتساع رقعة دولة الإسلام، وانبساطِ سُلْطانه، ودخول الناس فيه أفواجا، وفيهم مَنْ لم تنصهر نفسه بتعاليم الدين القويم، ولم تتركُ بما جاء فيه من آدابٍ عالية وتوجيهاتٍ غالية، ثمَّ الفتنة العمياء التي انتهت بقتل الشهيدان عثمان وعلي رضي الله عنهما، وما نجمَ عن ذلك من خلافات وحروب ودماء، أضفَّ إليها نبوغُ فرقٍ ومذاهبٍ سياسية وكلامية كثيرة؛ كلُّ هذا كان له أثرٌ كبير على صفاء الحديث النبوي وبقائه على روائه، مما أدَّى إلى ظهور الأحاديث الموضوععة، ويمكن الإشارة إلى الذين ساهموا في اختلاقتها وانتشارها بما يلي:

- ١ - الخلافات السياسية: ويتمثل ذلك بما وضعته الرافضةُ من أحاديث في فضل علي والطعن على معاوية، وما وضعه خصومهم في فضل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، رداً عليهم. وبما وضعه مُحِبُّو الأمويين، ومحِبُّو العباسيين.
- ٢ - الفرق الكلامية: كالقَدْرية، والمُرْجئة، والجَهْمية، والمُشَبِّهة الممثلة.
- ٣ - الزنادقة.
- ٤ - العصبية للجنس، والقبيلة، واللغة، والبلد، والإمام.
- ٥ - القصاصون.
- ٦ - جهلة الصالحين ممن يضع الحديث للترغيب والترهيب.
- ٧ - المتملقون للملوك والمترلقون إليهم. وغير هؤلاء^(١).

(١) انظر: جامع الأصول ١/ ١٣٥ - ١٣٩، شرح نخبة الفكر ٧٧ - ٨١، الباعث الحثيث ٧٩ - =

الإسناد:

فتصدى لذلك جهابذة الحديث، وأئمة الرواية، ونقاد الأسانيد؛ فاهتموا بإسناد الحديث الموصول إلى المتن، في وقت مبكر، في أعقاب الفتن التي ألمعنا إليها، وكان من ذلك صيانة السنة، وحفظها وتنقيتها عما يشوب صفاءها، ويعكر صفوها، وكان الإسناد خصيصة شريفة، ومكرمة فريدة لهذه الأمة، لم يؤتها أحد من الأمم قبلها.

قال عبدان: (سمعتُ عبد الله بن المبارك يقول: الإسنادُ عندي من الدين، لولا الإسنادُ لقال مَنْ شاء ما شاء، ولكن إذا قيلَ له: مَنْ حَدَّثَكَ؟ بَقِيَ. قال عبدان: ذَكَرَ - أي عبد الله بن المبارك - هذا عند ذِكْرِ الزُّنَادِقَةِ وما يَضْعُونَ من الأحاديث)^(١).

قال أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقاني: (قلتُ لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، الحديثُ الذي جاء: «إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ: أَنْ تَصَلِّيَ لِأَبَوْنِكَ مَعَ صَلَاتِكَ، وَتَصُومَ لَهَا مَعَ صَوْمِكَ»؟ قال: فقال عبد الله: يا أبا إسحاق، عَمَّنْ هذا؟ قال: قلتُ له: هذا من حديث شهاب بن خراش. فقال: ثِقَّةٌ، عَمَّنْ؟ قال: قلتُ: عن الحجاج بن دينار. قال: ثِقَّةٌ، عَمَّنْ؟ قال: قلتُ: قال رسولُ الله ﷺ. قال: يا أبا إسحاق، إِنَّ بَيْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَقَاوِرٌ، تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمُطِيِّ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ اخْتِلَافٌ)^(٢).

= ٨٢، تدريب الراوي ١/ ٢٧٤ - ٢٨٦، تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ١١ - ١٥، قواعد التحديث ١٥٣ - ١٥٥، السنة ومكانتها في التشريع ٧٥ - ٨٩، ١٩٠ - ١٩٤، ١٩٧ - ٢٠٥، ٢٣٨ - ٢٤٠، أصول الحديث «علومه ومصطلحه» ٤١٥ - ٤٢٧، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٤٠ - ١٣.

(١) مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٥، معرفة علوم الحديث ٦، تاريخ بغداد ٦/ ١٦٦. ومعنى (بقي): أي بقي ساكناً منقطعاً مفحماً.
(٢) مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٦.

وقال عبد الصّمد بن حسان: سمعتُ سفيان الثّوريّ يقول: (الإسنادُ سلاحُ المؤمن، فإذا لم يكنْ معه سلاحٌ فأبى شيءٌ يُقاتل)؟

وقال شعبةٌ: (كلُّ حديثٍ ليس فيه: حدّثنا وأخبرنا، فهو خَلٌّ وبَقْلٌ) (١).

وقال العباس بن محمد الدّوريّ: (حدّثنا أبو بكر بن أبي الأسود، حدّثنا إبراهيمُ أبو إسحاق الطّالقانيّ، حدّثنا بَقِيَّةُ، حدّثنا عُبَيْدُ بن أبي حكيم أنه كان عند إسحاق (٢) بن أبي فروة، وعنده الزّهريّ، قال: فجعل ابنُ أبي فروة يقول: قال رسولُ الله ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ، فقال له الزّهريّ: قاتلكَ اللهُ يا ابنَ أبي فروة! ما أجراك على الله؟! لا تُسندُ حديثك! تُحدّثنا بأحاديثٍ ليس لها حُطْمٌ ولا أزيمةٌ) (٣).

قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: (فلولا الإسنادُ، وطلبُ هذه الطائفةِ له، وكثرةُ مواظبتهم على حفظه؛ لدرَسَ منارُ الإسلام، ولتمكّنَ أهلُ الإلحاد والبدع منه، بوضعِ الأحاديثِ، وقَلْبِ الأسانيدِ، فإنَّ الأخبارَ إذا تعرّثَ عن وجودِ الأسانيدِ فيها، كانت بترًا) (٤).

وبلَغَ حبُّ الإسنادِ برجالِ الحديثِ، وغبِطتْهم بتحصيله، ونشوتْهم وارتياحُهم بِذِكْرِهِ؛ أن قال أحدهم:

يا لَذَّةَ العيشِ لما قلتُ حدّثنا عَوْفُ وَبِشْرٌ عن الشّعبيّ والحسنِ

وقال الحطيم يمتدح سفيان بن عيينة:

يضمُّ عمراً إلى الزّهريّ يُسنده وبعدَ عمرو إلى الزّهريّ صفوانا

(١) جامع التحصيل ٥٩، الإسناد من الدين ١٩.

(٢) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال الحافظ: متروك. «تقريب التهذيب» ٥٩/١.

(٣) معرفة علوم الحديث ٦، جامع التحصيل ٥٩، الإسناد من الدين ١٨ - ١٩.

(٤) معرفة علوم الحديث ٦.

وَعَبْدَةَ وَعَبِيدَ اللَّهِ ضَمَّهُمَا وابنِ السَّبْعِيِّ أيضاً وابنِ جُدَعَانَ
فَعَنَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ يُوسِعُنَا علماً وحُكماً وتأويلاً وتبَيّاناً^(١)

واقْتَفَى أثرَ المَحْدَثِينَ فِي التَّزَامِ السَّنَدِ المَفْسَّرُونَ والمُؤرِّخُونَ والأدباءُ وغيرُهُم، فَجَعَلُوهُ من سُنَنِ العِلْمِ؛ قالَ الدُّكْتُورُ أكرمُ ضِيَاءِ العِمْرِي: (لقد أثرَ منهجُ المَحْدَثِينَ فِي التَّزَامِ الإسْنَادِ فِي نِطاقِ الحَدِيثِ عَلَى المُؤرِّخِينَ وأهلِ الأَدبِ، حيثُ أَصْبَحَتِ الأَسَانِيدُ تَتَقَدَّمُ الرِوَايَاتِ التَّأريخِيَّةِ والأَدبِيَّةِ. وَهَكَذَا امْتَدَّتْ اسْتِعْمَالُ الأَسَانِيدِ إِلَى كُتُبِ السِّيَرَةِ الأُولَى: كَسِيْرَةِ ابنِ إِسْحاقَ، وَمِغازِي الوَاقِدِيِّ، والطَّبَقَاتِ الكَبِيرَى لابنِ سَعْدٍ، وَكُتُبِ التَّأريخِ مِثْلَ: تَأريخِ خَلِيفَةَ بنِ خِيَاطٍ، وَتَأريخِ الأُمَمِ وَالْمُلُوكِ لِلطَّبْرِيِّ، وَكُتُبِ الأَدبِ: ككِتَابِ الأَغَانِي لِأَبِي الفَرَجِ الأَصْبَهَانِيِّ)^(٢).

وقال العلامة المحدث المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: (فقد جعلَ علماؤنا المتقدِّمون - رحمهم الله تعالى وأكرمهم نُزُلُهُمْ - (الإسناد) أو (السند) من (سُنَنِ العِلْمِ)، أيًّا كان ذلك العِلْمُ: ديناً كالعِلْمِ التفسيرِ والحَدِيثِ والفِقْهِ والأَصُولِ...، أو آلهَ لِعِلْمِ الدِّينِ كِعِلْمِ الأَدبِ والتَّأريخِ واللُّغَةِ والنحوِ والشعرِ ونحوها، أو أَسْمَاراً وَحِكْماً وَنِوَادِرَ وَطِرائِفَ)^(٣).

الجرح والتعديل:

وبذل الأئمة النقاد جهوداً مُضْنِيَّةً فِي البَحْثِ عَنِ عَدَالَةِ الرِوَاةِ، وَاخْتِبَارِ حِفْظِهِمْ وَتَبْيِظِهِمْ، وَمِثَانَةِ دِيانَتِهِمْ، وَصِحَّةِ رِوَايَتِهِمْ، فَوَثَّقُوا مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّوَثِيقَ، وَطَعَنُوا فِي الضَّعْفَاءِ وَالْمُخَلِّطِينَ وَالكَذَّابِينَ، وَنَشَرُوا ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ، فَنَشَأَ ما يَعْرِفُ بِعِلْمِ الجِرْحِ وَالتَّعْدِيلِ.

والجرحُ عِنْدَ المَحْدَثِينَ: هُوَ الطَّعْنُ فِي رِوَايِ الحَدِيثِ، بِما يَسْلُبُ أو يَخْلُ بَعْدَالَتِهِ أو ضَبْطِهِ.

(١) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٥٤.

(٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٥٧.

(٣) كتابه الطريف المانع «الإسناد من الدين» ٣٥.

والتعديل: عكسه، وهو تزكية الراوي، والحكم عليه بأنه عدل أو ضابط^(١).

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: (جاء أبو تراب النَّخْشَبِيُّ إلى أبي رضي الله عنه، فجعل أبي يقول: فلان ضعيف، فلان ثقة، فقال أبو تراب: يا شيخ لا تغتب العلماء! فالتفت أبي إليه وقال له: ويحك! هذا نصيحة، ليس هذا غيبة)^(٢).

وقال بعض الصوفية لابن المبارك - وسمعه يُضعف بعض الرواة -: (يا أبا عبد الرحمن تغتاب؟! قال: اسكت، إذا لم تُبين، فمن أين يُعرف الحق من الباطل)^(٣) ١٩

وقال أبو بكر بن خلاد ليحيى بن سعيد: (أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله؟! فقال: لأن يكونوا خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ، يقول: لِمَ لَمْ تَدُبَّ الكَذِبَ عن حديثي)^(٤) ١٩

والكلام في الرجال له شرائطه، فيجب في المتكلم فيهم أن يكون عالماً، تقياً، ورعاً، صادقاً، منصفاً، عالماً بأسباب الجرح والتعديل وتصاريف كلام العرب:

قال الذهبي في «الموقظة»: (والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام، وبرائة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث، وعِلِّله، ورجاله)^(٥).

وقال أبو الحسنات اللكنوي: (يُشترط في الجراح والمعدّل: العلم، والتقوى، والورع، والصدق، والتجنب عن التعصب، ومعرفة أسباب الجرح والتزكية. ومن ليس كذلك لا يقبل منه الجرح ولا التزكية)^(٦).

(١) منهج النقد في علوم الحديث ٩٢.

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٤٨/١ - ٢٤٩.

(٣) ترتيب المدارك ٣٠٩/١.

(٤) الكفاية في علم الرواية ٤٤، وانظر: الرفع والتكميل ٥٤ - ٥٥، منهج النقد ٩٢ - ٩٣.

(٥) الموقظة ٨٢.

(٦) الرفع والتكميل ٦٧. وانظر: منهج النقد ٩٣ - ٩٤.

وبلغ أئمة الجرح والتعديل الغاية في التحري والإنصاف وعدم المحاباة،
فعدّلوا وجرحوا، وصحّحوا ووهّنوا، ولم يُحَابُوا أباً، ولا ابناً، ولا أخاً:

(قال علي بن المَدِينِي لمن سأله عن أبيه: سلّوا عنه غيري. فأعادوا المسألة،
فأطرق ثم رفع رأسه فقال: هو الدّين، إنّه ضعيفٌ!

وكان وكيع بن الجراح، لكون والده كان على بيت المال، يقرن معه آخر إذا
روى عنه^(١).

وقال عُبيد الله بن عمرو: (قال زيد - يعني ابن أبي أنيسة -: لا تأخذوا عن
أخي)^(٢).

وقال ابن أبي حاتم الرازي: (سمعتُ أبي يقول: سمعتُ يحيى بن المغيرة
قال: سألتُ جريراً^(٣) عن أخيه أنس؟ فقال: لا يُكْتَبُ عنه، فإنه يكذبُ في كلامِ
الناس، وقد سمعَ من هشام بن عروة، وعُبيد الله بن عمر، ولكن يكذبُ في
حديثِ الناس، فلا يُكْتَبُ عنه)^(٤).

وقال الذهبي في ترجمة الحافظ محمد بن حميد بن حيان الرازي: (وهو من
بُحُور العِلْم، لكنه غير مُعْتَمَد، يأتي بمناكير كثيرة... وقال صالح جَزَرَة: ما رأيتُ
أحداً أَحَدَقَ بالكذبِ من الشاذكوني وابنِ حُمَيْد)^(٥)!

وقال في ترجمة الحافظ المُكثِر أبي العباس محمد بن يونس الكُدَيْمِي:
(محدّثُ البصرة، وهو واه... وقال موسى بن هارون - وهو متعلّق بأستارِ
الكعبة -: اللهم إنّي أشهدك أنّ الكُدَيْمِي كَذَّابٌ، يضع الحديث)^(٦)!

(١) الإعلان بالتوبخ بتحقيق روزنثال ١٢٠، وبتحقيق القدسي ٦٦.

(٢) مقدمة صحيح مسلم ٢٧/١.

(٣) هو جرير بن عبد الحميد الضبي.

(٤) الجرح والتعديل ٢/٢٨٩ - ٢٩٠، لسان الميزان ١/٤٦٩.

(٥) تذكرة الحفاظ ٢/٤٩٠ - ٤٩١، وانظر: سير أعلام النبلاء ١١/٥٠٣.

(٦) تذكرة الحفاظ ٢/٦١٨ - ٦١٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/٣٠٢ - ٣٠٥.

ومن مشاهير أئمة الجرح والتعديل: شُعبة بن الحَجَّاج، وسُفيان الثَّورِيُّ،
وعبد الرحمن بن مَهْدِي، ويحيى بن مَعِين، ويحيى بن سَعِيد القَطَّان، وعلي بن
المَدِينِي، وأحمد بن حَنْبَل، وأبو عبد الله البُخَارِي، وأبو حاتم وأبو زُرْعَةَ
الرَّازِيَان، وغيرهم كثير، رضي الله عنهم.

ووضع الأئمة لذلك ألفاظاً يَصِفُونَ بها حال الراوي من حيثُ القبول أو الرَّدُّ،
ويدلُّون بها على المرتبة التي يَنْبَغِي أن يُوضَعَ فيها من مراتب الجرح أو التعديل:

فأزْفَعُ ألفاظُ التعديل:

١ - الوصفُ بما دل على المبالغة، أو عُبرَ عنه بأفْعَل: كأوثقِ الناس،
وأضبطِ الناس، وإليه المُنتَهَى في التثبِت.

٢ - ثم ما يليه كقولهم: فلانٌ لا يُسألُ عنه.

٣ - ثم ما تأكَّدَ بصفةٍ من الصفات الدالَّة على التوثيق: كثقة ثقة، وثبت
ثبت. ومن هذه المرتبة قولهم: ثقةٌ جبَل.

٤ - ثم ما انفردَ فيه بصيغةٍ دالَّة على التوثيق: كثقة، أو ثبت، أو كانه
مُصَحَّف، أو حُجَّة، أو إمام، أو ضابط، أو حافظ.

٥ - ثم قولهم: ليس به بأسٌ، أو لا بأسَ به، أو صدوق، أو مأمون، أو
خيارُ الخلق.

٦ - ثم ما أشعر بالقرُّب من التجريح، وهو أذنى المراتب، كقولهم: ليس
ببعيدٍ من الصواب، أو شيخٌ، أو يُروى حديثه، أو يُعْتَبَرُ به، أو شيخٌ وَسَط، أو
رَوَى الناسُ عنه، أو صالح الحديث، أو مقاربُ الحديث، أو صَوِيح، أو صدوق
إن شاء الله، ونحو ذلك^(١).

(١) الرفع والتكميل ١٥٥ - ١٦٤ مع التعليقات النفيسة للشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

ومن ألفاظ التجريح:

١ - قولهم: فلان كذاب، أو يكذب، أو يضع الحديث، أو وضاع، أو وضع حديثاً، أو دجال. وهذه أسوأ المراتب.

٢ - ويلها قولهم: فلان متهم بالكذب، أو الوضغ، وفلان ساقط، وفلان هالك، وفلان ذاهب، أو ذاهب الحديث، أو متروك، أو متروك الحديث، أو تركوه، أو فيه نظر، أو سكتوا عنه، أو فلان لا يُعْتَبَرُ به، أو لا يُعْتَبَرُ بحديثه، أو ليس بالثقة، أو ليس بثقة ولا مأمون.

٣ - ويلها: فلان رذ حديثه، أو مردود الحديث، وفلان ضعيف جداً، وواه بمرّة، وطرحوا حديثه، أو مُطْرَح، أو مُطْرَح الحديث، وفلان ازم به، وليس بشيء، ونحو ذلك.

٤ - ثم مرتبة رابعة كقولهم: فلان ضعيف مُنْكَرُ الحديث، أو حديثه منكر، أو مُضْطَرِبُ الحديث، وفلان واه، وضعفوه، وفلان لا يُخْتَجَّ به.

٥ - والمرتبة الخامسة: فلان فيه مقال، فلان ضَعْف، أو فيه ضَعْف، أو في حديثه ضَعْف، وفلان يُعْرَفُ ويُنْكَرُ، وليس بذاك، أو ليس بذاك القوي، وليس بالمتين، وليس بالقوي، وليس بِحُجَّةٍ، وليس بعُمْدَةٍ، وليس بالمرضي، وفلان للضعف ما هو، وفيه خُلْف، وطَعَنُوا فيه، وسييءُ الحفظ، ولين، أو لين الحديث، أو فيه لين، وتكلّموا فيه^(١).

نقد الحديث سنداً ومنتأ:

كذلك اشترط المحدثون شروطاً دقيقة لقبول الحديث، تشمل فحص السند والمتن، فالعلة والشذوذ قادحان في صحة الحديث، وهما يقعان في السند كما يقعان في المتن.

(١) الرفع والتكميل ١٥١ - ١٥٤.

و (من دِقَّة منهجهم أن ميَّزُوا بين مراتب القَبُول، ولم يسووا بينها، فهي متفاوتة من أصحَّ الصحيح إلى أذنى مراتب الحسن، ولم يغفلوا فيها عن اعتبار عنصر التقوية؛ فالحسن إذا تقوَّى يلتحق بالصحيح، والضعيف اليسير الضَّعْف إذا تقوَّى يلتحق بالحسن)^(١).

وَقَرَّرُوا أَنَّهُ قَدْ يَصِحُّ الْمَثْنُ وَلَا يَصِحُّ السَّنَدُ، وَقَدْ يَصِحُّ السَّنَدُ وَلَا يَصِحُّ الْمَثْنُ. وَفِي الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ: مَيَّزُوا بَيْنَ يَسِيرِ الضَّعْفِ الَّذِي يُحْتَمَلُ صَدَقُهُ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ، وَبَيْنَ شَدِيدِ الضَّعْفِ الَّذِي يَبْعَدُ مِنْهُ ذَلِكَ الْإِحْتِمَالُ، وَبَيْنَ الْمَكْذُوبِ الْمَلْصَقِ بِقَائِلِهِ، وَأَعْطَوْا كُلَّ مَرْتَبَةٍ مِنْهَا حُكْمَهَا الْمُنَاسِبَ^(٢).

وَاهْتَمَّ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ وَصِيَارِفَتُهُ وَبَعَلُّ الْحَدِيثِ، وَبَرَزَ فِي هَذَا الْمِيدَانِ أُنْمَةٌ أَعْلَامُ، وَمِيدَانُ عِلْمِ الْعِلَلِ حَدِيثِ الثَّقَاتِ، وَغَايَتُهُ كَشْفُ مَا يَعْتَرِيهِمْ مِنَ الْخَطَأِ وَالْوَهْمِ، (وهذا النقد أوسع من الجرح والتعديل، لأن الجرح والتعديل ينتهي بكلمة أو سطر أو صفحة، أو مجموعة من الأقوال، في الرجل موضع الجرح أو التعديل، وأما هذا الذي معنا فإنه يُؤاكَبُ الثِّقَةَ فِي حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَأَحَادِيثُهُ عَنْ كُلِّ شَيْخٍ مِنْ شِيُوخِهِ، وَمَتَى ضَبَطَ، وَمَتَى نَسِيَ، وَكَيْفَ تَحَمَّلَ، وَكَيْفَ أَدَّى)^(٣).

وهذا العلم رأسُ علوم الحديث وأهمَّها، وأدقُّها وأخفها، وأصعبها، وقد قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: (معرفة عِلَلِ الحديث وهو علمٌ برأسه غير الصحيح والسَّقِيمِ، والجرح والتعديل)^(٤).

وهو علم واسع دقيق؛ إذ قد يُعَلَّلُ الْحَدِيثُ بِالْإِنْقِطَاعِ، أَوْ الْإِرْسَالِ، أَوْ الْإِعْضَالِ، أَوْ الْإِدْرَاجِ، أَوْ الْقَلْبِ، أَوْ الْاضْطِرَابِ، وَقَدْ تَخْفَى الْعِلَّةُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، وَيَتَنَبَّهَ لَهَا الْجِهَانِزَةُ النَّقَادُ.

(١) منهج النقد في علوم الحديث ٣١٩.

(٢) المرجع السابق ٣١٩ - ٣٢٠ بتصريف. وانظر ٢٤٢ - ٣١٩.

(٣) مقدمة «شرح علل الترمذي لابن رجب» للدكتور همام عبد الرحيم سعيد ٢٥/١ - ٢٦.

(٤) معرفة علوم الحديث ١١٢.

وممن نَبَغَ في هذا الفنّ العظيم: شُعبة بن الحَجَّاج، ويحيى بن سعيد القَطَّان، ويحيى بن مَعِين، وابن المَدِيني، وأحمد بن حَنْبَل، والبُخَارِيُّ، والتِّرْمِذِيُّ، وأبو حاتم، وابنه، وأبو زُرْعَةَ الرَّازِي، ويعقُوب بن شَيْبَةَ، والدَّارَقُطْنِي، وابنُ رَجَب، والدَّهَبِيُّ، وابنُ حَجَر العَسْقلاني، وغيرهم كثير.

مصطلح الحديث:

وصاحَبَ تلك الجهود العظيمة عنايةُ المحدثين بما عُرف بـ «مُصْطَلح الحديث» أو «علوم الحديث»، فاستَوْفَوْا البحث في آداب الراوي والمحدث، وطُرُق التَّحَمُّل والأدَاء، واجتهاد المحدثين في حمل العلم، وقَعَدُوا القواعد التي يُعرف بها حالُ الراوي والمروِي من حيثُ القبولُ والردُّ، وتناولوا أقسام الحديث الصحيح والحسن والضعيف، وما يتعلق بهذا الفن من أمور كثيرة، يدعو حصرها والكلامُ فيها إلى الإعجابِ والتقديرِ.

وكان من الرواد في هذا الميدان: الرَّامهُرْمُزِيُّ، والحاكم النيسابوري، والخطيبُ البغدادي - والمحدثون عِيَالٌ على كتبه - والقاضي عياض، وابنُ الصَّلَاح، والنَّوَوِيُّ، وابن كثير، والعِرَاقِيُّ، وابنُ حَجَر، والسَّخَاوِيُّ، والشُّيُوطِيُّ، في آخرين.

وتبعهم من المعاصرين جماعةٌ كَأبي الحَسَنَاتِ اللِّكْنَوِيِّ، وظفر أحمد العثماني التهانوي، وأحمد شاكر، ومحمد جمال الدين القاسمي، والدكتور محمد محمد السماحي، والدكتور محمد عَجَّاج الخَطِيب، والدكتور نور الدين عتر، والعلامة عبد الفتاح أبو غدة، وغيرهم.

تدوين الحديث:

● ● وكان الحديث في بداية الأمر يؤخذ بالتلقي والمشافهة، فالصحابَةُ حفظوه عن النبي ﷺ، وأودعوه صدورهم، وساعدهم على ذلك: صفاء أذهانهم،

ونمو ملكة الحفظ عندهم لكونهم أمة أمية قد اعتادوا حفظ أشعارهم وخطبهم وأنسابهم ومآثرهم، وكذلك معرفتهم لمنزلة الحديث النبوي في الإسلام، ثم الأسلوب النبوي في الحديث حيث كان كلامه فصلاً ولا يسرده سرداً. ونقل الصحابة الأثر الشريف إلى التابعين، الذين اعتمدوا بدورهم على الذاكرة في حفظ الحديث، وجرى على ذلك من بعدهم بالتلقي والمشافهة، واحتاطوا لذلك بكتابة الحديث وتدوينه.

وقد وردت عن النبي ﷺ أحاديث تنهى عن كتابة غير القرآن، كما جاءت أحاديث أخرى فيها الإذن بكتابة الحديث النبوي، كذلك وردت أحاديث كثيرة عن عدد من الصحابة فيها إثبات وقوع الكتابة للسنن الشريفة في عهده ﷺ.

لذا اختلف الصدر الأول رضي الله عنهم في كتابة الحديث، فمنهم من كره تدوينه وأمروا بحفظه، ومنهم من أجاز ذلك. ومثل هذا حدث في عصر التابعين.

وسلك العلماء في التوفيق بين الأحاديث وإزالة هذا التعارض عدة مسالك، وأياً ما كان الأمر فقد استقرت آراء العلماء بعد علي وجوب تدوين الحديث النبوي، قال الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح: (ثم إنّه زال ذلك الخلاف، وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولو لا تدوينه في الكتب لدرّس في الأعصر الآخرة)^(١).

وقال الرّامهرمزي: (والحديث لا يُضبط إلا بالكتاب، ثم بالمقابلة والمُدارسَة، والتعهد والتحفّظ، والمُذاكرة والسؤال، والفحص عن الناقلين، والتفقه بما نقلوه، وإنما كره الكتاب من كره في الصدر الأول: لقرب العهد، وتقارب الإسناد، ولتلا يعتمده الكاتب فيهمله، ويرغب عن تحفظه، والعمل به. فأما والوقت متباعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والثقل متشابهون، وآفة النسيان مُعترضة، والوهم غير مأمون؛ فإن تقييد العلم بالكتاب أولى وأشقى)^(٢).

(١) علوم الحديث له ١٨٣.

(٢) المحدث الفاصل ٧١.

وقد كان بعض الصحابة يكتبون في عهد النبي ﷺ، كما كُتبت بعضُ الصُّحُف أيضاً، ومن ذلك: الصحيفةُ الصادقةُ لعبد الله بن عمرو بن العاص، وصحيفةُ علي بن أبي طالب، وصحيفةُ سعد بن عبادَةَ، وصحيفةُ عبد الله بن أبي أوفى، ونسخةُ سمرة بن جندب، وكتابُ أبي رافع مولى النبي ﷺ، وصحيفةُ أبي موسى الأشعري، وصحيفةُ جابر بن عبد الله الأنصاري، وكتبه ﷺ إلى عمّاله وأمرائه فيما يتعلّق بتدبير شؤون الأقاليم الإسلامية، وبيان أحكام الدين، مثل: كتاب الزكاة الذي كتب به أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ كتب كتاب الصدقة فلم يخرجها حتى قبض، وكتابه ﷺ لعمر بن حزم عامله على اليمن، وعقوده ومعاهداته التي أبرمها مع الكفار كصلح الحديبية، وكتب أمر بها ﷺ لأفرادٍ من أصحابه مثل كتابه خطبته لأبي شاه، وغير ذلك^(١).

● ● لكن الكتابة في هذا العهد لم تأخذ طابع التدوين العام، ولا أمر النبي ﷺ بتدوين الحديث كما أمر بكتابة القرآن الكريم وأذن منه كُتَاب الوحي، وأنصرَمَ القرن الأول الهجري ولم تُدوّن الأحاديث النبوية تدويناً رسمياً شاملاً عاماً، إلى أن جاء الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فأمر بذلك.

ذكر البخاري في «صحيحه» تعليقاً كتابَ عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: (انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفتُ دُرُوسَ العِلْم، وذَهَابَ العُلَمَاء)^(٢).

(١) انظر ما جاء في كراهية كتابة الحديث، والرخصة في ذلك، وكتابة بعض الصحابة والتابعين، وكتب النبي ﷺ، وصحف بعض الصحابة؛ في: جامع بيان العلم وفضله ٧٦/١ - ٩٣، علوم الحديث لابن الصلاح ١٨١ - ١٨٣، الباعث الحثيث ١٢٧ - ١٢٨، تدريب الراوي ٦٤/٢ - ٦٨، السنة ومكائنها في التشريع ١٠٣ - ١٠٧، أصول الحديث علومه ومصطلحه ١٣٩ - ١٧٦، منهج النقد في علوم الحديث ٣٧ - ٥٠، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٢٨٧ - ٢٩٩.

(٢) فتح الباري ١/١٩٤، كتاب العلم - باب كيف يُقبض العلم.

وعن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن دينار قال: (كتبَ عمرُ بنُ عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنِ انظُرْ ما كانَ من حديثِ رسولِ الله ﷺ، أو سُنَّةِ ماضيةٍ، أو حديثِ عَمْرَةَ بنتِ عبد الرحمن؛ فاكتبهُ، فإنِّي خِفْتُ دُرُوسَ العلمِ وذهابَ أهله) (١).

وعن عبدالله بن دينار قال: (كتبَ عُمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: انظُرُوا حديثَ رسولِ الله ﷺ فاجمَعُوهُ، واخفَظُوهُ، فإنِّي أخافُ دُرُوسَ العلمِ وذهابَ العلماء) (٢). وقال الزهريُّ - وهو هو - بمحاولةٍ شاملةٍ لجمعِ العِلْمِ، كانت هي المحاولةُ الأولى لجمع الحديثِ وتدوينه بشمولٍ واستقصاء. وبذلك مهَّد عمر والزهري الطريقَ للعلماء في القرن الثاني للقيام بجمعِ الحديثِ وتدوينه في الكُتُب، وممَّن اشتهر بوضعِ المصنِّفات في الحديث:

عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج (ت ١٥٠ هـ) بمكة، ومَعْمَر بن راشد (ت ١٥٣ هـ) باليمن، وسعيد بن أبي عَرُوبَة (ت ١٥٦ هـ) بالبصرة، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) بالشام، وشُعْبَة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) بالبصرة، وسُفيان بن سعيد الثوريُّ (ت ١٦١ هـ) بالكوفة، والليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) بمصر، ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) بالمدينة، وعبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) بخِراسان، وهُشَيْم بن بَشِير (ت ١٨٣ هـ) بواسط، وجريز بن عبد الحميد الضبيُّ (ت ١٨٨ هـ) بالرِّيِّ، وعبدالله بن وَهَب (ت ١٩٧ هـ) بمِصر، وسُفيان بن عُيينة (ت ١٩٨ هـ) بمكَّة، وغيرهم كثير (٣).

(وكانت طريقتُهُم في جمع الحديث أنهم يَصْعُون الأحاديث المتناسبة في

(١) أخرجه ابن سعد ٢/٣٨٧، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» ١/٤٤٢، والخطيب في «تقيد العلم» ١٠٥-١٠٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «ذكر تاريخ أصبهان» ترجمة «درهم بن مظاهر» ١/٣٦٦.

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٣٠٠-٣٠١، منهج النقد في علوم الحديث ٥٩.

باب واحد، ثم يضمون جملة من الأبواب بعضها إلى بعض، ويجعلونها في مصنف واحد، ويخلطون الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وقد حملت المصنفات الأولى هذه عناوين مثل: (مُصَنَّف) و (سُنَن) و (مُوطَأ) و (جَامِع)، وجمعت مادتها من الأجزاء والصُّحُف التي دُوِّنت قبل مرحلة التصنيف^(١).

وبلغ التدوين ذروته في القرن الثالث الهجري، الذي يعتبر أسعدَ عصورِ السُّنَّةِ وأزاهها، حيث دُوِّنت الكتب الستة، وكثيرٌ من المسانيد. فرتَّب بعضهم الأحاديث على طريقة المسانيد؛ بأن جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة، وممَّن صنف في هذا الباب:

أسد بن موسى الأموي المعروف بأسد السنة (ت ٢١٢هـ)، عبيد الله بن موسى العنسي (ت ٢١٣هـ)، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحُمَيْدِي (ت ٢١٩هـ)، أبو جعفر أحمد بن مَنِيع البَغَوِي (ت ٢٤٤هـ)، مُسَدَّد بن مُسَرَّهَد (ت ٢٢٨هـ)، أبو جعفر عبد الله بن محمد الجُعْفِي المُنْسَدِي (ت ٢٢٩هـ)، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويته (ت ٢٣٨هـ)، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، وعَبْد بن حُمَيْد (ت ٢٤٩هـ)، وإسحاق بن منصور (ت ٢٥١هـ)، وأحمد بن سنان الواسطي (ت ٢٥٩هـ أو قبلها)، بقي بن مَخْلَد (ت ٢٧٦هـ)، الحارث بن محمد بن أبي أسامة (ت ٢٨٢هـ)، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ)، وغيرهم^(٢).

وهذه المسانيد فيها الحديث الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع، وهذا ما دَفَعَ الإمامَ الهَمَامَ أبا عبد الله البخاريَّ إلى إفرادِ الصحيح في كتابه العظيم (صحيح البخاري)، ورتَّبه على أبواب الفقه، وتَبَعَه على ذلك الإمامُ مسلِّمٌ.

وتابَعَهُما في التصنيف على أبواب الفقه الأئمةُ الأربعة الحَقَّاط: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، في السنن الأربعة المشهورة، لكنها احتوت مع الصحيح الحسن والضعيف.

(١) الحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو ٢٤٤، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) الرسالة المستطرفة ٦١ - ٧٤.

وبعد القرن الثالث جاء أئمة آخرون، فصنّفوا كُتُباً جليلاً في الحديث الشريف، فمنهم مَنْ تابع الشيخين في أفراد الصحيح، مثل ابن خزيمة، وابن السكّن، وابن جبان، وابن الجارود، وضياء الدين المقدسي، وإن كانت أحاديثهم لم ترق إلى التزام شروط البخاري ومسلم بالجملة. ومنهم مَنْ تابع أصحاب السنن كالدارقطني، والبيهقي.

وصنّف آخرون على طريقة المعاجم: كأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، أو المُستدركات كأبي عبد الله الحاكم، أو المُستخرجات: كأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني، وأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني.

ومنهم من جمع بين الصحيحين: كأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي، أو جمع بين الأصول الستة كأبي الحسن رزين بن معاوية العبدي السرقسطي، ومجد الدين ابن الأثير.

ومنهم من انتقى أحاديث الأحكام ودونها في كتاب: كعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي في (الأحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى)، وابن حجر العسقلاني في (بلوغ المرام).

واهتم بعضهم بتخريج الأحاديث وبيان طرقها، وذلك في كتب عُرفت بـ (الأطراف)، كأبي الحجاج المزي في (تحفة الأشراف)، وابن حجر في (إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة).

وانصرف آخرون إلى تخريج الزوائد، وهي الأحاديث الزائدة في أحد كُتب الحديث على ما في بعض الكتب الحديثية الأخرى أو أحدها، ومن أشهرها (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) للحافظ الهيثمي.

وغير ذلك مما يفوت الحصر.

وكما أن القرنَ الثالثَ الهجريَّ كانَ العصرَ الذهبيَّ لجمعِ الحديثِ وتدوينه، كذلك فإنَّ القرنين الثامنَ والتاسعَ الهجريَّين قد شهدا نهضةً جبَّارةً في خدمةِ الحديثِ وعلومه ورجاله، بما لا مزيدَ عليه. وفاضتِ الديارُ الشاميةَ والمصريةَ بأساطينَ المحدثين، وكبارِ الحُفَاطِ المَهَرَةَ، والجهايزةَ التُّقَادِ، وتألَّقتْ شخصياتٌ كبيرةٌ فذةٌ كثيرةٌ، ومن هؤلاء السادة: ابن دقيق العيد، وعبد المؤمن بن خلف الدَّمِيَّاطِيُّ، وابن رُشَيْدٍ، وأبو بكر ابن نُقْطَةَ، وأبو الفتح ابن سيِّدِ الناسِ اليَعْمُرِيُّ، وأبو الحَجَّاجِ المِزِّيِّ، وجمال الدين الزَيْلَعِيُّ، وشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، وأثير الدِّينِ أبو حَيَّانِ محمد بن يوسف بن علي الأندلسيِّ، والذَّهَبِيُّ، وابن التُّرْكَمانِي، وابن تَيْمِيَّةَ، وابن القَيْمِ، وتقيُّ الدين الشُّبْكِي، وخليل بن كَيْكَلْدِي العِلائيِّ، ومُغْلَطَاي، وعزُّ الدين ابن جَمَاعَةَ، وابن فَرْحُونِ اليَعْمُرِيِّ، وتاج الدين الشُّبْكِي، وابنُ كثير، وعبد القادر بن محمد القرشي، وابن رَجَبِ الحنبلي، وابن المُلَقَّنِ، وسراج الدين البُلْقِينِي، وعبد الرحيم بن الحسين العِرَاقِي، ونور الدين الهَيْتَمِي، ومجدُّ الدِّينِ الفيرُوزَابَادِي، وأبو زُرْعَةَ وليُّ الدين العِرَاقِي، وشهابُ الدين البُوصِيرِي، وسبْطُ ابن العَجَمِي، وابن ناصر الدين، وابنُ حَجَرٍ، وبدرُ الدين العَيْنِي، وابنُ الهَمَّامِ، وابن قُطْلُوبَغَا، ومحمد بن محمد ابن فَهْدِ المَكِّي، وبرهان الدين البِقَاعِي، وعُمر بن محمد ابن فَهْدِ المَكِّي، وقُطبُ الدين الخَيْصِرِي، وغيرهم.

اهتمام أئمة الحديث بطلب العلم ومذاكرته، ومجالسة الشيوخ والرحلة إليهم، ومكابدة المشاق، وكثرة نفقاتهم في سبيل ذلك:

وقد ساعدَ أولئك الأبرار على النبوغ في العلم، والتفوق فيه، وعلو القَدْرِ، ونباهةِ الذِّكْرِ، أشياء كثيرةٌ منها: حفاظهم التامُّ على الوقت، وشدةُ اهتمامهم بالحديث النبويِّ وكلفهم به، وتحسُّمهم المشاقَّ ومكابدتهم الصَّعَابِ في سبيله، فكانوا يصلُّون الليلَ بالنهار، ويقطعون الفيافي والقفار، ويصبرون على اللأواءِ

والجوع، وواظبوا على الرحلة والطلب، ومجالسة الشيوخ، وحضور مجالس الإماء، ومداومة المذاكرة وكرّ الحديث، وأحاطوا ذلك كله بسياج شامخ متين من الزهد والتقوى، والتبذل وكثرة التعبد، وزأنوه بالورع والإخلاص لله تعالى، والتوجه إليه بالكلية، حباً بدينه القيم، وخدمة للرسالة الخاتمة، ممثلة بالكتاب المعجز والبيان النبويّ العالي الغالي.

● ● قال الصحابيُّ الجليلُ عبدُ الله بن مسعود: (ما ندمتُ على شيءٍ ندمي على يومٍ غرّبتُ شمسهُ نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي).

وقال الحسن البصري: (يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك). وقال أيضاً: (أدركتُ أقواماً كانوا على أوقاتِهِم أشدَّ منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم)^(١).

وجاء في ترجمة حماد بن سلمة قول تلميذه عبد الرحمن بن مهدي: (لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموتُ غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً!) وقال موسى بن اسماعيل التبوذكي: (لو قلتُ لكم: إنني ما رأيتُ حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقتُ، كان مشغولاً: إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلي، قد قسم النهار على ذلك)^(٢).

وكان القاضي الفقيه المجتهد أبو يوسف شديد الملازمة لشيخه الإمام أبي حنيفة، فقد روى محمد قدامة قال: (سمعتُ شجاع بن مخلد قال: سمعتُ أبا يوسف يقول: مات ابن لي، فلم أحضر جهازه ولا دفنه، وتركته على جبراني وأقربائي، مخافة أن يفوتني من أبي حنيفة شيء لا تذهب حسرته عني)^(٣).

وقال الذهبي في ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصبهاني: (قال أحمد بن

(١) قيمة الزمن عند العلماء ٢٧ للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وهو كتاب قيم نافع.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٤٧/٧ - ٤٤٨، تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١.

(٣) قيمة الزمن ٣١.

محمد بن مَرْدَوَيْه: كان أبو نعيم في وقته مَرْحُولاً إليه، ولم يكن في أْفُقٍ من الآفاق أسنَدٌ ولا أحفظ منه، كان حُفَاطَ الدُّنْيَا قد اجْتَمَعُوا عنده، فكان كلُّ يوم نوبةً واحد منهم يقرأ ما يريدُه إلى قريب الظهر، فإذا قام إلى داره، ربّما كان يُقرأ عليه في الطريق جزءً، وكان لا يَضْجُرُ، لم يكن له غِذاءٌ سوى التّصنيف والتّسميع^(١).

وجاء في ترجمة الإمام الأُوحد الحافظ الخطيب البغدادي: (قال ابن الأبنوسي: كان الحافظُ الخطيبُ يمشي وفي يده جزءٌ يُطالعه)^(٢).

وقال الحافظ السّخاوي في ترجمة شيخه أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني: (إنما كانت همتّه المطالعةُ والقراءةُ، والسماعُ والعبادةُ، والتصنيفُ، والإفادةُ، بحيث لم يكن يُخلّي لحظةً من أوقاته عن شيءٍ من ذلك، حتى في حال أكله وتوجّهه وهو سالكٌ، كما حكى في ذلك بعضُ رفقته الذين كانوا معه في رحلته). ثم يقول السّخاوي: (وقد سمعته - رحمه الله - يقول غير مرّة: إنني لأتعبُّ ممّن يجلسُ خالياً عن الاشتغال)^(٣).

● ● وما تكسّبوا المالَ في علمهم، ولا تزلفوا بعلمهم لأحدٍ، بل أخلصوا لله وجهتّهم، وأنفقوا في سبيل ذلك حرّاً أموالهم:

قال سهل بن المتوكّل: سمعتُ محمد بن سلام يقول: (أنفقتُ في طلب العلم أربعين ألفاً، وأنفقتُ في نشره أربعين ألفاً، وليت ما أنفقتُ في طلبه أنفقتُ في نشره)^(٤).

وقال عبد الله بن عديّ: (أخبرني شيخٌ كاتبٌ ببغداد - في حلقة أبي

(١) سير أعلام النبلاء ٤٥٩/١٧، تذكرة الحفاظ ١٠٩٤/٣، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢١/٤.

(٢) المنتظم ١٣١/١٦، سير أعلام النبلاء ٢٨١/١٨، تذكرة الحفاظ ١١٤١/٣، الوافي بالوفيات ١٩٦/٧.

(٣) الجواهر والدرر ١١٠/١، «ابن حجر» لمؤلف هذا الكتاب ٢٩٤.

(٤) تهذيب الكمال ٣٤٣/٢٥، سير أعلام النبلاء ٦٣٠/١٠، تذكرة الحفاظ ٤٢٢/٢.

عمران بن الأشيب - ذكر أنه ابنُ عمِّ ليحيى بن معين، قال: كان معين على خراج الرِّي، فمات فخلف لابنه يحيى ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفقه كله على الحديث، حتى لم يَبْقَ له نعلٌ يلبسه^(١).

وقال عبد الله بن كثير البكري: سمعت أحمد بن أعين - بالمصيبة - يقول: سمعتُ عليَّ بن عاصم بن صهيب يقول: (دفع إليَّ أبي مئة ألف درهم، وقال: اذهب فلا أرى لك وجهاً إلا بمئة ألف حديث)^(٢).

وذكروا في ترجمة الحافظ أبي مسلم الكجِّي، عن فاروق الخطابي قال: (لما فرغنا من سماع السنن على الكجِّي، عمل لنا مأذبة، أنفق عليها ألف دينار)^(٣).

وقال هشام بن عبيد الله الرازي: (لقيت ألفاً وسبع مئة شيخ، أصغرهم عبدُ الرزاق، وخرج منِّي في طلب العلم سبع مئة ألف درهم)^(٤).

● ● وقاموا برحلات واسعة، وطافوا البلاد، وأكثروا عن الشيوخ، وكانوا يفتخرون بذلك، لذا كان يجتمع في مجلس كبار المحدثين الجُم الغفير من الأئمة وطلبة الحديث. فرحل الصحابة والتابعون فمن بعدهم في طلب الحديث.

قال سعيد بن المسيَّب: (إن كنتُ لأسيرُ الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد)^(٥).

وعن أبي العالية الرياحي قال: (كنا نسمعُ الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم نرضَ حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم)^(٦).

- (١) تاريخ بغداد ١٤/١٧٨، المنتظم ١١/٢٠٣، سير أعلام النبلاء ١١/٧٧.
- (٢) تاريخ بغداد ١١/٤٤٧، سير أعلام النبلاء ٩/٢٥٢، تذكرة الحفاظ ١/٣١٧.
- (٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٤٢٥، تذكرة الحفاظ ٢/٦٢١.
- (٤) سير أعلام النبلاء ١٠/٤٤٧، ميزان الاعتدال ٤/٣٠٠، تهذيب التهذيب ١١/٤٤.
- (٥) طبقات ابن سعد ٢/٣٨١ و ٥/١٢٠، المعرفة والتاريخ ١/٤٦٨ - ٤٦٩، الرحلة في طلب الحديث ١٢٧ - ١٢٩، جامع بيان العلم ١/١١٣.
- (٦) طبقات ابن سعد ٧/١١٣، المعرفة والتاريخ ١/٤٤١ - ٤٤٢، حلية الأولياء ٢/٢٢٠، =

وقال أبو عثمان التَّهْدِيُّ: (بَلَّغَنِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ بِالْحَسَنَةِ الْوَاحِدَةِ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ»، فَحَجَّجْتُ ذَلِكَ الْعَامَ، وَلَمْ أَكُنْ أُرِيدُ الْحَجَّ إِلَّا لِلِقَائِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، بَلَّغَنِي عَنْكَ حَدِيثٌ، فَحَجَّجْتُ الْعَامَ وَلَمْ أَكُنْ أُرِيدُ الْحَجَّ إِلَّا لِأَلْقَاكَ. قَالَ: فَمَا هُوَ؟... (الحديث بطوله^(١)).

وعن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قيل له: (أَيُّ حَلِّ الرَّجُلِ فِي طَلَبِ الْعُلُوفِ؟ فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ شَدِيداً، لَقَدْ كَانَ عَلْقَمَةُ وَالْأَسْوَدُ يَبْلَغُهُمَا الْحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَا يَقْنَعُهُمَا حَتَّى يَخْرُجَا إِلَى عُمَرَ فَيَسْمَعَانِهِ مِنْهُ)^(٢).

ونقلَ الذهبيُّ في ترجمة الإمام الحافظ محمد بن المسيَّب النيسابوري ثم الأزرغيناني، عن أبي عبد الله الحاكم قال: (سمعتُ غيرَ واحدٍ من مشايخنا يذكرون عن الأزرغيناني أنه قال: ما أعلمُ منبراً من منابر الإسلام بقي عليّ لم أدخُلْه لسماعِ الحديث).

ثم عَقَّبَ الذهبي على هذا بقوله: (هذا يقوله الرجل على وجهِ المُبالغة، وإلَّا فهو لم يدخل الأندلس ولا المغرب، ولا أظنُّ أنه عنى إلَّا المنابر التي بحضرتها روايةُ الحديث)^(٣).

وبقي الحافظ الجوال أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالسلفيِّ في الرحلة ثمانية عشر عاماً، يكتبُ الحديث والفقه والأدب والشعر^(٤).

الرحلة في طلب الحديث ٩٣، سنن الدارمي ١/١٢٤، ١٤٩.

(١) مسند أحمد ٢/٥٢١، الرحلة في طلب الحديث ١٣٢ - ١٣٤، مجمع الزوائد ١٠/١٤٥.

(٢) الرحلة في طلب الحديث ١٩٧، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/٤٢٤ - ٤٢٥، تذكرة الحفاظ ٣/٧٨٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١/١٦، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٨.

وهذا باب واسع، وإنما أردت الإلماع إليه.

وكان الواحدُ منهم يستوعبُ شيوخَ الروايةِ في بلدِهِ، ثم يَرْحَلُ لِيَأْخُذَ عَنِ الْأَعْيَانِ فِي أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ، وَأَكْثَرُوا مِنْ ذَلِكَ، فَبَلَغَتْ مَشِيخَةُ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ الْمِائَاتِ، وَيَعْضُهُمْ أَخَذَ عَنِ أَلْفِ شَيْخٍ فَأَكْثَرَ:

قال الإمامُ المِجَاهِدُ الحَافِظُ الجِهْدِيُّ عبد الله بن المُبَارَكِ: (حملتُ العلمَ عن أربعةِ آلافِ شيخٍ، فرويتُ عن ألفِ شيخٍ)^(١).

وقال إمامُ الحُفَاطِ أبو عبد الله البُخَارِيُّ: (كتبتُ عن ألفِ وثمانينَ رجلاً). وقال: (دخلتُ بَلْخَ، فسألوني أن أملي عليهم لكل مَنْ كتبتُ عنه حديثاً، فأملتُ ألفَ حديثٍ لألفِ رجلٍ ممَّن كتبتُ عنهم)^(٢). والحافظُ أبو العباسِ الوليدُ بن بكر بن مَخلَدِ الأَنْدَلُسِيِّ السَّرْقَسْطِيُّ كانَ أَحَدَ الرِّحَالَةِ فِي الحَدِيثِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي الرِّحْلَةِ أزيدَ من ألفِ شيخٍ، كتبَ عنهم^(٣).

وسمع الإمامُ الحَافِظُ محدثُ الإسلامِ محمدُ بن إسحاق ابن مَنذِهِ من ألفِ وسبعِ مئةِ شيخٍ، وقال الذَّهَبِيُّ: (ولم أعلمَ أحداً كانَ أوسعَ رِحْلَةً مِنْهُ، وَلَا أَكْثَرَ حَدِيثاً مِنْهُ، مع الحِفظِ والثقة)^(٤).

ومن عَجِيبِ مَا نُقِلَ عَنْهُ؛ مَا ذَكَرَهُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنِ الحُسَيْنِ الإِسْكَافِ قال: (سمعتُ أبا عبد الله بن مَنذِهِ يَقُولُ: رأيتُ ثلاثينَ ألفِ شيخٍ، فَعَشْرَةُ أَلْفِ مِمَّنْ أروى عنهم وَأَقْتَدِي بِهِمْ، وَعَشْرَةُ أَلْفِ أروى عنهم وَلَا أَقْتَدِي بِهِمْ، وَعَشْرَةُ أَلْفِ مِنْ نُظْرَائِي، وَلَيْسَ مِنَ الكُلِّ وَاحِدٌ إِلَّا وَأَحْفَظُ عَنْهُ عَشْرَةَ أَحَادِيثِ أَقْلَهَا)^(٥)!!

(١) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٨، تذكرة الحفاظ ٢٧٦/١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢، هدي الساري ٤٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٥/١٧، تذكرة الحفاظ ١٠٨١/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٠/١٧، تذكرة الحفاظ ١٠٣٢/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٥/١٧.

وَبَلَغَتْ مَشِيخَةُ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمِ نَحْوَ أَلْفِي شَيْخٍ (١).

وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي يَعْقُوبِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمِ السَّرْحَسِيِّ الْقَرَّابِ، أَنَّ عَدَدَ شُيُوخِهِ زَادَ عَلَى أَلْفٍ وَمِثْقَالِ نَفْسٍ (٢).

وَقَالَ الْحَافِظُ الْمَجُودُ أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَبَّانٍ فِي أَثْنَاءِ كِتَابِهِ «التَّقَاسِيمِ وَالْأَنْوَاعِ»: (لَعَلَّنَا قَدْ كَتَبْنَا عَنْ أَكْثَرِ مَنْ أَلْفِي شَيْخٍ) (٣).

وَبَلَغَتْ مَشِيخَةُ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي سَعْدِ السَّمْعَانِيِّ - صَاحِبِ «الْأَنْسَابِ» وَغَيْرِهِ - سَبْعَةَ أَلْفِ شَيْخٍ (٤).

وَبَلَغَ عَدْدُ شُيُوخِ الذَّهَبِيِّ أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَيْخًا، تَرْجَمَ لَهُمْ فِي «مَعْجَمِ شُيُوخِهِ».

وَنَيْقَتُ مَشِيخَةُ ابْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ عَلَى سَبْعِ مِئَةِ نَفْسٍ، تَرْجَمَ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعُجَابِ «الْمَجْمَعِ الْمُؤَسَّسِ».

● ● وعن كثرة الشيوخ والمحدثين في المجلس الواحد تقرأ أخباراً مُعْجِبَةً، وَمَوَاقِفَ مُطْرِبَةً، تَدْعُو لِلتَّأَمُّلِ وَالْإِكْبَارِ:

قَالَ أَبُو سَعِيدِ الْمُؤَدِّنِ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ يَقُولُ: (حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَيْسَى بْنِ مَاسْرُجِسٍ - مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ - وَكَانَ عَاقِلًا: عُدَّ فِي مَجْلِسِهِ بِيَابِ الطَّاقِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مِخْبَرَةٍ) (٥).

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الثَّبَّتِ أَبِي بَكْرٍ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الْفَرِّيَابِيِّ:

-
- (١) العبر في خبر من عبر ٢/٢١١، سير أعلام النبلاء ١٧/١٦٣.
 - (٢) سير أعلام النبلاء ١٧/٥٧١، تذكرة الحفاظ ٣/١١٠١، العبر ٢/٢٦١.
 - (٣) سير أعلام النبلاء ١٦/٩٤.
 - (٤) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٧٣، سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٦٢.
 - (٥) تاريخ بغداد ٧/٣٥٢ - ٣٥٣، تهذيب الكمال ٦/٢٩٧، سير أعلام النبلاء ١٢/٢٩. وباب الطاق: محلة كبيرة ببغداد.

(قال أبو الفضل الزُّهْرِيُّ: لَمَّا سَمِعْتُ مِنْ جَعْفَرِ الْفَرِّزَابِيِّ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَحَابِرِ مِمَّنْ يَكْتُبُ حُدُودَ عَشْرَةِ آلَافِ إِنْسَانٍ، مَا بَقِيَ مِنْهُمْ غَيْرِي! سِوَى مَنْ لَا يَكْتُبُ)^(١).

وذكر الخطيب البغدادي والذهبي في ترجمة شيخ بغداد ومحدثها الخافظ أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، عن أبي بكر الداؤودي قال: (كان يحضر مجلس المحاملي عشرة آلاف رجل)^(٢).

وقال أبو حاتم الرازي: (سليمان بن حرب إمام من الأئمة... ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل، وكان مجلسه عند قصر المأمون، فبنى له شبه منبر، فصعد سليمان، وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد، والمأمون فوق قصره، قد فتح باب القصر، وقد أرسل ستر يشف، وهو خلفه يكتب ما يُملي)^(٣)!

وقال أبو بكر أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم: (لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو مُسْلِمِ الْكَجِّي، أَمَلَى الْحَدِيثَ فِي رَحْبَةِ غَسَّانَ، وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ سَبْعَةُ مُسْتَمْلِينَ يَبْلَغُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ الَّذِي يَلِيهِ، وَكُتِبَ النَّاسُ عَنْهُ قِيَامًا بِأَيْدِيهِمُ الْمَحَابِرَ، ثُمَّ مُسَحَتْ الرَّحْبَةُ، وَحُسِبَ مَنْ حَضَرَ بِمِخْبَرَةٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ مِخْبَرَةٍ، سِوَى النَّظَارَةِ)^(٤)!

● ● وجمع هؤلاء الأئمة إلى الرحلة والطلب وكثرة الشيوخ: حرصهم على مذاكرة الحديث، والإكثار من سماع الحديث الواحد، وجودة الحفظ، وإتقان الرواية وضبطها:

-
- (١) تاريخ بغداد ٢٠٢/٧، سير أعلام النبلاء ٩٨/١٤، تذكرة الحفاظ ٦٩٣/٢.
 - (٢) تاريخ بغداد ٢٠/٨، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/١٥، تذكرة الحفاظ ٨٢٥/٣.
 - (٣) الجرح والتعديل ١٠٨/٤، سير أعلام النبلاء ٣٣١/١٠، تذكرة الحفاظ ٣٩٣/١.
 - (٤) تاريخ بغداد ١٢١/٦ - ١٢٢، سير أعلام النبلاء ٤٢٤/١٣، وقال الذهبي هنا: إسنادهما صحيح، وذكرها في تذكرة الحفاظ ٦٢١/٢، وقال: هذه حكاية ثابتة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَهِيْجُ الْحَدِيثَ).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَنْفَلِتُ مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ الْقُرْآنِ مَجْمُوعٌ مَحْفُوظٌ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ يَنْفَلِتُ مِنْكُمْ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: حَدَّثْتُ أَمْسَ فَلَا أُحَدِّثُ الْيَوْمَ، بَلْ حَدَّثْتُ أَمْسَ، وَلَتُحَدِّثُ الْيَوْمَ وَلَتُحَدِّثُ غَدًا^(١)).

قال محمد بن إسحاق السَّرَّاجُ: سمعتُ عليَّ بن شُعَيْبٍ يقول: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: (أَحْفَظُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ إِسْنَادٌ وَلَا فِخْرٌ). وقال السَّرَّاجُ: سمعتُ عليَّ بن شُعَيْبٍ يقول: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: (أَحْفَظُ لِلشَّامِيِّينَ عِشْرِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ وَلَا أَسْأَلُ عَنْهَا). وقال أحمد بن علي الأَبَّارُ: سمعتُ أحمد بن خالد قال: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: (سمعتُ حديثَ الْفُتُونِ مرَّةً فَحَفِظْتُهُ). قال: وسمعتُ يزيد يقول: (أَحْفَظُ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُدْخِلْ فِيهَا حَرْفًا)^(٢).

وجاء في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر: عن مالك عن يحيى بن سعيد قال: (قلتُ لسالم بن عبد الله في شيء سمعتُ منه: أَسْمِعْتَهُ مِنْ ابْنِ عُمَرَ؟ قال: مرَّةً واحدةً؟! نعم وأكثر من مئة مرَّة)^(٣).

ونقل الخطيب وغيره في ترجمة الحافظ البارعي أبي بكر محمد بن عمر البغدادي الجعفي، واحدةً من عجائب الأئمة في متانة الحفظ وسعته، فعن أبي عليّ

(١) أخرجهما الدارمي في «سننه» ١٥٥/١ حديث ٥٩٥، ٦٠٠.

(٢) تاريخ بغداد ٣٣٩/١٤ - ٣٤٠، سير أعلام النبلاء ٣٥٩/٩ - ٣٦٠، ٣٦٣، تذكرة الحفاظ ٣١٨/١، وحديث الفتون حديث طويل جداً يقع في أزيد من سبع صفحات كبار، ساقه ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣١٠ - ٣٠٧.

(٣) المعرفة والتاريخ ٥٥٤/١، سير أعلام النبلاء ٤٦٥/٤.

التَّيسَابُورِيُّ قَالَ: (ما رأيتُ في المشايخ أحفظَ من عَبْدِانَ، ولا رأيتُ أحفظَ لحديث أهل الكوفة من أبي العباس بن عُقْدَةَ، ولا رأيتُ في أصحابنا أحفظَ من أبي بكر ابن الجَعَابِيِّ، وذلك أني حَسِبْتُ أبا بكر من البغداديين الذين يحفظون شيئاً واحداً، أو ترجمة واحدة، أو باباً واحداً، فقال لي أبو إسحاق بن حمزة يوماً: يا أبا علي، لا تَغْلُظْ في أبي بكر ابن الجَعَابِيِّ، فإنه يحفظ حديثاً كثيراً، فخرجنا يوماً من عند أبي محمد بن صَاعِدِ، وهو يُسَايرُنِي، وقد توجَّهنا إلى طريق بعيد، فقلنا له: يا أبا بكر، إيش أَسْنَدَ الثورِيُّ عن منصور؟ فَمَرَّ في الترجمة. فقلتُ له: إيش عند أيوب السَّخْتِيَانِيِّ عن الحَسَنِ؟ فَمَرَّ فيه. فمأزلتُ أجرَّه من حديث مصر، إلى الشام، إلى العراق، إلى أفراد الخُرَّاسَانِيِّين، وهو يجب. فقلتُ له: إيش روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد بالشركة؟ فأخذ يسرد هذه الترجمة، حتى ذَكَرَ بضعة عشر حديثاً، فحيرَني حِفْظُهُ) (١)!!

وكان الإمام أبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب «المسند»، يسرُّد من حِفْظِهِ ثلاثين ألف حديث (٢).

وقال الإمام البخاري: (صنفتُ كتابي الصَّحاح لِسِتِّ عشرة سنة، خرَّجته من ستِّ مئة ألف حديث، وجعلته حُجَّةً فيما بيني وبين الله تعالى) (٣).

عن أحمد بن عُقْبَةَ قَالَ: (سألتُ يحيى بن مَعِين: كم كتبتُ من الحديث يا أبا زكريا؟ قال: كتبتُ بيدي هذه ستِّ مئة ألف حديث). قال الذهبي: يعني بالمكرر. وقال عباس الدُّورِيُّ: سمعتُ يحيى بن مَعِين يقول: (لو لم نكتب الحديث خمسين مرَّةً ما عرفناه) (٤).

- (١) تاريخ بغداد ٢٧/٣، سير أعلام النبلاء ٨٩/١٦، تذكرة الحفاظ ٩٢٥/٣ - ٩٢٦.
(٢) تاريخ بغداد ٢٦/٩ - ٢٧، سير أعلام النبلاء ٣٨١/٩، تذكرة الحفاظ ٣٥٢/١.
(٣) تاريخ بغداد ١٤/٢، سير أعلام النبلاء ٤٠٥/١٢، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٢١/٢، هدي الساري ٤٨٩.
(٤) تاريخ بغداد ١٨٢/١٤، سير أعلام النبلاء ٨١/١١، تذكرة الحفاظ ٤٣٠/٢.

ومما ذكروه في حفظ الإمام الحافظ أبي بكر ابن الإمام الحافظ أبي داود السجستاني، ما حدث به أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: (خرج أبو بكر بن أبي داود إلى سجستان في أيام عمرو بن الليث، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، وسأله أن يحدثهم، فأبى وقال: ليس معي كتاب، فقالوا له: ابن أبي داود وكتاب؟! قال أبو بكر: فأنازوني، فأملت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي، فلما قدمت بغداد قال البغداديون: مضى ابن أبي داود إلى سجستان وليع بالناس، ثم فئجوا فنجأ أكثره ستة دنائير إلى سجستان ليكتب لهم النسخة، فكتب، وجيء بها إلى بغداد، وعرضت على الحفاظ بها، فخطوني في ستة أحاديث، منها ثلاثة حدثت بها كما حدثت، وثلاثة أحاديث أخطأت فيها)^(١)!!

وكان الحافظ البارغ أبو عبد الله عبد الرحمن بن أحمد ابن الخثلي يملئ من حفظه ألوف الأحاديث: قال أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التتوخي: أخبرني أبي قال: (دخل إلينا أبو عبد الله الخثلي إلى البصرة، وهو صاحب حديث جلد، وكان مشهوراً بالحفظ، فجاء وليس معه شيء من كتبه، فحدث شهوراً إلى أن لحقته كتبه، فسمعتة يقول: حدثت بخمسين ألف حديث من حفظي إلى أن لحقتني كتبي)^(٢).

● ● وما نالوا ذلك إلا بالجد والتعب، وتجشم الصعاب، ومكابدة المشاق، وإجهاد الجسد، وحزمان النفس من لذاذات الحياة، وإلى جانب اجتهادهم في الطلب جدوا في التصنيف والتأليف:

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: (لا يُستطاع العلم براحة الجسد؛ كنا بمصر سبعة أشهر، فلم نأكل فيها مرقة، وذلك أنا كنا نغدو بالغدوات إلى مجلس بعض

(١) تاريخ بغداد ٤٦٦/٩، سير أعلام النبلاء ٢٢٣/١٣ - ٢٢٤، تذكرة الحفاظ ٧٦٨/٢. والفيج: الجماعة من الناس.

(٢) تاريخ بغداد ٢٩٠/١٠ - ٢٩١، سير أعلام النبلاء ٤٣٦/١٥، تذكرة الحفاظ ٨٧١/٣.

الشيوخ، ووقت الظهر إلى مجلس آخر، ووقت العَصْر إلى مجلس آخر، ثم بالليل: النَّسْخُ والمعارضَة، فلم تَتَفَرَّغْ نُصْلِحْ شيئاً. وكان معي رفيقٌ خراساني، أسمعُ في كتابه، ويسمع في كتابي، فما أَكْتُبُ لا يكتبُ، وما يكتبُ لا أَكْتُبُ. فَعَدَدُونَا يوماً إلى مجلس بعض الشيوخ، فقال: هو عَلِيلٌ، فرجعنا، فرأينا في طريقنا حُوتاً فأعجبنا، فلما صرنا إلى المنزل حضر وقت مجلس بعض الشيوخ، فلم يمكننا إصلاحه، ومَضِينَا إلى المجلس، فلم يزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيناً فقيل: كنتم تعطونه لمن يشويه ويُصلِّحه، قال: من أين كان لنا فَرَاغٌ؟^(١)

وجاء في ترجمة الإمام العَلَمِ المجتهد محمد بن جرير الطَّبْرِيِّ، أنه قال لأصحابه: (أَتَشْطُونَ لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قَدْرُهُ؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا ممَّا تَفْنَى الأعمارُ قبل تمامه! فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال: هل تَشْطُونَ لتاريخ العالم، من آدمَ إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قَدْرُهُ؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إِنَّا لِلَّهِ، مَا تَتِ الهِمَمُ)^(٢)!

وقال الحافظ أبو عبد الله الحاكم في ترجمة شيخه الإمام الحافظ الفقيه أبي النَّضْرِ محمد بن محمد الطُّوسِيِّ الشافعيِّ، شيخ المذهب بخراسان: (سألت أبا النَّضْرِ: متى تَتَفَرَّغُ للتصنيف، مع ما أنت فيه من هذه الفتاوى؟ فقال: قد جزأت الليل ثلاثة أجزاء: جزءٌ للتصنيف، وجزءٌ لقراءة القرآن، وجزءٌ للنوم)^(٣).

لذا غزرت معارفهم، وربت علومهم، وكثرت تصانيفهم، فكان فيهم المُقَلُّ من التصنيف، والمُكثِرُ منه، والمُكثِرُ جداً.

(١) مختصر تاريخ ابن عساکر ٢١/١٥ - ٢٢، سير أعلام النبلاء ٢٦٦/١٣، تذكرة الحفاظ ٨٣٠/٣.

(٢) تاريخ بغداد ١٦٣/٢، سير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٤ - ٢٧٥، تذكرة الحفاظ ٧١٢/٢.

(٣) الأنساب ٨١/٤ «الطوسي»، سير أعلام النبلاء ٤٩١/١٥، تذكرة الحفاظ ٨٩٣/٣.

ومن أكابر المؤلفين في الإسلام، وأكثرهم تأليفاً، وأحسنهم تصنيفاً: الإمام الطبري حيث أربث مصنفاته على ثلاث مئة ألف ورقة وخمسين ألف ورقة، وترك ابن أبي الدنيا ألف مصنف، وبلغت تصانيف ابن خزم أربع مئة مجلد، وصنف ابن تيمية ثلاث مئة كتاب، وجمع ابن عساكر تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً، وزادت مؤلفات ابن الجوزي على خمس مئة، وصنف الذهبي زهاء مئتين وسبعين تصنيفاً، وابن حجر العسقلاني قريباً من مئتين وتسعين مؤلفاً، وللشيوطي نحو ست مئة كتاب!!

● ● وما اقتصر هؤلاء، الأئمة السادة رضي الله عنهم على الطلب والسماع، والرواية والحفظ، والتدوين والتصنيف، بل جمعوا إلى ذلك العمل الصالح، والطاعة التامة، والإخلاص والإنابة، والصيام والقيام، وذلك هو الحرز الأمين، والحصن الحصين، والحافظ لهم من اتباع الهوى، والحارس لهم من الزيف والوقوع في أودية الردى، والصاعد بهم إلى مدارج السالكين، والموصل إلى منازل الصالحين، ففازوا - بذلك - برضى الله رب العالمين، وأقروا عين المؤمنين بحفظ سنة سيد المرسلين.

عن نُسَير بن دُغْلوق، عن الرِّبيع بن خُثَيم: (أنه كان يتهجَّد، في سوادِ الليل فمرَّ بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ فلم يزل يردُّها ليلة حتى أصبح^(١)).

عن رياح بن الحارث النَّخعي قال: (سافرتُ مع الأسود إلى مكَّة، فكان إذا حضرت الصلاة نزل على أيِّ حالٍ كان، وإن كان على حُزونة نزل فصلّى، وإن كان يدُّ ناقته في صعود أو هبوط أناخ ولم يتنظَّر. قال: والحزونة المكان الخشن)^(٢).

(١) طبقات ابن سعد ٦/١٨٦، ١٨٧، حلية الأولياء ٢/١١٢، والآية رقم ٢١ من سورة الجاثية.
(٢) طبقات ابن سعد ٦/٧١، المعرفة والتاريخ ٢/٥٥٩، حلية الأولياء ٢/١٠٤. والأسود هو ابن يزيد.

وقال أبو العالية الرِّياحِيُّ: (كُنَّا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدمُ أهله، فكاننا نختم كلَّ ليلة مرّةً! فشقَّ ذلك علينا، فجعلنا نختم كلَّ ليلتين مرّةً، فشقَّ ذلك علينا فجعلنا نختم كلَّ ثلاث ليالٍ مرّةً، فشقَّ علينا حتى شكنا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ، فعلمونا أن نختم كلَّ جمعة، أو قال: كلَّ سبَّع، فصلينا ونمنا، ولم يشقَّ علينا)^(١).

عن ميمون بن مهران، عن سعيد بن المسيَّب: (أنه مكث أربعين سنة ما لقي الناسَ خارجين من المسجد وهو داخل. قال: وكان يدخل بغلس)^(٢). وعن أبي سهل عثمان بن حكيم، عن ابن المسيَّب قال: (ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد)^(٣).

عن إسحاق بن أبي إسرائيل قال: حدثنا جرير، عن شيبه بن نعامه قال: (كان علي بن حسين يبيخل، فلما مات وجدوه يهوت مئة أهل بيت بالمدينة في السر)^(٤). قال محمد بن إسحاق: (كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم. فلما مات علي بن الحسين، فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل)^(٥).

عن ابن شوذب قال: (كان عروة بن الزبير يقرأ رُبُع القرآن كلَّ يوم في المُصحف، ويقومُ به ليله، قال: فما تركه إلا ليلة قُطعت رِجله، ثم عاودَ حزبه من الليلة المقبلة)^(٦).

(١) طبقات ابن سعد ١١٣/٧، مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٢٧/٨.

(٢) المعرفة والتاريخ ٤٧٩/١.

(٣) العلل لأحمد ٢١/٢ رقم ١٤١٧، وانظر: طبقات ابن سعد ١٣١/٥، حلية الأولياء ١٦١/٢ - ١٦٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٢٢٢/٥.

(٥) حلية الأولياء ١٣٦/٣. وانظر: طبقات ابن سعد ٢١٩/٥، ٢٢٢، الحلية ١٣٥/٣، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٣٨/١٧، ٢٣٩.

(٦) حلية الأولياء ١٧٨/٢ - ١٧٩، المعرفة والتاريخ ٥٥٢/١، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٠/١٧.

عن مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: (كَانَ أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ يَصَلِّي، فَرُبَّمَا صَلَّى حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ. وَكَانَ لَهُ يَتَامَى يَحْضُرُونَ طَعَامَهُ، فَوَقَعَ الطَّاعُونَ فَمَاتُوا، فَكَانَ يَقُولُ: مَاتَ أَصْحَابِي) (١).

عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَصْدَقَ مِنْ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، كَانَ إِذَا حَدَّثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: قَالَ لِي مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: (لَوْلَا أَنَّكَ مِنْ أَهْلِي مَا حَدَّثْتُكَ بِذَا عَنْ أَبِي، مَكَثَ أَبِي أَرْبَعِينَ سَنَةً يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ الْفَجْرِ بَوْضُوءَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ) (٢)!!

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ: (مَا رَأَيْنَا عَالِمًا قَطُّ أَحْسَنَ صَلَاةً مِنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، يَقُومُ كَأَنَّهُ أَسْطُوَانَةٌ، كَانَ يَصَلِّي بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، لَمْ يَكُنْ يَفْتَرُ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ هُوَ وَهُسَيْمٌ، جَمِيعًا مَعْرُوفَيْنِ بِطَوْلِ الصَّلَاةِ، اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّائِفِ نَزِيلُ مَكَّةَ: (قَالَ رَجُلٌ لِيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ: كَمْ حِزْبِكَ مِنَ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ: وَأَنَا مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا؟! إِذَا لَا أَنَا مِنَ اللَّهِ عَيْنِي) (٣).

وَجَاءَ فِي سِيرَةِ الْإِمَامِ الْأَجَلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيِّ، مَا رَوَاهُ وَرَاقَةُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ: (دُعِيَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى بَسْتَانَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ صَلَّى بِالْقَوْمِ، ثُمَّ قَامَ لِلتَّطَوُّعِ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ رَفَعَ ذَيْلَ قَمِيصِهِ فَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: انظُرْ هَلْ تَرَى تَحْتَ قَمِيصِي شَيْئًا؟ فَإِذَا زُنْبُورٌ قَدْ أَبْرَهُ فِي سِتَّةِ عَشَرَ - أَوْ: سَبْعَةَ عَشَرَ - مَوْضِعًا، وَقَدْ تَوَرَّمَ مِنْ ذَلِكَ جَسَدُهُ، وَكَانَ آثَارُ الزُّنْبُورِ فِي جَسَدِهِ ظَاهِرَةً، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: كَيْفَ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ مَا أْبْرَكَ؟ فَقَالَ كُنْتُ فِي سُورَةٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَمَّهَا!) وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ الْوَرَّاقُ:

(١) تهذيب الكمال ١٧/٤٢٨، سير أعلام النبلاء ٤/١٧٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/١٩٦، ١٩٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/٣٤٠، ٣٤١، سير أعلام النبلاء ٩/٣٦٠، ٣٦١.

(كان أبو عبد الله إذا كنتُ معه في سفر، يجمعنا بيتاً واحداً إلا في القَيْظِ أحياناً، فكنتُ أراه يقوم في ليلةٍ واحدة خمس عشرة مرّةً إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القَدَاحَةَ فيُوري ناراً بيده ويُسْرِجُ، ثم يخرج أحاديثَ فيُعلِّمُ عليها، ثم يصنع رأسه. وكان يصلِّي في وقت السَّحَرِ ثلاث عشرة ركعةً، يُوتر منها بواحدة، وكان لا يُوقظني في كلِّ ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كلَّ هذا ولا تُوقظني؟! قال: أنت شابٌّ، فلا أَحِبُّ أن أفسد عليك نومك)^(١).

قال الحافظ أبو يعلى الخليليُّ في ترجمة الحافظ أبي الحسن القطان: (سمعتُ جماعة من شيوخ قزوين يقولون: لم يرَ أبو الحسن مثله في الفضل والزهد، أدام الصيام ثلاثين سنة، وكان يُفطِر على الخبز والملح، وفضائله أكثر من أن تُعدَّ)^(٢).

وجاء في ترجمة الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن سلمان النَّجَّاد شيخ العراق، عن أبي إسحاق الطُّبري قال: (كان أحمد بن سلمان النَّجَّاد يصومُ الدَّهْرَ، ويُفطِر كلَّ ليلةٍ على رغيْف، ويترك منه لُقْمَةً، فإذا كان ليلة الجمعة؛ تصدَّق بذلك الرغيْف، وأكل تلك اللُقْم التي استفضَّلها)^(٣)!!

ومما ذكروه في ترجمة الإمام الأوحِد أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي؛ ما رواه أبو الفرج الإسفرائيني قال: (كان الشيخ أبو بكر الحافظ معنًا في طريق الحجِّ، فكان يَخْتِم كلَّ يوم ختمَةً إلى قُرْب الغِيَاب، قراءة ترتيل، ثم يجتمع الناس عليه وهو راكِبٌ، يقولون: حَدِّثْنَا، فيُحدِّثهم)^(٤).

(١) تاريخ بغداد ١٢/٢ - ١٤، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٠٤، ٤٤١، ٤٤٢، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٢٢٠، ٢٢٣، هدي الساري ٤٨٠ - ٤٨١.

(٢) الإرشاد ٢/٧٣٥ ترجمة ٥٦٠، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٦٤، تذكرة الحفاظ ٣/٨٥٦.

(٣) تاريخ بغداد ٤/١٩١، سير أعلام النبلاء ١٥/٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٣/٨٦٨.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساکر ٣/١٧٤، سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٩، تذكرة الحفاظ ٣/١١٣٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/٣٤.

ثمره هذه الجهود:

هذه الجهود الجبارة في الرحلة والطلب، والإملاء والاستملاء، والمشافهة والسماع، وكثرة الشيوخ، وسعة الرواية، ودوام المذاكرة، واتقاد الذاكرة، ومثانة الحفظ، وغزارة المحفوظ، وشمول التنقيب والتفتيش، والفحص والسؤال، عن الراوي والمزوي، وعدالة الميزان في القبول والرد، والجِد في التصنيف والتأليف، وابتكار كل ما له علاقة بالتحمل والأداء، مع قوة التدين، وشدة الورع، وصدق الإخلاص، والتعبد والإنابة، والاستقامة والزهد. والانصراف التام لخدمة السنة؛ أقول: كل هذا قد أثمر أطيب الثمار، وآتى أعظم النتائج، فتكونت عند هذه الأمة تصانيف في الحديث وعلومه وروافده أدهشت الألباب، واعتبرت معجزة باهرة لهذه الأمة، وهي - فوق ذلك - محض مئة من الله تعالى امتن بها على المسلمين، ومن وراء ذلك الحكمة البالغة في حفظ السنة المشرفة المصدر الثاني للتشريع، فإن حفظ السنة حفظ الكتاب الكريم، وقد تولى الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، فكان حفظ السنة موعوداً به في ضمن حفظ الكتاب.

قال الإمام الحافظ أبو محمد ابن حزم: (والذِّكْرُ اسْمٌ واقِعٌ على كل ما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن أو سنة وحي يبين بها القرآن. وأيضاً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢)؛ فصح أنه عليه السلام مأمورٌ ببيان القرآن للناس، وفي القرآن مُجْمَلٌ كثيرٌ كالصلاة والزكاة والحج، وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزمتنا الله تعالى فيه بلفظه، لكن ببيان النبي ﷺ، فإذا كان بيانه عليه السلام لذلك المُجْمَلِ غيرَ مَحْفُوظٍ ولا مضمونٍ سلامته مما ليس منه؛ فقد

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٤.

بَطَلَ الانتفاعُ بِنَصِّ القرآنِ، فَبَطَلَتْ أَكْثَرُ الشَّرَائِعِ الْمُفْتَرَضَةِ عَلَيْنَا فِيهِ، فَإِذَا لَمْ نَدْرِ صَحِيحَ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا^(١).

ومن تلك الثمار الطيبة التي أنتجتها جهود أولئك الأئمة:

أولاً - الكتب المصنفة في الحديث النبوي:

صَنَّفُوا الْمُؤَطَّاتَ: مثل موطأ مالك، وموطأ ابن أبي ذئب.

وَالصَّحَاحَ: كصحيح البخاري، ومسلم، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن السكَن، والضياء المقدسي.

وَالسُّنَنَ: كسُنن أبي داود، والتِّرْمِذِي، والنَّسَائِي، وابن ماجه، والذَّارِقُطَنِي، والبيهقي، وسعيد بن منصور، والذَّارِمِي.

وَالْمَسَانِيدَ: كمسند الطيالسي، والحُمَيْدِي، وأحمد، وبقي بن مخلد، ومُسَدَّد، وأحمد بن مَنِيع، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وإسحاق بن راهويته، والبزَّار، وابن أبي شَيْبَةَ، وسُنَيْد، والسَّرَّاج، وغيرها وهي كثيرة جداً.

وَالْمُصَنَّفَاتَ: كمصنَّف وَكَيْعِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وعبد الرزاق، وأبي بكر بن أبي شَيْبَةَ، وبقي بن مخلد.

وَالْمَعَاجِمَ: كمعاجم الطبراني الثلاثة الكبير والأوسط والصغير.

وَالْمُسْتَدْرَكَاتَ: مثل مستدرك الحاكم، وأبي ذر الهروي.

وَالْمُسْتَخْرَجَاتَ: فمنها ما كان مخزجاً على الصحيحين أو أحدهما: كمستخرج أبي بكر الإسماعيلي، وأبي بكر بن مردويه، وأبي عوانة، والجوزقي، والحافظ أبي نعيم، وأبي محمد الحسن بن أبي طالب الخلال، والماسرجسي، وابن منجويه، والبرقاني.

(١) الإحكام ١/١٢١. وانظر: السنة ومكانتها في التشريع ١٥٣، ١٥٦ - ١٥٨.

ومنها الكتب المخرّجة على غير الصحيحين، كالسنن.

المصنفات الجامعة (وهي التي جمعت بين بعض الكتب الحديثية):

كالجمع بين الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فُتُوح الحُمَيْدِي،
وعبد الحق الإشبيلي، والحسن بن محمد بن الحسن الصَّاعَانِي الهِنْدِي، وغيرهم.

والجمع بين الأصول الستة: لرَزِين بن مُعاوية العَبْدَرِي السَّرْقُسْطِي، وأبي
السعادات مجد الدين ابن الأثير.

وأنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح، لأبي عبد الله
محمد بن عتيق الغرْنَاطِي.

ومصايح الشُّنَّة للَبَغَوِي، وجامع المسانيد والشُّن لابن كثير، وكنز العمال
للمتقي الهِنْدِي.

وصنفوا كتب أحاديث الأحكام:

مثل: الأحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى، لعبد الحق الإشبيلي،
وعُمدة الأحكام لعبد الغني المَقْدِسِي الجَمَاعِي، والإمام في أحاديث الأحكام
ومختصره الإلمام بأحاديث الأحكام كلاهما لتقي الدين ابن دَقِيق العيد، وبلوغ
المرام لابن حجر العسقلاني، ونيل الأوطار للشُّوكَانِي.

وكتب الزوائد:

وهي مصنفات جمعت الأحاديث الزائدة في أحد كتب الحديث على ما في
بعض الكتب الحديثية الأخرى أو أحدها؛ مثل: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،
مجمع البحرين في زوائد المُعْجَمِينَ، المقصد العلي في زوائد مسند أبي يعلى
الموصلِي، بغية الباحث في زوائد مسند الحارث، كشف الأستار عن زوائد مسند
البزَّار، غاية المقصد في زوائد المسند - أي مسند أحمد -، موارد الظمان إلى

زوائد ابن حبان، جميعها للحافظ الهيثمي، وزوائد ابن ماجه على الكتب الخمسة للشهاب البوصيري وسماه «مصباح الرُّجاجة»، والمطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية لابن حجر.

وكتب التخرّيج:

كنصب الراية لأحاديث الهداية للحافظ جمال الدين الزيّلي، والمُعني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخرّيج ما في «الأحياء» من أخبار للحافظ العراقي، والتلخيص الحبير لابن حجر.

وكتب الأطراف:

مثل أطراف الصحيحين لأبي مسعود الدمشقي، وأطراف الكتب الخمسة لأبي العباس أحمد بن ثابت الطرقي، وأطراف الكتب الستة لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، وتحفة الأشراف للحافظ المزّي، وإتحاف المهرة بأطراف العشرة لابن حجر، وذخائر المواريث لعبد الغني النابلسي.

وكتب الأحاديث المشتهرة على الألسنة:

كالمقاصد الحسنة للسّخاوي، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمد العجلوني، وتمييز الطيّب من الخبيث لابن الدبيع الشيباني، وأسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب للشيخ محمد الحوت البيروتي.

وكتب العُلل:

وهي التي تجمع الأحاديث المُعلّة، مثل: كتاب العلل للبخاري، ومسلم، وأحمد، وابن المديني، وأبي بكر الأثرم، وأبي علي النيسابوري، وابن أبي حاتم، والخلال، والسّاجي، والدارقطني، وابن حجر العسقلاني، والسّخاوي في «بلوغ الأمل في تلخيص العلل».

وكتب الموضوعات :

وهي كثيرة جداً، من أشهرها: الأباطيل لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقاني، وتذكرة الموضوعات لابن طاهر المقدسي، والموضوعات الكبرى لابن الجوزي، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية للشيوطي، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعية لابن عراقي، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية للشوكاني، وتحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعية على سيد المرسلين لمحمد بن البشير الأزهري.

وكتب الأحاديث المتواترة :

مثل: الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي، واللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة لشمس الدين ابن طولون، ولقطة اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتّاني.

وكتب في الأحاديث المسلسلة :

وهي التي تتابع رجالاً إسنادها على صفة أو حالة؛ مثل :

المُسلسل بالأولية لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الإمام الشهير، والجواهر المفصلات في الأحاديث المسلسلات للقاسم بن محمد القرطبي المعروف بابن الطيلسان، والمسلسلات الكبرى وحياد المسلسلات كلاهما للسيوطي.

وكتب في جمع طرق بعض الأحاديث :

كطرق حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً» لأبي نعيم الأصبهاني، وطرق حديث الحوض للضياء المقدسي، وطرق حديث الإفك لأبي بكر الأجري، وطرق

حديث: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» لأبي العباس ابن عقدة، وللذهبي أيضاً، وطرق حديث الطير للذهبي، وطرق حديث الرحمة لابن الصّلاح، وطرق حديث: «الفضاة ثلاثة» وطرق حديث: «لا تُسبُّوا أصحابي» وطرق حديث: «لو أن نهرأ بباب أحدكم» وطرق حديث: «ماء زمزم لما شرب له» وطرق حديث «المُجامع في رمضان» خمستها لابن حجر.

وكتب في أحاديث شيوخ مخصوصين من المُكثرين:

كأحاديث سُلَيْمان بن مِهْران الأعمش لأبي بكر الإسماعيلي، وأحاديث ابن شهاب الزُّهريّ لمحمد بن يحيى الدُّهلي، وأحاديث محمد بن جُحادة للطبراني، وأحاديث الفضيل بن عياض للنسائي.

وصنفوا في «الحديث الغريب»:

والحديث الغريب: هو الذي تفرّد به راويه، سواء تفرّد به عن إمام يُجمع حديثه أو عن راوٍ غير إمام.

مثل: غرائب شعبة بن الحجّاج لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منّده، وغرائب مالك للدارقطني.

وفي «الأحاديث الأفراد»:

والحديث الفرّد: هو ما تفرّد به راويه بأي وجه من وجوه التفرّد.

ومن الكتب المصنّفة في هذا الباب: الأفراد للدارقطني، والأفراد لأبي حفص بن شاهين، والشنن التي تفرّد بكلّ سنّة منها أهل بلدة لأبي داود.

وفي «الأحاديث المضطربة»:

والمضطرب: هو الحديث الذي يروى من قبل راوٍ واحدٍ أو أكثر على أوّجه مُختلفة متساوية، لا مرجّح بينها، ولا يُمكن الجمع.

وقد صنّف في هذا الفن الحافظُ ابنُ حجر كتابه القيمَ «المُقتَرَبُ في بيان المُضطَّرَب».

وفي «المُدْرَج»:

والمُدْرَجُ: ما ذُكِرَ في ضمن الحديثِ متَّصِلاً به من غير فَضْلٍ وليس منه.

صنّف فيه الخطيبُ البغداديُّ كتابه: «الفَصْلُ لِلوَصْلِ المُدْرَجِ في النَّقْلِ»، ولخّصه ابن حجر وزاد عليه في كتابه: «تقريب المنهج بترتيب المُدْرَج»، واستخلص السُّيوطيُّ من كتاب ابن حجر جزءاً لطيفاً سماه «المُدْرَج إلى المُدْرَج».

وفي «المُصَحَّف»:

فقد اهتمَّ المحدثون بِضَبْطِ ألفاظ الحديثِ خشيةً التبديل والتحريف، ومتمنّ صنّف في هذا الباب:

أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكّري له كتاب «التصحيح والتحريف وشرح ما يقع فيه» و«تصحيفات المحدثين»، وأبو سُلَيْمان حَمْد بن محمد الخطّابي صنّف «إصلاح غلط المحدثين»، والحافظ الدارقطني له كتاب «التصحيح».

وصنّفوا أيضاً كتب: الثلاثيات، والرباعيات، والخماسيات، والسداسيات، والسباعيات، والثمانيات، والتساعيات، والعشاريات، والأربعينات، وغيرها.

ثانياً - تصانيف في شروح كتب الحديث، وبيان غريبه، وتوضيح مُشْكَله، وناسخه من منسوخه، وأسبابِ وُرُوده، ونحو ذلك:

● ● فصنّفوا في شرح كتب السنة المشهورة، ووضّل ما فيها من معلّقات أو مراسيل، أو نحو ذلك، وفي هذا الباب تصانيف جليّة كثيرة، منها:

«الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار» و«التمهيد لما في الموطأ من

المعاني والأسانيد» كلاهما للمحافظ ابن عبد البرّ، و«كشف الغطا في شرح مختصر الموطا» لابن فرحون.

وحظي «صحيح البخاري» بعناية فائقة لم تكن لغيره من الكتب - حاشا كتاب الله العزيز - فصنّفوا في تراجم رجاله، وأطرافه، ووَصَل مُعَلِّقَاتِهِ، وتوضيح مُشْكِلِهِ، وإعرايه أو إعراب مُشْكِلِهِ، ومُناسبات تراجمه، وعدد أحاديثه، وعوَالِيهِ، وثلاثِيَاتِهِ، وزبَاعِيَاتِهِ، ومكْرَرَاتِهِ، وفهارسه، ومختصراته، والجمع بينه وبين صحيح مسلم، وشرح أحاديثه، وغير ذلك كثير^(١).

ومما صنّف في شرحه: «شرح الجامع الصحيح» لأبي الحسن علي بن خلف المعروف بابن بَطَّال، و«شرح الجامع الصحيح» للمُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ الأندلسي، و«المُخْبِر الفَصِيح في شرح البخاري الصحيح» لأبي محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي، و«التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح» لبدر الدين الزَرْكَشِي، و«فتح الباري بشرح الجامع الصحيح للبخاري» لابن رَجَب الحَنْبَلِي، و«عمدة القاري» لبدر الدين العَيْنِي، و«فتح الباري» لابن حجر العَسْقَلَانِي، و«إرشاد الساري» لشهاب الدين أحمد بن محمد القَسْطَلَانِي، وشرح ابن حجر هو أَجَلُّ هذه الشروح على الإطلاق بلا مِرَاء، وكلّ الصِّيد في جَوْف الفَرَا.

ومن شروح صحيح مسلم: «المُعَلِّم بفوائد مسلم» لمحمد بن علي المازَرِي، و«إكمال المُعَلِّم بفوائد مسلم» للقاضي عياض بن موسى اليَحْصُبي، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج» لأبي زكريا النَّوَوِي.

وشرح «سنن أبي داود» علماء أجلاء، منهم الخَطَّابِي، وابن القَيِّم، ومُعْتَلِّطَاي، وشرفُ الحَقِّ محمد أشرف الصديقي في كتابه «عَوْن المعبود على سنن أبي داود».

(١) للأستاذ محمد عصام عرار كتاب «إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري»، جيد نافع جامع.

ولسنن الترمذي شروح منها «عارضَةُ الأَخُوذِيّ» للإمام أبي بكر ابن العربي، و«قوت المُعْتَدِيّ» للشُّيُوطِيّ، و«العَرَفُ الشُّذِيّ على جامع الترمذي» لمحمد أنور شاه.

ومن شروح «المُجْتَبَى» للنَّسَائِيّ: «زهر الرُّبَى على المُجْتَبَى» للحافظ السيوطي، و«حاشية» لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السُّنْدِيّ. وأما «سنن ابن ماجه» فشرحه مُغلُطاي في كتابه «شرح سنن ابن ماجه»، وأبو الحسن بن عبد الهادي السُّنْدِيّ في كتابه «كفاية الحاجة في شرح ابن ماجه».

● ● وَعُنِيَ العلماء بالتصنيف في غريب الحديث:

ومن أشهر كتب هذا الفن: «غريب الحديث والآثار» لأبي عبيد القاسم بن سَلَام، و«غريب الحديث» لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحَرَبِيّ، وكتاب «الغريبين» - أي غريب القرآن وغريب الحديث - لأبي عبيد أحمد بن محمد الهَرَوِيّ، وكتاب «المغيث في غريب القرآن والحديث» للحافظ أبي موسى محمد بن عُمر المَدِينِيّ الأَصْبَهَانِيّ، و«الفائق في غريب الحديث» لأبي القاسم محمود بن عُمر الزَّمَخْشَرِيّ، و«النهاية في غريب الحديث والآثار» لأبي السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، جمع فيه فأوعى، وأفاد ممتن سبقه، وأزبى عليهم في استقصاء كبير للكلم النبويّ.

● ● وَأَلْفُوا في ناسخ الحديث ومنسوخه:

ومما صُنِّفَ فيه: «الناسخ والمنسوخ» لأحمد بن حنبل، ولأبي داود صاحب «السنن»، ولأبي بكر أحمد بن محمد الأثرَم صاحب أحمد، و«ناسخ الحديث ومنسوخه» لأبي حَفْص ابن شاهين، و«الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار» للحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي، وهو أجمع كتب هذا الفن.

● ● وَصَنَّفُوا في مختلِف الحديث، وسمّوه «مُشْكِل الحديث»:

ومن أقدم هذه التصانيف: كتاب «اختلاف الحديث» للإمام محمد بن إدريس

الشافعي، وأفرد العلماء بعده هذا النوع بالتصنيف، ومن أشهر التوليف فيه: «تأويل مُخْتَلَفِ الحديث» للإمام عبد الله بن مُسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوْرِيِّ، و«مُشْكِل الآثَار» للإمام الحافظ الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد الطَّحَاوِيِّ، وهو أَجَلُّ كتب هذا الفنّ وأوسعها وأكثرها فوائد، و«مُشْكِل الحديث وبيانه» لأبي بكر محمد بن الحَسَن بن فُورِكَ.

● ● وكتبوا في أسباب ورود الحديث:

ومنزلة هذا الفن من الحديث كمنزلة أسباب النزول من القرآن الكريم.

وللسيوطي تصنيف في هذا الباب سماه «اللمع»، وللمحدث إبراهيم بن محمد بن كمال الدين الشهير بابن حَمَزَةَ الدَّمَشْقِيِّ كتاب «البيّان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف» وهو أوسع ما صنف في هذا الفن.

ثالثاً - المصنفات في الرجال:

وقد تفرّقت الأئمة في هذا الباب، واتَّبَعُوا أساليب متنوعة، وفتَحُوا أبواباً كثيرة، فأنتجت قرائحهم ما يُبهر الألباب:

فصنّفوا في «الصحابة»، وفي معرفة الصحابة الرّواة وما لِكُلِّ واحدٍ منهم من الحديث، وفي «التابعين»، أو جَمَعُوا بين الصحابة والتابعين والأنباع فَمَن تَلاهُم، وصنّفوا في رجال أحدِ المحدثين، وفي رجال الأئمة الأربعة الفقهاء، وفي رجال الحديث المذكورين في الكتب الستة وغيرها، ووضعوا كُتُبَ الجَرَحِ والتعديل التي تهتمّ ببيان درجة الراوي جَرَحاً أو تعديلاً: فمنها ما اقتصرَ على الثقات، ومنها ما اختصَّ بالضعفاء، وجمَعَ آخرون الصنفين معاً الثقات والضعفاء، وألّفوا في بيان المدلّسين، والمُخْتَلِطِينَ، والوضّاعين، وفي معرفة الأسامي والكنى، والألقاب، والمؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق، والأنساب، والمنفردات والوحدان، وغير ذلك.

١ - كتب معرفة الصحابة:

وفي هذا الباب كتب كثيرة لأئمة كبار، ومن أشهر تلك الكتب: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لأبي عمر ابن عبد البرّ القرطبي، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير الجزري، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني، وهو أجمعها وأحسنها.

٢ - كتب الصحابة الرواة:

فمن ذلك: رسالة لابن حزم اسمها «الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد»، و«أسماء الصحابة التي اتفق فيها البخاري ومسلم وما انفرد به كل منهما» لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، و«الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة» للمحدث يحيى بن أبي بكر العامري اليميني.

٣ - كتب الطبقات التي تشمل الصحابة والتابعين والأتباع ومن تلاهم:

ككتاب «الطبقات» للإمام مسلم بن الحجاج، ولأبي عبد الرحمن النسائي، و«الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد، و«الطبقات» لأبي عمرو خليفة بن خياط العصفري.

٤ - تصانيف في رجال أحد المحدثين:

مثل: «معرفة رجال شعبة» لأبي داود الطيالسي، و«رجال عروة» لمسلم بن الحجاج، ولم يقتصر على رجال عروة بل ذكر رجال الزهري وغيره أيضاً، و«تسمية رجال عبد الله بن وهب» لمحمد بن وضاح.

٥ - رجال الحديث المذكورين في الكتب الستة وغيرها:

ووضعت في ذلك مصنفات كثيرة رائعة راقية، فمن ذلك:

«التعريف برجال الموطأ» لمحمد بن يحيى ابن الحذاء التميمي، «إتحاف

السالك برواة موطأ مالك» لابن ناصر الدين الدمشقي، «إسعاف المُبَطَّأ برجال الموطأ» للسَّيوطي، «أسماء من روى عنهم البخاري» لعبد الله بن عَدِي الجُرْجاني، «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه» لأبي نصر الكَلَابَادِي، «التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح» لأبي الوليد سُلَيْمان بن خَلْف الباجِي، «التعريف بشيوخ البخاري» لأبي علي الحُسين بن محمد الغَسَّاني الجَيَّاني، «البيان والتوضيح لمن أخرج له البخاري في الصحيح ومُسَّ بِضْرُبٍ من التجريح» لأبي زُرْعَة العِرَاقِي، «رجال صحيح مسلم» لأبي بكر أحمد بن علي الأصبهاني المعروف بابن مَنجَوِيَه، «تسمية شيوخ أبي داود» لأبي علي الحُسين بن محمد الغَسَّاني الجَيَّاني، «تسمية رجال النَّسائي للغَسَّاني أيضاً، «تسمية رجال الترمذي» لعبد العزيز بن محمد الأطروش الدَّورَقِي، «الجمع بين رجال الصحيحين» لأبي نصر الكَلَابَادِي، «الجمع بين رجال الصحيحين» لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، «تسمية شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي» لأبي بكر أحمد بن محمد البرْقَانِي الحافظ، «رجال السنن الأربعة» لأبي الحُسين أحمد بن أحمد الهَكَارِي، ولابن حجر العسقلاني، «المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النَّبَل» لحافظ الشام أبي القاسم ابن عَسَاكِر، جمع فيه شيوخ أصحاب الكُتُب الستة، و«الكَمال في أسماء الرُّجال» للحافظ الكبير عبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسي الجَمَاعِي، تناول فيه رجال الكُتُب الستة، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المتقن أبي الحَجَّاج المِزِّي، وهو كتاب لم يصنف في نوعه مثله، كَسَفَ به الكُتُب المتقدِّمة في هذا الفن، وسارت به الرُّكبان، وهو ثلاثة أضعاف «الكَمال» لعبد الغني.

وفي «تهذيب الكمال» أضاف الحافظ المِزِّي الرواة الواردين في بعض مؤلِّفات أصحاب الكُتُب الستة، وهي تسعة عشر كتاباً.

ولهذا الكتاب العظيم مختصرات كثيرة، من أجْلِها وأشهرها: «تذهيب التهذيب» للدَّهَبِي، و«الكاشف» له اقتصر فيه على رجال الكتب الستة: الصحيحين والسنن الأربعة، «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ مُغَلِّطَاي، وهو كتاب حافل عظيم، «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حَجَر العَسْقَلَانِي، وهو ثلث حجم «تهذيب الكمال» وهو كتاب نفيس مطبوع مشهور، «تقريب التهذيب» مختصر سابقه لابن حجر، «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» للحافظ صفِّي الدين أحمد بن عبد الله الخَزَرْجِي، وهو مختصر «تذهيب» الذهبي، وهو كتاب قيِّم نافع.

ومن كتب الرجال كتب جمعت بين رجال الكتب الستة وغيرها من الكتب، أو أفردت زوائد رجال كتب أخرى ليسوا في تهذيب الكمال:

كتاب «التذكرة في رجال العشرة» للحافظ أبي المحاسن محمد بن علي الحُسَيْنِي الدَّمَشَقِي، اختصر فيه «تهذيب الكمال» وحذف منه مَنْ ليس في الكتب الستة، وأضاف إليهم رجال أربعة كتب هي: موطأ مالك، ومسند أحمد، ومسند الشافعي، ومسند أبي حنيفة للهارثي. و«التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» للحافظ عماد الدين ابن كثير الدَّمَشَقِي، جمع فيه «تهذيب الكمال» و«ميزان الاعتدال» مع زيادات وتحرير عليهما في الجرح والتعديل. و«إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ ابن المُلَقَّن، اختصر فيه «تهذيب الكمال» وذَكَّل عليه من رجال ستة كتب هي: مسند أحمد، وصحيح ابن خُزَيْمَة، وصحيح ابن حِبَّان، ومستدرک الحاكم، وسنن الدَّارَقُطْنِي، وسنن البيهقي. و«الإكمال في ذكر مَنْ له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى مَنْ ذُكِر في تهذيب الكمال» للحُسَيْنِي المتقدم صاحب «التذكرة». و«تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة» لابن حجر العَسْقَلَانِي.

٦ - كتب الجرح والتعديل التي جمعت بين الثقات والضعفاء:

وهي كثيرة منها: «التاريخ والعلل» ليحيى بن معين، «التاريخ» لعلي بن المديني، «العلل ومعرفة الرجال» لأحمد بن حنبل، «التاريخ الكبير» للإمام البخاري، «الجرح والتعديل» لإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، و«الجرح والتعديل» لأحمد بن عبد الله العجلي، و«سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود السجستاني»، و«التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة، و«الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن يوسف بن خراش، و«التاريخ» للحسين بن إدريس ابن خرم الهروي، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم، و«ثقات المحدثين وضعفاؤهم» لأبي العراب محمد بن أحمد بن تميم المغربي الإفريقي.

٧ - كتب الثقات:

منها: «تاريخ الثقات» للحافظ أحمد بن عبد الله العجلي، ورتبه الحافظ الهيثمي على حروف المعجم، و«تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم» لأبي حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين، و«الثقات» للحافظ ابن حبان، و«مشاهير علماء الأمصار» له، اقتصر فيه على المشهورين من الثقات، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» للحافظ قاسم بن قطلوبغا.

٨ - كتب الضعفاء:

وتبرز في هذا الفن كتب جليلة لأئمة كبار، فمن ذلك: كتاب «الضعفاء الكبير» و«الضعفاء الصغير» للإمام البخاري، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» لأبي زرعة الرازي، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» للنسائي، و«الضعفاء» لأبي جعفر محمد بن عمرو العُقيلي، و«معرفة المجروحين من المحدثين» لابن حبان، و«الكامل في ضعف الرجال» لعبد الله بن عدي الجرجاني، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» لأبي الفرج

ابن الجوزي، و «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للحافظ الذهبي، وهو من أجمع كتب الضعفاء، و «المغني في الضعفاء» للذهبي أيضاً، و «لسان الميزان» لابن حجر، اختصر «ميزان الاعتدال» فأوردَ مَنْ ليسوا في «تهذيب الكمال»، وزادَ فيه تحريراً وتراجماً على شرطه.

٩ - كتب المُدَلِّسِينَ :

أفردَ أسماءَ المُدَلِّسِينَ بالتصنيف من القُدماء: الحُسين بن علي الكُرايسِي صاحب الشافعي، ثم أبو عبد الرحمن النَّسائي، ثم أبو الحسن الدَّارِقُطني، ونظَّمهم الذهبيُّ في أرجوزة، وللحافظ برهان الدين الحَلَبِي الشهير بسبط ابن العَجَمِي كتاب «التبيين لأسماء المدلسين»، ولأمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس».

١٠ - وصنفوا فيمن اختلط أو رُمي بالاختلاط :

فصنَّف فيه أبو بكر الحَازِمِي، وأفردَه الحافظ العَلَاثِي في جزء، ولِسبَط ابن العَجَمِي كتاب «الاغباط بمعرفة مَنْ رُمي بالاختلاط».

١١ - وصنفوا في «الوُحدان» :

والمراد بالوُحدان: مَنْ لم يَرَوْ عنه إلا راوٍ واحد من الصحابة أو التابعين فمن بعدهم. ومن كتب هذا الفن: «الوُحدان» للحسن بن سُفيان النَّسَوِي، و «المنفردات والوُحدان» للإمام مسلم.

١٢ - وأفردوا أسماء الرواة الوضاعين والكذابين :

فَعَقَد ابنُ عَرَّاق في «تنزيه الشريعة» فصلاً في أسماء الوضاعين، وصنَّف سِبْطُ ابن العَجَمِي كتابه «الكشف الحثيث عمَّن رُمي بوضع الحديث».

١٣ - كتب الأسماء والكنى

وهي كثيرة منها: «الكنى» للإمام البخاري، مطبوع مع «التاريخ الكبير» له، «الكنى والأسماء» للإمام مسلم، «الكنى» للنسائي، و«الأسماء والكنى» لأبي عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني، و«الكنى والأسماء» لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، و«الأسماء والكنى» لأبي أحمد الحاكم الكبير، وهو كتاب عظيم نفيس، طبع قسم منه يحتوي على (٢٠٩٧) ترجمة، و«الكنى والألقاب» لأبي عبد الله الحاكم، و«الاستغنا في معرفة الكنى» لابن عبد البر، و«المقتنى في سرد الكنى» للذهبي، و«المنى في الكنى» للشيوطي.

١٤ - كتب معرفة الألقاب:

صنّف فيه أئمة كبار، فمن ذلك: «الألقاب والكنى» لأبي بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي الحافظ، و«منتهى الكمال في معرفة ألقاب الرجال» لأبي الفضل علي بن الحسين بن أحمد الفلكي، و«مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب» لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الشهير بابن الفرضي، و«كشف النقاب عن الأسماء والألقاب» لأبي الفرج ابن الجوزي، و«نزهة الألباب في الألقاب» لابن حجر العسقلاني، وهو مؤلف بديع، و«كشف النقاب عن الألقاب» للشيوطي.

١٥ - المتفق والمفترق:

وهي كتب في المتفق لفظاً وخطاً من الأسماء والألقاب والأنساب ونحوها، وهو مفترق معنى؛ ومما صنّف في هذا الفن العزيز:

«المتفق والمفترق»، و«المفترق الكبير» في ثلاث مئة جزء، كلاهما لأبي بكر محمد بن عبد الله الجوزقي الحافظ المجود، و«المتفق والمفترق» و«موضح أوام الجتمع والتفريق» كلاهما للخطيب البغدادي.

١٦ - الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ :

وهي كتب في المؤتلف - أي المتفق - خطأ من الأسماء والألقاب والأنساب ونحوها، وهو مُخْتَلَفٌ لفظاً، ومن كُتِبَ هذا الباب :

«المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال» للحافظ الدارقطني، و«المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال» للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي، و«المؤتلف والمختلف» لأبي سعد أحمد بن محمد الماليني، و«المؤتلف لتكملة المؤتلف والمختلف» لأبي بكر الخطيب البغدادي، و«الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب» للأمير أبي نصر ابن ماکولا، وهو في غاية الإفادة، وعليه اعتمادُ المحدّثين وأربابِ هذا الشأن، وذيلٌ عليه معينُ الدين ابنُ نُقْطَةَ في كتابه «تكملة الإكمال»، وذيلٌ على ابنِ نُقْطَةَ الحافظ جمالُ الدين ابنُ الصّابُونِي في كتابه «تكملة إكمال الإكمال»، وصنّف أبو عليّ الحُسين بن محمد الغَسَّانِي الجَيَّانِي كتابه «تقييد المهمّل وتمييز المشكّل».

ومما صنّف في هذا الباب أيضاً: «الفَيْصَل» في مُشْتَبِهِ النُّسْبَةِ لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي، و«المحتسب في مُشْتَبِهِ النُّسْبِ» لابن الجوزي، و«المُشْتَبِهِ في أسماء الرجال وأنسابهم» للحافظ الذّهبيّ، و«تبصير المنتبه بتحرير المُشْتَبِهِ» للحافظ ابن حجر، حرّر فيه «مشتبه» الذهبي، و«توضيح المُشْتَبِهِ» للحافظ ابن ناصر الدّين، أصلح فيه خَلَلٌ «مشتبه» الذهبي، وحرّره، وسدّد عَوَزَه، وهو كتابٌ فذٌّ منقطعُ النَّظِيرِ، و«تحفة النابه في تلخيص المتشابه» للشُّيْطِي، وغير ذلك كثير جداً.

١٧ - كتب الأنساب :

وهي تمتُّ بوشائجٍ وثيقةٍ إلى كُتُبِ «المُشْتَبِهِ»، فكان المصنّفون في «المشتبه» يعتمدون عليها في الضبط والتوثيق، وأجلُّ كتب هذا الفن: «الأنساب» للحافظ

الجِهْدِ أَبِي سَعْدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ السَّمْعَانِيِّ، وَاخْتَصَرَهُ عَزُّ الدِّينِ ابْنُ الْأَثِيرِ
الْجَزْرِيُّ فِي «اللباب في تهذيب الأنساب»، وَاخْتَصَرَ «اللباب» الشُّيُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ
«لُبُّ اللِّبَابِ فِي تَحْرِيرِ الْأَنْسَابِ».

وَمِنْ كُتُبِ هَذَا الْفَنِّ: «أَنْسَابُ الْمُحَدِّثِينَ» لِمُحِبِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
النَّجَّارِ الْبَغْدَادِيِّ، وَ«الْعَجَالَةَ» لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الْحَازِمِيِّ، وَ«اِقْتِبَاسُ
الْأَنْوَارِ وَالنَّمَاسِ الْأَزْهَارِ فِي أَنْسَابِ الصَّحَابَةِ وَرِوَاةِ الْآثَارِ» لِلْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّخْمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالرُّشَاطِيِّ، وَغَيْرَهَا كَثِيرٌ.

رابعاً - كتب التراجم والوفيات:

عِنْدَمَا دَوَّنَ الْمُحَدِّثُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ كُتُبَ السِّيَرِ وَالتَّرَاجِمِ سَمَّوْهَا:
«التاريخ»، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ: «التاريخ الكبير» للبخاري، و«تاريخ واسط»
لأسلم بن سهل المشهور ببخشل، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، و«تاريخ
الثقات» للعجلي، و«تاريخ مدينة دمشق» لابن عسَّكر، و«التحفة اللطيفة في تاريخ
المدينة الشريفة» لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السَّخَّاوي.

وَأَمَّا مَا عُرِفَ فِي عَضْرُنَا بِاسْمِ «التاريخ» فَسَمَّوْهُ: «الأخبار»، كَمَا تَجَدُّ ذَلِكَ
فِي «أخبار البصرة» لعمر بن شَبَّه، وَ«أخبار المدينة» لَهُ، وَ«أخبار مكة» لِأَبِي
الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْرَقِيِّ، وَ«التبيان في أخبار بغداد» لِأَحْمَدِ بْنِ خَالِدِ
الْبَرْقِيِّ، وَ«أخبار الدول المنقطعة» لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ ظَافِرِ الْأَزْدِيِّ، وَغَيْرَهَا.

وَكَانَ الْأَمْرُ فِي بَدَايَتِهِ مَقْصُوراً عَلَى كِتَابَةِ سِيَرِ رِجَالِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُمْ حَمَلَةُ
السَّنَةِ، وَالْمُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وَالذَّابُونَ عَنْهَا مِنَ الْوَضْعِ وَالِاخْتِلاقِ، وَالتَّصْحِيفِ
وَالتَّحْرِيفِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ الْأَمْرُ فِي التَّرَاجِمِ، فَدَخَلَ فِيهِ الْأَعْيَانُ مِنْ مُفْسِرِينَ، وَقُرَّاءَ،
وَنَحَاةَ، وَأَدْبَاءَ، وَحُكَّامَ، وَأَمْرَاءَ، وَمُؤَرِّخِينَ، وَفُقَهَاءَ، وَقَضَاةَ، وَشُعْرَاءَ، وَغَيْرَهُمْ
مِمَّا فِي مَعْنَاهُمْ.

وقد تفنن المصنفون في تراجم المحدثين وحملة الحجة، فأفردوهم بالتصنيف تارة، وخلطوهم مع غيرهم تارة أخرى، فألفوا: كتب الوفيات، وتواريخ البلدان العامة ممزوجة بالتراجم، وتواريخ البلدان المحلية، والطبقات، وطبقات القراء، والمفسرين، والنحاة، والأدباء، والشعراء، والقضاة، والولاة، والوزراء، والزهاد، والأولياء، وطبقات الفقهاء، وفقهاء كل مذهب من المذاهب المتبوعة، وطبقات الحفاظ، وطبقات المحدثين في بلد ما، وعلماء الحديث في البلدان، وتراجم قرون معينة، ومعاجم الشيوخ، وغير ذلك كثير جداً.

ومن الأمثلة على ذلك - وهي تفوت الحصر -:

١ - كتب الوفيات^(١):

مثل: «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» لأبي سليمان محمد بن عبد الله بن زبير الرِّبَيعِيّ، وذَيْلٌ عليه أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكَتَّانِي، وذَيْلٌ على الكَتَّانِي أبو محمد هبةُ الله بن أحمد بن الأَكْفَانِي، ثم ذَيْلٌ على ذَيْلِ ابْنِ الأَكْفَانِي شرفُ الدين أبو الحسن علي بن المُفَضَّلِ المَقْدِسِي الاسكندراني وسماه وفيات النقلة، وذَيْلٌ على ابنِ المُفَضَّلِ تلميذه الحافظُ زكيُّ الدين عبدُ العظيم بن عبد القوي المُنْذِرِي فِي كتابه «التكملة لوفيات النقلة»، وذَيْلٌ على المنذريِّ عزُّ الدين أحمدُ بن محمد بن عبد الرحمن الحُسَيْنِي وسماه «صلة التكملة لوفيات النقلة»، ثم ذَيْلٌ على الحُسَيْنِي شهابُ الدين أحمدُ بن أَيْبِكَ الدِّمِياطِي، وذَيْلٌ على الدِّمِياطِي الحافظُ أبو الفضل عبدُ الرحيم بن الحُسَيْنِ العِرَاقِي، ثم ذَيْلٌ على العِرَاقِي ولده أبو زُرْعَةَ أحمد بن عبد الرحيم.

(١) كتب الوفيات هي تواريخ تذكر أعيان المحدثين وغيرهم على حسب سني وفياتهم، هذا هو أصل فن الوفيات، ثم تطور مفهوم «الوفيات» بحيث صار يعني «التراجم»، مثل «وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«وفات الوفيات» لمحمد بن شاکر الكتبي، و«الوافي بالوفيات» لخليل بن أيبك الصفدي.

ومن كتب هذا الفن: كتاب «الوفيات» لتقي الدين محمد بن رافع السَّلَامِي.

٢ - كتب التاريخ المتضمنة التأريخ والتراجم:

ومن الكتب الجليلة في هذا الباب: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لأبي الفرج ابن الجوزي، «تاريخ الإسلام» و«العبر في خبر من عبر» للذهبي، «البداية والنهاية» لابن كثير، «إنباء الغمر بأبناء العمر» لابن حجر العسقلاني.

٣ - كتب تواريخ المدن والبلدان «تواريخ الرجال المحلية»:

وهي كثيرة جداً، فمنها: «تاريخ واسط» لبَحْشَلِ أسلم بن سَهْل الواسطي، «تاريخ بلخ» لأبي علي عبد الله بن محمد بن علي البلخي، «طبقات علماء بلخ» لعلي بن الفضل بن طاهر البلخي، «تاريخ قرطبة» لمسلمة بن قاسم القرطبي، «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ الأنصاري، «ذكر تاريخ أصبهان» لأبي نعيم الأصبهاني، «تاريخ سمرقند» لأبي عبد الله الحاكم، «تاريخ بخارى» لمحدث بخارى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري الملقب بِنُجَار، «تاريخ جرجان» لأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي، «تاريخ نَسَف» للحافظ أبي العباس جعفر بن محمد بن المعتز المُسْتَعْفِرِي السَّفِي، «تاريخ نيسابور» للإمام أبي عبد الله الحاكم، «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، «ذيل تاريخ بغداد» لابن السمعاني، «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار، «ذيل تاريخ بغداد» لابن الذُّبَيْثِي، «أخبار مصر ورجالها» كبير، و«ذكر الغرباء الواردين على مصر» صغير، كلاهما لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصَّدْفِي المصْرِي، «طبقات علماء أفريقيا وتونس» لأبي العَرَب القيرواني، «تاريخ دمشق» لابن عساكر، «تاريخ حمص» لعبد الصمد بن سعيد الحمصي، «طبقات العلماء والمحدثين من أهل الموصل» لأبي زكريا يزيد بن محمد الأزدي، «تاريخ مكة» و«تاريخ البصرة» لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي الحافظ القدوة شيخ الحرم.

٤ - كتب الطبقات العامة:

وهي الكتب التي تترجم الرجال مرتبين في طبقات، دون التقييد بصنف مخصوص، أو زمان مخصوص، ومن أجلها:

«الطبقات الكبرى» لابن سعد، و«طبقات» خليفة بن خياط، و«المُنتخب من ذئب المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، و«سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي، وهو منظم على الطبقات.

٥ - كتب التراجم الخاصة بفئة معينة:

فصنفوا في تراجم القراء؛ مثل:

«طبقات القراء» لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني، «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» للذهبي، «غاية النهاية في طبقات القراء» لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزري.

وفي تراجم المفسرين، مثل:

«طبقات المفسرين» للسيوطي، «طبقات المفسرين» لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي تلميذ السيوطي.

وفي تراجم الفقهاء مطلقاً؛ مثل:

«طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الإمام المُجتهد، «تاريخ الفقهاء» لأبي محمد عبد الوهاب بن محمد الشيرازي، «طبقات الفقهاء» لأبي الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمداني.

وفي تراجم فقهاء وأعيان كل مذهب من المذاهب المتبوعة:

ففي أعيان الحنفية صنف الكثير، فمن ذلك:

«الجواهر المُضوية في طبقات الحنفية» لعبد القادر بن محمد القرشي، «نظم

الجُمان في طبقات أصحاب إمامنا النعمان» لإبراهيم بن محمد بن أيدمُر بن دُقماق القاهري، «المِرْقاة الوَفِيَّة في طبقات الحنفيَّة» لمجد الدين محمد بن يعقوب الفِيرُوزِأَبَادِيٍّ، «طبقات الحنفيَّة» لأبي الفضل محمد بن محمد الثَّقَفِي الحَلْبِي لمعروف بابن الشُّحْنَة الصغِير، «الغُرْف العَلِيَّة في تراجم متأخري الحنفيَّة» لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طُولُون الصالِحِي الدَّمَشْقِي، «الطبقات السنية في تراجم الحنفيَّة» لتقي الدين بن عبد القادر التَّمِيمِي.

وفي تراجم أعيان المالكية:

«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض بن موسى اليَحْصُبيِّ، «الدِّيَاج المَذْهَب في معرفة أعيان علماء المَذْهَب» لإبراهيم بن علي بن محمد ابن فَرْحُون، «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأبي العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد التُّبُكْتِي.

وصنف في تراجم أعيان الشافعية شيء كثير جداً، فمنه:

«طبقات الفقهاء الشافعية» للحافظ أبي عمرو ابن الصلاح، «طبقات الشافعية» لإسماعيل بن هبة الله بن سعيد المَوْصِلِي المعروف بابن باطيش، «طبقات الشافعية الكبرى» و«الوسطى» و«الصغرى» لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الشُّبْكِي، «طبقات الفقهاء الشافعيين» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، «طبقات الشافعية» لأبي بكر بن أحمد بن محمد الأَسْدِي الشُّهْبِي المشهور بابن قاضي شُهْبَة، «المجمع النفيس لمعجم أتباع ابن إدريس» ليوسف بن شاهين الكركي سبط ابن حجر العسقلاني.

ومما صنف في تراجم أعيان الحنابلة:

«طبقات الحنابلة» للإمام القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين المعروف بابن أبي يَعلَى، «طبقات الفقهاء من أصحاب الإمام أحمد» لمحمد بن عبد الباقي بن هبة الله المُجَمِّعِي المَوْصِلِي، «المقصد الأرشد في ذكر من روى عن

الإمام أحمد» للحافظ عبد العزيز بن محمود بن المبارك البغدادي المعروف بابن الأخضر، «ذيل طبقات الحنابلة» للحافظ الشهير ابن رجب الحنبلي، «طبقات الحنابلة» لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العُلَيْمي، وغيرها.

وصنفوا في تراجم النحاة؛ مثل:

«إنباه الرواة على أنباه النحاة» لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، «طبقات النخويين واللغويين» لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي، «المُقْتَبَس في أخبار النحاة» لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» للحافظ الشُّيُوطي.

وفي تراجم الأدباء:

مثل «معجم الأدباء» لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.

وفي تراجم القضاة؛ مثل:

«قضاة مصر» لأبي عبيد الله محمد بن الربيع الجيزي، «أخبار القضاة» لمحمد بن خلف بن حبان المعروف بوكيع، «أخبار قضاة مصر» للحسن بن إبراهيم ابن زولاق، «تسمية قضاة بغداد» لطلحة بن محمد بن جعفر، «رفع الإضر عن قضاة مصر» للحافظ ابن حجر.

وفي الزهاد والأولياء؛ مثل:

«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ومختصرها «صفة الصفاة» لابن الجوزي، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن.

٦ - وصنفوا في علماء الأمصار غير ملتزمين بمصر معين:

مثل «مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان، «الإرشاد في معرفة علماء الحديث»

للحافظ أبي يعلى الخَلِلي القَزَوِينِي، و «الأمصار ذوات الآثار» للحافظ الذهبي.

٧ - وألفوا في تراجم أعيان قرن بعينه أو عدة قرون محددة، مثل:

«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للحافظ الجِهْدِي محمد بن عبد الرحمن السَّخَاوي، «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للإمام العلامة محمد بن علي الشُّوكَانِي، «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» للمؤرخ نجم الدين محمد بن محمد الغَزِّي، «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمؤرخ محمد أمين بن فضل الله المُجَبِّي، «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» لأبي الفضل محمد خليل بن علي المُرَادِي.

٨ - وصنفوا معاجم الشيوخ:

حيث اهتمَّ بعض الأئمة بجمع شيوخه الذين أخذ عنهم في مصنَّف، وقد يقوم بذلك غيره، والأغلب في هذه المعاجم أنها مرتبة على الحروف، ومن تلك المعاجم:

«التحبير في المعجم الكبير» للحافظ أبي سَعْد السَّمْعَانِي، «فهرست ابن خَيْر» له وهو الحافظ محمد بن خير بن عُمَر الإِسْبِيلِي، «معجم مشيخة أصبهان» و «معجم مشيخة بغداد» و «معجم السَّفَر» الثلاثة للإمام الكبير الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السَّلْفِي، «معجم شيوخ الدَّمِيَّاطِي» له وهو الحافظ عبد المؤمن بن خَلْف الدَّمِيَّاطِي، «مشيخة قاضي القضاة ابن جماعة» تخريج البرزالي، «معجم الشيوخ» للحافظ الذهبي، «معجم الشيوخ» لتقي الدين محمد بن رافع السَّلَامِي، «المَجْمَع المُؤَسَّس للمُعْجَم المُفْهَرَس» للحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني.

٩ - وأفردوا كتباً في تراجم المحدثين والحفاظ بخاصة؛ ومنها:

«طبقات المحدثين» لأبي القاسم مَسْلَمَة بن القاسم الأندلسي، «طبقات

المحدثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ، «طبقات المحدثين» للمحدث المُفيد أبي القاسم عبد الرحمن ابن منده، «التاريخ في رجال المحدثين بمرو» للحافظ أبي علي محمد بن علي بن حمزة الفُراهِينِي، «طبقات المحدثين» للحافظ أبي الوليد يوسف بن عيد العزيز بن الدَّبَّاع، وجمع تقيُّ الدين ابن دقيق العيد «كتاباً في الحفاظ» اقتصر فيه على الموصوفين في الأسانيد بالحفظ، «العمدة في الحفاظ» للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، «تذكرة الحفاظ» للحافظ الناقد أبي عبد الله الذهبي، و«المعين في طبقات المحدثين» و«المعجم المختص بالمحدثين» كلاهما للحافظ الذهبي أيضاً، وذَيْلٌ على «تذكرة الحفاظ» للذهبي تلميذه الحافظ أبو المحاسن محمد بن علي الحُسَيْنِي، وذَيْلٌ على «كتاب الحُسَيْنِي» الحافظ أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد ابن فهد وسمَّاه «لَحْظَ الأُلْحاظ بِذَيْل طبقات الحفاظ»، وذَيْلٌ على «التذكرة» الحافظ ابنُ حجر العسقلاني، وذَيْلٌ على «التذكرة» الحافظ السيوطي، ثم اختَصَرَ «تذكرة الحفاظ» وذَيْلَهُ عليها، وجعلهما في كتابٍ واحد هو «طبقات الحفاظ»، «بديعة الزمان عن موت الأعيان» للحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي، وهي نظم للحفاظ في ألف بيت، ثم شرحها في كتابه «التبيان لبديعة البيان»، «طبقات علماء الحديث» ليوسف بن حسن بن عبد الهادي، «رسالة في طبقات الحفاظ» للإمام العَلَم محمد بن محمد بن محمد الشهير بمرتضى الزَيْدِي صاحب «تاج العروس».

وصنف الشيه محمد حبيب الله الشنقيطي «هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث» منظومة، وللشيخ البارع عبد الفتاح أبو غدة رسالة في «أمراء المؤمنين في الحديث»، وللأستاذ محمود سعيد ممدوح رسالة «تزيين الألفاظ بتتميم ذيول تذكرة الحفاظ» ترجم فيها تسعة عشر حافظاً.

● ● والمتأمل لهذه الجهود الجبارة، والمتبّع لتلك التصانيف العظيمة

والتوايف الكثيرة المتنوعة الشاملة المستقصية؛ يشهد بأن ما تفتتت عنه أذهانُ
المحدّثين، وما أنتجتته قرائحهم، وجادت به أقلامهم، كان جهداً بشرياً خارقاً، لم
يكن لأمة من الأمم قبل، والله المنة والفضل، وله الحمد في الأولى والآخرة على
ذلك.

ركود ثم يقظة ونهضة:

وقد طرأت على المسلمين حالاتٌ من الضعف العام، وكان نصيبُ العاملين
في حقل السنّة النبوية وخدمتها في مجالاتها المتنوعة الرحبة شيئاً غير قليل،
ووصلت الأمة - في هذا الباب - إلى مرحلة الركود، وتوقّف الاجتهاد والابتكار في
التصنيف والتأليف، ثم صحّت من غفوتها، وقامت من كبوتها، وعادت إلى
الجادة، وبدأت تواصل ما قدّمه الآباء من تراثٍ عظيم قيم، لحماية الحديث
النبوي، والحفاظ على صفائه ونقائه، وإبلاغه للناس للعمل به، ليسعدوا في الدنيا
والآخرة.

ولقد أشارَ الذهبيُّ في عدّة مواضع من كتبه إلى هذا التراجع وقلة الاعتناء
بالسنّة - في زمانه - فمن ذلك قوله في خاتمة «الطبقة الثامنة» من «تذكرة الحفاظ»:
(فهؤلاء المُسمّون في هذه الطبقة هم ثقاتُ الحُفّاظ، ولعلّ قد أهملنا طائفةً من
نُظرائهم، فإنّ المجلسَ الواحدَ في هذا الوقت، كان يجتمع فيه أزيدُ من عشرة آلافٍ
مُخبرة يكتبون الآثارَ النبوية، ويعتنون بهذا الشأن، وبينهم نحوٌ من مئتي إمامٍ قد
برّزوا وتأهلوا للفتيا. فلقد تفانَى أصحابُ الحديث وتلاشوا، وتبدّل الناس بطلبية
يهزأ بهم أعداءُ الحديث والسنّة، ويسخرون منهم، وصار علماءُ العصر في الغالب
عاكفين على التقليد في الفروع، من غير تحريرٍ لها، ومُكَيِّين على عقليات من
حكمة الأوائِل وآراء المتكلمين، من غير أن يتعقّلوا أكثرها؛ فعَمَّ البلاءُ،
واستحكمت الأهواءُ، ولأحت مبادي رفع العلم وقبضه من الناس، فرَحِمَ اللهُ امرأً
أقبل على شأنه، وقصّر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه، وبكى على زمانه،

وَأُذْمِنَ النَّظَرَ فِي الصَّحِيحِينَ، وَعَبَدَ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يَبْتَغِيَ الْأَجَلَ، اللَّهُمَّ فَوْقَ
وَارْحَمِ) (١)!!

وقال في نهاية «الطبقة العشرين»: (وقد قَلَّ مَنْ يَعْتَنِي بِالْآثَارِ وَمَعْرِفَتِهَا فِي
هَذَا الْوَقْتِ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، عَلَى رَأْسِ السَّبْعِ مِئَةٍ؛ أَمَّا الْمَشْرِقُ
وَأَقَالِيمُهُ: فَغُلِقَ الْبَابُ، وَانْقَطَعَ الْخِطَابُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ. وَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَمَا بَقِيَ
مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ: فَيَنْدُرُ مَنْ يَعْتَنِي بِالرِّوَايَةِ كَمَا يَنْبَغِي، فَضْلاً عَنِ الدَّرَايَةِ) (٢)!!

وفي أثناء ترجمة الإمام الحافظ أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، يقول
الذهبي: (وَإِنَّمَا شَأْنُ الْمُحَدِّثِ الْيَوْمَ الْإِعْتِنَاءُ بِالِدَوَاوِينِ السَّنَةِ، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ
حَنْبَلٍ، وَسُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ، وَضَبِطُ مُتُونِهَا وَأَسَانِيدِهَا، ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حَتَّى يَتَّقِيَ
رَبَّهُ، وَيَكْتَسِبَ بِالْحَدِيثِ، فَعَلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلْمَائِهِ لِيَبْكُ مَنْ كَانَ بَاكِيًّا؛ فَقَدْ عَادَ
الْإِسْلَامُ الْمَخْضُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَلَيْسَ عَمْرُؤُ فِي فِكَكَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ؛ فَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (٣)!!

قلت: يقول الذهبي هذا وفي عصره من أساطين الحديث: هو، وابن تيمية،
والمزني، والبرزالي، وابن عبد الهادي، وابن سيّد الناس، والدّمياطي، وابن
القيّم، والتقي السبكي، والتاج السبكي، وابن كثير، وابن رجب، وغيرهم كثير (٤)،
قد ترجم لطائفة كبيرة منهم الذهبي في «معجم شيوخه» و«المعجم المختص
بالمحدثين»، فماذا يقول في الأعصر الآخرة، وفي عصرنا هذا لو رآه؟!.

وقد ظهرت قلة الاعتناء بالحديث النبوي - رواية ودراية - بوضوح منذ القرن
العاشر الهجري وحتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وهجر الناس مصنفات

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٢٣.

(٤) انظر: ص ٢٣ في هذه المقدمة.

الأئمة الأوائل هجراناً غيرَ حَمِيدٍ، وأصبحَ أكثرُ العلماءِ يجهلون علمَ الحديثِ، هذا فضلاً عن طلبَةِ العلمِ وعامةِ الناسِ، حيثُ انتشرتْ بينهم الأحاديثُ الواهية والموضوعة.

لكن ثمة فئة قليلة اهتمت بالحديث الشريف، ولها في خدمته جهود مشكورة، لكنها تبدو ضئيلة إذا قيسَت بجهود الأئمة السَّالِفينَ.

ومن مطلع القرن الرابع عشر وحتى وقتنا الحاضر أشرقت نجومٌ ساطعةٌ من حَمَلَةِ الحُجَّةِ، ومُجَبِّي السُّنَّةِ، أخذتْ على عاتقها حملَ رايةِ الحديثِ، ووصَّلتْ القديمَ بالحديثِ، وجادتْ أقلامُهم بالقيِّمِ النَّفِيسِ، وأتَّحفوا الأمةَ بتصانيفٍ مائة، وتآليفٍ رائقة، وبذلوا جهوداً كبيرة في خدمة الأثرِ الشريفِ، وعلومِ الحديثِ بفروعه وشُعَبِهِ، مما يُعتبر بحقَّ نهضةً علميةً جديدةً لخدمةِ السنة، تثلجُ الصَّدْرَ، وتستحقُّ الثناءَ والذِّكْرَ.

ولإخواننا في الهند فضل كبير في هذا، ويد بيضاء، وجهود مثمرة، نرجو الله تعالى أن يحسن جزاءهم عليها، ويكافئهم من مزيده، بما هو له أهل.

قال العلامة السيد محمد رشيد رضا: (ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لَقُضِيَ عليها بالزَّوَالِ من أمصار الشرق، فقد ضَعُفَتْ في مصرَ والشامَ والعراقَ والحجازَ، منذُ القرنِ العاشرِ للهجرة، حتى بلغتْ منتهى الضَّعفِ في أوائلِ هذا القرنِ الرابعِ عشرِ. وإنني لما هاجرتُ إلى مِصْرَ - سنة ١٣١٥ هـ - رأيتُ خطباءَ مساجدها: الأزهر وغيره، يذكُرُونَ الأحاديثَ في حُطَبِهِمْ غيرَ مخرَّجة، ومنها الضعيف والمُنكَّر والموضوع، ومثلُهم في هذا الوعَاظ والمدرِّسون ومصنِّفو الكتب)^(١).

ويقول العلامة عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني: (ومن تتبع ما أنتجته

(١) مقدمة «مفتاح كنوز السنة» الصفحة ق.

النهضة العلمية في القرن الرابع عشر، بالهند ومصر والشام وغيرها، من المعارف والمؤلفات والرسائل وغيرها؛ عَلِمَ أَنَّ للهند - ولا سيَّما حيدر آباد الدكن - الفضل الأكبر في ذلك، بما نشرته من كتب الحديث وكتب الرجال^(١).

ويقول العلامة المحدث محمد زاهد الكوثري: (وكان حظ إقليم الهند من هذا الميراث - منذ منتصف القرن العاشر - هو النشاط في علوم الحديث، فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كلياً، بعد أن كانوا مُنصرِّفين إلى الفقه المجرّد والعلوم النظرية، ولو استعرضنا ما لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذاك الحين - مدة ركود الأقاليم - لَوَقَّعَ ذلك موقعَ الإعجاب الكليّ، والشكر العميق... . . . وكم لعلمائهم من شروح ممتعة وتعليقات نافعة على الأصول الستة وغيرها، وكم لهم من مؤلفات واسعة في أحاديث الأحكام، وكم لهم من أيادٍ بيضاء في نقد الرجال، وعُلم الحديث، وشرح الآثار، وتأليف مؤلفات في شتى الموضوعات)^(٢).

وتنامت تلك الجهود الخيرة، وامتدت رقعتها، حتى شملت أصقاعاً عديدة من ديار الإسلام، في الشام، والعراق، ومصر، والمغرب، وموريتانيا، واليمن، وغيرها. ونشير إلى أولئك العلماء والمحدثين في تلك الأمصار، بالماغات سريعة.

١ - ففي الهند وباكستان:

أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي، محمد أنور شاه الكشميري، ظفر أحمد العثماني التّهانوي، حبيب الرحمن الأعظمي، محمد عبد الرشيد النعماني، محمد تقي العثماني، محمد زكريا الكاندهلوي، وغيرهم.

(١) علم الرجال: ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) مقالات الكوثري: ص ٧٣.

٢ - وفي الشام:

العلامة الشيخ محمد راغب الطَّبَّاح، محمد جمال الدين القاسمي، العلامة الدكتور مصطفى السَّبَّاعي، المحدث ناصر الدين الألباني، المحدث شُعيب الأرنؤوط، المحدث عبد القادر الأرنؤوط، المحدث عبد الفتاح أبو غُدَّة، والأفاضل: الدكتور نور الدين عتر، محمد عَجَّاج الخَطِيب، الشيخ محمد عَوَّامة، وآخرون.

٣ - وفي العراق:

كانت هناك جهود مثمرة في خدمة السنة ورجال الحديث، قام بها ثلة من العلماء، مثل: الدكتور مصطفى جَوَّاد، والدكتور بشار عَوَّاد معروف، والدكتور أكرم ضياء العُمري، وصبحي السامرائي، وغيرهم.

٤ - وفي مصر:

يبرز العلامة المحقق المحدث الأصولي الفقيه محمد زاهد الكوثري، الجركسي الأصل، المصري الوفاة، والمحدث الكبير أحمد محمد شاكر، والعلامة أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي.

٥ - وفي المغرب:

المحدثون: محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتَّاني، ومحمد بن جعفر الكتَّاني، وعبد الله بن الصديق العُماري وأحمد بن الصديق العُماري.

٦ - وفي اليمن:

تبرز جهود العلامة المحقق المحدث عبد الرحمن بن يحيى المُعلَّمي اليماني.

٧ - وفي موريتانيا :

يلمع نجم المحدث محمد الخضر الجكني الشنقيطي.

٨ - وفي الحجاز (السعودية) :

الشيخ حماد الأنصاري، والشيخ إسماعيل الأنصاري، وأبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وغيرهم.

وقد تضافرت جهود هؤلاء الذين ذكرناهم، وجهود غيرهم ممن لم نذكرهم، في خدمة السنة الشريفة في مجالات متنوعة، فمن ذلك :

(أ) تحقيق كتب الحديث الأصول وتخريجها، مثل :

مسند الطيالسي، مسند أحمد، موطأ مالك، صحيح مسلم، صحيح البخاري، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، سنن البيهقي، صحيح أبي عوانة، صحيح ابن خزيمة، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المعجم الكبير للطبراني، مشكاة المصابيح، جامع الأصول، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، مسند الحميدي، مصنف عبد الرزاق، مصنف ابن أبي شيبة، مسند أبي يعلى، وغيرها كثير.

(ب) تحقيق وتصنيف كتب شروح الحديث، مثل :

فتح الباري، عمدة القاري، شرح مسلم للنووي، أعلام السنن للخطابي، ومعالم السنن له، تهذيب السنن لابن القيم، عارضة الأحوزي، تحفة الأحوزي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، عون المعبود، بذل المجهود، مرقاة المفاتيح، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، وغيرها.

(ج) تحقيق كتب الرجال، والجرح والتعديل، والضعفاء، ونحوها؛ مثل :

تهذيب الكمال، تقريب التهذيب، الكاشف، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، التاريخ الكبير للبخاري، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الضعفاء

الصغير للبخاري، الضعفاء والمتروكين للنسائي، الضعفاء والمتروكين للدارقطني، المغني في الضعفاء للذهبي، الضعفاء للعقيلي.

(د) تحقيق كتب الأسماء والكنى، والمُشْتَبِه، والأنساب، وما في معناها، مثل:

الإكمال لابن ماكولا، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين، تبصير المتنبه لابن حجر، نزهة الألباب في الألقاب له، الأسماء والكنى للدلاوي، وللحاكم الكبير أبي أحمد، الأنساب للسمعاني، وغير ذلك.

(هـ) تحقيق وتصنيف كتب مصطلح الحديث، مثل:

معرفة علوم الحديث للحاكم، فتح المغيث للسخاوي، علوم الحديث لابن الصلاح، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير بشرح أحمد شاکر، التقييد والإيضاح للعراقي، ألفية السيوطي في علوم الحديث، قواعد في علوم الحديث للتهانوي، الرفع والتكميل لأبي الحسنات اللكنوي، منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر، أربع رسائل في علوم الحديث للسبكي والسخاوي والذهبي بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وغير ذلك كثير.

هذه إلماعة عابرة عن جهود المحدثين والعلماء وطلبة العلم في خدمة السنة المشرفة، وللأستاذ محمد عبد الله أبو صعيبيك كتاب لطيف سماه «جهود المعاصرين في خدمة السنة المشرفة» فيه نفع وفوائد.

فصل فيه تعريف: المُسْنَد، والمُحَدَّث، والمُفِيد، والحافظ، وأمير المؤمنين في الحديث:

تختلف درجاتُ المشتغلين بالحديث النبوي من حيث الروايةُ والدرايةُ، والشهرةُ بالطلب والسماع من أفواه الرجال، وتحصيلُ العالي والنازل، ومعرفةُ أسماء الرجال، وطبقات الرواة، والمعرفةُ بالأسانيد والعلل، وسماع الكتب، وحفظ متون الأحاديث، ومعرفة أنواعها، وتمييز الصحيح من السقيم، والضبط والإتقان في جميع ذلك.

وقد أطلق المحدثون على مَنْ بَلَغَ في تحصيل الحديث روايةً ودرايةً مَبْلَغاً معيَّناً؛ ألقاباً تناسب الرتبة التي بَلَغَها، وخصُّوا بعضَ الجَهَابِذةِ الأَفْذَاذِ، الذين هم المرجعُ في هذا الشأن، بألقابٍ مُنِيفَةٍ شريفةٍ، عاليةٍ غاليةٍ، تدلُّ على نبوغهم وإمامتهم، ومقامهم الرفيع، وإطلاعهم الواسع، وحِفْظِهِم المتين الوثيق، ودَقِّهِم البالغة، وضَبْطِهِم المُحْكَم.

وهذه الألقابُ تدلُّ على الحفظ والرواية، وليست من أَلْفَاظِ التوثيق والتعديل، فذكروا مراتبَ الحفظ، وهي: أميرُ المؤمنين في الحديث، وهذه أعلى المراتب، يليها: الحافظ، ثم المُفيد، ثم المحدث، ثم المُسْنِد.

المُسْنِدُ:

هو مَنْ يروي الحديث بإسناده، سواءً كان عنده علم به، أو ليس له إلا مجردُ الرواية.

المُحَدِّثُ:

عرفه الإمام الحافظ تاج الدين السبكي في «مُعِيدِ النَّعْمِ وَمُبِيدِ النَّقْمِ»، ونقله عنه الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي»، قال:

(المُحَدِّثُ مَنْ عَرَفَ الْأَسَانِيدَ وَالْعِلَلَ وَأَسْمَاءَ الرِّجَالِ، وَالْعَالِيَّ وَالنَّازِلَ، وَحَفِظَ مَعَ ذَلِكَ جَمَلَةً مُسْتَكْثَرَةً مِنَ الْمَتُونِ، وَسَمِعَ «الْكَتَبَ السِّتَةَ» وَ«مُسْنَدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ» وَ«سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ» وَ«مُعْجَمَ الطَّبْرَانِيِّ»، وَضَمَّ إِلَى هَذَا الْقَدْرِ: أَلْفَ جُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْحَدِيثِيَّةِ، هَذَا أَقَلُّ دَرَجَاتِهِ. فَإِذَا سَمِعَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَكَتَبَ الطَّبَاقَ^(١)، وَدَارَ عَلَى الشُّيُوخِ، وَتَكَلَّمَ فِي الْعِلَلِ وَالْوَفَيَاتِ وَالْأَسَانِيدِ: كَانَ فِي أَوَّلِ دَرَجَاتِ الْمُحَدِّثِينَ، ثُمَّ يَزِيدُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ).

(١) الطَّبَاقُ: جمعُ طبقة، وهم القومُ المتعاصرون، الذين تقاربوا في السَّنِّ، واشتركوا في الرواية والأخذ عن شيوخ الطبقة التي قبلهم.

ونقل الشُّيُوطِي فِي «تَدْرِيبِ الرَّوَايَةِ» عَنِ الْحَافِظِ ابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ قَوْلَهُ:
(المُحَدِّثُ فِي عَصْرِنَا هُوَ: مَنْ اشْتَغَلَ بِالْحَدِيثِ رَوَايَةً وَدِرَايَةً، وَجَمَعَ رَوَاةً، وَأَطْلَعَ
عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَالرَّوَايَاتِ فِي عَصْرِهِ، وَتَمَيَّزَ فِي ذَلِكَ حَتَّى عُرِفَ فِيهِ خَطُّهُ،
وَاشْتَهَرَ فِيهِ ضَبْطُهُ).

المُفِيدُ:

لَقَّبَ مِنْ ألقَابِ المُحَدِّثِينَ، وَمَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِمْ، وَهِيَ أَعْلَى مِنَ المُحَدِّثِ
وَأَدْنَى مِنَ الْحَافِظِ.

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ: (وَالْحَافِظُ أَعْلَى مِنَ المُفِيدِ فِي العُرْفِ، كَمَا أَنَّ الحُجَّةَ
فَوْقَ الثَّقَةِ)^(١).

وَعَرَّفَ الشَّيْخُ المُحَدِّثُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّدِيقِ العُمَارِيُّ هَذَا اللَّقَبَ بِقَوْلِهِ:
(المُفِيدُ مَنْ جَمَعَ شُرُوطَ «المُحَدِّثِ»، وَتَأَهَّلَ لِأَنَّ يُفِيدَ الطَّلِبَةَ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ
مَجَالِسَ إِمْلَاءِ «الحَافِظِ»، فَيُيْلِفُهُمْ مَا لَمْ يَسْمَعُوهُ، وَيُفْهَمُهُمْ مَا لَمْ يَقْهَمُوهُ، وَذَلِكَ
بِأَنَّ يَعْرفَ العَالِي وَالنَّازِلَ، وَالبَدَلَ وَالمُصَافِحَةَ وَالمُؤَافِقَةَ، مَعَ مِشَارِكَةٍ فِي مَعْرِفَةِ
العِلَلِ)^(٢).

الحَافِظُ:

تَفَاوَتَتْ عِبَارَاتُ العُلَمَاءِ فِي حَدِّ الحَافِظِ، وَمِنْ أَجْمَعِهَا قَوْلُ ابْنِ نَاصِرِ الدِّينِ:
(الحَافِظُ: هُوَ المُكْتَبِرُ مِنَ الحَدِيثِ حِفْظًا وَرَوَايَةً، المُتَمَيَّنُّ لِأَنْوَاعِهِ وَمَعْرِفَةِ رَوَايَتِهِ
دِرَايَةً، المُدْرِكُ لِلْعِلَلِ، السَّالِمُ فِي الغَالِبِ مِنَ الخَلَلِ).

(١) تَذَكْرَةُ الحَفَافِ ٣/ ٩٧٩.

(٢) الرِّفْعُ وَالتَّكْمِيلُ ٦٠، وَانظُرْ اسْتِدْرَاكَ العِلَامَةِ عَبْدِ الفَتَّاحِ أَبُو غَدَةَ عَلَى الذَّهَبِيِّ وَالعُمَارِيِّ فِي
أَوَّلِ مَنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا اللَّفْظُ، فِي «الرِّفْعِ وَالتَّكْمِيلِ»: ص ٦٠ - ٦٣.

وقال الحافظ ابن حَجَر العَسْقلاني:

«للأئمة شروطٌ إذا اجتمعت في الرواي سمّوه حافظاً، وهي: الشهرةُ بالطلب، والأخذُ من أفواه الرجال لا من الصحف، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم، والمعرفة بالتجريح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم، حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر ممّا لا يستحضره، مع استحضار الكثير من المتون. فهذه الشروط إذا اجتمعت في الرواي سمّوه حافظاً».

وكلام الحافظ قوي متين جامع.

وقد ذكر بعضُ المحدثين المتأخرين أن حدَّ الحافظ من يحفظ «مئة ألفِ حديث»، وليس هذا بصحيح، وينقضه واقعُ حال الحُفَاط، فقد ترجم الذهبي في «التذكرة» للحفَاط، وكثير منهم لا يحفظ عشرة آلاف حديث، فضلاً عن مئة ألف، بل إنَّ الصحابة المكثرين من الرواية أقصى ما رَوَوْا عن الواحد منهم دون سبعة آلاف، وعلى رأسهم حافظُ الصحابة الجليل أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه، فمسنده أقلّ من سبعة آلاف حديث^(١).

أمير المؤمنين في الحديث:

هو أعلى ألقاب الرواية، والموصوف به هو من فاق حفظاً وإتقاناً وتعمقاً في الأحاديث وعللها كلَّ من سبقه من المراتب، بحيث يكون لاثقانه مرجعاً لهم^(٢).

(١) انظر ما كتبه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في رسالته «أمراء المؤمنين في الحديث» الملحقه بـ «جواب الحافظ المنذري عن أسئلة في الجرح والتعديل» ص ١٠٣ و ١٢٦ - ١٢٧، ١٢٩ - ١٣٢.

(٢) أمراء المؤمنين في الحديث ١٠٤ - ١٠٥، منهج النقد في الحديث ٧٧. وانظر في تعريف هذه الألقاب الخمسة المذكورة: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ٨٢، الجواهر والدرر للسخاوي ١٧/١ - ٤٥، تدريب الراوي للسيوطي ٤٣/١ - ٤٩، فهرس الفهارس للكتاني ٧١/١ - ٧٧، قواعد في علوم الحديث للتهانوي ٢٧ - ٣٠، الباعث الحثيث لأحمد شاكر ١٥١، قواعد التحديث للقاسمي ٧٦ - ٧٧، الرفع والتكميل للكنوي ٥٨ - ٦٣، أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب ٤٤٨ - ٤٤٩، منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ٧٦ - ٧٧.

والموصوفون بهذا اللقب الرفيع أفاذوا قلة.

وأما الحاكم والحجة:

فقد ذكرهما بعض المحدثين المتأخرين في ألقاب الحفظ والرواية، وهذا غلط منهم. فلفظ الحاكم: هو وصف لمن ولي القضاء، وليس من ألقاب الرواية والحفظ، ولا من ألقاب الدراية والتوثيق.

وأما الحجة: فهو من أرفع ألقاب التوثيق والدراية، ولا دخل له في ألقاب الرواية^(١).

فائدتان:

الأولى: لُقِبَ «أمير المؤمنين» أو «الحافظ» ونحوهما من ألقاب الرواية: ينبغي أن يصدر ممن هو أهل لإصداره، ممن بلغ تلك المرتبة أو قاربها، حتى يُسمع فيقبل، وأما من كان قاصراً عن تلك المرتبة فليس بأهل لإصدار هذا اللقب على غيره، نَبَّه على ذلك الحافظ السخاوي فقال:

(واعلم أنه ينبغي أن لا يُقبل الوصف بذلك^(٢) إلا من موصوف به، فربَّ من يسرُّ كثيراً من الأسانيد والامتون - ممن هو قاصرٌ في تخريج الحديث، وتمييز صحيحه من سقيم، ومعرفة عِلِّه، مع قصور عبارته، وجمود فهمه - عند من لا تمييز له، فيصفه بذلك، ظناً منه أن ذلك بمجرده كافٍ. وهذه غفلة، إنما الحفظ: المعرفة. هذا إن حصل الوثوق به فيما يسرُّه، مما لا يعلمه إلا الثَّقاد، فأما إذا لم يكن كذلك فتلك الطامة^(٣)).

(١) انظر: منهج النقد في علوم الحديث ٧٧، أصول الحديث علومه ومصطلحه ٤٤٩، أمراء المؤمنين في الحديث ١٠٣، ١٢٦ - ١٢٨، ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) أي الوصف بلقب الحافظ.

(٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ٣٧/١، وانظر أمراء المؤمنين في الحديث ١٠٥ - ١٠٦.

الثانية: ليس من شرط المحدث أو الحافظ ونحوهما من ألفاظ الرواية أن يكون ثقة، فهذه ألقابٌ تحديث ورواية، وليست ألقاب توثيق وتعديل، ففي الحُفَاط والمحدثين جملةٌ وُصِفُوا بكثرة الحفظ وسعة الرواية، لكنهم مع ذلك كانوا من حيث الثقة والقبول موصوفين بالضعيف والمتروك والوضاع!!

وفي «تذكرة الحفظ» و«ميزان الاعتدال» و«لسان الميزان» أمثلة غير قليلة على ذلك. فالوصف بالعدالة والثقة والضبط لا علاقة بينها وبين معرفة الحديث وسعة الرواية وكثرة المحفوظ، والشهرة بالطلب والأخذ من أفواه الرجال، ولا تعارض عند وصف الواحد منهم بأنه حافظ لكنه متروك، مثلاً^(١).

منهجي في الكتاب

لم يكن تأليف هذا السفر فكرة عابرة لمعت في ذهني وأزقت خاطري، فلقد كَلَفْتُ بأخبار الأعيان وقراءة سيرهم، وتتبع أخبارهم، فكلما وقفت على شاردة قيَدْتُها، أو أبَدَ طريفة اقتنصتها ودَوَّنْتُها.

(١) أمراء المؤمنين في الحديث ١٣٣ - ١٣٥. هذا وقد أفدت في هذه المقدمة من كتب كثيرة، منها: «معرفة علوم الحديث» للحاكم، «علوم الحديث» لابن الصلاح، «الموقظة» و«ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» و«ميزان الاعتدال» و«سير أعلام النبلاء»، و«تذكرة الحفظ» الخمسة للذهبي، «الجواهر والدرر» و«الإعلان بالتوبيخ» و«المتكلمون في الرجال» الثلاثة للسخاوي، «تدريب الراوي» للسيوطي، «الباعث الحثيث» لأحمد شاكر، قواعد في علوم الحديث» للتهانوي، «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للكنوي، «الرسالة المستطرفة» للكتاني، «الإسناد من الدين» و«قيمة الزمن عند العلماء» و«أمراء المؤمنين في الحديث» لعبد الفتاح أبو غدة، «هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث» للشنقيطي، «منهج النقد في علوم الحديث» للدكتور نور الدين عتر، «السنة ومكانتها في التشريع» للدكتور مصطفى السباعي، «أصول الحديث علومه ومصطلحه» للدكتور محمد عجاج الخطيب، «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» للدكتور أكرم ضياء العمري، وغير ذلك مما أشير إليه في الهوامش.

وكان مما يُثير خاطري، ويلفتُ نظري، ويشدُّ فكري؛ أن أرى السادة الكبار من أساطين السُنَّة، وفرسان الرواية، وجهابذة الحديث قد دُوِّنت أخبارُهم في بطون كتب التراجم، وتناثرَ عبيرها هنا وهناك، وقد كتبت بطريقة تناسبُ عصر المصنِّقين الذين جمعوها. وكثيراً ما تكون الترجمة مختصرة، لا تشفي العلة، ولا تروي العلة، ولا تليق بجلالة الإمام المترجم، وسياقُ الأخبار فيها غير ميوَّب ولا مرتَّب، في الأعمِّ الأغلب، فتجدُ - مثلاً - في ترجمة أحدهم ما يتعلَّق بأخلاقه وعبادته منشوراً في طول الترجمة وعرضها، وكذا ما يختص بعلمه، أو مولده ووفاته، أو مكانته ومنزلته، ونحو ذلك، وإذا طالت الترجمة فقد يتكرَّر خبرٌ ما مرات عديدة، وبروايات مختلفة.

هذا بالإضافة إلى عدم إفراد المحدثين والحُفَّاظ - بعد القرن التاسع - بالترجمة في كُتب مستقلة جامعة، على غرار «تذكرة الحفاظ» ودُّيولها، ما عدا بعض الرسائل في هذا الباب.

فاستوجب الأمر جمع المادة العلمية المتناثرة في بطون كتب التاريخ والتراجم العامة والطبقات بأنواعها، وضمِّها إلى ما احتوته كُتب تراجم الحُفَّاظ والمحدثين، والتأليف بينها، مع التنسيق والتهديب، والتبويب والترتيب، وعرضها من ثم بأسلوبٍ جديد، يناسبُ روح العصر وطريقة التأليف فيه، بصورة تجعلُ سيرة هؤلاء الأكابر جليَّةً واضحة، متناسقة السُّمات، متسقة القسَمات، دانية القُطوف، سهلة التناول، محببة للنُّفس. مع وَضَلِ حلقات الأعْصُر الآخرة بالقرون السَّالفة، لتتكوَّن سلسلة ذهبيَّة، متَّصلة الحلقات، متَّحدة الأهداف والغايات.

فاعتزمت ترجمة الأعيان السادة من المحدثين والحُفَّاظ، عبر القرون الخمسة عشر، على الطريقة التي انتهجها الباحثون والمصنِّقون في عَصْرنا، من حيث المنهجية والترتيب، وبأسلوب يقرب العَلَم المترجم من قلوب العلماء وطلاب العلم، شدة المعرفة ومحبي سير الرجال وحملة الحُجَّة.

وتبلورت فكرة الكتاب في صدري، وكانت أشبه بإشعاع الشمس عند بزوغها فلم تزل تملو وتشتد في حياتي التواقة للبحث في تراجم رواة السنة المطهرة، حتى استوت شمسا وهاجة، بددت من طريقي كل ما يعيقني من صعاب.

وطريقتي في صياغة الترجمة: أني أقرأ كل ما وقع تحت يدي وكان في مُكنتي أن أصل إليه عن العلم المترجم، وأتبع أخباره في مظانها، حتى إذا استوعبت أو كدت؛ عدت إلى تلك الأخبار، فشدبت وهذبت ونسقت ورببت، وجمعت بين الأشباه وألفت بين النظائر، ونزلت كل خبر في مكانه اللائق به، حتى تجتمع الأخبار في قالب من الانسجام، وتستوي الترجمة على سوقها، في إطار إبراز المعالم الرئيسية في شخص الإمام صاحب الترجمة.

والغاية التي وُضِعَ هذا الكتاب من أجلها، والهدف الذي يصبو إليه؛ ذو شقين:

أولهما:

وجوب الكتابة عن هؤلاء السادة الأماجد، ونشر سيرهم، وذكر مناقبهم ومآثرهم، والإشادة بفضلهم وفضائلهم، ورفع شأنهم ومنزلتهم، وتبيان جلائل أعمالهم، وطهارة أخلاقهم، وحلو شمائلهم، ورشاد سبيلهم، وسداد مسلكهم، لتتذكر عهدهم، ونجدد لهم الرحمة من بعدهم، فإنهم يستحقون كل إكبار وإجلال، وتقدير واحترام، وحب وإطراء، كيف لا وهم الذين حفظ الله بهم سنة خاتم الأنبياء، فوصلت إلى الناس نقيّة بياض، بما بذلوه من جهود هي في مقياس البشر ضرب من الخيال؟! فجزاهم الله عن الإسلام وسنة نبيه خير الجزاء وأكرم نزلهم، وأحسن مثوالم، وأجزل عطاءهم، وعفر لهم ورحمهم، ورضي عنهم وأرضاهم.

ثانيهما:

هو ثمره الكتابة عنهم، ومطالعة سيرهم وأخبارهم، إذ يكون ذلك داعياً للتخلق بأخلاقهم، والسير على منوالهم، وانتهاج سبيلهم، وسلوك طريقهم،

والاقتداء بهم، والتحلّي بجميل خِصَالِهِمْ وَسَجَايَاهُمْ، فِي الْهَدْيِ وَالسُّلُوكِ،
وَالْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ، وَالغَزْوِ وَالْجِهَادِ، وَالرَّحْلَةَ وَالطَّلَبَ، وَالْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ
وَالتَّصْنِيفَ وَالتَّأْلِيفَ، وَنَشْرَ الْعِلْمِ وَبَثَّ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ، مَعَ الْإِخْلَاصِ وَالْوَرَعِ،
وَالجِرَاءَةِ وَالشُّجَاعَةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كَرِيمِ الْفِعَالِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ.

قال ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني^(١):

إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى تَوَهَّمْتَهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وَتَحَسَّبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمُرِهِ إِذَا كَانَ قَدْ أَبْقَى الْجَمِيلَ مِنَ الذِّكْرِ
فَقَدْ عَاشَ كُلَّ الدَّهْرِ مَنْ كَانَ عَالِمًا حَلِيمًا كَرِيمًا فَاعْتَنَمَ أَطْوَلَ الْعُمُرِ

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن زين بن محمد الطنْذَتَائِي فِي قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ
يَمْتَدِحُ فِيهَا الْحَافِظَ ابْنَ حَجَرَ^(٢):

فَإِنْ كُنْتَ مَنْدُورًا لَصَحْبَةٍ وَاحِدٍ فَسَلْ عَنِ تَقِيٍّ صَادِقِ الْقَوْلِ عَالِمِ
فَصَاحِبِ أَهْلِ الْفَضْلِ خَيْرِ مُصَاحِبِ وَخَادِمُهُمْ لَا شَكَّ أَفْضَلُ خَادِمِ
وَإِنْ اقْتَنَاءَ الْعِلْمِ أَحْسَنُ لِلْفَتَى مِنَ الذَّهَبِ التَّبْرِيِّ وَكَنْزِ الدَّرَاهِمِ

ومنهجي في الكتاب أجمله في الأمور التالية:

١ - الكتاب مرتَّبٌ عَلَى سِنِي الْوَفِيَّاتِ:

غَيْرَ أَنِّي خَالَفْتُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ هُوَ تَرَاجُمُ الصَّحَابَةِ: فَصَدَّرْتُ الْكِتَابَ
بِتَرَاجُمِهِمْ، وَقَدَّمْتُ فِيهِمُ الْأُئِمَّةَ الْمَهْدِيِّينَ، الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ الرَّاشِدِينَ. وَإِنَّمَا فَعَلْتُ
ذَلِكَ لِشَرَفِهِمُ الْعَظِيمِ، وَمَنْزِلَتِهِمُ السَّامِقَةِ، وَفَضْلِهِمُ الْكَبِيرِ، وَتَمَيِّزًا لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ
مِنْ أُمَّةِ الدِّينِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

(١) أورد هذه الأبيات السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ٨٣ - ٨٤، والصفدي في خطبة كتابه
«الوافي» ٥/١، وانظر ترجمة «الأرجاني» في: المنتظم ٧٢/١٨ - ٧٤، الوافي بالوفيات
٣٧٣/٧ - ٣٧٨.

(٢) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ٤٦٢/١.

وعدة هؤلاء الأبرار واحد وأربعون نفساً، وشرعتُ بعدهم بترجمة التابعين
فَمَنْ تلاهم، مرتباً ذلك كله حسب سني الوفيات.

٢ - عناصر الترجمة:

ووضعتُ عناصرَ محدّدة للترجمة، مشيئةً عليها، والتزمتُ بها، وهي ممثلة

في:

١ - اسم العَلَم.

٢ - نَسَبه ونِسْبَتُهُ.

٣ - كُنْيَتُهُ.

٤ - لِقَبه.

٥ - صِفَتُهُ وحِلْيَتُهُ، ولباسه وهَيْئَتُهُ.

٦ - سيرته وشماله، وتتناول: صلاته، وصيامه، وحجّه، وزُهده، وورعه،
وتلاوته القرآن وأذكاره، وأخلاقه وتعامله، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر،
وغزوه وجهاده، ومواقفه من الحكام وغيرهم، ونحو ذلك.

٧ - علمه، وفيه: رحلاته، طلبه العلم، المجالات التي نبغ فيها؛ ككونه:
مفسراً، قارئاً، محدثاً، فقيهاً، أديباً شاعراً، ونحوها، مع التركيز على المحدث،
وذكر طائفة من شيوخه وتلاميذه.

٨ - نشره العلم، وتصدّره للتدريس والإملاء والفتيا.

٩ - مصنفاته: أتحدّث فيها عن مجالات تَواليفه، وذكّر عددٍ منها، وإذا كان
العَلَم من المُقلّين حاولتُ استيعاب مصنفاته، وأما إن كان مُكثراً فأشير إلى عُيون
تصانيفه، مرتباً لها على حروف المعجم، مع التعريف الموجز بها، حسب أهمية
الكتاب وجلالته.

١٠ - منزلته، وثناء الأئمة عليه.

١١ - أخباره الشخصية: أوجز فيها الكلام عن أبي المترجم - وربما بعض أجداده - وإخوته، وأقاربه لأبويه ممن له جلالة أو رواية، وزوجه وأولاده.

١٢ - مولده ووفاته ومبلغ عمره: وهي تأتي في خاتمة الترجمة، وأثبت في صدر الترجمة سنة المولد والوفاة بين قوسين.

ومن بدائه الأمور أن بعض هذه العناصر قد يغيب في بعض التراجم، مثل «المصنفات»، كما في تراجم الصحابة والتابعين، وتُضاف عناصر أخرى، مثل: إسلام الرجل، وغزواته مع النبي ﷺ وجهاده معه، وصحبته له، أو كون العلم مُحَضَّرًا، أو له إدراك ورؤية، ونحو ذلك.

لكن الإطار العام للترجمة في الحدود التي رسمتها، ولم أقلد في هذا أحداً، وأرجو أن أكون قد وفقتُ في ذلك.

٣ - طول الترجمة وقصرها:

لم أعمد - في الجملة - للإطالة، وحاولتُ التوسط في طول الترجمة، لكن ذلك بحسب العلم وسيرته، والمادة المتوفرة عنه، فهناك أئمة كبار فيمن ذكرناهم في كتابنا هذا تحتمل سيرة الواحد منهم كتاباً حَفِيلاً مستقلاً، وهم جديرون بذلك، من أمثال الخلفاء الراشدين الأربعة، وأخبار الصحابة، والأئمة الأربعة الفقهاء أصحاب المذاهب المتبوعة، وأساطين الرواية: كُشَعْبَةُ، وابن مَعِين، وابن المديني، وسُفْيَانُ الثَّوْرِيِّ، وسُفْيَانُ بن عَمِيْنَةَ، والبُخَارِيُّ، وجَهَابُذَةُ الحُفَاط: كَالطَّبْرِيِّ، والخَطِيبُ البَغْدَادِيِّ، وابن عبد البرِّ، وابن عَسَاكِر، وكِبَارُ الحِفَاط المصنِّفِين المَكْثَرِين: كَابْنِ مَنْدَه، وابن الجَوْزِيِّ، والسَّيُوطِيِّ، ومتأخري أئمة الحديث: كَابْنِ تَيْمِيَّةَ، والمِزِّيَّ، وابن كَثِيرٍ، والدَّهَبِيِّ، وابن حَجْرٍ، والعيني، وغيرهم. بل قد أفرد الكثير منهم بتراجم مستقلة، قديماً وحديثاً.

فمثل هؤلاء كُتِبَ عنهم مئون من الصفحات، فكان لا بدَّ من إمعان النظر في تلك المادة الضخمة، وتقليب الفكر فيها، وتهذيبها وترتيبها، وانتقاء المهم،

وتقديم الأهم، بشكل تخرج الترجمة معه متكاملة شافية، فوق الاختصار، ودون الإسهاب.

وبالمقابل تجدُ عدداً كبيراً ممن أوردناهم في كتابنا، قد جاءت سيرهم مختصرة، والأخبار عنهم شحيحة، فأنت تجدُ في «سير أعلام النبلاء» مثلاً - وهو من الكتب الجامعة لكثير من الكتب التي سبقته في التراجم - ما يلي:

ترجمة زَرِّين حُبَيْش: ثلاث صفحات ونصف، أم الدَّرْداء الصُّغرى: صفحتان ونصف، أبو عثمان التَّهْدِي: ثلاث صفحات ونصف، أبو حَفْص الفلاس: صفحتان، الحافظ أحمد العِجْلِيّ: أقل من ثلاث صفحات، الحافظ أبو محمد الحسن بن أبي طالب الخَلَّال: صفحتان، الحافظ أبو القاسم سعد بن علي الزَّنْجَانِي: أقل من خمس صفحات، الحافظ سيف الدين ابن المجد: قريب من صفحتين، الحافظ القدوة الضياء المقدسي محمد بن عبد الواحد: أربع صفحات، الإمام الحافظ أبو عمرو ابن الصَّلاح: أربع صفحات، وغيرهم كثير.

ومثلُ هذا غير كافٍ لإعطاء فكرة شاملة متكاملة مفيدة عن العَلَم، مما اضطرني إلى الفحص والبحث، والتنقيب والتفتيش، لاقتناص خبر من هنا، وآخر من هناك، ثم التأليف بينها؛ لتتواءم التراجم مع بعضها في الحد الأدنى من عدد الصفحات، فتفي بالغرض، وتوفي الإمام بعض حقّه.

٤ - شرط المترجم:

لم أترجم الضُّعفاء المُجمَع على ضَعْفِهِم، ولا المُتَّهَمِينَ والمُتْرَكِينَ، ولو كانوا حُفَاطاً ومحدِّثين، وإنَّما شَرَطِي في الأئمة الذين سَطَرْتُ سيرهم أمران: الأول: أن يكون المترجم ثقةً. الثاني: أن يتَّصف بِلقبٍ من ألقاب الرِّوَاية، كالمحدِّث، أو المُفيد، أو الحافظ، أو أمير المؤمنين في الحديث.

٥ - النُّطَاق الزماني، والنطاق المكاني، وعدد التراجم:

أما نِطاق الكتاب الزماني: فيشملُ خمسة عشر قرناً هجرياً، منذ القرن الأول الهجري، وحتى القرن الحالي.

وأما نطاقه المكاني: فيعمُّ أئمة الحديث وجهاً بده في أقطار الإسلام كلها، في المشرق والمغرب.

والمحدثون جُمٌّ غفير، وعددهم كثير كثير، لا يدخل تحت الحصر، ولا يُخصيهم العادُّ، ولا يُحيط بهم كتاب، فقد كان يجتمع في مجلس الواحد من أئمة الحديث عشرة آلاف من أصحاب المحابر، كلُّهم يكتبون الآثار النبوية.

ولم يستوعب ترجمة جميعهم أحدٌ ممن سبقنا، ولا ادعى ذلك، ونحن إنما ترجمنا للأعلام والأعيان، وانتقينا أولئك الأفاضل الهداة المهديين، الذين هم محلُّ الأسوة والقدوة، بما يتجلَّى في سيرهم من جميل الأخلاق، ولطيف الورع، وقوة التدبُّن، وكثرة العبادة، والجِدِّ والاجتهاد في الرحلة والطلب، والتصنيف والتأليف، ونشر العلم.

والأمل بالله كبير أن يوفقني ويسرَّ لي ما عقَّدتُ عليه العزم لترجمة أزيد من ألف نفس، ممن تحلَّوا بما ذكرناه من صفات وخلال.

٦ - مادة الكتاب:

وأمام هذه الحِقة الزمنية الطويلة، والرِّقة العريضة من أقطار الإسلام شرقها وغربها؛ كان هناك كمٌّ هائل من المصنِّفات المتنوعة، احتوت مادةً ضخمة جداً، تتطلَّب الجِدِّ مع الصبر، والنَّظر مع الفكر، للانتخاب والانتقاء، والتهديب والترتيب، وإعادة الصياغة، لسببها في قالب الانسجام.

ومادة كتابي غزيرة جداً، وواسعة، ومتنوعة، وفي مقدمتها كُتب السُّنة الشريفة: فمددتُ يدي إلى أمهات كتب الحديث، وعلى رأسها الكتب الستة، وموطأ مالك، والكنز الثمين - أعني: مسند أحمد - ومسند أبي يعلى، ومستدرک الحاكم، وسنن الدارمي، ومجمع الزوائد، وغيرها؛ فأمعنتُ النظر فيها، وأرهفتُ السَّمْعَ لها، وأعملتُ الفكرَ بغير فرائدها، وفريد فوائدها، فاستخرجتُ منها كنوزاً، والتقطتُ لآلئاً ودُرراً، وشحنتُ بها الترجمة، وزينتُ بها صفحات الكتاب.

وشروح كتب الحديث، وفي غرّتها الكتاب العظيم «فتح الباري».

وكتب التراجم العامة: كطبقات ابن سعد، وطبقات خليفة، ووفيات الأعيان، وفوات الوفيات، وسير أعلام النبلاء، والوفاي بالوفيات، والمنهل الصافي.

وكتب التراجم الخاصة بفتة معينة: ككتب الصحابة، وطبقات الفقهاء، وطبقات فقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وطبقات المفسرين، والقُرّاء، والمحدثين، والنُّحاة، والأدباء، والقُضاة، والولاة، والرُّهَاد، والأولياء.

وكتب الوفيات: كتاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زَبْر، والذبول عليه، والتكملة للمُنْدَرِي، والوفيات لابن رافع.

والتواريخ العامة: كتاريخ خليفة، والطبري، والكامل لابن الأثير.

والتواريخ المحليّة: مثل تاريخ أصبهان، وتاريخ بغداد وذيوله، وتاريخ دمشق، وجزوة المقتبس، وتاريخ علماء الأندلس، وبغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، والصلّة، والتكملة لكتاب الصلّة، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء.

والتواريخ التي تجمع بين الأحداث والتراجم: كالمنتظم، وتاريخ الإسلام، والعبر في خبر من عبر، والبداية والنهاية، وإنباء الغمر، وشذرات الذهب.

وكتب الفتوح والسير والمغازي.

والكتب التي تناولت تراجم قرّن معين أو أكثر مثل: الدرر الكامنة، والضوء اللامع، والبدر الطالع، والكواكب السائرة، وسلك الدرر، وخلاصة الأثر.

وكتب الأسماء والكنى، والألقاب، والمؤتلف والمختلف، والمُشْتَبِه، والأنساب، وما في معناها، مثل الإكمال، المشتبه للذهبي، تبصير المتبّه، توضيح

المشبه، نسب قريش لمصعب، الأنساب للشمعاني، واللُّباب لابن الأثير، ولبّ اللُّباب للشُّيوطي، والأسامي والكنى للحاكم الكبير، وكشف الثُّقَاب لابن الجوزي، ونُزْهَة الألباب لابن حجر.

وكتب تراجم رجال الكتب الستة: وعلى رأسها تهذيب الكمال، ومختصراته كتهذيب التهذيب.

وكتب الجرح والتعديل، والثُّقَات، والضعفاء، مثل: التاريخ الكبير للبخاري، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الثُّقَات لابن شاهين، وللعجْلي، ولابن حِبَّان، والكمال لابن عدي، وميزان الاعتدال، ولسان الميزان، والضعفاء: للبخاري، والنسائي، والدَّارِقُطَني، والدَّهَبِي، والعُقَيْلي. ومعجم الشيوخ: كمعجم شيوخ الإسماعيلي، وفهرست ابن خَيْر، ومعجم الشيوخ والمعجم المختص بالمحدِّثين للذهبي، وبرنامج الوادي آشي، والمعجم المؤسَّس لابن حجر.

وكتب العِلَلُ ومعرفة الرجال، والمَرَّاسِيل، مثل: التاريخ لابن معين، العِلل ومعرفة الرجال لأحمد، سؤالات أبي داود لأحمد، عِلل الترمذي له، وشرحه لابن رجب، المراسيل لابن أبي حاتم، جامع التحصيل للعلائي.

وكتب مصطلح الحديث: كالجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ومقدمة ابن الصَّلَاح، والباعث الحثيث، وتدريب الراوي، والرفع والتكميل، والأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة.

وكتب الرحلات: كالرحلة في طلب الحديث للخطيب، ورحلة ابن رُشيد المسماة «ملءُ العَيْبَة فيما جُمع بطول الغَيْبَة في الرِّحْلَة إلى مَكَّة وطَيْبَة».

والكُتُب التي اعتنت بذكر المصنِّفات وأصحابها وأنواعها، ومواضع وجودها، مثل: الإعلان بالتبويخ، كشف الظنون، إيضاح المكنون، هدية العارفين، الرسالة المستطرفة، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، معجم المطبوعات العربيَّة والمعربة لسركيس، فهارس المخطوطات.

والسِّير المفردة التي أُفردت في ترجمة إمام من الأئمة، سواء منها القديم والحديث، وهي كثيرة جداً.

وتصانيف صاحب الترجمة، فكثيراً ما نجد فيها أخباراً طيبة، تنير جوانب هامة من شخصية الرجل، وبخاصة أولئك الكبار الذين لهم معاجم شيوخ كالسَّلَفي، والسَّمْعاني، والذهبي، وابن حجر.

واهتمتُ بالحواشي والتعليقات على كثير من الكتب، وبخاصة النفيسة منها، كتلك التي يسطرها قلم العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، فزين بها الكتب التي يحققها، ويزيدها نفاًسة، وقد قال إمام أئمة لغة العرب العلامة الأديب أبو القاسم الزمخشري: (الزَّيْتُ مَخُّ الزَّيْتُونِ، والحواشي مِخْخَةُ الْمُتُونِ). فالحواشي والتعليقات والاستدراكات كثيراً ما تصحح وتنقح، وتسدّد وتكمّل.

وغير ذلك مما تجده في هوامش الكتاب وثبت المصادر.

٧ - النقل من المصادر:

عندما أنقل من كتاب أحافظ على النص بحروفه، وأعزوه إلى صاحبه، أداءً للأمانة العلمية، واعترافاً لصاحب الفضل بفضله.

وإذا أورد أحدهم حديثاً في الترجمة، أرجع إلى الأصل الذي هو فيه، وأثبتته من كُتب السنة تاماً كما هو.

وعند إيراد أي حديث شريف أنقله من الأمهات الأصول، ولا آخذه من كُتب المتأخرين الذين جمعوا بعض تلك الكتب في كتاب واحد، كجامع الأصول، أو مجمع الزوائد.

وعندما ينقل المتأخّر عن المتقدم نصّاً، أُرْجِع - كذلك - إلى كتاب المتقدم وأُثْبِتُ نصّه، ما وجدتُ إلى ذلك سبيلاً. فمثلاً: إن وجدتُ خبراً عند الذهبي في «سير أعلام النبلاء» مأخوذاً من «طبقات» ابن سعد، أو «المعرفة والتاريخ»

للفسوي، أو «تاريخ بغداد» للخطيب؛ فإني أرجع إلى تلك المصادر، وأنقل عنها، لأن الذهبي - كما هو معروف من طريقته - يتصرف كثيراً بالنص، ويختصر، حتى إنه أحياناً يذهب برواياته!! بخلاف شيخه المزي، فإن نقله يكاد يكون حرفياً.

٨ - إثبات المصادر:

وضعتُ في أول كل ترجمة المصادر التي ترجمت العلم أو استقيت منها، فذكرتُ: اسم الكتاب والجزء والصفحة، وإذا كانت الأرقام كثيرة أحلت إلى «فهرس الأعلام» في ذلك المصدر.

ورتبُت المصادر حسب سني وفيات أصحابها، سواء كان صاحب المرجع مؤلفاً للكتاب أو مختصراً له. وخالفْتُ هذا الترتيب في تراجم الصحابة حيث قدّمتُ كتب السنة أولاً لجلالتهَا، وأخرت عنها ما عدّاها. وفي أثناء الترجمة أشير إلى مصدر كل خبر، وأثبتُ - في الأعم الأغلب - رقم الجزء والصفحة.

٩ - ترقيم التراجم:

وضعت على يمين كل ترجمة أرقاماً: أحدها يدل على القرن، وآخر يدل على رقم الترجمة في ذلك القرن، وثالث يفيد رقم الترجمة في الكتاب ككل، فمثلاً:

(٤) $\frac{٤}{١}$ علي بن أبي طالب:

فالرقم (٤) يدل على رقم الترجمة في الكتاب كله، وأما $\frac{٤}{١}$: فما تحت الخط يعني القرن الأول، وما فوق الخط هو رقم الترجمة في هذا القرن.

(٧٩) $\frac{١}{١}$ عمر بن عبد العزيز: أي الترجمة التاسعة والسبعون من تراجم الكتاب، وهي الأولى في القرن الثاني.

١٠ - وضعت في بداية كلِّ قرن كلمة موجزة جامعة عن ذلك القرن:
لخصتُ فيها أبرز معالمه من الناحية السياسية، والعلمية، والاقتصادية،
والاجتماعية.

وتتناولُ: أبرز ما حدث في ذلك القرن من معارك وفتوحات، ومدَّ وجَزُر في
تاريخ الأمة الإسلامية، وما تقلب عليها من حُكام وأمراء، وهديهم وسياستهم في
الحكم والرعية، وما اغتَوَرَ الدولة من قوَّة وضعف، ونشوء الفرق والمذاهب
السياسية، والكلامية، والفقهية، وما في معناها، وأوضح مظاهر الحركة العلمية،
وأبرز مجالاتها واهتماماتها، ونطاقها، ومدى جديتها وفعاليتها، وتجديدها
وتأصيلها، أو جمودها وتقليدها، وتأخرها وانحسارها.

والأحوال الاقتصادية، ومدى تقدمها أو تراجعها، وازدهارها أو ضعفها، في
مجالات الزراعة والصناعة والتجارة، وانعكاس ذلك على الشعوب والحكومات،
وبالتالي على دعوة الإسلام كنتيجة لكل ما سبق.

وكذلك الأحوال الاجتماعية، وما عليه الناس من عادات وعلائق وانسجام
مع روح الإسلام العامة، أو خروج عن هديه قليلاً أو كثيراً.

والربط بين هذه العوامل المتكاملة المتضافرة، وما أدَّى بالأمة عموماً إلى
استلام السيادة والقيادة، أو التراجع والاندثار، حسب القرب أو البعد من
هَدْي الإسلام.

* * *

وأرى من الواجب عليّ - في هذه المقدمة - أن أنوّه بفضل أخي وأستاذي أبي
سليم محمد علي دَوَّلة، صاحب دار القلم بدمشق، الذي حضَّني على العمل بهذا
السِّفر الضخم، وشجعني على المضي فيه، وكان دائم السؤال عن المرحلة التي
وصلتُ إليها فيه. ثم له الفضل - ثانية - لتبَيُّه نشر هذا الكتاب، رغم ما يتطلبه من
جَهْدٍ جاهد، في الطباعة والتصحيح، والإخراج والتوزيع، فشكر الله له سَعْيِهِ.

وكذلك لا بدّ من الإشادة بدور زوجتي في تهيئة الظروف المناسبة للبدء والاستمرار في كتابة هذا الكتاب، ويتمثل ذلك بقيامها بأعباء الزوجية، ومتابعة الأبناء في دراستهم، ومساعدتي في تحفيظهم كتاب الله الكريم، وشذرات من السنة النبوية، فحملت عني عبئاً كبيراً في هذا الباب، فكان لذلك دور كبير في انصرافي ساعات طويلة لمتابعة البحث والكتابة، وكذلك مساعدتها لي في تصحيح تجارب الكتاب، وذلك بضبط تلك التجارب على الأصل، فجزاها الله عني خير الجزاء.

وبعد:

فقد كان الشروع في هذا الكتاب يوم ٢٢ جمادى الأولى من سنة ١٤١٣هـ، الموافق ١٧/١١/١٩٩٢م، وأنا أعلم ضخامة هذا العمل الذي شرعت فيه، وما يعترضه من مصاعب ومشاق، مع قلة بضاعتي، وضيق وقتي، وتوزع بالي، إلا أن ذلك - بمعونة الله - لن يفث في عَضْدِي، ولن يثني من عزيمتي، ولن يقصّر في همّتي، وشِعاري في هذا قول الشاعر:

لأستسهلن الصَّعبَ أو أدرك المُنَى فما انقادت الآمالُ إلا لِصَابِرٍ
ولقد نذرتُ لهذا الكتاب عُمرِي، وأعطيتُه حماسةَ الشباب وصبرَه وجَلَدَه، وأخلصتُ له وَقْتي - إلا ما كان من ساعات العمل الوظيفي في التدريس - فلم أشغل عنه بشيءٍ آخر، والله وحده يعلم كم بذلتُ فيه من جهد البدن وضيء العين، وهو - سبحانه - يعلم أنني ما قصدتُ فيه إلا وَجْهَه، وما دفعني إليه إلا حُبُّ صاحب الرسالة سيدي محمد ﷺ، وخدمةُ سنته الشريفة، والتمتعُ بقراءة سير حَمَلَة السنة ثم كتابتها، الذين أسألُ الله أن يحشرنِي معهم - حُبّاً بهم - في مستقرِّ رحمته، وفي دار كرامته، وتحت ظلِّ عرشه.

فرحم الله امرأاً أرخى ذيل ستره على ما فيه من الخطأ والنسيان، أو الوهم والذُّهول، أو سهو القلم وكبوة الفكر؛ فذلك شيءٌ مجبولٌ عليه الإنسان، وليعذر

القارىء صاحب هذا الكتاب على ما قد يجد فيه من هنات، فالكمال عزيز، وكلُّ
ابن آدم خطاء، فما كان فيه من حق وصواب فمن توفيق الله، وما كان فيه من خطأ
فمن نفسي والشيطان، وما أردتُ إلا الخير، وما قصدتُ إلا الحق، فبالله وحده
قوّتي وثقتي، وعليه سبحانه اعتمادي وتوكُّلي، وإليه الرّغباء، وبيده التفضُّل
والنّعماء، والحمدُ لله رب العالمين.

وكتبه عبد الستار الشيخ

في ٥ رجب الفرد ١٤١٦ هـ

١١/٢٧/١٩٩٥ م.

كلمة جامعة موجزة عن القرن الأول الهجري

١ - الحالة الدينية :

كانت البشرية في الشرق والغرب بعامة، وفي جزيرة العرب بخاصة، تترشح تحت وطأة الشرك الوثنية، والدُّلّ والعبودية، والموازن المضطربة المختلة في القيم والسلوك. والضمير الإنساني قد شاخ، وحطمت شبابه العقائد الباطلة، والقوانين الجائرة، والعادات المنحرفة، والممارسات الظالمة؛ فقيدته بالأغلال، التي ذهب برؤيته، وعصفت بشبابه، ووصلت به إلى الدرك الأسفل من الانحطاط والهمجية، وقتلت مبادئ الحق والعدل، والمساواة والإنصاف، والاعتراف بإنسانية الإنسان، وحقوقه الأساسية في الاعتقاد والتفكير، والحرية والحياة.

في هذا الواقع، وهاتيك الظروف، هبط الوحي الأمين على قلب النبي محمد ﷺ في جبل النور، فتنفس صبح الأمل حيث شع الضياء من هناك، من كبد الصحراء، وأشرقت الأنوار في بلاد العرب، وانتشرت بسرعة الضوء، حتى عمّت أصقاع الأرض، ووصلت إلى ما تصل إليه الشمس.

جاء رسول الله ﷺ بالرسالة الخاتمة، وبالنور المبين، وقام خلفه أصحابه الميامين، فحرروا البشرية من قيود الظلم والفساد، ووضعوا عنها إصرها والأغلال التي كانت عليها، وجددوا لها شبابها، وردوها إلى صوابها، ودمدموا على العالم القديم بعقائده وأخلاقه، فحطّموا صولجانه، وأحالوه إلى كئيب مهيل، وكسّسوا خرافات الوثنية والشرك، وشادوا بالقرآن الكريم وسنة النبي العظيم عالماً جديداً،

يهتز نضرة، ويتألق عظمة، ويقودُ الناس - كل الناس - إلى سعادة الدنيا وخير الآخرة.

ولقد سجّل التاريخُ لأستاذِ البشرية محمد ﷺ، ولتلاميذه الأبرار الأطهار، السادة الأخيار، الهمساتِ والخَلجاتِ، ودَوْن أخبارِ أيامهم بل ساعاتهم، في ليلهم ونهارهم، وسلّمهم وحربهم، وعلائقهم العامة والخاصة، ونُقلت في صدقِ تاريخي يَجَلُّ عن النظر. وحُفظت السيرة النبوية، وسيرَ رجالِ الإسلامِ الأوّل، بوضوحٍ وجلاء، وتفصيلٍ شاملٍ دقيق، فكانت نبراساً ومُثلاً، لِتَسِيرِ عليه الأُممُ من بعدُ، ويقتدي به العالمون.

كان النبي ﷺ شمساً متألّقةً وهاجّةً، يدور في فلَكها أصحابُه العظام، فرأى الناس فيه كلّ صفاتِ الجلال، وخِصَالِ الكمال: في طُهره وعِفّته، وأمانته واستقامته، وجُراته وشجاعته، وسموه وحَنانِه، ورحمته وعَطْفه، وعَقْلُه وبَيانِه، وعَزْمُه وبَيانِه، وزُهده وورعه، وصيامه وقيامه، ومنعه وعَطائِه، وعُسْرُه ويُسرِه، وغَدواته ورُوحاتِه، وفرّحه وحُزنه، وحِلْمُه وعَضْبِه، وسلّمه وحَرْبه، وثباته على الحقِّ وضُموده، وبلاغه عن ربّه ودعوته، وعلائقِه بالناسِ وبأصحابِه، وبأزواجه وأولاده، وأقاربه وعشيرته، وقيامه بأعباءِ الرسالة على أتمِّ وجهٍ وأكملِه؛ رأوا ذلك كلّه فيه ومنه، فأقبلَ عليه الناسِ وصدّقوه، وآمنوا به واتَّبَعوه، وساروا على دَرْبه، وحَمَلوا الراية من بعده، فسبَقَ إليه السادةُ، وسارعوا إلى نُصرتِه، وآمنَ به الضعفاءُ ولأذوا بِحِمَاه، واتَّبَعه صَفْوَةُ الرِّجالِ في المدينة المنورة، وأرهَفَ الجميعُ السمعَ للآياتِ المتنزلة على قلبه، والبيانِ العاليِ الذي يتحدّث به، وتابَعُوا بقلوبهم الحيّة، وعقولهم المتيقظة، سيرته الطاهرة؛ فوجدوا ما يبهّر الألباب، فافتدوا به أتمَّ اقتداء، فكانوا خيرَ جيلٍ عرفته البشرية، ولا عَرَوْ في ذلك، فالذي ربّاهم هو أعظمُ رسولٍ وأكرم نبيٍّ عرفه الناس، منذ خلق اللهُ آدم ﷺ إلى قيام الساعة.

وصدق ابن حزم عندما قال: (إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبّرها تقتضي تصديقه

ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقًا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى^(١).

وقال في موضع آخر: (من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها؛ فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليعتمد أخلاقه وسيره ما أمكنه)^(٢).

وعلى مثل أخلاق الرسول ﷺ وهدية استمر الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت سيرتهم قسماً من نور النبوة، في الأقوال والأفعال، والسلوك والأخلاق، والهدى والسنت، في كل أحوالهم، وتقلبات أزمانهم وأيامهم وعنهم أخذ التابعون الإسلام بنصوصه ومبادئه وأحكامه، وتطبيقه وتنفيذه، فكانوا خير خلف لخير سلف، وصدق فيهم حديث النبي: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام: سبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)^(٣).

وبقي التدئين في نفوس الناس غصاً، لا يعرفون في حياتهم وسلوكهم ومعاملاتهم إلا الكتاب الكريم والسنة المشرفة، واجتهادات الصحابة والتابعين. وكان هذا دأب العامة والخاصة، العلماء وطلاب العلم، ولم يكن العلماء منقادين إلا للحق والشرع، بل هم قادة الناس، يخاف سطوتهم الأمراء والحكام، ويخطبون، ودُّهم، ويكرمونهم ويجلُّونهم، ويحملون الناس على تبجيلهم والافتداء بهم.

هذه هي الصورة المجمّلة لما كان عليه الناس في القرن الأول، ولا يخدش في ذلك بعض الخرومات التي وقعت في خلافة عثمان وعلي، وبعض أيام بني أمية، إذ كان وراء ذلك الشائون للإسلام والحنقون على رجاله، ممن دمر الإسلام

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٩٠.

(٢) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق ١٣.

(٣) أخرجه من حديث ابن مسعود: أحمد، والشيخان، والترمذي، وهذا لفظ البخاري.

عليهم آمالهم، وكَنَسَ حضارتهم البائرة، وحطَّم عقائدهم الباطلة، ودولتهم الجائرة.

وما ذَكَرَ من انحرافات في الخُلُق والسلوك عن بعضِ خلفاء بني أمية غيرُ صحيح، فلقد كانوا في الجملة تَبَاعين للإسلام وتعاليمه، وهو وحده مصدرُ حُكْمهم، ومنبع عِزِّهم وفَخْرِهِم، وهو وحده الدِّين الذي يُنَافِرُونَ من أَجْلِهِ، ويُقاتلون في سبيلِهِ، ويحملون رايته، وينشرون شريعته.

وزيدُ بن معاوية هو الذي ظهر منه بعضُ الانحراف عن خُلُق الشريعة في مسلكه الشخصي، ولكن صنائع العباسيين - وفي عهدهم كُتِب تاريخ الأمويين - والشيعَة نَحَلُوهُ كثيراً من الحوادث التي لا تثبت أمام النقد.

وقد أُلْصِقَ بخلفاء بني أمية وحاشيتهم شيءٌ كثير من الخُلُق السيِّء، والاستهتار بتعاليم الشرع، وانتشار الغناء والطرب والشراب، وسيطرة الترف والبذخ، وكثرة الجوارى في قصورهم، وهذا شيء فَمَشَّه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني»، والرجل مُتَّهَم، وكتابه حافلُ بأخبار الخلاعة والمجون، وقد قال الحافظ ابن الجوزي في ترجمته: (ومثله لا يُوثَقُ بروايته، فإنه يصرِّح في كُتْبِهِ بما يُوجِب عليه الفسق، ويهوِّنُ شربَ الخمر، وربما حَكَى ذلك عن نفسه! ومن تأمَّلَ كتابَ «الأغاني» رأى كلَّ قبيح ومنكر)^(١).

وتابع الأصبهاني في الحَطِّ على الخُلَفاء الأمويين، واتَّهَمهم في تدبُّرهم وأخلاقهم، ثلَّةٌ من الكتاب العرب من المسلمين، مثل أحمد أمين في «فجر الإسلام»، وشوقي ضيف في «العصر الإسلامي»، وعباس محمود العقاد في «عبقرية علي» مثلاً، وطه حسين في «حديث الأربعاء»، وخالد محمد خالد في «خلفاء الرسول»!

(١) المنتظم ١٤/١٨٥.

ويُكذَّب هؤلاء: واقع دولة بني أمية، وبروز حركة الجهاد والفتوحات العظيمة في أيامهم، وفي مقدمة الكتاب شباب بني أمية، وكذلك آثار الأمويين العمرانية كالجامع الأموي، فلو كان ثمة قصورٌ عظيمة لهم؛ لبقيت آثارُ ذلك كما بقيت مساجدُهم! ثم سير أولئك الرجال من مصادرها الصحيحة، بعد عرضها على النقد والتمحيص، وبهرجة الدخيل المكذوب.

كل ذلك يدل على أنهم - على وجه العموم - على النهج القويم، والطريق الذي انتهجه التابعون تلاميذ الصحابة، نعم لم يكونوا كالصحابة وكبار أئمة التابعين، لكنهم لم يكن منهم ما اتَّهمهم به أهلُ السَّفَه والسَّطَط.

٢ - رقعة الدولة الإسلامية:

انبثقت دعوة الإسلام في مكة المكرمة، وقامت دولته في المدينة المنورة، وقاد الرسول ﷺ غزوات كثيرة: كبدر، وأحد، والخندق، وذات الرقاع، والحديبية، وفتح مكة، والطائف، وتبوك، وأمر أصحابه على كثير من السرايا، فجابوا أطراف الجزيرة العربية، ونشروا الإسلام في ربوعها، وأدب يهود بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير، وطهر المدينة من رجسهم، وقضى على كيدهم ومكرهم، وخضع له يهود فدك، وتيماء، ووادي القرى. وبعث رسله إلى الأمراء والملوك: فبعث إلى كسرى ملك الفرس، وإلى قيصر عظيم الروم، وإلى النجاشي عظيم الحبشة، وإلى المقوقس عظيم مصر، وإلى أمراء وملوك: البحرين، واليمامة، واليمن، وعمان، ودمشق، وبصرى. وجاءته الوفود من الأطراف، وأعلنوا إسلامهم وولاءهم للدين الحنيف. وما لحق النبي ﷺ بربه إلا والجزيرة العربية قد مُهدت للإسلام، ووصلت رايته في غزوة تبوك إلى تحوم الشام.

وفي صدر خلافة الصديق كانت حادثة الردة، فصدى أبو بكر للمرتدين، وجيش لهم جيوشه، فكسروهم، وقتلوا مُسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، ودوخوا بلاد العرب، فعادوا إلى دولة الإسلام، ولم يبق في تلك البلاد إلا مسلمٌ

طائع مُنقاد، أو ذِمِّيُّ مصغَّرٌ كتابي.

وقامت كتائبُ الإسلام بعد ذلك بفتوحات كبيرة في عهد أبي بكر وعمر، حيث توسعت جداً في عهده، وتابَعَ عثمانُ الطريق في جزء كبير من خلافته، فتمَّت فتوحات عظيمة، وبَسَطَ الإسلامُ جناحيه على ممالك شاسعة، وأمصار كثيرة، وحدثت خلال ذلك وقائع هائلة، ومصافات كثيرة: كاليرموك، والقادسية، وجُلُولاء، وتُسْتَر، ونَهَاوَنَد، وركبَ المسلمون البحر في عهد عثمان، وتأسس لهم أسطولان في الشام ومصر، وخاضوا معارك بحرية مظفَّرة. وتابع خلفاءُ بني أمية الفتوحات من بعدهم، ففتحت خلال ذلك كلُّه: بلادُ الشام سورية والأردن وفلسطين، والعراق، وفارس، ومِصر، والسودان، وإفريقيا، وعبرَ المسلمون نَهْرَ جَيْحُون، وفتحوا ما وراءه، وبلاد السند، ووصلوا إلى الصين، وحاصروا القسطنطينية، واجتازوا مضيق جبل طارق، وفتحوا الأندلس، فامتدت دولة الإسلام من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً.

وتألقت في سماءِ الجهاد أسماءُ أبطالٍ كثيرين لا يعلمهم إلا الله، فمن رؤوسهم: خالد بن الوليد، وأبو عُبَيْدَةَ بن الجراح، وسَعْدُ بن أبي وقاص، وشُرْحَبِيل بن حَسَنَة، وأبو موسى الأشعري، والبراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان، والقعقاع بن عَمْرُو، وعَمْرُو بن العاص، والنعمان بن مُقَرَّن، وجَرِير البَجَلِيّ، وعُتْبَة بن غَزْوَان، وسعيد بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، والأحنف بن قيس، وعُقْبَة بن نافع، ومحمد بن القاسم الثقفي، وقُتَيْبَة بن مسلم، ومَسْلَمَة بن عبد الملك، وموسى بن نُصَيْر، وطارق بن زياد، وغيرهم رضي الله عنهم.

فَبَسَطَ الإسلامُ يمينه على رقعة شاسعة جداً من الأرض، ومزَّق مملكة فارس، وحطَّم دولة الروم، فكانت كلمةُ الحق هي العليا، ودخلَ الناس في دين الله أفواجا، فَلَلهُ الحمدُ والمِنَّةُ

٣ - الحالة السياسية :

ابتدأت دولة الإسلام بعهد النبوة المبارك الميمون، ثم جاء بعده الخلفاء الأربعة الراشدون، فأقاموا أمور الدولة على منهاج النبوة مدة ثلاثين سنة، ثم كان بعد ذلك الملك، حيث غير معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مبدأ الشورى، وأدخل نظام ولاية العهد، وليته لم يفعل!

وقد أخبر النبي ﷺ بذلك؛ فعن سعيد بن جهمان، عن سفيان مولى رسول الله، أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً»^(١).

وهكذا وقع سواء: فكانت مدة خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام، ومدة خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، وخلافة عثمان اثني عشر عاماً غير عشرة أيام، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، وخلافة ابنه الحسن نحواً من ستة أشهر.

ونزل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، وباع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وذلك عام واحد وأربعين، فسُمي عام الجماعة؛ لاتفاق الأمة على حاكم واحد للمسلمين هو معاوية، وبه ابتدأت الدولة الأموية.

فولي معاوية عشرين سنة (من ٤٠ إلى ٦٠هـ)، فكانت سيرته في خلافته من خيار سير الولاة، ثم ابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (من سنة ٦٠ إلى ٦٣هـ)، وجاء بعده معاوية الثاني وهو معاوية بن يزيد بن معاوية فحكم (٤٠ يوماً) ثم خلعه نفسه، ثم ولي مروان بن الحكم قريباً من سنة (من سنة ٦٤ إلى ٦٥هـ)، ثم بعده عبد الملك بن مروان (من ٦٥ - ٨٦هـ)، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك فظل في الخلافة عشر سنين (من سنة ٨٦ - ٩٦هـ)، ثم ابنه الآخر سليمان بن عبد الملك

(١) أخرجه الطيالسي، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والطحاوي في «مشكل الآثار»، والفسوي، وصححه ابن حبان، والحاكم، وحسنه الترمذي.

(من ٩٦ - ٩٩هـ)، واستخلف بعده عُمر بن عبد العزيز، فحكّم (من سنة ٩٩ - ١٠١هـ)، فكانت خلافته زهاء سنتين وستة أشهر.

● ● وجرت في هذا القرن أحداثٌ دامية، ووقائعٌ أليمة، سببتُ خروماً في الدولة الإسلامية:

فقتل عمر بن الخطاب في المحراب على يدي أبي لؤلؤة المجوسي ومن وراءه، واستشهد عثمان بن عفان في البلد الحرام والشهر الحرام، وتولّى كبراً قتله كتائبُ الشرّ المتآمرة الآتية من العراق ومصر، وأغتيل عليُّ بن أبي طالب ليلة الجمعة في السابع عشر من رمضان، وتبّ عليه عبد الرحمن بن ملجم المُرادِي، فضرّبه على يافوخه، فقضى شهيداً رضي الله عنه.

وكان الاغتيال أمراً أجنبياً عن البيئة العربية، فما اعتاد العرب إلا القتال مواجهةً، وهذا يشي باتجاهٍ حافِدٍ مؤثّرٍ على الإسلام، وأن وراءه يداً مآكرةً خبيثةً، حانقةً على دولة الإسلام وخلفاء الإسلام.

وكان في هذا القرن «وقعة الجمل» بين جيش علي بن أبي طالب، وأصحاب الجمل وفيهم طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة. و«وقعة صفين» بين جيش العراق بقيادة علي بن أبي طالب، وجيش الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان. و«وقعة الحرّة»، حيث أبى أهل المدينة بيعة يزيد بن معاوية، فقام (مُسرف) مُسلم بن عُقبة بحربهم، وقتل جماعةً من أولاد المهاجرين والأنصار، ولما بلغ الأمر يزيد أسفه ذلك، وما ظن أن مُسرفاً سيفعل ما فعل. وفيه قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما. ونازل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وحاصره بمكة، ورَمَى الكعبة بالمنجنيق، وقُتل ابن الزبير رضي الله عنه بمكة المكرمة. وفيه أيضاً كانت وقائع ابن الأشعث مع الحجاج، التي انتهت بانكسار جيش ابن الأشعث وهزيمته.

● ● وظهرت أفكارٌ ومذاهبٌ غريبة، انحرفت عن مفهوم الإسلام الصافي،

وهذيه الرشيد، ومن أبرز تلك المذاهب :

فرقة الخَوارج: الذين قالوا ياكْفار عثمان، وعليّ، والحَكَمين، وأصحابِ الجَمَل، وكلّ مَنْ رضي بتحكيم الحَكَمين، ووجوبِ الخروج على الإمام الجائر. فقَاتَلَهُم علي بن أبي طالب، وخَصَّدَ شوكتهم، وكانوا من شرِّ الخليفة، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ^(١).

ونشأ مذهبُ التشيعِ والقول بالوصايةِ لِعَلِيِّ، واختلَقَ هذا الإفكُ المُفترى اليهوديُّ الماكرُ عبدُ الله بن سبأ، ونَفَخَ فيه من وثنيته وشرِّه، ولَعِبَ بعقولِ الطَّغامِ من الناسِ ممَّنْ لم تُهَدِّبْ نفوسُهُم بتعاليم الإسلام، ولم تؤمِّنْ قلوبُهُم بشرعه، فأظهَرَ - كذباً - الحُبَّ لِعَلِيِّ وآلِ البيتِ الطاهرين، وأخذ يحطُّ على عثمان وعُمَّالِهِ، وألقى بتعاليمه إلى أتباعِهِ وحوارِيِّهِ، فصدَّقُوهُ، ونشرَ مبادئه وسُموّمه في مصر والعراق، وكان من فتنته مقتل الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وظهرت الكيسانية: وهي إحدى فرق الروافض، وهم أتباع المُختارين أبي عبيد الثَّقَفِيِّ المُتَنَبِّئِ الكَذَّابِ، وافترقت الكيسانية فرقاً يجمعها شيثان: القول بجواز البداء على الله عز وجل. والثانية: القول بإمامة محمد بن الحنفية، وإليه كان يدعو المختار بن أبي عبيد. وافترق الذين قالوا بإمامة ابن الحنفية: فمنهم مَنْ زَعَمَ أنه حيٌّ لم يَمُتْ، والأكثر على أنه مات لكنهم اختلفوا في الإمام بعده.

وفي هذا القرن نَبَعَتْ بدعة القول بالقَدَر: وكان أوَّل مَنْ تكَلَّمَ بها في عهد الصحابة مَعْبُدُ بن عبد الله الجُهَنِيِّ. ومفادُ هذه البدعة أن أصحابها يَنفون القَدَرَ، وأن الأشياء لم يَسبقْ بها قَدَرٌ ولا عِلْمٌ من الله تعالى، وإنَّما يَعلمها بعد وُقُوعِهَا.

(١) هكذا جاء وصفهم في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، لا كما ادعى الدكتور حسن إبراهيم حسن من أنهم يمثلون الديمقراطية في الإسلام! انظر كتابه «تاريخ الإسلام السياسي»

٤ - الحالة المالية والعمرائة:

● ● سارت الدولة الإسلامية منذ نشأتها على إقامة «بيت المال»، ووضعت من يقوم على صيانتة وحفظه والتصرف فيه للمصالح العامة للإسلام والمسلمين، وهو بذلك يشبه وزارة المالية في عصرنا الحاضر.

والموارد التي تمدّ بيت المال بالمال هي: الزكاة، والخراج، والحجّية، والعشور، والقيء، والغنيمه.

وقد عاش المسلمون في رَعْد من العيش، وفاضت الأموال بين أيديهم، وفتحت عليهم الدنيا، وأغدقت الأموال والخيرات، بفضل الله تعالى.

● ● واهتمّ المسلمون بعمارة المُدن، وتشيد المساجد، وبناء القلاع، وتمصير الأمصار، فمن المدن الكبيرة التي أسسوها وأقاموها: البصرة، والكوفة، والفسطاط، والقيروان، واعتنى الأمويون بدمشق عنايةً بالغة.

وأولى المسلمون المساجد الرعاية والاهتمام، وقدّموها على سواها: وعلى رأس تلك المساجد «مسجد رسول الله ﷺ»، فأكرموه ورعوه، وزادوا فيه زيادات كبيرة في مرات عديدة. وأسس عمرو بن العاص «الجامع العتيق» - ويسمى جامع عمرو - بمصر. وأما «المسجد الأموي» بدمشق، فيضرب به المثل في جماله، وحسن نظامه، وروعة فنه. ومن المساجد الشهيرة التي بنيت في هذا القرن: «مسجد القيروان»، بناه عقبة بن نافع، بعد أن اختط دار الإمارة في مدينة القيروان.

٥ - الحالة العلمية والثقافية:

● ● التفت الصحابة حول رسول الله ﷺ، وفتحوا له قلوبهم وعقولهم وحوافظهم، فأخذوا عنه القرآن الحكيم، وأودعوه صدورهم الطاهرة الزكية النقية، وأرهبوا السمع للكلم النبويّ الطيب، فوعوه في أذهانهم المتوقّدة، فحفظوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أتمّ حفظ وأكمله، وأدقّه وأضبّطه، فكان هؤلاء الأصحاب

هم الحفظة لآيات الكتاب العزيز، والحراس الأمانة المتحمسون لحفظ كل ما جاء عنه ﷺ من أحكام وتشريعات، وحكم ووصايا، وآداب ومواعظ، فكانوا - بحق - الأمانة على دين الله وشرعه.

ونَبَغَ في هؤلاء الكرام الأئمة عباقرة أفاضوا في مجال العلم الديني كالخلفاء الأربعة الراشدين، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والبراء بن عازب، وعبد الله بن عباس، ومُعَاذُ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، وسَعْدُ بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخُدْرِي، وأنس بن مالك، وخُذَيْفَةُ بن اليمان، وسَلْمَانُ الفارسي، وأبي ذَرَّ الغِفَارِي، وعائشة وأم سلمة زَوْجِي النَّبِيِّ ﷺ.

وبعد وفاة الرسول ﷺ، وبداية الفتوحات ثم توسعها، توزع الصحابة في أمصار الإسلام: فبقي منهم جماعة في المدينة النبوية، وآخرون بمكة، ونزلت جماعات منهم في البصرة، والكوفة، والشام، ومصر، واليمن، وخُراسان، وأصْبَهَانَ، وغيرها. وقد عَدَّ الحافظ ابن حِبَّان في كتابه «مشاهير علماء الأمصار» (٤١٨) نَفْسًا، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا في الأمصار.

ونقل الصحابة إلى تلاميذهم القرآن والسنة، وحملت جماعات من كبار التابعين ومتوسطيهم وصغارهم عن الصحابة علوم الإسلام، من كتاب وسنة واجتهادات الصحابة، وقد عَدَّ ابن حِبَّان في «مشاهيره» (٥٧٤) إماماً من أكابر التابعين في تلك الأمصار.

وكان في الصحابة جمهرة كبيرة من حفظة القرآن العظيم، وفيهم المُكْثَرُ من الرواية والمقل منها، كما أن فيهم من كثرت اجتهاداته الفقهية وحفظت أقواله، كابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس، وفيهم من كانت له فتاوى قليلة.

وقد وَعَى ذلك كلُّه التابعون، ونقلوه إلى تلاميذهم أتباع التابعين، وهؤلاء إلى من بعدهم، وهلم جراً.

وكذلك كان في التابعين أئمة كبار، وفقهاء عظام، ورواة كثيرون مُكثِّرون، ونبغَ فيهم أمثال الفقهاء السبعة بالمدينة، وأضرابهم في الشام، والبصرة، والكوفة، وأضافوا إلى اجتهادات الصحابة اجتهاداتٍ أخرى، فتكوّن من ذلك ثروة علمية ضخمة، في القراءات والتفسير والحديث والفقه.

● ● وأما التّدوين: فكان في العهد النبويّ مقتصرًا على الكتاب العزيز، حيث أقام رسول الله ﷺ حوله كوكبةً من كتّاب الوحي، فيحفظ الحفظًا، ويكتبُ الكتّبة، فكان القرآن بتمامه محفوظًا في الصدور، منسُورًا في الشُّطُور، مكتوبًا على اللّخاف، والعُسب، والأكتاف، والرِّقاع، والأقتاب، وقطع الأديم.

وبعد أن لحق النبي ﷺ بربه، وكانت حروب الردة، واستحزَّ القتل بقُرّاء القرآن، قام الصديق - بإشارة من عمر الفاروق - بجمع القرآن العظيم في مُصحف، فكان عنده حياته، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر.

وفي عهد عثمان بن عفان وقع خلاف في القراءات بين تلاميذ الصحابة في الأمصار، فنهد عثمان - بإشارة من حذيفة بن اليمان - وجمَعَ الناس على قراءة واحدة، وكتب خمسة مصاحف - وفي رواية: سبعة - حبس بالمدينة مُصحفًا، وأرسل الباقي إلى أمصار الإسلام.

وأما الحديث النبوي: فلم يدوّن في الصدر الأول، عدا ما كتبه بعض الصحابة كالصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص، وصحيفة عليّ بن أبي طالب، وصحيفة جابر بن عبد الله، وصحيفة عبد الله بن أبي أوفى.

لكن حفظ العلم كان - على العموم - عن طريق الحفظ والنقل، والسماع والمشافهة، ولم يتّجه إلى التدوين الشامل وبصورة رسمية، إلّا في آخر هذا القرن، على يدي الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، كما ألمعنا إليه بالمقدمة.

وكانت عناية العلماء في الصدر الأول منصرفًا إلى كتاب الله الكريم

وتفسيره، والحديث وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية منهما. وأما ما عُرِفَ بعدُ من علوم اللغة والنحو وشرح الغريب، فإنَّما طرأَ ذلك بعدُ؛ لاعوجاج اللسان ودخول العُجْمَة، حيث تعرَّضت العبارات السليمة لشيءٍ غير قليل من الفساد، مما اقتضى تقويمَ اغوجاجها، وما كان الصحابةُ وتلاميذهم بحاجةٍ إلى ذلك، فبُلِّغَتْهم نزل القرآن، وهم أهلُ اللسان، وأئمةُ الفصاحة، وأربابُ البلاغة، وسادةُ البيان.

وأما الشعر: فقد هدَّب الإسلام من غُلُوِّه، ووضَّعه في مكانه الصحيح، فامتدح الحسَن منه، وذمَّ القبيح، وأثنى على ما كان منضبطاً بالآداب السامية، بعيداً عن الكذب والمُجَازَفة. ولمع في عهده ﷺ شعراءُ فحول كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، والخنساء. وكان الشعر - في أغلبه - موجَّهاً لخدمة الإسلام وأهدافه العالمية.

● ● وأما التصنيف: فلم يكن له وجودٌ في هذا القرن، وكان العِلْمُ يُؤخَذُ مشافهةً، وسماعاً، ومذاكرةً. ولا يحسبنَ امرؤُا أن المؤلفات الكثيرة، والتصانيف الضخمة، وما تحويه من كلام طويل، مما ظهر في القرون التالية؛ هو دليلٌ على أَعْلَمِيَّةِ أصحاب هذه المصنفات، وأنهم أعلمُ من علماء الصدر الأول، حاشا وكلاً! نعم هم علماء أفاضل كبار، لكن السَّلَفُ أعلمُ بدين الله وشرِّعه من الخَلَفِ.

قال حمَّاد بن زيد: قيل لأَيُّوب السَّخْتِيَّانِي - التابعي الجليل، الإمام الحافظ الفقيه العَلَمُ -: (العِلْمُ اليومُ أكثرُ أم أقلُّ؟ قال: الكلامُ اليومُ أكثرُ، والعِلْمُ كان قبلَ اليومِ أكثرُ)^(١).

وقال أبو عمرو بن العلاء التابعي الإمام، أحدُ القُرَّاء السبعة، وأعلمُ أهل عصره بالقراءات والعربية والشعر: (ما نحنُ فيمن مَضَى، إلا كَبَقِلٍ في أَصُولِ نَخْلٍ طوَالِ)^(٢).

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٢٣٢. وأيوب: ولد سنة (٦٨هـ)، وتوفي سنة (١٣١هـ).
(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب ١/٥٠. وأبو عمرو: ولد سنة (٧٠هـ) وتوفي سنة (١٥٤هـ).

وقال الإمام الحافظ ابن رَجَب الحنبلي: (وقد فُتِنَ كثيرٌ من المتأخرين بهذا - أي بكثرة الكلام - فظنُّوا أن مَنْ كَثُرَ كلامُه وجدَّأله وخصَّصَّه في مسائل الدِّين، فهو أعلمُ ممن ليس كذلك، وهذا جهلٌ محضٌ!).

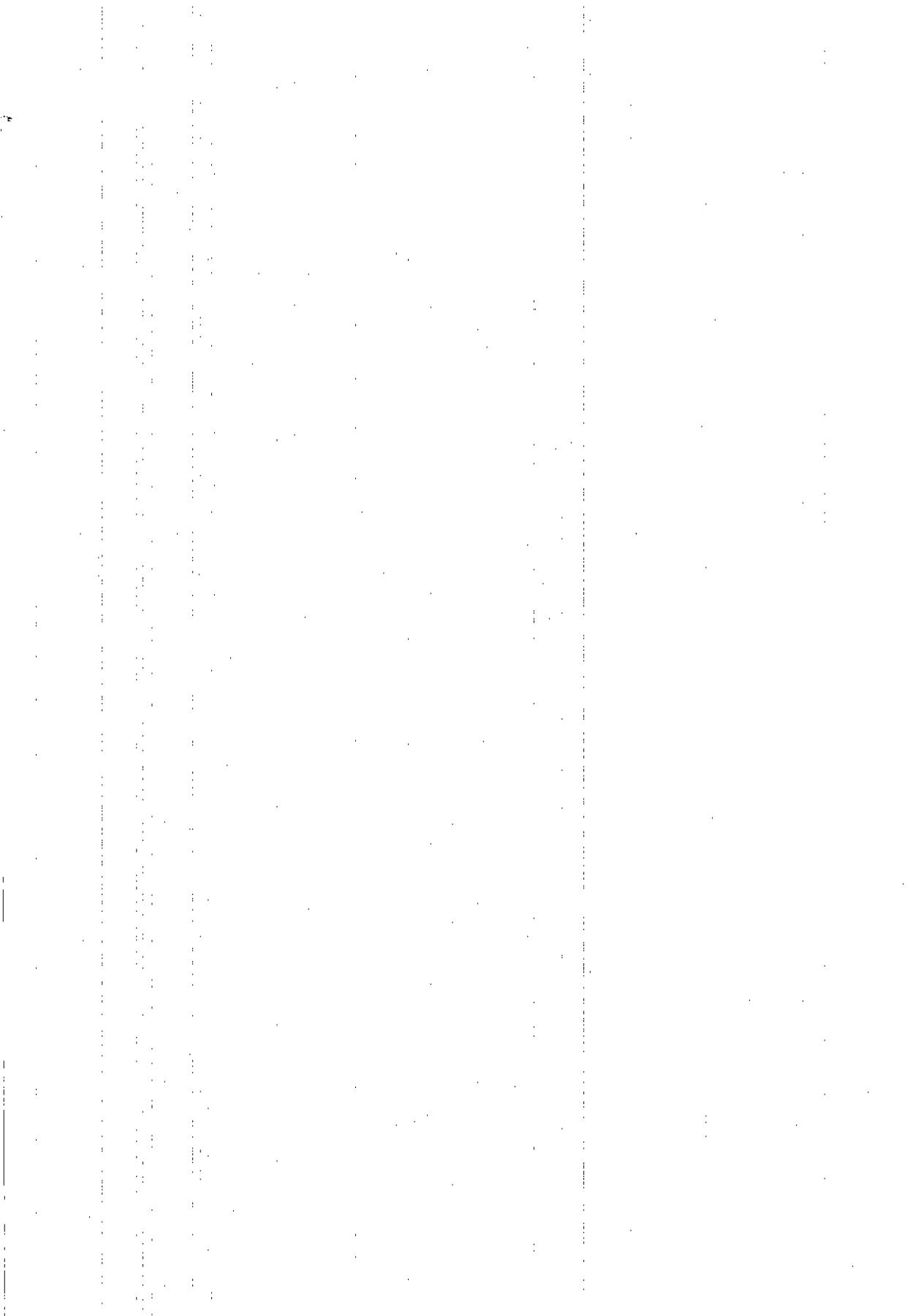
وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ومُعَاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت، كيف كانوا، كلامُهم أقلُّ من كلام ابن عباس، وهم أعلمُ منه.

وكذلك كلامُ التابعين أكثرُ من كلام الصحابة، والصحابة أعلمُ منهم، وكذلك تابعو التابعين كلامُهم أكثرُ من كلام التابعين، والتابعون أعلمُ منهم... وقد ابتُلينا بجهلةٍ من الناس! يعتقدون في بعض مَنْ توسَّع في القول من المتأخرين أنه أعلمُ ممَّن تقدَّم! فمنهم مَنْ يظنُّ في شخصٍ أنه أعلمُ من كلِّ مَنْ تقدَّم من الصحابة ومَنْ بعدهم، لكثرة بيانِه ومقالِه! ومنهم مَنْ يقولُ: هو أعلمُ من الفقهاء المشهورين المتبوعين^(١)!!

* * *

ولنشرع الآن بتراجم رجال القرن الأول الهجري

(١) فضل علم السلف عن الخلف، نقلًا عن «قيمة الزمن عند العلماء» للشيخ عبد الفتاح أبو غدة: ص ٩٢.



أَعْلَامُ

الحفاظ والمحدثين

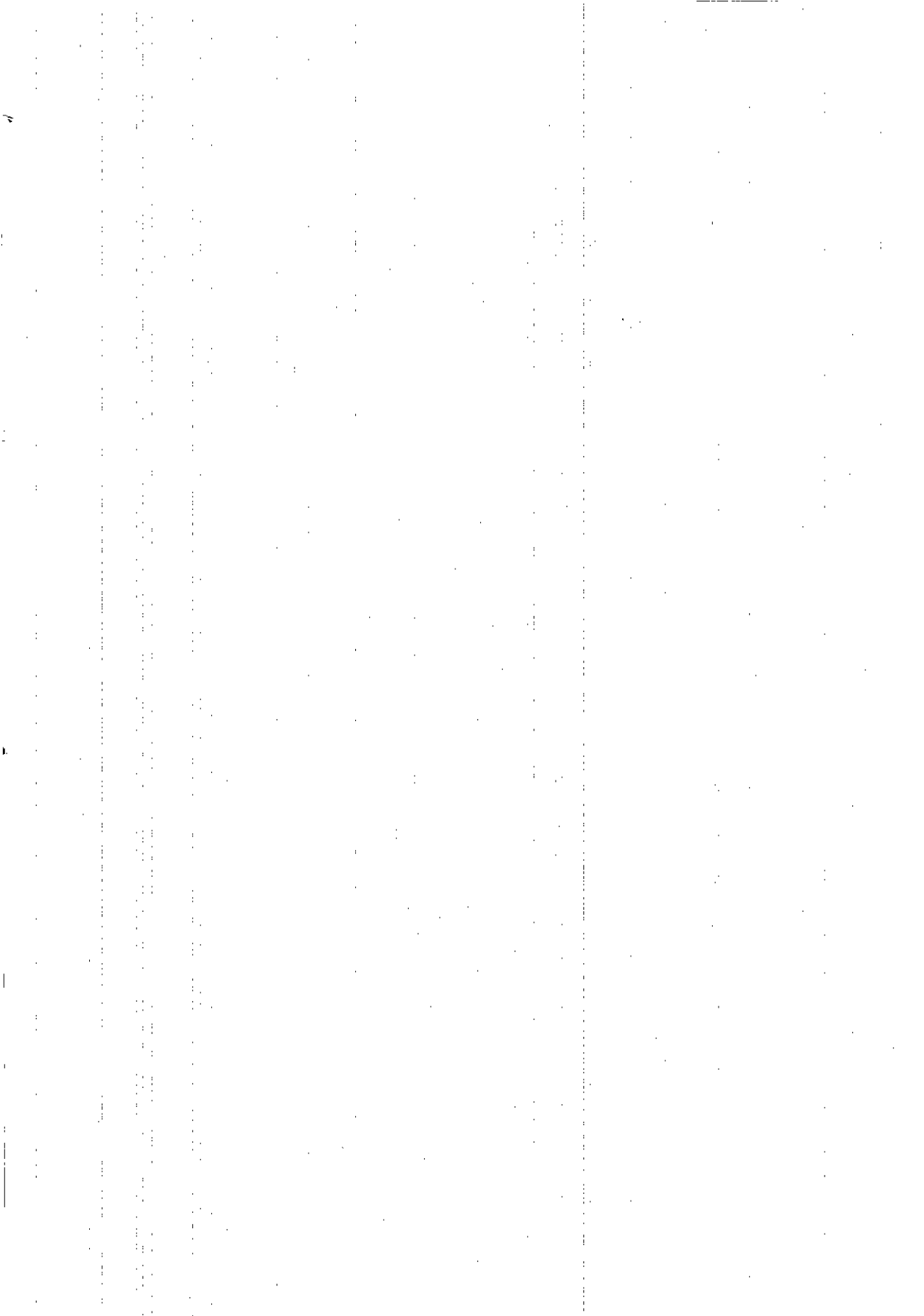
عَبْرَ
أَرْبَعَةِ عَشْرَةَ قَرْنًا

تراجم علمية منهجية موثقة وحافلة بالمعلومات
لسير الحفاظ والمحدثين

تُجَلِّي حياتهم الشخصية، وشمائلهم الجليلة، ومواقفهم الفذة، وتستعرض جلائل أعمالهم في الرحلة والطلب، ونشر العلم والتصنيف، اعترافاً بحقهم، وحثاً على الاقتداء بهم

القرن الأول الهجري

الجزء الأول



(١) أبو بكر الصّدِّيق^(١)

٥٠ ق. هـ - ١٣ هـ

اسمه ونسبه ونسبته، وكنيته ولقبه:

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرّة بن

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٣٧ - ١٣٤٦، صحيح مسلم ٤/١٨٥٤ - ١٨٥٨، سنن أبي داود ٥/٢٤ - ٥٠ سنن الترمذي ٥/٦٠٦ - ٦١٦، سنن ابن ماجه ١/٣٦ - ٣٨، مسند أحمد ١/٢، المستدرک ٣/٦١ - ٨٠، جامع الأصول ٨/٥٥٧ - ٥٦٧، ٥٧٢ - ٥٧٥، ٥٧٧ - ٥٨١، ٥٨٤ - ٦٠٦، مشكاة المصابيح ٣/١٦٩٧ - ١٧٠١، ١٧٠٨ - ١٧١١، ١٧١٧ - ١٧١٨، ١٧٢٦ - ١٧٢٧، ١٧٣٠، مجمع الزوائد ٩/٤٠ - ٦٠، المطالب العالية ٤/٣٢ - ٤٠، فتح الباري ٧/١٢ - ٤٠، طبقات ابن سعد ٣/١٦٩ - ٢١٣، تاريخ يحيى بن معين ٢/٣١٩، تاريخ خليفة ٣٥، ٥٥، ١٠٠ - ١٢٢، طبقات خليفة ١٧، العلل لأحمد «انظر فهرس الأعلام»، التاريخ الكبير للبخاري ١/٥ ت ١، التاريخ الصغير له ١/٣٢، ٣٤، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٨، ٨١، ٨٧، ٨٨، ١١٠، ١١٣، ١١٩، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٥، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٣، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/١٠٧، ١٠٩، ١٤٩، ١٦٩، فضائل الصحابة للنسائي ٣ - ١٢، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٥/١١١ ت ٥٠٨، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٢٢ - ٢٣ ت ٢، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/٣٨١ - ٣٨٢ ت ٥٤١، حلية الأولياء ١/٢٨ - ٣٨، جمهرة الأنساب لابن حزم «انظر فهرس الأعلام»، جوامع السيرة له «انظر فهرس الأعلام»، الاستيعاب بذيّل الإصابة ٢/٢٣٤ - ٢٤٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٨ - ١٩، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٢٣٧ - ٢٣٨ ت ٨٧٥، صفة الصفوة ١/٢٣٥ - ٢٦٧، الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، أسد الغابة ٣/٢٠٥ - ٢٢٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٨١ - ١٩١، وفيات الأعيان ٣/٦٤ - ٧١، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٣/٣٤ =

كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، التميمي نسبة إلى تميم بن مرة، أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة. يلتقي هو ورسول الله ﷺ عند مرة بن كعب، بين كل واحد منهما وبينه ستة آباء. كنيته: أبو بكر، ولقبه: عتيق، والصديق.

لُقِبَ (عَتِيقًا) لِحُسْنِ وَجْهِهِ وَجَمَالِهِ، وَطِيبِ أَصْلِهِ، وَطَهَارَةِ نَسَبِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي نَسَبِهِ شَيْءٌ يُعَابُ.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: «هذا عتيق الله من النار». فمن يومئذ سُمِّيَ عَتِيقًا، وكان قبل ذلك اسمه عبد الله بن عثمان^(١)).

مولده:

ولد بعد حادثة الفيل بستين وستة أشهر، فهو أصغر من رسول الله ﷺ بستين وأشهر، فقد أخرج ابن البرقي من حديث عائشة قالت: (تذكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي، فكان النبي ﷺ أكبر).

صفته وحليته:

كان أبو بكر رجلاً أبيض نحيفاً، خفيف العارضين^(٢)، أجنأ^(٣)، لا يستمسك

١٣٠ - تهذيب الكمال ١٥ / ٢٨٢ - ٢٨٥ ت ٣٤١٨، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء ١٠٥ - ١٢١، العبر ١ / ١٣، تذكرة الحفاظ ١ / ٢ - ٥، البداية والنهاية ٣ / ٢٦ - ٣٠، ٩٣ - ٩٥، ١٨٣ - ١٨٥، ٢٢١ - ٢٢٢، ٤ / ١٧٣ - ١٧٦، ٥ / ٣٦ - ٣٩، ٢٢٨ - ٢٣٠، ٢٣٢ - ٢٣٦، ٢٤٥ - ٢٥٠، ٢٨٥ - ٢٨٩، وغيرها، غاية النهاية ١ / ٤٣١ - ٤٣٣، الإصابة ٢ / ٣٢٣ - ٣٣٦، تهذيب التهذيب ٥ / ٢٧٦ - ٢٧٧، تقريب التهذيب ١ / ٤٣٢، الرياض المستطابة ١٤٠ - ١٤٧، تاريخ الخلفاء ٢٧ - ١٠٨، شذرات الذهب ١ / ٢٤ - ٢٦، حياة الصحابة: صفحات كثيرة متفرقة «انظر فهرسه». وغير ذلك، ولا تكاد المصادر عنه تقع تحت حصر.

(١) قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني بنحوه، ورجالهما ثقات.

(٢) العارض: صفحة الخد.

(٣) أي: في ظهره انحناء يسير.

إزاره يسترخي عن حَقْوَيْهِ^(١)، معروق^(٢) الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، يَخْضِبُ شَيْبَهُ بِالْحِجَاءِ وَالكَتَمِ^(٣).

مكانته في قريش قبل الإسلام:

نأى أبو بكر عن رجس الجاهلية وذنسها، وتحلى بالأخلاق الرفيعة الأصيلة، فكان ذا خلق ومعروف، صادق الحديث، طيب العشرة، حسن المجالسة، حَرَمَ على نفسه الخمر في الجاهلية، ولما سُئِلَ: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال: أعوذ بالله! فقيل له: ولم؟ قال: كنتُ أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته.

وكان أنسب العرب، وأنسب قريش لقريش، وأعلمهم بما كان فيها من خير أو شرّ، وبلغ الغاية في علم تعبير الرؤيا، يعمل في التجارة، وهو بها خبير حُنُك.

أحبه قومه، ووثقوا به، وعرفوا له منزلته، فأصبح من رؤسائهم في الجاهلية، وأهل مشاورتهم، وأحدَ عشرةَ رجال من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام. وأسندوا إليه أمر الديات، فإذا حمل منها شيئاً صدّقوه، وأمضوا ذلك.

أبواه وإسلامهما:

أما أبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، فقد كان من سادات قريش في الجاهلية، أسلم يوم فتح مكة، وقد كفّ بصره، فجاء أبو بكر به يقوده حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأثيناها»، تكرمة لأبي بكر! فأسلم أبو قحافة ورأسه

(١) الحَقْوُ: الحَضْرُ.

(٢) أي: لجم وجهه قليل.

(٣) نبت يُصَبَغُ به الشعر أسود.

ولحيته كالثَّغَامَةِ بِيَاضاً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «غَيْرُوهما، وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ»^(١). وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٌ: «غَيَّرُوا هَذَا بَشِيءً، وَاجْتَنَبُوا السَّوَادَ».

توفي أبو قحافة في المحرم من سنة (١٤هـ)، وله سبع وتسعون سنة.

وَأُمُّ أَبِي بَكْرٍ هِيَ: أُمُّ الْخَيْرِ سَلْمَى بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبٍ، ابْنَةُ عَمِّ أَبِي قَحَافَةَ، أَسْلَمَتْ قَدِيمًا، وَصَحِبَتْ مَعَ ابْنِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

توفي أبو بكر قبل أبيه، وقد ورثاه، وماتت أم الخير قبل أبي قحافة.

إِسْلَامُهُ، وَصَحِبَتْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَاشْتَهَرَ بِالصِّدِّيقِ:

صَحِبَ أَبُو بَكْرٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، وَسَبَقَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَأَشَدَّهُمْ تَصَدِيقًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ. فِيهِ الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ».

قال الحافظ ابن كثير: (وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه).

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ بِلَاغًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبُوءَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ؛ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، مَا عَكَمَ»^(٢) عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتَهُ، وَلَا تَرَدُّدٌ فِيهِ.

وعن زيد بن أرقم قال: (أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق)^(٣).

وَاشْتَهَرَ بِالصِّدِّيقِ لِمَبَادَرَتِهِ إِلَى تَصَدِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا كَانَ يَخْبُرُ بِهِ، وَأَوَّلَ مَا اشْتَهَرَ بِذَلِكَ صَبِيحَةَ (الْإِسْرَاءِ)، حِينَمَا جَاءَهُ الْمُشْرِكُونَ فَقَالُوا: (هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ! يُزْعَمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ! قَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا:

(١) رواه أحمد وصححه ابن حبان. الثَّغَامَةُ: نَبْتُ أبيض الزَّهْر والثمر يُشَبَّه به الشَّيْب.

(٢) مَا عَكَمَ: مَا تَلَبَّثَ بِلِ أَجَابٍ بِسُرْعَةٍ.

(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تُصدِّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم؛ إنني لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة^(١).

صحب أبو بكر رسول الله ﷺ من حين أسلم إلى أن لحق النبي بربه، فلم يفارقه في حضر ولا سفر، ولقد أشارت السيدة عائشة إلى هذا بقولها: (لم أعقلُ أبويَّ قطْ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرْفِي النهارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً)^(٢).

وثبتت صحبته في القرآن العظيم، فكان ذلك أعلى درة في تاج مناقبه. قال الحافظ في (الإصابة): (ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣)، فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع).

وجعل الصديق يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله.

وبذل ماله في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام، وحرَّز سبعة من العبيد منهم بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة.

ودافع بنفسه عن شخص رسول الله ﷺ، وواجه جمع المشركين لا يخاف أذاهم، ولا يتهيب كثرة جمعهم.

عن عروة بن الزبير قال: (قلتُ لعبيدِ الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدَّ ما صنَع المشركون برسولِ الله ﷺ. قال: بيَّنا رسولُ الله ﷺ يصلِّي بِفِنَاءِ الكعبة، إذْ

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال السيوطي: إسناده جيد.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٠.

أَقْبَلَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (١) (٢).

وأخرج أبو يعلى والبخاري والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾! فقالوا: مَنْ هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون). وزاد البخاري: (فتركوه وأقبلوا على أبي بكر) (٣).

هجرته مع النبي ﷺ إلى المدينة:

لما رأى أبو بكر الصحابة يهاجرون إلى المدينة، تجهز للهجرة قبلها، فقال له رسول الله ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ راحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ - وهو الخَبَطُ - أربعة أشهر.

ولما أُذِنَ لَهُ ﷺ بالهجرة جاء أبا بكر في ساعة لم يكن يأتيه فيها، وقال له: «قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ». فقال أبو بكر: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم». قال أبو بكر: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى راحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قال رسول الله ﷺ: «بِالْتَّمَنِ».

واشترك آل أبي بكر في إنجاح هذا الحدث الجليل، فقامت عائشة وأسماء فجهزتا طعام السفر، واحتمل أبو بكر معه ماله كله، وهو خمسة آلاف درهم، وانطلق مع النبي ﷺ، فَلَحِقًا بِغَارِ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، ثُمَّ انْطَلَقَا

(١) سورة غافر: الآية ٢٨.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

تلقاء المدينة، ومعهما عامر بن فهيرة - مولى الصديق - والدليل، فأخذ بهما طريق السواحل.

والصديق خلال هذه الرحلة يخاف على النبي ﷺ، ويفديه بنفسه، فهو عندما وصلا الغار استأذن النبي بالدخول قبله قائلاً: (يا رسول الله، دَعْنِي فَلَا دُخْلُ قَبْلِكَ، فَإِنْ كَانَتْ فِيهِ حَيَّةٌ أَوْ شَيْءٌ كَانَتْ بِي قَبْلَكَ! قَالَ: «ادْخُلْ». فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَلْتَمِسُ بِيَدِهِ، كُلَّمَا رَأَى جُحْرًا جَاءَ بِثُوبِهِ فَشَقَّهُ ثُمَّ أَلْقَمَهُ الْجُحْرَ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثُوبِهِ أَجْمَعَ، فَبَقِيَ جُحْرٌ فَوَضَعَ عَقِبَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْخَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ). وعندما حمي الطلب عليهم، ووقف المشركون على فم الغار، ارتجف قلب الصديق وقال لرسول الله ﷺ: (لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا)! فيقول له: «لَوْ ظَنَنْتُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاثِنِينَ لِلَّهِ ثَالِثُهُمَا؟!» ولما لحق بهم سُراقَةُ بن مالك، قال: (هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «لَا تَخْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا!!» حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رُمْحٍ - أَوْ رُمْحَيْنِ - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقْنَا، وَبِكَيْتُ! قَالَ: «لِمَ تَبْكِي؟!» قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيْكَ!! فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ». فَسَاحَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ إِلَى بَطْنِهَا فِي أَرْضٍ صَلْبَةٍ).

وكان يخدم النبي ﷺ بنفسه، ويهيء له مكاناً يستريح فيه، ويبسط له بساطاً لينام عليه، ويحلب الشاة ويسقيه اللبن، وتارة يمشي أمامه يخاف عليه الرصد، وحيناً يسير خلفه يخشى عليه الطلَب. ويلقى رجلٌ أبا بكر فيقول: يا أبا بكر، مَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فيقول: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ. فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. يفعل أبو بكر هذا خوفاً على رسول الله ﷺ من عيون قريش، ومن تحلَّبت أشدَّاءهم، وتطلَّعت نفوسهم لمئة ناقة رصدها قريش جُعلاً لمن يرده إليها محمداً!.

ووصلوا المدينة، فتلقى الأنصارُ رسولَ الله ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ (فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ

اليمين، حتى نزلَ بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يومَ الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأنصار - مَمَّنْ لم يرَ رسولَ الله ﷺ - يُحَيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسولَ الله ﷺ، فأقبلَ أبو بكر حتى ظلَّ عليه بردائه، فعرفَ الناسُ رسولَ الله ﷺ عندَ ذلك^(١).

مشاهده:

حضر أبو بكر جميع الغزوات مع النبي ﷺ، وكان له فيها مواقف مشهودة، وأعمال محمودة. ففي بدر بنى الصحابة لرسول الله عريشاً، وانتدبوا رجلاً يحمي رسول الله ﷺ من المشركين، فنهّد لذلك الصديق، شاهراً بالسيف على رأس النبي ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه. حتى وصفه علي بن أبي طالب - في أيام خلافته - بأنه أشجع الناس.

وفي أحد كان أحدَ الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ. وكان ابنه عبد الرحمن^(٢) في صفوف المشركين، فقد أخرج ابن أبي شيبة والحاكم عن أيوب قال: (قال عبد الرحمن بن أبي بكر لأبي بكر رضي الله عنه: قد رأيتك يوم أُحُدٍ فَصَفَحْتُ^(٣) عنك. فقال أبو بكر: لكني لو رأيتك لم أصفح عنك).

وشهد غزوة الخندق، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، وعندما أبرم النبي ﷺ مع قريش صلح الحديبية، عزَّ على المسلمين أن يرجعوا إلى المدينة دونما اعتماد، وقام عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ ليث إليه همّه وغمّه من قسوة الشروط

(١) انظر بالتفصيل سياق البخاري لهجرة النبي ﷺ في: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٢) هو أكبر ولد أبي بكر، أسلم رضي الله عنه في هدنة الحديبية، وحسن إسلامه، وحضر اليمامة مع خالد، وقتل سبعة من كبار رجال مسيلمة الكذاب.

(٣) أي: فأعرضت.

- فيما يرى - على المسلمين. قال عمر: (فَأْتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَغْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي». قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا تَأْتِيهِ الْعَامَ». قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ». قَالَ: فَأْتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَغْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأِي الْبَيْتَ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ^(١).

وهذا من عجائب الإلهام؛ حيث تطابقت إجابة الصديق مع إجابة النبي ﷺ حتى في الكلمات!

وكان مع رسول الله ﷺ في خيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف، وتبوك، وحجة الوداع. وثبت مع النبي ﷺ في حنين حيث فرّ الناس، ودفع رسول الله رايته العظمى يوم تبوك إليه.

وبعته أميراً على الحج سنة تسع ليقوم للناس حجاجهم، ثم أوقف علي بن أبي طالب بصدر سورة براءة، وأمره أن يؤذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمِنَى: «أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

روى البخاري - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والنسائي عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال: (بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ، فِي مُؤَدِّينَ

(١) رواه البخاري في حديث طويل جداً.

يوم النَّحْرِ، نُوذُنْ بِمَنَى: أَلَا لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُزَيَّانٌ. قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِـ (بَرَاءَةً). قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَدَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مَنَى يَوْمَ النَّحْرِ: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُزَيَّانٌ).

عبادته وتقواه:

وقد كان أبو بكر على درجة كبيرة من التقوى والورع، والتبتل والتضرع، وصل بها إلى مقام الصديقين، يخشى الله في سره وجهره، ويبادر الناس بالأعمال الصالحات، ويسابقهم فيسبقهم، يتحرى الحلال، ويهرب من الشبهات، يؤدب أهله، ويمسك بعنان نفسه، ويحبس لسانه، لا يرى خصلة من خصال الخير إلا هرع إليها، ولا يسمع من النبي ﷺ حثاً على عمل إلا سارع إليه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وأخرجه البزار من رواية عبد الرحمن بن أبي بكر، ولفظه: (صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ أَصْحَابِي بِوَجْهِهِ فَقَالَ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟) فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَحْدِثْ نَفْسِي بِالصُّومِ الْبَارِحَةَ، فَأَصْبَحْتُ مَفْطُوراً. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلَكِنِّي حَدِثْتُ نَفْسِي بِالصُّومِ، فَأَصْبَحْتُ صَائِماً. فَقَالَ: (هَلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْيَوْمَ عَادَ مَرِيضاً؟) فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ تَبْرَحْ فَكَيْفَ نَعُودُ الْمَرِيضَ؟! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَّغْنِي أَنْ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَاكٍ، فَجَعَلْتُ طَرِيقِي عَلَيْهِ لِأَنْظُرَ كَيْفَ أَصْبَحَ. فَقَالَ: (هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ

مُسْكِينًا؟ فقال عمر: صَلِّتْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ لَمْ نَبْرَحْ! فقال أبو بكر: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا بِسَائِلٍ، فَوَجَدْتُ كِسْرَةً مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَخَذْتُهَا وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ. فقال: (أنت، فأبشُرْ بِالْجَنَّةِ). ثم قال كلمة أرضى بها عمر، وزعم عمر أنه لم يُرد خيراً قط إلا سبقه إليه أبو بكر).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أُنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُودِي مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ). فقال أبو بكر رضي الله عنه: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَيَّ مِنْ دُعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قال: (نعم، وأرجو أن تكونَ مِنْهُمْ)^(١).

وكان يصوم الصيف ويفطر الشتاء، طمعاً في زيادة الأجر والثواب، لا يتكلم فيما لا يعنيه، بضبط لسانه، ويحاسب نفسه:

أخرج النسائي عن أسلم أن عمر أطلع على أبي بكر وهو آخذ بلسانه، فقال: (هذا الذي أوردني الموارد)!.^(١)

وروي أبو نعيم في (الحلية) وابن الأثير في (أسد الغابة) عن زيد بن أرقم (أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه استسقى، فأثي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى مَنْ حوله، فسكت وما سكتوا. ثم عاد فبكى، حتى ظنوا أن لا يقدرُوا على مسألتِهِ. ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هَاجَكَ على هذا البكاء؟ قال: كنتُ مع النبي ﷺ، وجعل يدفعُ عنه شيئاً، ويقول: (إليك عني، إليك

(١) رواه الشيخان، واللفظ للبخاري. قوله (أنفق زوجين): أي عمل صنفين من أعمال البر. (من ضرورة): من مضرة، أي: قد سجدت من دُعي من الأبواب جميعاً، ودعوته منها جميعاً أن يُخَيَّرَ في الدخول من أيها شاء وهذا مزيد تكريم وفضل.

عني)، ولم أرَ معه أحداً، فقلتُ: يا رسولَ الله، أراك تدفعُ عنك شيئاً ولا أرى معك أحداً؟ قال: (هذه الدنيا تَمَلَّتْ لي بما فيها، فقلتُ لها: إليك عني، فَتَنَحَّتْ وقالت: أَمَا وَاللَّهِ، لئن انفلتتُ مني لا ينفلتُ مني مَنْ بَعْدَكَ). فخشيتُ أن تكونَ قد لحقتني، فَذَكَ الذي أبكاني)!

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان لأبي بكر غلامٌ يُخْرِجُ له الخَرَاجَ، وكان أبو بكر يأكل من خَرَاجِهِ، فجاء يوماً بشيءٍ، فأكلَ منه أبو بكر، فقال له الغلامُ: تَدْرِي ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تَكَهَّنتُ لإنسانٍ في الجاهليَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الكِهَانَةَ، إلا أَنِي خدعتهُ، فَلَقِينِي فأعطاني بذلك، فهذا الذي أَكلتُ منه. فأدخلَ أبو بكر يده، فَفَاءَ كلَّ شيءٍ في بَطْنِهِ)^(١).

إنفاقه في سبيل الله:

قال الحافظ في «الإصابة»: (أخرج أبو داود في «الزهد» بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم. قال عروة: وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً).

فكان الصديق ينفق أمواله في سبيل الله، ويعتق الرقاب، ويعول المسلمين، فدخل من أوسع أبواب النفقة، ولم يتقدم عليه في ذلك أحد.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أَمَرْنَا رسولَ الله ﷺ يوماً أن نتصدَّقَ، فَوَافَقَ ذلكَ مالاً عندي، فقلتُ: اليومَ أُسْبِقُ أبا بكر - إن سبقته يوماً - فجئتُ بِنِصْفِ مالي. فقال رسول الله ﷺ: (ما أبقيتَ لأهلك)؟ قلتُ: مثله. وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: (ما أبقيتَ لأهلك)؟ قال: أبقيتُ لهمُ اللهُ ورسوله. قلتُ: لا أَسَاقِبُكَ إلى شيءٍ أبداً)^(٢).

(١) غلام: عبد. يخرج له الخراج: يأتي له بما يكسبه من الخراج، وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه. الكهانة: هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي.

(٢) رواه أبو داود - وهذا لفظه - والترمذي وقال: حسن صحيح. وقال الألباني وعبد القادر =

ووضع أبو بكر ماله تحت أمر النبي ﷺ فكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه، وقد أكثر النبي ﷺ الثناء على أبي بكر في هذا.

روى الإمام البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ مِنْ أَمْرٍ^(١) النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ).

وعن أبي هريرة قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ»). قال: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٢)!

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِلَّا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ^(٣)).

علمه:

قال الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: (استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله رضي الله عنه في الحديث الثابت في الصحيحين أنه قال: (وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ). واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في «طبقاته» على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعلم الصحابة، لأنهم كلهم وقفوا

= الأرنؤوط: إسناده حسن.

(١) أي أسمح بماله وأبدل له، ولم يُرَدَّ به معنى الامتنان، لأن المنة تُفسد الصنيعة، ولا منة لأحد على رسول الله، بل له المنة على الأمة قاطبة.

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

(٣) قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال عبد القادر الأرنؤوط: وهو كما قال، فإنه حسن بشواهد. وقد ذكره الحافظ في «الفتح» وسكت عليه.

عن فهم الحكمة في المسألة إلا هو، ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب، فرجعوا إليه).

وقال الحافظ المقرئ ابن الجزري في كتابه «غاية النهاية»: (أبو بكر الصديق، صاحب رسول الله ﷺ، وخليفته، وخير الخلق بعده... هو أول من جمَعَ القرآن في مصحف، وأشار بجمعه وذلك مشهور. وقد حدَّثني شيخنا الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير من لفظه غير مرة، وقد دار بيننا الكلام في حفظه رضي الله عنه القرآن، فقال: أنا لا أشكُّ أنه قرأ القرآن. ثم قال: وقد رأيتُ نصَّ الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله على حفظه القرآن، واستدلَّ على ذلك بدليل لا يُردُّ، وهو أنه صحَّ عنه ﷺ بلا نظر أنه قال: (يَوْمُ الْقَوْمِ أقرُّوهم لكتاب الله، وأكثرهم قرآنًا). وتواتر عنه ﷺ أنه قدَّمه للإمامة، ولم يكن ﷺ ليأمر بأمرٍ ثم يخالفه بلا سبب، فلولا أن أبا بكر رضي الله عنه كان متَّصفاً بما يقدِّمه في الإمامة على سائر الصحابة - وهو القراءة - لما قدَّمه، وذلك على تقدير: سواء قلنا المراد بالأقرأ: الأكثر قراءة، كما هو ظاهر اللفظ، وذهب إليه أحمد وغيره. أو الأعلم كما ذهب إليه الشافعي وغيره).

وقال ابن كثير في «فضائل القرآن»: «والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن: أن الصديق رضي الله عنه قدَّمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار، مع أنه قال: (يَوْمُ الْقَوْمِ أقرُّوهم لكتاب الله). فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدَّمه عليهم. هذا مضمون ما قرَّره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهذا التقرير لا يُدفع، ولا يُشكُّ فيه).

وقال الحافظ في «الفتح»: (والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ... وقد صحَّح مسلمٌ حديث: (يَوْمُ الْقَوْمِ أقرُّوهم لكتاب الله)، وتقدَّمت الإشارة إليه، وتقدَّم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤمَّ في مكانه لما مرض؛ فيدلُّ على أنه كان أقرأهم).

وقال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: (وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة، كما رجع إليه الصحابة في غير موضع، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ﷺ، يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها، ليست عندهم. وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة؟ وهو مع ذلك من أذكي عباد الله وأعقلهم)!

ثم قال: (وقد ذكر عمر رضي الله عنه في حديث البيعة السابق^(١)) أن أبا بكر لم يترك شيئاً أنزل في الأنصار، أو قد ذكره رسول الله ﷺ في شأنهم إلا ذكره. وهذا أدل دليل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن).

ولهذا فقد افتتح الحافظ الذهبي كتابه القيم «تذكرة الحفاظ» بترجمة أبي بكر الصديق، فاعتبره أول حفاظ الإسلام، ورأس محدثي الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

قال الذهبي: (أفضل الأمة، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومؤسسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم، عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي... وكان أول من احتاط في قبول الأخبار). ثم قال: (نعم، فرأس الصادقين في الأمة الصديق، وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول).

ومع هذا العلم الواسع فلم ترو له كتب السنة سوى مئة حديث واثنين وأربعين حديثاً، اتفق الشيخان منها على ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث. وقد خرج حديثه الجماعة.

وسبب قلّة روايته - مع تقدّم صحبته، وطول ملازمته النبي ﷺ - أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها. وكان

(١) يعني بيعة الصديق في سقيفة بني ساعدة، وسيأتي الحديث عنها.

الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحدٌ منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم. وكذلك انشغاله أعظم الشغل بحروب المرتدين من العرب ومانعي الزكاة، وإرساء قواعد الدولة الإسلامية، وقيامه بمهام الخلافة الكثيرة، فلم يتفرغ للجلوس في حلقات العلم ونشره، وكان على ثقة من أن بين الصحابة مَنْ يقوم مقامه في فتيا الناس.

روى عن النبي ﷺ، وروى عنه جِلَّةُ الصحابة، منهم: عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وابن الزبير، وحذيفة، وأنس، وجابر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة. وأولاده: عبد الرحمن، ومحمد، وعائشة. ومن التابعين: عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ أبو عبد الله الصُّنَابِحِي، ومُرَّة الطَّيِّب، وقيس بن أبي حازم، وسُوَيْد بن غَفَلَةَ، وغيرهم.

ومن مناقبه أنه هو وأبوه وابنته أسماء وابنها عبد الله بن الزبير أربعة متوالدون صحَّ لكلهم سماع من النبي ﷺ.

واشتهر بتعبير الرؤيا، فكان يعبِّرُهَا في زمن النبي ﷺ، وقد قال محمد بن سيرين - وهو المقدم في هذا الباب -: (كان أبو بكر أعبرَ هذه الأمة لرؤيا بعد النبي ﷺ).

مكانته عند النبي ﷺ وصحابته:

● ● عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ)^(١).

وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَيَّ

(١) أخرجه الشيخان والترمذي، واللفظ للبخاري.

جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة). فقلت: من الرجال؟ فقال: (أبوها). قلت: ثم من؟ قال: (عمرُ بن الخطاب). فعدَّ رجالاً).

ولما تخاصم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذِبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ. فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي!) مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا))^(١).

● ● ولقد عرف الصحابة لأبي بكر شرفه، ومكانته العالية، ومنزلته الرفيعة عند رسول الله ﷺ:

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عَثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُقَاضِلُ بَيْنَهُمْ))^(٢).

وأخرج أبو نعيم في «فضائل الصحابة» عن جبير بن نفير: «أَنْ نَفَرْنَا قَالُوا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا أَقْضَى بِالْقِسْطِ، وَلَا أَقْوَلَ بِالْحَقِّ، وَلَا أَشَدَّ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَأَنْتَ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَذَبْتُمْ - وَاللَّهِ - لَقَدْ رَأَيْنَا خَيْرًا مِنْهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: مَنْ هُوَ يَا عَوْفُ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقَ عَوْفٌ وَكَذَبْتُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمَسْكَ وَأَنَا أَضَلُّ مِنْ بَعِيرِ أَهْلِي))^(٣).

وأخرج ابن عساکر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عمرَ صعد المنبر ثم قال: (أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) قال ابن كثير: إسناده صحيح. ومعنى «أضل من بعير أهلي»: أي حين كان مشركاً.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان عمر يقول: أبو بكر سيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا. يعني بلالاً).

وأخرج البخاري عن محمد^(١) ابن الحَنَفِيَّة قال: (قلتُ لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعدَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلتُ: ثم من؟ قال: ثم عُمرُ. وخشيتُ أن يقولَ عثمانُ، قلتُ: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المُسلمين).

قال الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (قال عليُّ: (خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها: أبو بكر، وعمر). هذا والله العظيم قاله عليُّ، وهو متواترٌ عنه؛ لأنه قاله على منبر الكوفة، فقَاتَلَ اللهُ الرَّافِضَةَ ما أَجْهَلَهُمْ!

وقال الحافظ في «الفتح»: (نقل البيهقي في (الاعتقاد) بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي).

المبشَّرُ بِالْجَنَّةِ:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه - في حديثه الطويل حين دخل النبي ﷺ بئر أريس - قال: (فجلستُ عند البابِ، فقلتُ: لَأَكُونَنَّ بِوَابِ رسولِ الله ﷺ اليومَ، فجاءَ أبو بكر فدَفَعَ البابَ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلتُ: على رِسلِكَ، ثم ذهبْتُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، هذا أبو بكر يَسْتَأْذِنُ؟ فقال: «إِذْنُ لَهُ وَبِشْرُهُ بِالْجَنَّةِ». فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادْخُلْ، ورسولُ الله ﷺ يبشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ. فدخَلَ أبو بكر فجلسَ عن يمينِ رسولِ الله ﷺ معه في القُفِّ... (٢).

(١) هو ابن علي بن أبي طالب، نُسب إلى أمه خَوْلَة بنت جعفر الحنفية، وهي من سبني اليمامة زمن أبي بكر الصديق.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري. ومعنى (على رِسلِكَ): تمهَّل ولا تعجل. (القُفِّ): قال ابن الأثير: قُفُّ البئر هو الدَّكَّة التي تُجَمَل حولها.

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة...». وذكر تمام العشرة.

وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ»^(٢).

ورواه أيضاً من حديث علي، وزاد: «لَا تُخْبِرُهُمَا يَا عَلِيُّ».

أوليائه:

هو أول من أسلم من الرجال الأحرار الذين قويت بهم الدعوة، وأول من حجَّ أميراً في الإسلام، وأول من سُمِّي خليفة رسول الله، وأول من جمَعَ القرآنَ وسمَّاه مصحفاً، وأول من اتخذ بيت المال. وكان ثاني رجل في الدولة الإسلامية، واقتعد مكان الوزير الأول لرسول الله ﷺ، وثانيه في الإسلام، وثانيه في الغار، وثانيه في العريش يوم بدر، وثانيه في القبر.

ومناقبه وفضائله تفوت الحصر، وقد عبَّر الإمام النووي عن ذلك بقوله: (وكم للصدِّيق من مواقف ومآثر، ومن يحصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عز وجل)؟!.

وقال صاحب (الرياض المستطابة): (والأخبار في تفاصيل مناقبه وكراماته، وبركاته، وشجاعته، وصدقته، ومقاماته في العبادة والزهادة، والخوف والرجاء، والتعفف والتواضع - كثيرة منتشرة).

(١) ورواه أيضاً أبو داود والترمذي وابن ماجه عن سعيد بن زيد. قال الألباني وعبد القادر الأرناؤوط: هو حديث صحيح.

(٢) قال الألباني والأرناؤوط: هو حديث صحيح لشواهده.

خلافته:

● ● كانت هناك إشارات قوية، وإرهاصات واضحة، إلى أن أبا بكر هو الذي سيخلف الرسول ﷺ في قيادة الدولة الإسلامية، وأنه الرجل الذي سيملاً الفراغ الكبير الذي سيتركه النبي ﷺ عندما سيلحق بربه.

من ذلك أنه ﷺ أمره أن يصلي - دون غيره - بالناس، فصلّى بهم ثمانية أيام والوحي ينزل.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال: (مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ: «مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَعَادَتْ، فَقَالَ: «مُرِّي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكَ نَصَاحَةٌ صَوَابَةٌ يُوَسِّفُ». فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ).

وعند أبي داود من حديث عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه قال: «لَمَّا اسْتَعْرَزَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، دَعَاهُ بِلَالٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُّوا مَنْ يَصَلِّيَ لِلنَّاسِ». فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ، فَإِذَا عَمْرٌ فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا، فَقُلْتُ: يَا عَمْرُ، قُمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ. فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ - وَكَانَ عَمْرٌ رَجُلًا مُجْهَرًا - قَالَ: «يَأْبَى أَبَا بَكْرٍ؟ يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ»: فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عَمْرٌ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ»^(١).

قال الخطابي في (معالم السنن): (وفي الخبر دليل على خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أن قوله ﷺ: «يأبى الله ذلك والمسلمون» معقول منه أنه لم

(١) قال عبد القادر الأرنؤوط: حديث حسن. ومعنى (استعز): اشتد به المرض وأشرف على الموت. (مُجْهَرًا): صاحب جَهْرٍ ورفع لصوته.

يُرَدُّ به نَفْيَ جَوَازِ الصَّلَاةِ خَلْفَ عَمْرٍ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ خَلْفَ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَائِزَةٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْإِمَامَةَ الَّتِي هِيَ دَلِيلُ الْخِلَافَةِ وَالنِّيَابَةِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ.

وَرَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ: (أَنْتِ امْرَأَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنهَا تَقُولُ: الْمَوْتُ. قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبِي بَكْرًا»).

وَفِي أَوَاخِرِ أَيَامِهِ ﷺ قَالَ - فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ -: «لَا يَبْقَيْنُ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: «قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَابْنُ بَطَالٍ وَغَيْرُهُمَا: فِي هَذَا الْحَدِيثِ اخْتِصَاصُ ظَاهِرٍ لِأَبِي بَكْرٍ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ قَوِيَّةٌ إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِلْخِلَافَةِ، وَلَا سِوَمَا وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي آخِرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَمَرَهُمْ فِيهِ أَنْ لَا يُؤْمَهُمْ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبِي بَكْرًا، وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَتَّى مُتَمَتِّئًا وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبِي بَكْرٍ»^(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي «الْفَتَاوَى» تَعْلِيقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: (فَأَبَى اللَّهُ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَتَوَلَّى غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ، فَاللَّهُ هُوَ وِلَاةٌ قَدْرًا وَشَرْعًا، وَأَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِوِلَايَتِهِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى أَنْ وُلُوهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ طَلَبُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ).

● ● وَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ أَنْ صَلَّى الصَّدِيقُ بِالنَّاسِ، دَخَلَ فَعَادَ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجْرَتِهِ، وَاسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَغِيبَ بَعْضَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَأَحْمَدُ وَالطَّبَالِسِيُّ وَابْنُ سَعْدٍ.

الوقت، وذهب إلى داره بالسُّنْح^(١)، وبيننا هو هناك أتاه الناعي ليلقي عليه النبا المهور: (لقد مات رسول الله)!

قال البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ - قَالَ إِسْمَاعِيلُ: يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثُنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالِ وَأَرْجُلَهُمْ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي، طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. فَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَأَجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نَبَايَعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ

(١) إحدى محال المدينة، كان بها منزل أبي بكر حين تزوج بنت خارجه بن زيد الأنصاري.

النَّاسُ). وبابح المهاجرون والأنصار أبا بكر في (سَقِيفَة بني ساعدة) في اليوم الذي مات فيه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فلما كان من الغد - صبيحة يوم الثلاثاء - اجتمع الناس في المسجد النبوي فتممت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وقام الناس فبايعوا أبا بكر بيعة العامة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ.

أخرج ابن سعد عن الحسن قال: (قال عليٌّ لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ: نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا فَوَجَدْنَا النَّبِيَّ ﷺ قَدْ قَدَّمَ أبا بكر في الصلاة، فَرَضِينَا لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِدِينِنَا؛ فَقَدَّمْنَا أبا بكر).

● ● واستقبل الصديق الخلافة، وأعلن خطته في الحكم في أول خطبة له فقال: (أما بعد، أيها الناس: فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِن أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِن أَسَأْتُ فِقَوْمُونِي. الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَا يَدْعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ. وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ. أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)^(١).

وفرض له المسلمون عطاء سنوياً ألفي درهم، ثم زادوه خمس مئة.

● ● وفي أوائل خلافته امتحن بواقعة عظيمة، إذ جاءته فاطمة بنت النبي ﷺ تسأله ميراثها من أبيها ﷺ، مما أفاء الله على رسوله ﷺ، وهو سهم النبي بخبير، وقدك بكمالها، وأموال بني النَّضِير مما لم يُوجِف المسلمون عليه من خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ. وكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة، يعزل منها نفقة أهله لِسَنَةٍ، ثم يجعل ما بقي مجعل مال الله، يصرفه في الكُرَاع^(٢) والسلاح ومصالح المسلمين. ولم يبلغها قول رسول الله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركنا

(١) أخرجه ابن إسحاق عن الزهري عن أنس، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح.

(٢) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح.

فهو صدقة». عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عن عائشة أنها أخبرته: (أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسولِ الله ﷺ، مما آفأَ اللهُ عليه بالمدينة وفَدَكَ، وما بقي من خُمْسِ خَيْبَرَ. فقال أبو بكر: إن رسولِ الله ﷺ قال: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ». وإني - والله - لا أُعِيرُ شيئاً من صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهدِ رسولِ الله ﷺ، وَلَا عَمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمَلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فأبى أبو بكر أن يَدْفَعَ إلى فَاطِمَةَ شيئاً...»^(١).

ووقع في أيام خلافته من الأمور الكبار: قتال أهل الردة ومانعي الزكاة، وإنفاذ بعث أسامة بن زيد، وجمع القرآن الحكيم.

● ● ● فما كادَ نَبَأُ وفاة النبي ﷺ يذيع في البلاد، حتى ارتدت طوائف من حديثي العهد بالإسلام، الذين كان الدين في وجدانهم مرتبطاً بحياة الرسول ﷺ، وتصوّر المرجفون أن الإسلام انتهى بموت نبيّه، فقام المغرضون ورؤساء القبائل، واستغلُّوا حداثةَ إسلام هؤلاء، وغفلتهم وسذاجتهم، ونقضوا واحدةً من قواعد الدين؛ فرفضوا أداء الزكاة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا. قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ)^(٢).

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه الجماعة، وهذا لفظ البخاري. وقوله (عناقاً): هي الأنتى من ولد المعز التي لم تبلغ سنة.

واستشار الصديق الصحابة، وسمع منهم، ثم قام فخطبهم فقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه - : (أما بعدُ: فإنَّ الله بعثَ محمداً ﷺ والحقَّ قُلُّ شريد، والإسلام غريب طريد، قد رتَّ^(١) حبله، وقلَّ أهله، فجمعهم اللهُ بمحمد ﷺ، وجعلهم الأمةَ الباقيةَ الوسطى. والله لا أبرحُ أقوم بأمر الله، وأجاهد في سبيل الله، حتى ينجزَ الله وعدَه، ويوفِّيَ لنا عهدَه، فيقتل مَنْ قُتلَ منَّا شهيداً في الجنة، ويبقى مَنْ بقي منَّا خليفةَ الله في أرضه ووارثَ عبادَه. قضى اللهُ الحقَّ، فإن الله تعالى قال - وليس لقوله خُلف - : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٢). والله لو منعوني عقلاً مما كانوا يعطونَ رسولَ الله ﷺ، ثم أقبلَ معهم الشجرُ والمدرُ^(٣)، والجنُّ والإنسُ؛ لجاهدتهم حتى تلحقَ روحي بالله!! إنَّ الله لم يفرِّق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما. فكَبَّرَ عَمْرُ وقال: والله لقد علمتُ - والله حينَ عزمَ اللهُ لأبي بكرٍ على قتالهم - أنه الحقُّ».

وركب الصديق في الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه مسلولاً من المدينة المنورة إلى ذي القِصَّة^(٤)، ليقاتل المرتدين بنفسه!

أخرج زكريا السَّاجي والذَّارِقُطْنِي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (خرج أبي شاهراً سيفه، راكباً راحلته إلى ذي القِصَّة، فجاءَ عليُّ بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته، وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحُد: «سِمْ^(٥) سَيْفَكَ، وَلَا تَفْجَعْنَا بِنَفْسِكَ»، فوالله لئن أُصِيبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً! فرجع وأمضى الجيش).

(١) أي ضَعَفَ.

(٢) سورة النور: الآية ٥٥.

(٣) أهل المدر: سكان البيوت المبنية، خلاف البدو سكان الخيام.

(٤) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً.

(٥) شام سَيْفَه يَسِيمُه: عَمَدُه، واسْتَلَّه (ضِدًّا)، والمقصود هنا الأول.

ولم يزل الصحابة بالصديق يلحون عليه حتى رجع، وجيَّش جيوشه. وأرسل بأسه العادل، وسيفه القاطع على المرتدين، وعقد أحد عشر لواءً:

عقد لخالد بن الوليد: وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة.

ولعكرمة بن أبي جهل: وأمره بمسيلمة، وبعث شَرْحِيل بن حَسَنَة في إثره إلى مسيلمة الكذاب، ثم إلى بني قضاة.

وللمُهَاجِر بن أبي أمية: وأمره بجنود الأَسْوَد العَنَسِي، ومعونة الأبناء على قيس بن مَكشُوح.

ولخالد بن سَعِيد بن العاص: إلى مشارف الشام.

ولعَمْرُو بن العاص: إلى جماع قضاة ووديعة والحارث.

ولحذيفة بن مِحْصَن: وأمره بأهل دبا.

ولعَرَفَجَة بن هَرْثَمَة: وأمره بمهرة.

ولطريفة بن حاجر: وأمره ببني سُليم ومن معهم من هوازن.

ولسويد بن مقرن: وأمره بتهامة اليمن.

وللعلاء بن الحضرمي: وأمره بالبحرين.

وتفرقت جنودُ أبي بكر في أَصْقَاع الجزيرة، وطاردوا فلولَ طليحة الأَسَدِي، والأَسْوَد العَنَسِي، وسَجَاح، والقبائل المرتدة، وقَضُوا على نبوءة مسيلمة الكذاب في «حديقة الموت»، وبسطوا في الأرض سلطانَ الحق، وأعادوا الأمر إلى نصابه، وولَّت جيوش المرتدين الدُّبُر، وتمزَّقوا بَدَدًا، وتحطَّمت أمنيَّاتهم وأكاذيبهم أمام العزيمة الصلبة والحقَّ المبين.

● ● وكان رسول الله ﷺ قد أعدَّ - قبل وفاته - جيشاً وجهته الشام، تحت إمرة أسامة بن زيد، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم «البلقاء والداروم» من أرض

فلسطين، فأوعبَ معه سبع مئة من المسلمين.

وسار الجيش حتى بلغ (الجُرف)^(١)، وأرجأت زحفَهُ وفاةً رسول الله ﷺ وأتذ جاء الصحابة إلى أبي بكر يطلبون إليه أن يردَّ أسامةَ بجيشه، لأن المدينة أصبحت مهددة من المرتدين، وإمضاء «بَعَثِ أسامة» مخاطرة رهيبية! وكان على رأسهم عمر بن الخطاب، ومن أنصار هذا الرأي أسامة نفسه قائد هذا الجيش.

فرفض أبو بكر ذلك، وقال لهم: (والَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ، لو ظننتُ أن السباعَ تخطفني لأنفذتُ بَعَثَ أسامةَ كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري؛ لأنفذته)!

أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (والَّذِي لا إلهَ إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلفَ ما عبَدَ اللهُ، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة! فقبل له: مَهْ يا أبا هريرة! فقال: إن رسول الله ﷺ وَجَّهَ أسامةَ بن زيد في سبع مئة إلى الشام، فلما نزل بذي خُشب^(٢) قُبضَ النبي ﷺ، وارتدتِ العرب حول المدينة، واجتمعَ إليه أصحابُ رسول الله ﷺ فقالوا: ردَّ هؤلاء، تُوجَّهُ هؤلاء إلى الروم وقد ارتدتِ العرب حول المدينة؟! فقال: والذي لا إلهَ إلا هو، لو جَزَّتِ الكلابُ بأرجلِ أزواجِ النبي ﷺ ما رددتُ جيشاً وجَّهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، ولا حَلَلْتُ لواءَ عقده. فوجَّهَ أسامةَ فجعل لا يمرُّ بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثلُ هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يَلْقَوْا الرومَ. فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام).

● ● وما إن استهلَّت سنة اثنتي عشرة للهجرة، حتى كانت جيوش الصديق وأمرأوه الذين بعثهم لقتال أهل الردة، وجيش أسامة الذي بعثه إلى الشام؛ جَوَّالين في البلاد يميناً وشمالاً، فمهدوا قواعد الإسلام، وقتلوا الطغاة من الأنام، وردوا

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٢) واد على مسيرة ليلة من المدينة.

شارد الدين بعد ذهابه، وأعادوا الحق إلى نصابه؛ فصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

ووجه أبو بكر جيوشه للفتوحات:

فكتب إلى خالد بن الوليد - وهو باليمامة، بعد أن فرغ من شأن مسيلمة - يوجهه بمن معه إلى العراق. فنهذ خالد لذلك، وخاض المعارك الفاصلة ضد الفرس، كذات السلاسل، والمدار، واليس، وغيرها. ثم ساروا إلى الحيرة والأنبار وعين التمر، ومنها إلى دومة الجندل.

وبعدها سار خالد بجيشه إلى الفراض - وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة - ووقعت مع الروم معركة هائلة، قتل فيها المسلمون مئة ألف من عدوهم. وجاءت تبشير النصر إلى المدينة، فكتب أبو بكر إلى خالد:

(لا يدخلنك عجب فتحسر وتذل، وإياك أن تدلّ بعملك، فإن الله له المن، وهو ولي الجزاء).

ودخلت سنة (١٣هـ) والضديق عازم على جمع الجنود ليعيئهم إلى الشام، فاستشار رؤوس الصحابة، وسمع منهم، وكتب إلى أهل اليمن يستنفرهم للجهاد، ثم جمع الأمراء من أماكن متفرقة من جزيرة العرب، وعقد لهم الألوية والرايات:

فَعقد لواء لخالد بن سعيد بن العاص فولاه أرض تيماء، وبعث أبا عبيدة على جند آخر ووجهه إلى حمص، وبعث عمرو بن العاص في ثلاثة آلاف وجعله على فلسطين، وشُرْحَيْبِل بن حَسَنَة أقبل من عند خالد من العراق، فأمره على جيش وبعثه إلى الشام، وعقد لواء ليزيد بن أبي سفيان وجعل له دمشق. ثم بعث بإثر خالد بن الوليد إلى الشام فيكون الأمير على مَنْ به.

وجاءت الأمداد إلى الروم فأكملوا مئتين وأربعين ألفاً، وانضم خالد وعكرمة بجيشيهما فأصبح المسلمون زهاء أربعين ألفاً، وتواجه الجيشان في (اليرموك).

وخاض المسلمون مع الصليبيين معركة هائلة، وفي إبانها جاءهم نعيُّ الصديق رضي الله عنه، فأخفي نبأ ذلك عن الجيش لئلا يدب فيهم الضعف، واستكملت الفتوحات في عهد عمر.

● ● وتمخضت عن تلك المعارك الفاصلة أحداث جسام، من أشدها خطراً على الإسلام موث حَفْظَةَ القرآن في (معركة اليمامة). ففزع عمر بن الخطاب لذلك، فالصحابة قد انتشروا في البلدان يبلغون الناس الدعوة، والشهادة أمانة كل واحد منهم، والقرآن محفوظ في صدورهم، مما يجعل موتهم سبباً في ذهاب كثير من القرآن! فأسرع عمر إلى أبي بكر يشاوره في جمع القرآن في مصحف.

روى البخاري عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، مَقْتُلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنْ الْقَتْلُ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرْآنِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرْآنِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَنْهَمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي حُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. حَتَّى خَاتِمَةَ بَرَاءَةِ، فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى

تَوْفَاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتُهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

أخرج أبو يعلى عن علي رضي الله تعالى عنه قال: (أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أولَ مَنْ جَمَعَ القرآنَ بين اللوحين).

استخلافه عمر:

يقول الإمام النووي - وهو يذكر مناقب الصديق وجلائل أعماله -: (ثم حَتَمَ ذلك بمهمّ من أحسن مناقبه وأجل فضائله؛ وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وتفرضه فيه، ووصيته له، واستيداعه الله الأمة، فَخَلَفَهُ اللَّهُ عز وجل فيهم أحسن الخلافة، وظهر لعمر - الذي هو حسنة من حسناته، وواحدة من فعلاته - تمهيد الإسلام، وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله).

وعزم أبو بكر على استخلاف عمر على الناس، فقام وسأل أعيان الصحابة عنه، وسمع رأيهم فيه، وكلهم أطاب الثناء عليه؛ فازداد اطمئناناً لرأيه، وصمم على إعلانه، فدخل عليه بعض الصحابة، وقال له قائل منهم: (ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمرَ علينا، وقد ترى غِلْظَتَهُ؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أيا لله تُخَوِّفُونِي؟! خاب من تزوّد من أمركم بظلم! أقول: اللهم استخلفت عليهم خيراً أهلك. أبلغ عني ما قلت لك من وراءك!!

ثم اضطجع، ودعا عثمان بن عفان فقال: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب! إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم

(١) قوله (استحر): اشتد وكثر. (بالمواطن): هي المواضع التي سيعزو فيها المسلمون، والمعارك التي تكون بينهم وبين أعدائهم. (العُشْب): جمع عَيْب، وهو جريد النخل العريض. (اللِّخَاف): جمع لُخْفَة، وهي حجارة بيضاء رقيقة.

أَلَّ^(١) اللَّهُ ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً. فَإِنَّ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ، وَعِلْمِي فِيهِ، وَإِنْ بَدَّلَ فَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ، وَالْخَيْرَ أَرَدْتُ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢). والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم أمر بالكتاب فحتمه، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً، فبايع الناس، ورضوا به.

ثم دعا عمر خالياً فأوصاه وصيةً طويلة قال في آخرها: (فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك. وإن أنت ضيَّعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت، ولست تعجزه)!

ثم خرج عمر من عنده، فرفع أبو بكر يديه وقال:

(اللهمَّ إني لم أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا صَلَاحَهُمْ، وَخِفْتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ، فَعَمَلْتُ فِيهِمْ بِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، وَاجْتَهَدْتُ لَهُمْ رَأْيِي، فَوَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُمْ، وَأَقْوَاهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَحْرَصَهُمْ عَلَيَّ مَا أُرْشِدُهُمْ. وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِكَ مَا حَضَرَ، فَاخْلُفْنِي فِيهِمْ، فَهَمَّ عِبَادُكَ، وَنَوَاصِيَهُمْ بِيَدِكَ، أَصْلِحْ لَهُمْ وَالْيَهُمْ، وَاجْعَلْهُ مِنْ خَلَفَائِكَ الرَّاشِدِينَ، يَتَّبِعْ هُدَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَهُدَى الصَّالِحِينَ بَعْدَهُ، وَأَصْلِحْ لَهُ رِعْيَتَهُ)^(٣).

وما إن خرج عثمان بن عفان بالكتاب ليخبر الناس، حتى أشرف الصديق عليهم من كوة وقال: (أيها الناس، إني قد عهدت عهداً، أفترضون به؟! فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله. فقام علي فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمراً قال: فإنه عمر)^(٤).

وعن ابن مسعود قال: (أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: الْعَزِيزُ حِينَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ:

(١) أي: لم أقصّر.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن سعد، وقد اختصرت بعضه.

(٤) أخرجه ابن عساکر.

﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(١)، والتي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢). وأبو بكر حين تفرّس في عمر رضي الله تعالى عنهما^(٣).

وصيته قبل موته:

لما دنا أجله دعا ابنته عائشة فأوصاها قائلاً:

(يا بنية، إنا ولينا أمر المسلمين، فلم نأخذ ديناراً ولا درهماً، ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير، إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر)^(٤).

(وانظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبغ فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها؛ إنا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلبي أمر المسلمين، فإذا مت فاردديه إلى عمر).

فلما مات بعثت عائشة بذلك إلى عمر، فلما رأى ذلك عمر يُحمل إليه قال: (يرحم الله أبا بكر، لقد أتعب من جاء بعده)^(٥).

وأخرج ابن سعد عن عائشة أن أبا بكر لما حضرته الوفاة دعاها فقال: (إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إليّ غنى منك، ولا أعز عليّ فقراً منك، وإنني كنت نحلّك من أرض بالعالية جداد - يعني صرام - عشرين وسقاً، فلو كنت جدّته تماًراً

(١) سورة يوسف: الآية ٢١.

(٢) سورة القصص: الآية ٢٦.

(٣) أخرجه ابن سعد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه ابن سعد وابن أبي الدنيا. قوله (البعير الناضح): هو البعير الذي يستقى عليه الماء. (جرد هذه القطيفة): التي اتجردت حملها وبلت.

(٥) أخرجه الطبراني في مسنده، وابن سعد. اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. الجفنة: القصة.

عاماً واحداً انحازَ لكِ، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ. فقلت: إنما هي أسماء. فقال: وذات بطنِ ابنةِ خارِجة، قد أَلْقِي في رُوعِي أنها جارية، فاستوصي بها خيراً. فولدتُ أمَّ كلثوم^(١)!

مرض الموت، ووصيته في تركته، ووفاته:

كان أول مرض أبي بكر - كما روت ابنته عائشة رضي الله تعالى عنها - (أنه اغتسل يوم الاثنين لسَبْعِ خَلْوَنَ من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فَحَمَّ خمسة عشر يوماً، لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمرَ يصلي بالناس، ويدخل الناسُ عليه يعودونه، وهو يثقل كل يوم، وكان عثمانُ ألزَمَهُم له في مرضه).

وأوصى بخمس ماله، وقال: (أخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين). وقال: (لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربيع، وأن أوصي بالربيع أحب إلي من أن أوصي بالثلث، ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئاً).

وكان يقول في دعائه: (اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك).

ولما رأته السيدة عائشة يعالج سكرات الموت تمثّلت بقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فكشفت عن وجهه وقال: ليس كذلك، ولكن قولِي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: فِي كَمْ كَفَّتُمُ النَّبِيَّ ﷺ؟ قَالَتْ: فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضِ

(١) قوله (جداد): الجداد: قطع ثمرة النخل. والوسق: بكيلة معلوقة، وهي ستون صاعاً. ابنة خارِجة): هي حبيبة بنت خارِجة بن زيد، زوج أبي بكر. (ذات بطن): يشير إلى أنها حامل، وقد ولدت له - بعد وفاته - جارية كما ظنَّ رضي الله عنه!

سُحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. وَقَالَ لَهَا: فِي أَيِّ يَوْمٍ تُؤْفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَتْ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. قَالَ: أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فَنَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يَمْرُضُ فِيهِ، بِهِ رَدْعٌ مِنْ رَعْفَرَانٍ، فَقَالَ: اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا، وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ، فَكَفَّنُونِي فِيهَا. قُلْتُ: إِنَّ هَذَا خَلْقٌ؟ قَالَ: إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهَلَّةِ. فَلَمْ يُتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ، وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبَحَ.

وأوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس، ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر، وأن يُدفن جنب رسول الله ﷺ.

عمره ومدة خلافته:

كانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وأياماً. وتجمع الروايات على أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأنه استوفى بخلافته سنَّ رسول الله ﷺ.

زوجاته وأولاده:

تزوج أربع نسوة، هن: قُتَيْلَةُ بنت عبد العزى، وأم رومان بنت عامر، وأسماء بنت عميس، وحبّيبَةُ بنت خارجة.

وله من الولد ستة، ثلاثة ذكور وثلاث إناث.

فالذكور هم: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد.

والإناث هن: عائشة أم المؤمنين، وأسماء ذات النطاقين، وأم كلثوم ولدت بُعَيْد وفاته رضي الله عنه.

رحم الله أبا بكر ورضي عنه، وحشرنا في زمرة وأمانتنا على محبته.

* * *

(٢) ٢ - عُمر بن الخطَّاب^(١)

٤٠٠ هـ - ٢٣ هـ

(١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٤٦ - ١٣٥١، صحيح مسلم ٤/١٨٥٨ - ١٨٦٥، سنن الترمذي ٥/٦٠٩ - ٦٢٣، سنن ابن ماجه ١/٣٨ - ٤٠، مسند أحمد ١/١٤، المستدرك ٣/٨٠ - ٩٥، جامع الأصول ٨/٦٠٦ - ٦٣٢، مشكاة المصابيح ٣/١٧٠٢ - ١٧١١، ١٧١٧ - ١٧١٨، ١٧٢٦ - ١٧٢٧، ١٧٣٠، مجمع الزوائد ٩/٦٠ - ٧٩، المطالب العالية ٤/٤٠ - ٤٩، الفتح ٧/٤٠ - ٥٢، طبقات ابن سعد ٣/٢٦٥ - ٣٧٦، تاريخ يحيى بن معين ٢/٤٢٧ - ٤٢٨، طبقات خليفة ٢٢، تاريخ خليفة «انظر فهرس الأعلام»، العلل لأحمد «انظر فهرس الأعلام»، التاريخ الكبير للبخاري ٦/١٣٨ - ١٣٩ ت ١٩٥٢، التاريخ الصغير له ١/٦٨، ٧٠ - ٨٢، ١٣٧، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي «انظر فهرس الأعلام»، أخبار القضاة لوكيع «انظر فهرس الأعلام»، فضائل الصحابة للنسائي ٥ - ١٢، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٦/١٠٥ - ١٠٦ ت ٥٥٨، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٢٣ ت ٣، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٤٤، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/٥٠٦ - ٥٠٧ ت ٧٨٠، حلية الأولياء ١/٣٨ - ٥٥، جمهرة الأنساب لابن حزم «انظر فهرس الأعلام»، جوامع السيرة له «انظر فهرس الأعلام»، الاستيعاب ٢/٤٥٠ - ٤٦٦، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٩ - ٢١، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٣٣٨ - ٣٣٩ ت ١٢٧٨، الأنساب للسمعاني ٤/١٦٧ «العدوي»، صفة الصفوة ١/٢٦٨ - ٢٩٣، الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، أسد الغابة ٤/٥٢ - ٧٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣ - ١٥، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٨/٢٦١ - ٣٥١، تهذيب الكمال ٢١/٣١٦ - ٣٢٦، ت ٤٢٢٥، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء ٢٥٣ - ٢٨٤، العبر ١/٢٠، دول الإسلام ٦ - ٧، ٩ - ١١، تذكرة الحفاظ ١/٥ - ٨، البداية والنهاية ٣/٣١، ٧٩ - ٨٢، ١٧٢، ٢٠٦، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣١٣، ٢٤/٤ - ٢٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٧، ٢٠٠، ٢١٩، ٢٣٣/٥، ٢٤٢، ٢٤٥ - ٢٤٧، ٢٠١/٦ - ٢٠٤، ٣٠١ - ٣٠٥، ٣٥٣، ١٨/٧ - ١٤٥، ٢٠٤ - ٢٠٥، غاية النهاية ١/٥٩١، الإصابة ٢/٥١١ - ٥١٢، تهذيب التهذيب ٧/٣٨٥ - ٣٨٧، تقريب التهذيب ٢/٥٤، الرياض المستطابة ١٤٧ - ١٥٥، تاريخ الخلفاء ١٠٨ - ١٤٧، شذرات الذهب ١/٣٣، حياة الصحابة: صفحات كثيرة متفرقة «انظر فهرس الأعلام». وغير ذلك.

اسمه ونسبه ونسبته، وكنيته ولقبه:

عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، العدوي نسبة إلى عدي بن كعب.

يجتمع مع النبي ﷺ في (كعب).

كنيته: (أبو حفص)، كناه به رسول الله ﷺ، فيما رواه ابن إسحاق في (سيرته).
ولقبه: الفاروق.

مولده:

ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة، وذلك قبل البعثة النبوية بسبع وعشرين سنة. وثمة رواية عن عمر تذكر أنه وُلد قبل الفِجَار الأعظم بأربع سنين، أي قبل المبعث بثلاثين سنة.

أبواه:

أبوه الخطاب بن نُفَيْل كان أحد الرجال الأشداء في قريش. روى ابن سعد بسنده عن سليمان بن يسار قال: (مَرَّ عُمَرُ بن الخطاب بِضَجْنَانَ^(١) فقال: لقد رأيتني وإني لأرعى على الخَطَّاب في هذا المكان، وكان - والله - ما علمتُ قطاً غليظاً، ثم أصبحتُ إلى أمر أمة محمد ﷺ).

وأمه حَتِّمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْرُوم، ابنة عم أبي جهل والحارث ابني هشام بن المغيرة.

صفته وجليته:

وصفه من رآه بأنه رجل آدم، أَعْسَرَ يَسْر - وهو الذي يعمل بيديه جميعاً -

(١) ضجنان: جبل بناحية مكة على طريق المدينة، قال الواقدي: بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً.

أصلع، طَوَالَ جِداً، قد فَرَعَ النَّاسَ^(١) طَوَلاً، إذا كان بينهم بدا كأنه راكب على دابة والناس يمشون، ضخم جسيم كأنه من رجال بني سدوس، سَبَلْتُهُ كَبِيرَةً، في أطرافها صُهْبَةٌ^(٢)، وفي عارضيه خفة^(٣).

يَصْفُرُ لِحِيته، ويرجُل^(٤) رأسه بالحنَاء.

إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع. يصرع الفتيان في (سوق عكاظ) فيصرعهم، ويبلغ من فروسيته وشدة بنيانه أن وصفه مولاه أسلم بقوله: (رأيتُ عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس، ويأخذ بيده الأخرى أذنه، ثم يَنْزُو على مَتْنِ الفرس).

إذا غضب أخذ بشاربه وجعل ينفخ ويقتل شاربه!

مكانته في قريش:

كان عمر رضي الله تعالى عنه من أشرف قريش، وإليه كانت السَّفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم، أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيراً - أي رسولاً - وإذا نافروهم منافراً^(٥) أو فاخرهم مفاخر رضوا به وبعثوه منافراً أو مفاخرأ.

وأعظم دليل على سمو مكانته، وخطورة شأنه؛ دعوته ﷺ ربه أن يعز الإسلام ويشده ويؤيده بعمر.

(١) فَرَعَ الشَّيْءَ فَرَعًا وفُرُوعًا: عَلَاهُ.

(٢) السَّبَلَةُ: طرف الشارب. والصُّهْبَةُ: صفرة تضرب إلى الحمرة والبياض.

(٣) العَارِضُ: جانب الوجه، وصَفْمَةُ الحَدِّ، وهما عارضان، يقال: هو خفيف العارضين: شَعْرُ العَارِضَيْنِ.

(٤) رَجَّلَ الشعر: سَوَّاهُ وَزَيَّنَهُ.

(٥) تنافر الرجلان إذا تفاخرا ثم حَكَّما بينهما واحداً، والمُنافرة: المفاخرة والمُحاكمة.

إسلامه:

وقف عمر في بداية الدعوة الإسلامية في الصف المعادي للإسلام، ولم يسلم منه حتى أخته وصهره سعيد بن زيد الذي قال: (لَوْ رَأَيْتُنِي مُوثِقِي عُمَرَ عَلَى الْإِسْلَامِ، أَنَا وَأَخْتُهُ، وَمَا أَسْلَمَ) (١).

وكان الرسول ﷺ يدعو الله يقول: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» (٢).

وأخرج الحاكم عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ» (٣).

ويحدث عمر عن بدايات اقترابه من الإسلام ووقوعه في قلبه، فيما يرويه الإمام أحمد عنه قال: (خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ فوجدته سبقني إلى المسجد، فقمتم خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فَقَرَأَ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾! فقلت: كاهن. قَالَ: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ حتى ختم السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع).

ومرَّ عُمر ذات يوم بأُم عبد الله بنت أبي حثمة وقد ترحَّلت للهجرة إلى أرض الحبشة، فرآها عمر على تلك الحالة، فقال لها: (إنه للانطلاق يا أمَّ عبد الله؟) قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجنَّ في أرض الله، أذيتمونا وَقَهَرْتَمُونَا، حتى يجعل الله مخرجاً. قالت: فقال: صَحَبَكُمُ اللهُ، ورأيتُ له رِفَّةً لم أكن أراها، ثم

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. ورواه أيضاً أحمد في «مسنده»، وابن سعد في «الطبقات»، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وصححه ابن حبان.

(٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

انصرف وقد أخزَنه - فيما أرى - خروِجنا^(١).

وأخرج ابن سعد - واللفظ له - وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك قال: (خرج عمر متقلِّدَ السيف، فلقبه رجلٌ من بني زُهرة، قال: أين تَعْمِدُ يا عمر؟ فقال: أريدُ أن أقتلَ محمداً. قال: وكيف تأمُنُ في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلتَ محمداً؟ قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صَبَوْتَ وتركتَ دينك الذي أنتَ عليه! قال: أفلا أدُلُّكَ على العجب يا عمر؟ إنَّ ختنتك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنتَ عليه. قال فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجلٌ من المهاجرين يقال له خَبَّاب. قال فلَمَّا سمعَ خَبَّابَ حَسَّ عمر تواري في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيِّمَةُ التي سمعْتُها عندكم؟ قال وكانوا يقرؤون (طه) فقالا: ما عدا حديثاً تحدَّثناه بيننا، قال: فلعلَّكما قد صبوتما؟ قال فتال له ختته: رأيت يا عمر إن كان الحقُّ في غير دينك؟ قال فوثب عمر على ختته فوطئه وطأً شديداً فجاءت أختُه فدفعته عن زوجها فنضحها بيده نضحاً فدَمَى وجهها فقالت وهي غضبي: يا عمر إن كان الحقُّ في غير دينك! أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسول الله. فلَمَّا يَسَّ عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه. قال وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ. قال فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه) حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾. قال فقال عمر: دُلُّوني على محمَّد. فلَمَّا سمعَ خَبَّابَ قولَ عمر خرج من البيت فقال: أبشِر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام». قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا. فانطلق عمر حتى أتى الدار، قال وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلَمَّا رأى حمزة وجَلَّ القوم من عمر قال

(١) أخرجه ابن إسحاق - وهذا لفظه - والطبراني. قال المحدث محمد بن يوسف الصَّالِحِي في

«سبل الهدى والرشاد»: سنده صحيح.

حمزة: نعم فهذا عمر فإن يُرِدَ اللهُ بعمر خيراً يُسَلِّمُ ويتبع النبي ﷺ، وإن يُرِذْ غير ذلك يكن قتله علينا هيناً. قال والنبي، عليه السلام، داخلٌ يُوحى إليه، قال فخرج رسول الله ﷺ، حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحماثل السيف، فقال: «أما أنت متتياً يا عمر حتى يُنزلَ اللهُ بك من الخِزْي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟! اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعزّ الدينَ بعمر بن الخطاب». قال: فقال عمر: أشهدُ أنك رسول الله. فأسلم وقال: اخرجُ يا رسول الله).

وأسلم عمر في السنة السادسة للبعثة، بعد أربعين نفراً كانوا سبقوه للإيمان بالله ورسوله.

جهره بإسلامه:

وقام عمر يجهر بإسلامه، لا يخاف قريشاً وجبروتها، ودوى بصوته المجلجل الذي صكّ آذان المشركين، فقال: (والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، غير هائب ولا خائف).

وذهب إلى أبي جهل ففرع عليه بابه وأخبره بأنه قد أسلم، ثم ذهب إلى رجل آخر من عظماء قريش ففعل مثل ذلك. وأتى جميل بن مَعْمَر الجُمَحِيّ - وكان نقالاً للحديث - فأخبره بإسلامه.

روى ابن إسحاق عن ابن عُمَرَ قال: (لما أسلم أبي عُمَرُ قال: أيُّ قريش أنقلُ للحديث؟ فقيل له: جميل بن مَعْمَر الجُمَحِيّ. قال: فَعَدَا عليه، قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيتُ، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميلُ أنني قد أسلمت ودخلتُ في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه، وأتبعه عمر، واتبعْتُ أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرَّخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أُنْدِيَتِهِمْ حول الكعبة - أَلَا إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ. قال: ويقول عمرُ من خلفه: كَذَبَ، ولكني قد أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما

برح يُقاتلهم ويُقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وَطَلِحَ^(١)، فقَعَدَ وقَامُوا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كُنَّا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا...^(٢).

عزة الإسلام والمسلمين بإسلام عمر:

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (مَا زِلْنَا أَعْرَةَ مِنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ).

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود قال: (كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا).

وعند ابن سعد من طريق الواقدي عن صُهَيْب بن سنان رضي الله تعالى عنه قال: (لما أسلم عمر ظَهَرَ الإسلامُ ودُعِيَ إليه علانية، وجلسنا حول البيت حِلَقاً، وطُفْنَا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به).

وأخرج البزار والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما أسلم عمر رضي الله عنه قال المشركون: اليوم انتصف القوم منا)^(٣).

لقبه «الفاروق»:

لقب عمر هو: (الفاروق) باتفاق، وأول من لقبه به النبي ﷺ. ففي اليوم الذي أعلن فيه إسلامه وقف بين يدي رسول الله ﷺ قائلاً: (يا رسول الله، أَلَسْنَا على الحقِّ إن مُتْنَا وإن حَيِينَا؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده، إنكم على الحق إن

(١) طَلِحَ: أَعْيَا.

(٢) قال المحدث محمد بن يوسف الصالحي في «سيرته»: سنده صحيح.

(٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، مع أن فيه «النضر بن عبد الرحمن أبا عمر الخَزَّاز» قال فيه الذهبي في «الكاشف»: ساقط. وقال الحافظ في «التقريب»: متروك، ومثله قال الهيثمي في «مجمع الزوائد».

مُتُّمٌ وَإِنْ حَيَيْتُمْ». فقلتُ: ففيمَ الاختفاء؟! والذي بعثك بالحق لنخرجنَّ! فأخرجناه في صَفَيْنِ: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كَدِيدٌ ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، قال: فنظرتُ إليَّ قريشٌ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبةٌ لم يصيبهم مثلها، فسَمَّاني رسولَ الله ﷺ يومئذ: (الفاروق)^(١).

وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال: (قلت لعائشة: من سمى عمر: الفاروق؟ قالت: النبي عليه السلام).

هجرته:

روى الإمام المؤرخ ابن الأثير في (أسد الغابة) بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (ما علمتُ أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب فإنه لما همَّ بالهجرة تقلَّد سيفه، وتكبَّ قوسه^(٢)، وانتضى^(٣) في يده أسهماً، واختصر عَنزته^(٤)، ومضى قَبْلَ الكعبة والمأى من قريش بِقِنَائِهَا، فطاف بالبيت سبعاً متمكِّناً، ثم أتى المَقَامَ فصلى متمكِّناً، ثم وقف على الحِلْقِ واحدة واحدة وقال لهم: شأهتِ^(٥) الوجوه، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس^(٦)! مَنْ أراد أن تُكَلِّهُ أمه، ويؤتَمَ ولده، وترْمُلَ زوجته؛ فليلقني وراء هذا الوادي! قال علي: فما تبعه أحد، إلا قوم من المستضعفين علَّمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه).

وأخرجه ابن عساكر بنحوه، كما أخرج عن البراء رضي الله عنه قال: (أول

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» وابن عساكر. ومعنى (كديد): هو التراب الناعم فإذا وطئ ثار غباره، أراد أن الغبار كان يثور من مشيهم كغبار الطحين.

(٢) أي وضعها في منكبها.

(٣) انتضى السهم: أخرجه من الكنانة فجعله في يده.

(٤) العنزة: أطول من العصا وأقصر من الرُّمَح، وفيها سِنَانٌ مثل سنان الرمح. والعكازة قريب منها. واختصرها: أي وضعها على خصره.

(٥) أي قَبِحَتْ.

(٦) المعاطس: جمع مَعَطِيس، وهو الأنف.

من قدم علينا من المهاجرين مُضْعَب بن عُمَيْر، ثم ابن أم مَكْتُوم، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً).

مشاهده:

شهد عمر مع رسول الله ﷺ بدرأً وأُحْدَأً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحُنيناً والطائف وتبوك، وسائر المشاهد. وأمره النبي ﷺ على بعض السرايا. وكانت له مواقف مشهودة محمودة، وكان شديداً على الكفار والمنافقين.

ففي بدر: أشار على النبي ﷺ بقتل الأسرى، ونزل القرآن على وفق قوله في ذلك.

وفي أُحُد: كان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ. وقد تصدى لأبي سفيان عندما لعبت نشوة النصر برأسه، وظن أن النبي وأبا بكر وعمر قد ماتوا في المعركة:

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه - في حديث طويل - قال: (فلم يبقَ مع النبي ﷺ عَشْرُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابَ من المشركين يوم بَدْرٍ أربعين ومئة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً. فقال أبو سفيانَ: أفي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يُجيبوه. ثم قال: أفي القوم ابنُ أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابنُ الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أَمَا هؤُلاءِ فقد قُتِلُوا. فَمَا مَلِكُ عَمْرٍ نَفْسَه فقال: كذبتَ واللَّهِ يا عدوَّ اللهِ، إِنَّ الذينَ عَدَدْتَ لأحياءَ كلِّهم، وقد بقي لك ما يَسُوؤُكَ!!)

وفي الحديبية: بعد أن تم الصلح بين المسلمين والمشركين، ومُنِع الرسول ﷺ وصحبه من الاعتمار والطواف بالبيت، فكان لعمر هذا الموقف الفذ الذي يتناسب مع طبيعته في شدته على الكفار:

روى البخاري عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومَرْوان بن الحَكَم - في حديث طويل

جداً -: (فقال عمرُ بن الخطاب: فأتيْتُ نبيَّ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: ألسْتَ نبيَّ اللَّهِ حقاً؟ قال: «بلى». فقلتُ: ألسْنَا على الحقِّ وعدُّونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلتُ: فلمْ نعطي الدنيَّةَ في ديننا إذا؟ قال: «إني رسولُ اللَّهِ، ولستُ أعصيه، وهو ناصري»). قلتُ: أوليسَ كنتَ تحدُّثنا أنَّ سنأتي البيتَ فنطُوفُ به؟ قال: «بلى، فأخبرْتُكَ أنَّ نأتيه العامَّ؟» قال: قلتُ: لا. قال: «فإنَّكَ آتِيهِ ومُطُوفٌ بِهِ». قال الرَّهريُّ: قال عمرُ: فَعَمِلْتُ لذلكُ أَعْمالاً).

قال الحافظ في (فتح الباري): (قوله: (أعمالاً): المرادُ به الأعمالُ الصالحة، ليكفِّرَ عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداءً. وقد ورد عن عمر التصريحُ بمراحه بقوله: (أعمالاً): ففي رواية ابن إسحاق: (وكان عمر يقول: ما زلتُ أنصدِّقُ وأصومُ وأصلِّي وأعتقُ من الذي صنعتُ يومئذٍ، مخافةً كلامي الذي تكلمتُ به).

ثم قال في بيان سبب توقف عمر رضي الله عنه: (والذي يظهر أنه توقَّفَ منه ليقفَ على الحكمة في القصة، وتنكشف عنه الشبهة. ونظيره قصته في الصلاة على عبد الله بن أبي، وإن كان في الأولى لم يطابق اجتهاده الحكم بخلاف الثانية، وهي هذه القصة، وإنما عمل الأعمال المذكورة لهذه، وإلا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه، بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه).

حبه للنبي ﷺ، ودفاعه عنه:

روى البخاري عن عبد الله بن هشام بن زهرة التيمي قال: (كُنَّا مَعَ النبي ﷺ، وهو آخِذٌ بيدِ عُمر بن الخطاب، فقالَ له عمر: يا رسولَ اللَّهِ، لأنَّ أحبَّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنَّه الآن - واللَّهِ - لأنَّ أحبَّ إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «الآنَ يا عُمَرُ»^(١)).

(١) قال الحافظ في «الفتح»: (الآنَ يا عمر: أي الآنَ عرفتَ فنطقتَ بما يجب. وأما تقريرُ بعض =

وأخرج الشيخان عن عمر رضي الله عنه: (أنه جاء إلى الحَجَرِ الأسودِ فقبَّلهُ، فقال: إني أعلمُ أنك حجرتُ، لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولولا أني رأيتُ النبيَّ ﷺ يقبُّلكَ ما قبَّلتُك).

ولما وقع العباس عم النبي ﷺ أسيراً يوم بدر بيد رجل من الأنصار، ثم أطلقه الأنصار لعلمهم برغبة الرسول ﷺ بذلك، فأخذه عمر، فلما صار في يده قال له عمر: (يا عباس أسلم، فوالله لئن تُسلم أحب إليّ من أن يسلم الخطاب؛ وما ذلك إلا لما رأيتُ رسولَ الله يعجبه إسلامك)^(١).

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبسَ عمرُ ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبِحَ للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صبَّ ماءٌ بدمِ الفرخين فأصاب عمرَ، فأمر عمرُ بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه، ثم جاء فصلَّى بالناس، فاتاه العباس فقال: والله إنه للموضعُ الذي وضعه رسول الله ﷺ. فقال عمرُ للعباس: وأنا أعزم عليك لَمَّا صعَدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ! ففعل ذلك العباس).

وجاء خبر يهود زيد بن سَعْنَةَ إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً، وقد أراد أن يستكمل معرفة علامات النبوة فيه، فقال للنبي ﷺ - وهو في جنازة مع أصحابه -: (يا محمد، ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لَمُطِل! قال زيد: فنظر إليَّ عمرُ وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير! ثم قال: يا عدوَّ الله، أتقولُ لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر من لومه لضربتُ بسيفي رأسك)^(٢)!

الشرح: الآن صارَ إيمانك معتداً به، إذ المرء لا يعتدّ بإيمانه حتى يقتضي عقله ترجيح جانب الرسول، ففيه سوء أدب في العبارة.

- (١) أخرجه ابن مردويه والحاكم.
(٢) من حديث طويل في قصة إسلام زيد، وقد أخرجه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب «أخلاق النبي ﷺ» وأبو نعيم في «الدلائل».

ولما انقضت غزوة بدر، وذكر المشركون مصابهم في قتالهم، عزم عُمَيْرُ بن وَهَبِ الجُمَحِيُّ على قتل رسول الله ﷺ، فَشَحَذَ سيفه وانطلق حتى قدم المدينة، وأناخ على باب المسجد. فرآه عمرٌ - في نفرٍ من المسلمين - فقال: (هذا الكلب عدو الله عُمَيْرُ بن وَهَبِ، والله ما جاء إلا لشرٍّ، وهو الذي حرَّشَ بيننا، وحرَّزنا للقوم ببدر. ثم أقبل عمر حتى أخذ بِحِمَالَةِ سيفه في عُنُقِهِ فَلَبَّيْهُ بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غيرُ مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ^(١)).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: (بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ وهو يَقْسِمُ قَسْمًا، أتاهُ ذو الخُوَيْصِرَةِ - وهو رجلٌ من بني تَمِيمٍ - فقال: يا رسول الله اغدِلْ. فقال: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَغْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قد خبتُ وخسرتُ^(٢)» إن لَمْ أكنُ أعدلُ». فقال عمرٌ: يا رسول الله، ائذُنْ لي فيه فأضرب عُنُقَهُ؟ فقال: «دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أصحاباً يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يقرؤون القرآن لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ مروقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ...»).

إيمانه وتدينه، وتقواه، وخوفه ورجاؤه، وزهده وتواضعه:

لقد بلغ الفاروق أوجاً شاهقاً في محراب الإيمان والتقوى، والتبتل والتنسك، وأصدق ما يعبر عن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا أنا نائمٌ، رأيتُ الناسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وعليهم قُمْصٌ، فمنها ما يبلغُ التُّدَيَّ، ومنها ما يبلغُ دُونَ ذلك، وعُرِضَ عَلَيَّ عمرٌ وعليه قميصٌ اجتره». قالوا: فما أولئكَ يا رسول الله؟ قال: «الدِّين»^(٣)).

(١) أخرجه ابن إسحاق. ومعنى (حرَّشَ): أفسدَ. (حرَّزنا): قدَّر عددنا تخميناً.

(٢) قوله (قد خبت وخسرت): روي بفتح التاء وبضمها فيهما، والفتح أشهر.

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم والنسائي والترمذي.

وهذه المرتبة المنيفة التي اقتعتها عمر جعلت إبليس يفرق منه، ويفر من طريقه، بل وشياطين الإنس والجن كذلك:

قال عليه السلام: «إيهأ يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك»^(١).

وروى الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فرّوا من عمر»^(٢).

وأخرج ابن مبيّع في (مسنده) عن علي رضي الله عنه قال: (كنا أصحاب محمد لا نسلك أن السكينة تنطق على لسان عمر).

وعن علي أيضاً قال: (إذا ذكر الصالحون فحيّلاً بعمر، ما كنا نبعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن السكينة تنطق على لسان عمر)^(٣).

● ● حدث عبد الله بن شداد عن صلاة عمر فقال: (سمعت نسيح عمر رضي الله عنه وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ سورة يوسف حتى بلغ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٤)^(٥)).

وقال عبيد بن عمير: (صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف، فقرأها حتى إذا بلغ: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٦)، بكى حتى انقطع، فركع).

وحدثت إحدى زوجات عمر عن صلواته بالليل فقالت: (كان يصلي العتمة،

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الألباني والأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن.

(٤) سورة يوسف: الآية ٨٦.

(٥) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن سعد والبيهقي.

(٦) سورة يوسف: الآية ٨٤.

ثم يأمر أن نضع عند رأسه تَوْرًا من ماء نغْطِيه، ويتعازَّ من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه، ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر، ثم يتعازَّ مراراً حتى يأتي على الساعة التي يقوم فيها لصلاته^(١).

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال: قال عمر رضي الله عنه في ركعتين قبل الفجر: (لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ).

● ● وأخرج ابن أبي داود عن ابن عباس قال: (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه).

وربما دعا أبا موسى الأشعري - وكان حسن الصوت جداً - وقال له: (ذَكَّرْنَا رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ)، فيقرأ عليه القرآن.

● ● وكان يصوم الدهر، وحجَّ في خلافته بالناس عشر حجج متوالية:

أخرج ابن أبي شيبة في (مصنفه) والبيهقي في (سننه) عن ابن عمر قال: (ما مات عمر حتى سرَّ الصوم).

وعند ابن سعد أن عمر (لم يزل يحجُّ بالناس في كل سنة خلافته كلها، فحجَّ بهم عشر سنين ولاءً، وحجَّ بأزواج النبي عليه السلام في آخر حجَّة حجَّها بالناس سنة ثلاثٍ وعشرين، واعتمَرَ عمرُ في خلافته ثلاثَ مرَّات).

● ● وأما جوده وزهده: فقد روى مولاه أسلم فقال: (سألني ابنُ عمر عن بعض شأنه - يعني عمر - فأخبرته. فقال: ما رأيتُ أحداً قط، بعد رسول الله ﷺ من حين قبض، كان أجَدَّ وأجودَّ، حتى انتهى: من عمر بن الخطاب)^(٢).

ووصف معاوية رضي الله عنه زهد عمر فقال: (أما أبو بكر: فلم يُرد الدنيا

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات. ومعنى (العتمة): صلاة العشاء. (توراً): إناء. (يتعار): يستيقظ.

(٢) أخرجه البخاري. قوله (أجدد): أي في الأمور. (أجود): في الأموال. (حتى انتهى): أي إلى آخر عمره.

ولم ترده . وأما عمر : فأرادته الدنيا ولم يردها .

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (ما كان عمر بأقدمنا هجرة ، وقد عرفت بأي شيء فضلنا ، كان أزهدها في الدنيا) .

● ● وكان على جانب عظيم من الخوف والرجاء : روى البخاري من حديث المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عَمَرَ قَالَ - لَمَّا طَعَنَ - : (وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ^(١) الْأَرْضِ ذَهَبًا ، لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ) .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : (رأيتُ عمرَ بن الخطاب أخذ تِبْنَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ التَّبْنَةَ ، لَيْتَنِي لَمْ أُخْلَقْ ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا) !

وأخرج عن عثمان بن عفان قال : (أَخْرَجُ كَلِمَةَ قَالَهَا عَمْرٌ حَتَّى قَضَى : وَيْلِي وَيْل أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، وَيْلِي وَيْل أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، وَيْلِي وَيْل أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي) !

وعن أبي عثمان النهدي قال : (سَمِعْتُ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي السَّعَادَةِ فَأَثْبِتْنِي فِيهَا ، وَإِنْ كُنْتُ كَتَبْتَنِي فِي الشَّقَاوَةِ فَاْمُحْنِي مِنْهَا وَأَثْبِتْنِي فِي السَّعَادَةِ ؛ فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ)^(٢) .

قوله الحق ، وموافقاته :

أخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمَرَ وَقَلْبِهِ »^(٣) .

(١) ما يملأ الأرض حتى يطلع ويسيل .

(٢) أخرجه الألائكائي ، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر أخصر منه .

(٣) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . وحسنه الألباني والأرناؤوط .

وعند أبي داود وابن ماجه عن أبي ذر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمَرَ يَقُولُ بِهِ»^(١).

وكان رضي الله عنه مُلْهِمًا مُحَدِّثًا، تقع الوقائع وتحدث المشكلات، فيكون له فيها رأي، فيأتي الوحي مؤيِّدًا لرأيه. بل إن عمر يرى أموراً يتمنى أن تبدل، ويستحسن أموراً أخرى ويرجو أن تكون؛ فيتنزّل القرآن وفق ما تحدّث به عمر وتمناه.

أخرج مسلم والترمذي عن عائشة، عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ»^(٢)، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عَمَرَ بَنَ الْخَطَابِ مِنْهُمْ». لفظ مسلم، وبنحوه عند البخاري من حديث أبي هريرة، مُسْنَدًا وَمُعَلَّقًا.

● ● روى البخاري ومسلم عن أنسٍ قال: قال عمر: (وافقْتُ ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلتُ: يا رسولَ الله لو اتَّخَذتَ من مقام إبراهيم مُصَلًى. وقلتُ: يا رسولَ الله، يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرت أمهاتِ المؤمنين بالحجاب، فأنزلَ اللهُ آيةَ الحجاب. قال: وبلغني معاتبَةُ النَّبِيِّ ﷺ ببعضِ نساءِه، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إن انتَهَيْتُنَّ أو لِيُبَدِّلَنَّ اللهُ رسولَه ﷺ خيراً منكنَّ، حتى أتيتُ إحدى نساءِه، قالت: يا عمر، أما في رسولِ الله ﷺ ما يعظُ نساءه، حتى تعظهنَّ أنت؟! فأنزلَ اللهُ: ﴿عسى ربه إن طلقكنَّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنَّ مسلماتٍ﴾، الآية^(٣)!

قال الإمام الحافظ ابن حجر في (الفتح): (قوله: (وافقْتُ ربي في ثلاث):

(١) قال عبد القادر الأرناؤوط: حديث حسن.

(٢) أي يجري الصواب على ألسنتهم، أو يخطر ببالهم الشيء فيكون؛ بفضل من الله تعالى وتوفيق.

(٣) سورة التحريم: الآية ٥.

أي وقائع، والمعنى: وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار به إلى حدوث رأيه وقدم الحكم. وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، من مشهورها: قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين، وهما في الصحيح. وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: (ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر؛ إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر). وهذا دالٌّ على كثرة موافقته، وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر، لكن ذلك بحسب المنقول). انتهى.

وكان من رأيه أن لا يُصَلَّى على منافق مات أبداً، فعن ابن عباس، عن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه. أنه قال: (لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُوْلٍ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَّثُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيَ عَلَى ابْنِ أَبِي، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ أَعَدَّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «أَخْزَعْنِي يَا عُمَرُ». فَلَمَّا أَكْثُرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «إِنِّي خَيْرْتُ فَأَخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا». قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَنْصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكِّنْ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَاتِ مِنْ بَرَاءةٍ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا - إِلَى - وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾. قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدَ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ^(١).

وتمنى تحريم الخمر، وكان يقول: (اللهمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ).
فأنزل الله تحريمها^(٢).

ونزل القرآن بتأييد رأيه في أسارى بدر.

- (١) رواه البخاري، وأخرجاه من حديث ابن عمر.
(٢) الحديث أخرجه بطوله أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم. وصححه الترمذي وابن المديني، والحاكم ووافقه الذهبي.

وغير ذلك من موافقاته، وهي كثيرة كما قدمنا عن الحافظ ابن حجر.

شدته في الحق، ووقوفه عنده:

أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أَزْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَمْرٌ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَقْرَضَهُمْ زَيْنُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنْ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١).

وقال ﷺ في قصة أسارى بدر: «وإِنْ مَثَلَكُ يَا عَمْرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا﴾»^(٢). وَإِنَّ مَثَلَكُ يَا عَمْرُ كَمَثَلِ مُوسَى قَالَ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾»^(٣)...»^(٤).

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عمر قال: (ما رأيتُ عمرَ غَضِبَ قطُّ فذُكِرَ اللهُ عنده، أو خُوفٌ، أو قرأ عنده إنسانُ آيةً من القرآن؛ إلا وَقَفَ عما كان يريد).

وأخرج عن أسلم مولى عمر قال: (جاء بلالٌ يريد أن يستأذن على عمر، فقلتُ: إنه نائم. فقال: يا أسلم، كيف تجدون عمر؟ فقلت: خير الناس، إلا أنه إذا غضب فهو أمرٌ عظيم! فقال بلال: لو كنتُ عنده إذا غضب قرأتُ عليه القرآن حتى يذهب غضبه).

وعنده - أيضاً - عن مالك الدار^(٥) قال: (صاح عليٌّ عمرُ يوماً وعلاني

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الأرنؤوط: وهو كما قال.

(٢) سورة نوح: الآية ٢٦.

(٣) سورة يونس: الآية ٨٨.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم.

(٥) هو مالك بن عياض، مولى عمر، له إدراك. ترجم له الحافظ في «الإصابة» ترجمة

(٨٣٥٨).

بِالدُّرَّةِ، فَقُلْتُ: أَذْكُرُكَ بِاللَّهِ! قَالَ: فَطَرَحَهَا وَقَالَ: لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي عَظِيمًا!!

لقد كان رضي الله عنه وقافاً عند كتاب الله وأوامره، رجاعاً إلى الحق، ملتزماً به لا يريم.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ، فَتَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ الثَّقَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا بَنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ).

علمه ومروياته:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». قالوا: فما أوَّلُتُهُ يا رسولَ الله؟ قال: «الْعِلْمُ»^(١)).

ولقد كان رضي الله عنه حريصاً على حضور مجالس العلم بين يدي النبي ﷺ، فقد روى البخاري عن عمر قال: (كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبِيرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ...).

(١) رواه البخاري - وهذا لفظه - ومسلم، والترمذي.

وقد شهد كبار علماء الصحابة والتابعين لعمر بعلو منزلته في العلم، ورسوخ قدمه في الكتاب والسنة، والفتوى والقضاء.

قال الإمام الحبر عبد الله بن مسعود: (لو أن علمَ عمر وُضِعَ في كِفَّةٍ مِيزَانٍ وَوُضِعَ علم أهل الأرض في كفة؛ لرجح علمه بعلمهم. قال وكيع: قال الأعمش: فأنكرت ذلك، فأتيئ إبراهيم^(١) فذكرته له، فقال: وما أنكرت من ذلك؟! فوالله لقد قال عبد الله أفضل من ذلك، قال: إني لأحسبُ تسعةَ أعشار العلم ذهب يوم ذهب عمر^(٢)).

وأخرج ابن سعد عن حذيفة قال: (لَكَأَنَّ علمَ الناسِ كان مَدسوساً في جُحْرٍ مع عمر).

وأخرج عن عامر الشعبي قال: (كان علماء هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ستة: عمر وعبد الله وزيد بن ثابت، فإذا قالَ عُمر قولاً وقال هذان قولاً؛ كان قولهما لقوله تبعاً. وعليّ وأبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري، فإذا قال عليّ قولاً وقال هذان قولاً؛ كان قولهما لقوله تبعاً).

وعن عامر أيضاً قال: (قُضِيةُ هذه الأمة أربعة: عمر وعليّ وزيد وأبو موسى الأشعري).

قال الحافظ الذهبي في ترجمة عمر من (تذكرة الحفاظ): (وهو الذي سنَّ للمحدثين التثبُّتَ في النقل، وربما كان يتوقَّف في خبر الواحد إذا ارتاب...). ولذا كان معاوية يقول: (عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر؛ فإنه كان قد أَحَافَ الناسَ في الحديث عن رسول الله ﷺ). انتهى.

(١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي، من جِلَّةِ التابعين.
(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال هذا رجال الصحيح، غير أسد بن موسى وهو ثقة. انتهى. وأخرجه ابن سعد نحوه.

روى عمر عن النبي ﷺ: وعن أبي بكر وأبي بن كعب.

وروى عنه: عثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله،
وعبد الرحمن بن عوف، وابنه عبد الله بن عمر، وابن مسعود، وجرير البجلي،
وحذيفة، وعمرو بن العاص، ومعاوية، وعدي بن حاتم، وزيد بن ثابت،
وعبد الله بن أنيس الجهني، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وابن الزبير،
وكعب بن عجرة، وأبو أمامة، وأبو قتادة الأنصاري، وأبو هريرة، وأبو موسى
الأشعري، وأنس، وجابر، والبراء بن عازب، والسيدة عائشة أم المؤمنين،
وحفصة، وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ومن التابعين: ابنه عاصم، وأسلم مولاه، وسعيد بن المسيب، وعمرو بن
ميمون الأودي، وشريح القاضي، وسويد بن غفلة، وعلقمة بن وقاص الليثي،
وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل، وقيس بن أبي حازم، وأبو عثمان النهدي، وخلق
كثير.

روت له كتب السنة (٥٣٩) خمس مئة وتسعة وثلاثين حديثاً، أخرج منها
البخاري ومسلم واحداً وثمانين حديثاً، اتفقا في ستة وعشرين، وانفرد البخاري
بأربعة وثلاثين، ومسلم بواحد وعشرين. خرج عنه أصحاب الكتب الستة
وغيرهم.

وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة، وكان لا يكاد يعرض له أمر إلا
وأشدد فيه بيت شعر.

مكانته عند النبي ﷺ وأصحابه:

● ● تبوأ الفاروق عند النبي ﷺ وصحابته الدرجة الثانية بعد أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما.

أخرج الترمذي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذنين من بعدي: أبي بكر وعمر»^(١).

وعن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»^(٢).

وروى البخاري ومسلم - واللفظ له - عن ابن عباس قال: (وُضِعَ عمرُ بن الخطاب على سريره، فَنَكَّتَهُ النَّاسُ^(٣)، يَدْعُونَ وَيَتَنَوَّنَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ: فَلَمْ يُرْغَبِي^(٤) إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلَيَّ، فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ: مَا خَلَفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ، أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ، مِنْكَ، وَإِنَّمِ اللَّهُ! إِنْ كُنْتُ لِأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ؛ وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَكْثَرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حِثُّ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». فَإِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو، أَوْ لِأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا).

● ● وعندما اشتد المرض بالنبي ﷺ أمر أن يصلي أبو بكر بالناس، فنظر الصحابة فوجدوا الصديق غائباً، فقدّموا عمر لعلمهم بأنه أخيرُ الصحابة بعد أبي بكر، وأفضلهم وأكبرهم قدراً، وأرفعهم منزلة وعلماً، وأجدرهم بهذا الأمر الجليل.

عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال: (لما اسْتَعَزَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعاه بلالٌ للصلاة، فقال: «مُرُوا مَنْ يَصَلِّي بالناس»). قال: فخرجتُ

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الأرنؤوط والألباني: وهو كما قال.

(٢) أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب. ورواه أحمد في «مسنده»، وابن حبان، والطبراني في «الأوسط»، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أي: أحاطوا به.

(٤) أي: لم يفجأني إلا ذلك.

فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: قم يا عمر فصلِّ بالناس. قال: فقام فلما كَبَّرَ عمرُ سمعَ رسولَ الله ﷺ صوته - وكان عمرُ رجلاً مُجَهراً - فقال رسول الله: «فأين أبو بكر؟ يَأبَى اللّهُ ذلكَ والمسلمون، يَأبَى الله ذلكَ والمسلمون». قال: فبعثَ إلى أبي بكر، فجاءَ بعدما صَلَّى عمرُ تلكَ الصلاةَ، فصلّى بالناس. وقال عبد الله بن زمعة: قال لي عمرُ: وَنَحَكَ! ماذا صنعتَ يا بنَ زمعة؟ والله ما ظننتُ حينَ أمرتني إلا أن رسولَ الله أَمَرَنِي بذلك، ولولا ذلك ما صليتُ. قال: قلتُ: واللّهِ ما أَمَرَنِي رسولُ الله، ولكنَّ حينَ لم أرَ أبا بكرَ رأيْتُكَ أَحَقَّ مَنْ حَضَرَ بالصلاة»^(١).

وأخرج البخاري - واللفظ له - وأبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عَثْمَانَ، ثُمَّ نَزَرْنَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَفْضِلُ بَيْنَهُمْ).

وأخرج ابن عساکر عن أبي بكر قال: (مَا عَلَيَّ ظَهْرُ الْأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَمْرٍ).

وروى ابن سعد: (أَنْ عَلِيًّا لَمَّا غُسِّلَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ عَلَيَّ سَرِيرَهُ، وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ فَانْتَبَهَ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلَيَّ الْأَرْضُ رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِصَحِيفَتِهِ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ بِالثَّوْبِ).

وروى الحاكم عن ابن مسعود قال: (كَانَ عَمْرٌ أَتَقَانًا لِلرَّبِّ، وَأَقْرَأَنَا لِكِتَابِ اللَّهِ).

المبشّر بالجنة:

جاءت أحاديث كثيرة تنص على أن عمر أحد المبشرين بالجنة، أخبر بذلك الوحي الأمين، ونطق به الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى:

(١) رواه أحمد - وهذا لفظه - وأبو داود. ومعنى (مُجَهراً): صاحب جَهْرٍ ورفع لصوته.

ففي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي ﷺ في حائطٍ من حيطانِ المدينة، فجاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة». ففتحتُ له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة». ففتحتُ له، فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله...»^(١).

وروى البخاري - واللفظ له - ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بيننا نحنُ عند رسولِ الله ﷺ إذ قال: «بيننا أنا نائمٌ رأيتني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأُ إلى جانبِ قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فذكرتُ غيرته، فوليتُ مُدبراً». فبكى عمرُ وقال: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يا رسولَ الله!؟)

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أهلَ الدَّرَجَاتِ العُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تحتهُم كما ترونَ النجمَ الطالعَ في أفقِ السماء، وإنَّ أبا بكرٍ وعمرَ منهم، وأنعمًا»^(٢).

ومنها حديث (العشرة)، وقد أشرنا إليه في ترجمة أبي بكر. وغير ذلك.

خلافته:

تولى عمر الخلافة بعهد من أبي بكر الصديق، ورضي بذلك الصحابة جميعاً، وبايعوه بيعة العامة في المسجد.

قال الذهبي في (العبر): (وولي الخلافةَ عمرُ بنُ نصرٍ من أبي بكر، فلم

(١) أخرجه الشيخان والترمذي، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري، وله رواية مطولة أشرنا إليها في ترجمة الصديق.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الألباني: إسناده ضعيف. لكن قال المحدث شعيب الأرنؤوط في تخريج أحاديث «سير أعلام النبلاء»: وعطية - العوفي - ضعيف لا يحتج به، لكن تابعه أبو الوَدَّاء جبر بن نَوْفٍ في سند المؤلف - يعني الذهبي -، وعند أحمد، ولا بأس بإسناده، فيتقوى به. انتهى. قوله (وأنعمًا): أي زادوا فضلًا.

يختلف عليه اثنان. فوالله لو نصَّ لهم النبي ﷺ على علي بن أبي طالب - كما تفتري الرافضة - لما اختلف عليه اثنان أيضاً).

وتقبَّلَ الفاروق الخلافة وهو كاره لها، وصعد المنبر النبوي، وتأبى على نفسه أن يقف حيث كان أبو بكر يقف، وصارح الناس بذلك فقال: (ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر). فنزل مرقاة!!

ثم استقبل المسلمين فقال:

(أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعاً بأموركم؛ ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر انتظار الحساب).

(ولو علمت أن أحداً من الناس أقوى عليه مني؛ لكنك أقدّم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أليه).

وقال: (إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي، فوالله لا يخضرنني شيء من أمركم فيلته أحدٌ دوني، ولا يتغيّب عني فالو^(١) فيه عن الجزء^(٢) والأمانة. ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكفرن بهم).

ورفع يديه يجأ بالدعاء، وطلب من المسلمين أن يؤمنوا، فقال: (اللهم إني شديدٌ فليتي، وإني ضعيفٌ فقوني، وإني بخيلٌ فسحني)!

عطاؤه:

مكث عمر زماناً طويلاً ليس له عطاء من بيت مال المسلمين؛ حتى دخلت عليه خصاصةً، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم قائلاً: (قد شغلني نفسي في هذا الأمر، فما يصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان: كُلْ وأطعم. وقال

(١) أي: فأقصر.

(٢) الجزء: ما يجزيء فيه أي ما يكفي.

ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وقال لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء . قال: فأخذ عمر بذلك).

وعندما سئل ماذا يحل له من مال الله؟ قال: (أنا أخبركم بما أستحل منه، يحل لي حُلَّتَانِ، حُلَّةٌ فِي الشَّتَاءِ وَحِلَّةٌ فِي القَيْظِ، وَمَا أُحِجُّ عَلَيْهِ وَأَعْتَمِرُ مِنَ الظَّهْرِ، وَقُوْتِي وَقُوْتِ أَهْلِ كَقُوْتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ بِأَغْنَاهُمْ وَلَا بِأَفْقَرَهُمْ، ثُمَّ أَنَا بَعْدُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصِيبُنِي مَا أَصَابَهُمْ).

ويقول: (إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف).

و (كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه، فربما عسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه، فيلزمه، فيحتال^(١) له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه).

ولقد سار على هذا الهدى ما غير ولا بدل، حتى والكنوز تلقى بين يديه، وبساط كسرى تحت رجليه، قال ابنه عبد الله: (كان عمر يقوُّ نفسه وأهله، ويكتسي الحلة في الصيف، ولربما خرَّقَ الإزار حتى يرقعه فما يُبدل مكانه حتى يأتي الإبان، وما من عام يكثر فيه المال إلا كُسُوته - فيما أرى - أدنى من العام الماضي! فكلمته في ذلك حفصة، فقال: إنما أكتسي من مال المسلمين، وهذا يُبَلِّغُنِي)^(٢).

خطته في الحكم والخلافة، وهديه مع الأمراء والناس:

● ● أبان عمر للناس أنه يجب أن تتوفر في الخليفة أربع صفات، فقال: (لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف،

(١) يسعى في تدبير المال.

(٢) أخرج هذه الأخبار الحافظ ابن سعد في «طبقاته»، وكثير مما ذكرناه في هذا الباب عنه.

والشدة في غير عنف، والإمساك في غير بخل، والسماحة في غير سرف؛ فإن سقطت واحدة منهم فسدت الثلاث).

قال ابن عباس: (ما اجتمعت هذه الخصال إلا في عمر رضي الله عنه).

ثم صعد المنبر فبسط للناس سياسته، وأوضح لهم واجباته والتبعات المناطة بهم، فقال: (بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتد ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه؛ فكيف وقد صارت الأمور إليه؟!

ألا من قال هذا فقد صدق، فإني كنتُ مع رسول الله عوناً وخادمته، وكان ﷺ من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. فكنتُ بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يغمدني، أو يدعني فأمضي. فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد.

ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا تنكرون دعتَه، وكرمه وليته، فكنتُ خادمته وعونه، أخلط شدتي بليته، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني، أو يدعني فأمضي. فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد.

ثم إنني قد وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي، فأما أهل السلامة والدين والقصد؛ فأنا أليّن لهم من بعضهم لبعض. ولست أدعُ أحداً يظلم أحداً أو يعتدي عليه حتى أضع خده على الأرض، حتى يُدعِنَ للحق.

وإنني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل

الكفاف!!

ولكنم عليّ أيها الناس خصالاً أذكرها لكم فخذوني بها:
لكنم عليّ ألا أجتبي شيئاً من خراجكم، وما أفاء الله عليكم؛ إلا من وجهه.
ولكنم عليّ إذا وقع في يدي، ألا يخرج مني إلا في حقّه.
ولكنم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم، إن شاء الله تعالى، وأسدّ ثغوركم.
ولكنم عليّ ألا ألقىكم في المهالك، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال
حتى ترجعوا إليهم.

فاتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولّاني الله من أمركم).

● ● ولقد حمل نفسه على سلوك هدي رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق:

قال ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا يحيى بن سعيد عن
سعيد بن المسيّب: (أصيب بعيرٌ من المال - زعم يحيى: من الفّيء - فنحره عمر،
وأرسل إلى أزواج النبي منه، و صنع ما بقي، فدعا عليه من المسلمين، وفيهم
يومئذ العباس بن عبد المطلب، فقال العباس: يا أمير المؤمنين، لو صنعت لنا كلَّ
يوم مثل هذا، فأكلنا عندك وتحدّثنا! فقال عمر: لا أعودُ لمثلها، إنه مضى صاحبان
لي - يعني النبي ﷺ وأبا بكر - عملاً عملاً، وسلّكا طريقاً، وإني إن عملتُ بغير
عملهما سلّك بي طريقاً غير طريقهما).

فكان يلبس جبةً من صوف مرقوعةً بعضها بأدم، ويطوف بالأسواق على
عاتقه الدّرة يؤدّب بها الناس، ويمرّ بالغزل المنقوض والنوى فيلتقطه ويلقيه في
منازل الناس ينتفعون به.

وكان يعلّس المسجد^(١) بعد العشاء، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجته، إلا رجلاً
قائماً يصلي.

(١) أي: يطوف به بالليل ويتفقده.

وذاث يوم (خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر. فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مُقَعَّدة^(١)، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟! قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلِحني، ويُخرج عني الأذى! فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أَعَثَّرَاتِ عمر تتبع؟!

وخرج ليلة مع مولاة أسلم إلى ظاهر المدينة، فوجد امرأة تُمَخَّضُ، فأسرع إلى بيته، وحمل الدقيق والشحم، وحملت زوجته أم كلثوم بنت علي ما يصلح للولادة، فصنع لأهل بيته طعاماً، وقامت أم كلثوم بدور القابِلة.

وبينا هو في سفر، ولما كان قريباً من الرِّوْحَاءِ^(٢)، إذ سمع صوت راعٍ في جبل، فعَدَلَّ إليه، فلما دنا منه صاح: (يا راعي الغنم! فأجابه الراعي فقال: يا راعيها. فقال عمر: إني مررتُ بمكان هو أخصبُ من مكانك، وإن كلَّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته. ثم عدل صدور الرُّكَّاب)!

وكثيراً ما كان يقول: (لو ماتَ جَمَلٌ ضَيَّاعاً على شط الفُرات لَخَشِيتُ أن يسألني الله عنه).

● ● وسياسته في تخيُّر الولاية ومحاسبتهم أصبحت مضربَ الأمثال، وسارت على كل لسان، وتحدَّث بها في كل نادٍ:

وقد لخص طريقته في تحديد صفات الأمير الذي يختاره ويريده بأنه: (رجلٌ إذا كان أميرهم كان كأنه رجلٌ منهم، وإذا لم يكن أميرهم كأنه أميرهم).

ثم بعد ذلك إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين، واشترط عليه أن: لا يركب دابةً مُطَهَّمةً^(٣)، ولا يأكل نقياً^(٤)، ولا

(١) أصابها داء القُعَاد فلا تستطيع المشي.

(٢) هي قرية على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلاً.

(٣) السَّمِينَةُ الفَاجِشَةُ السَّمَن.

(٤) هو الخبز الأبيض.

يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات. فإن فعل شيئاً من ذلك حَلَّتْ عليه العقوبة.

ثم يوصي الوالي بخشية الله وطاعته فيما ولّاه، ويحدّره مَعَبَّةَ الظُّلْمِ والترُّعِ على الناس، فيقول: (أما بعد: فإن أسعد الرُّعَاةِ من سعدتْ به رعيته، وإنَّ أشقى الرُّعَاةِ عند الله عز وجل من شقيتْ به رعيته. وإياك أن ترتعَ فیرتَعَ عمالك، فيكون مَثَلُكَ عند الله عز وجل مَثَلُ البهيمة، نظرتْ إلى خضرةٍ من الأرض فرَعَتْ فيها تبتغي بذلك السَّمَنَ، وإنما حتفها في سِمَنها. والسلام عليك).

وكان إذا استعمل عاملاً فقدم إليه الوفد من تلك البلاد، قال: (كيف أميركم؟ أيعود المملوك؛ أيتبع الجنازة؟ كيف بابه: أَلَيْنٌ هو؟ فإن قالوا: بابه لَيِّنٌ، ويعود المملوك؛ تركه، وإلا بعثْ إليه بنزعه).

ويأمر عماله أن يأتوه من أقاصي الدنيا، ليجتمعوا به في موسم الحج، ويقف عمر وينادي بصوته الجَهْوَرِيِّ في أهل الموسم: (أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أنساركم، ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فينكم بينكم، فمن فَعَلَ به غير ذلك فليَنَّم).

ويقول: (أَيُّمَا عامل لي ظَلَمَ أحداً فبلغتني مَظَلَمَتُهُ فلم أُغَيِّرْها فأنا ظَلَمْتُهُ).

ولمَّا سَعِدَ بن عامر الجُمَحِيِّ على (حمص)، فشكاه أهلها إلى الخليفة، فحقق عمر في شكاياتهم، فاستبانت له براءة سعيد، فقال: (الحمد لله الذي لم يفل فراستي).

وتابع سياسة عُمر بن سعد - وقد ولّاه أيضاً حمص - فوجده نعم الوالي نزاهة وأمانة، وسياسة، ورحمة، وحسن إدارة، فقال: (جدِّدُوا لِعُمَيْرٍ عهداً). فقال عمير: (إن ذلك لشيء، لا عملتْ لك ولا لأحدٍ بعدك).

ولمَّا ضرب ابنُ عَمْرُو بن العاص - دون علم عمرو - الرجلَ المِصرِيَّ الذي

سابقه فسبقه، وعلم عمر بذلك؛ أَقَصَّ المِصرِيَّ منه، ثم قال: (مُدَّكُمْ تَعَبَّدْتُمْ النَّاسَ وقد وَلَدْتَهُمْ أَمَهَاتِهِمْ أَحْرَارًا؟).

واستعمل حذيفة على «المدائن» فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن اقدم. فلما بلغ عمرَ قَدومَهُ، كَمَن له على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه عمرُ على الحال الذي خرج من عنده أتاه فالتزمه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك!!

ولما فُتحت العراق، أمر سعدُ بن أبي وقاصٍ باختطاطِ الكوفة، وكان أول بناء وضع فيها المسجد، ثم عمَّر قصرًا تلقاء محراب المسجد للإمارة وبيت المال. (وَبُنِيَ لسعد قصر قريب من السوق، فكانت غوغاء الناس تمنع سعداً من الحديث، فكان يغلق بابَه ويقول: سكن الصوت! فلما بلغت هذه الكلمة عمرَ بن الخطاب بعث محمدَ بن مَسْلَمَةَ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطباً، ويحرق باب القصر، ثم يرجع من فوره! فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر. وأمر سعداً أن لا يغلق بابَه للناس، ولا يجعل على بابَه أحداً يمنع الناس عنه. فامتثل ذلك سعد، وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال، فامتنع من قبوله، ورجع إلى المدينة)!

محافظة على مال الأمة، وتوزيعه على الناس:

روى ابن الأثير في «أسد الغابة» عن مولى لعثمان بن عفان قال: (بَيْنَا أنا مع عثمانَ في مالٍ له بالعالية في يوم صائِفٍ، إذ رأى رجلاً يسوق بَكْرَيْنِ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحرِّ! فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يُبرِد ثم يروح؟! ثم دنا الرجل، فقال: انظر مَنْ هذا؟ فنظرتُ فقلتُ: أرى رجلاً مُعْتَمَماً بردائه يسوق بَكْرَيْنِ. ثم دنا الرجل، فقال: انظر، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين! فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب، فأذاه لَفْحُ السُّمُومِ، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟! فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفًا، وقد مضى بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقهما بالحمى، وخشيتُ أن

يضيعا فيسألني الله عنهما. فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظل،
ونكفيك. فقال: عُدْ إلى ظِلِّكَ. فقلتُ: عندنا مَنْ يكفيك. فقال: عُدْ إلى ظلك،
فمضى. فقال عثمان: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَوِيِّ الْأَمِينِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا).

ورآه ذات يوم علي بن أبي طالب وهو يعدو إلى ظاهر المدينة، فقال له:
إلى أين يا أمير المؤمنين؟ فقال: قد نَدَّ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَنَا أَطْلُبُهُ. فقال
علي: قد أتعبت الخلفاء من بعدك.

ويزوره وفد العراق وفيهم الأحنف بن قيس، فيفاجؤون بعمر قد انهك في
تطبيب واحد من إبل الصدقة يطليه بالقَطِرَانَ. وما إن يراهم حتى ينادي الأحنف
قائلاً: (صَعَّ ثِيَابِكَ يَا أَحْنَفَ، وَهَلَمْ فَأَعِنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا الْبَعِيرِ، فَإِنَّهُ مِنْ
إِبِلِ الصَّدَقَةِ، وَفِيهِ حَقٌّ لِلْأَمَةِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْيَتِيمِ)! فيذهل الوفد، ويقول قائلهم:
(يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، إن عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا)! فيجيب
عمر: (وَأَيُّ عَبْدٍ أَعْبَدُ مِنْي وَمَنِ الْأَحْنَفُ)؟!

وأخرج البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (خرجت مع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير
المؤمنين، هلك زوجي وترك صبيّة صغاراً، والله ما يُنْضِجُونَ كُرَاعاً، وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ
وَلَا ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَّافِ بْنِ إِيمَاءِ الْغِفَارِيِّ، وَقَدْ
شَهِدْتُ أَبِي الْحَدِيدِيَّةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. فوقفَ معها عمرٌ ولم يَمْضِ، ثم قال: مرحباً
بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انصرفت إلى بعير ظهيرٍ كان مربوطاً في الدار، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ
مَلَأَهُمَا طَعَاماً، وَحَمَلَتْ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَاباً، ثُمَّ ناولها بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ، فَلَنْ
يَفْنِي حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيْرٍ. فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين، أَكثرتَ لها؟! قال عمر:
ثَكَلْتِكَ أَثُكَّ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا، قَدْ حَاصِرَا حِصْنًا زَمَانًا فَأَفْتَسَحَاهُ، ثُمَّ
أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ)^(١).

(١) قوله (ما ينضجون كراعاً): ليس عندهم كراع حتى ينضجوه، والكراع: ما دون الكعب من =

وكتب إلى أبي موسى الأشعري فقال: (أما بعد: فأعلمُ يوماً من السنة لا يبقى في بيت المال درهم حتى يُكسَّحَ اكتساحاً، حتى يعلمَ الله أنني قد أدَّيتُ إلى كلِّ ذي حقِّ حقه).

ويحدث ابن عباس فيقول: (دعاني عمر بن الخطاب فأتيته، فإذا بين يديه نِطْعٌ^(١) عليه الذهب منثور حثاً^(٢)). قال: هلمَّ فأقسم هذا بين قومك، فالله أعلمُ حيث زَوَى هذا عن نبيه عليه السلام وعن أبي بكر، فأعطيته لخير أعطيته أو لشر! قال: فأكبت عليه أقسم وأزَّيل^(٣). قال: فسمعتُ البكاء، فإذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه: كلا والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيِّه عليه السلام وعن أبي بكر إرادة الشرِّ لهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له!!

نفقته على نفسه وأهله، وتأديبه لهم:

كان عمر رضي الله عنه يرقب الله تعالى في مال الأمة، ويخشى أن يحاسبه على لقيمات يقمن صلبه، يأكلهن من بيت المال بإذن المسلمين، فكان يأخذ نفسه وأهله بالشدَّة، ولا يتبسط في زخارف الدنيا ومتاعها، بل يرضى بالكفاف، يقفو بذلك أثر رسول الله ﷺ.

اشتكى ذات يوم من مرض ألمَّ به، فوصف له العسل، وفي بيت المال عُكَّةٌ^(٤) من عسل، فقال عمر: إن أدنتم لي فيها أخذتها، وإلا فإنها عليَّ حرام. فأذنوا له.

= الدواب. (الضبع): السنة الشديدة المجدبة. (ظهير): قوي الظَّهْر، معدَّة للحاجة. (غِرَارَتَيْن): ثنيتي غِرَارَة، وهي وعاء يتخذ للتبين وغيره. (نستفيء): نطلب الفيء، وهو ما يأخذه المسلمون من يد الكفار بدون قتال. (سهماهما): جمع سَهْم وهو النصيب، أي: هما فتحاه، ونحن الآن ننتفع بثمره جهدهما.

(١) هو بساط من جلد.

(٢) الحثا: دُقَّاق الثَّيْن، أي الذهب منثور كالتبين.

(٣) أي: أفرَّق.

(٤) هي وعاء من جلد مستدير.

ويروي مجاهد فيقول: (أنفقَ عمر بن الخطاب في حَجَّةِ حَجَّهَا ثمانين درهماً من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة. قال: فجعل يتأسف، ويضربُ بيده على الأخرى، ويقول: ما أخلَقنا أن نكونَ قد أسرفنا في مال الله تعالى).

قال المِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ رضي الله عنه: (كنا نلزمُ عمرَ بن الخطاب، نتعلم منه الوَرَع).

ورأى الصحابة ما عليه أمير المؤمنين من شدَّة العيش، وقد أوسَعَ اللهُ في الرزق، وفتحَ على المسلمين الأرض، فتمنوا لو أنه طعمَ طعاماً ألينَ من طعامه، وليسَ ألينَ من لباسه، وتهيَّبوا منه، فاستعانوا عليه بابتته حفصة أم المؤمنين، فقال لها:

(يا حفصة، فأبلغني الذين أرسلوك إليَّ أن مثلي ومثل صاحبي - رسول الله وأبي بكر - كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد تزوَّد فبلغ المنزل، ثم أتبعه الآخر، فسلك طريقه، فأفضى إليه، ثم الثالث، فإن لزمَ طريقهما ورضي بزادهما؛ ألحقَ بهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجتمع بهما).

يروى محمد بن سيرين (أن صِهْرًا لعمر بن الخطاب قدم على عمر، فعرضَ له أن يعطيه من بيت المال، فانتهره عمر وقال: أردت أن ألقى الله مَلِكًا خائناً؟! فلما كان بعد ذلك أعطاه من صُلبِ ماله عشرة آلاف درهم).

ويقول مولاه أسلم: (خرج عمر فقعد على المنبر، فتابَ الناس إليه، حتى سمع به أهل العالية فتزلوا، فعلمهم حتى ما بقي وجه إلا علمهم. ثم أتى أهله وقال: قد سمعتم ما نهيتُ عنه، وإني لا أعرفُ أنَّ أحداً منكم يأتي شيئاً مما نهيتُ عنه؛ إلا ضاعفت له العذاب ضِعْفَيْن).

ودخل السوق يوماً فرأى إبلاً سماناً، وعلم أنها لابنه عبد الله، وأنه بعثها إلى (الجَمَى)، ترعى مع إبل المسلمين، فقال: (يا عبد الله بن عمر، اغدُ على رأسِ

مالك، واجعل الفضلَ في بيت مال المسلمين).

ولما أهدى أبو موسى الأشعري طنفسة لزوج عمر، وعلمَ عمرُ بذلك، فقال لأبي موسى: (ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟! ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه، وقال: خُذْهَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا).

ويرتاع يوماً وقد رأى على غلامه أسلم ثوباً جديداً، فيقول له: (من أين لك هذا؟ قال أسلم: كَسَانِيهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو. فقال عمر: أما عبيد الله فَخُذْهُ مِنْهُ، وَأَمَا غَيْرُهُ فَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ شَيْئاً).

● ● وكان في طعامه على أعلى درجات الزهد:

دخل على ابنته حفصة ذات يوم، فقَدَمْتُ إِلَيْهِ مَرَقاً بَارِداً، وَصَبَّتُ فِي الْمَرَقِ زَيْتاً. فقال: (أُدْمَانٍ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ! لَا أَذُوقُهُ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ).

ويقول رضي الله عنه: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ تُنْتَقِصَ حَسَنَاتِي لِشَارِكِكُمْ فِي لَيْلٍ عَيْشِكُمْ. وَلَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ أَطْيَبَكُمْ طَعَاماً، وَأَرْفَهُكُمْ عَيْشاً، وَلَنْحُنُّ أَعْلَمُ بِطَيْبِ الطَّعَامِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَكْلِيهِ! وَلَكِنَّا نَدْعُهُ لِيَوْمِ تَذَهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا. وَإِنِّي لِأَسْتَبْقِي طَيْبَاتِي، لِأَنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ عَنْ أَقْوَامٍ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾^(١)).

ولم يكن في ملبسه أرفه منه في عيشه، فقد لبس الخشن والغليظ، فكان لا يتميز عن الناس وهو أمير المؤمنين. يقول أنسُ بن مالك: (لقد رأيتُ بين كنفَي عمر أربعَ رقاعٍ في قميص له).

ويروي أبو عثمان النهدي فيقول: (رأيتُ عمرَ بن الخطاب يطوف بالبيت، عليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعة، إحداهن بأديم أحمر!)

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

عمر في عام الرَّمَادَة:

عَمَّ أَرْضَ الْحِجَازِ قَحْطٌ وَمَخْلٌ، فَأَصَابَ النَّاسَ جَهْدٌ شَدِيدٌ، وَأَجْدَبَتِ
الْبِلَادُ، وَهَلَكَتِ الْمَاشِيَةُ، وَجَاعَ النَّاسُ، حَتَّى كَانُوا يُرَوُّونَ يَسْتَقُونَ الرِّمَّةَ، وَيَحْفَرُونَ
نُقُقَ الْبِرَابِيعِ وَالْجُرْدَانَ يُخْرِجُونَ مَا فِيهَا، وَجَعَلَتِ الْوُحُوشُ تَأْوِي إِلَى الْإِنْسِ لِأَنَّهَا
لَا تَجِدُ مَا تَأْكُلُهُ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ مِنْ قَلَّةِ الْمَطَرِ، حَتَّى عَادَ لَوْنُهَا شَبِيهًا بِالرَّمَادِ،
فَسَمِّيَ ذَلِكَ الْعَامَ الرَّمَادَةَ.

وقام عمر يعسُ بالمدينة ذات ليلة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس
في منازلهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل! فسأل عن سبب ذلك؟ فقيل له: يا
أمير المؤمنين، إن السؤال سألوا فلم يُعْطُوا، فقطعوا السؤال، والناس في همٍّ
وضيق، فهم لا يتحدثون ولا يضحكون.

فاغتمَّ عمر لذلك غمّاً شديداً، وكان يجأر إلى الله بالدعاء حتى يرفع البلاء.
ويروي ابن عمر موقفاً من ذلك فيقول: (كان عمر بن الخطاب أخذت في عام
الرمادة أمراً ما كان يفعله، لقد كان يصلي بالناس العشاء، ثم يخرج حتى يدخل
بيته، فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل، ثم يخرج فيأتي الأنقباء فيطوف
عليها. وإني لأسمعه ليلة في السَّجَرِ وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد
على يدي).

وقام عمر فكتب إلى عماله في الأمصار الإسلامية، يأمرهم أن يبعثوا إليه من
الطعام والكساء ما يصلح الناس في أرض الحجاز، فكتب إلى عمرو بن العاص
بمصر وإلى معاوية بالشام، وإلى سعد بن أبي وقاص في العراق.

فبعث إليه عمرو في البر والبحر: بعث إليه في البحر بعشرين سفينة تحمل
الدقيق والودك، وبعث إليه في البر بألف بعير تحمل الدقيق، وبعث إليه بخمسة
آلاف كساء. وبعث إليه معاوية بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق، وبعث إليه بثلاثة

آلاف عبادة. وبعث إليه والي الكوفة بألفي بعير تحمل الدقيق.

وقام رجاله ومعاونوه بتوزيع الطعام على الناس في نواحي المدينة، وكان يذبح على مائدته كل يوم مئة وعشرين جُزُوراً، ويدعو الناس للطعام، حتى أحصوا من تعشى عنده ذات ليلة فبلغوا سبعة آلاف رجل! وكان يطعم الناس بنفسه، ويحمل مع مولاه أسلم الزاد للعيالات الذين لا يأتون والصبيان ويرسل إليهم بالدقيق والتمر والأدم، فيصلهم حيث هم.

وحلف ألا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس، ويحدث أنس فيقول: (تَقَرَّقَرُ بطنُ عمر بن الخطاب، وكان يأكل الزيتَ عامَ الرَّمَادَةِ، وكان حَرَمَ عليه السَّمَنَ، فَتَقَرَّبَ بطنه بإصبعه وقال: تَقَرَّقَرُ تفرقرك، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس)!!

ومكث الناس تسعة أشهر يعانون من الضيق والضعف، وعزم عمر على الاستسقاء. أخرج ابن سعد عن عبد الله بن نيار الأسلمي قال: (لما أجمع عمر على أن يستسقي ويخرج بالناس، كتب إلى عماله أن يخرجوا يومَ كذا وكذا، وأن يتضرَّعوا إلى ربهم، ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المَحَلَّ عنهم. وخرج لذلك اليوم عليه بُرْدُ رسولِ الله ﷺ حتى انتهى إلى المصلى، فخطبَ الناسَ، وتضرَّع، وجعلَ الناسُ يُلحُّون، فما كان أكثرَ دعائه إلا الاستغفار، حتى إذا قرب أن ينصرف رفع يديه مَدًّا، وحوَّلَ رداءه، وجعلَ اليمينَ على اليسار، ثم اليسارَ على اليمين، ثم مَدَّ يديه، وجعلَ يُلحُّ في الدعاء، وبكى عمرُ بكاءً طويلاً حتى أخضَلَ لحيته).

وأخرج البخاري عن أنس (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعِمِّ نَبِيِّنَا؛ فَاسْقِنَا. قال: فَيُسْقَوْنَ).

وجئنا عمر لركبته وقال: (اللهمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اللهمَّ اغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا، وارضَ عَنَّا).

وكان مما دعاه: (اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اسقنا، وأحي العباد والبلاد).

فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا العُدْران، وأطبقت السماء عليهم أياماً.

الفتوحات:

تمت في عهد الفاروق فتوحات كثيرة واسعة، فشرقت جيوش الإسلام وغربت، ورفرفت راية التوحيد خفاقة في ربوع الأرض، وتحققت بذلك نبوءة عظيمة لرسول الله ﷺ. ففي الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ، فَتَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَتَزَعَّ ذَنْبًا أَوْ ذَنْوَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَمْرٌ، فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرِ عَبْرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطْنٍ»^(١).

قال الحافظ في «فتح الباري»: (قال النووي: قالوا: هذا المنام مثال لما جَرَى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي ﷺ لأنه صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقَرَّرَ قواعد الدين. ثم خَلَفَهُ أبو بكر فقاتل أهل الردة، وقطع دابرهم. ثم خَلَفَهُ عمر فأَسَّعَ الإسلام في زمنه، فشَبَّهَ أمر المسلمين بقلب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم، وشَبَّهَ بالمستقي

(١) قوله (قلب): هي البئر بعدما حُفرت وقبل أن تبنى جدرانها. (ذَنْوياً أَوْ ذَنْوَيْنِ). الذَّنُوبُ: الدلو المملوءة. وهو شكٌّ من الراوي، والمراد: ذنوبان، وهو إشارة لمدة خلافة الصديق، التي كانت سنتين وأشهرًا. (استحالت): تحولت من الصَّغَرِ إِلَى الكِبَرِ. (غرباً): هو الدلو الكبير يُسقى به البعير، وهو أكبر من الذَّنُوبِ. (يَفْرِي فَرِيَّهُ): أي لم أر سيداً يعمل عملاً مصلحاً وجيداً مثله. (حتى ضرب الناس حوله بعطن): أي أَرَوَّأَ إِبْلَهُمْ، ثُمَّ أَوَّوَّهَا إِلَى عَطْنِهَا، وهو الموضع الذي تُساق إليه بعد السقي لتستريح.

لهم منها وسقيه هو قيامه بمصالحهم... وأما قوله: «وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ». فليس فيه حَقٌّ من فضيلته، وإنما هو إخبارٌ عن حاله في قِصْرِ مدَّة ولايته. وأما ولاية عمر فإنها لَمَّا طالَتْ كَثُرَ انتفاعُ الناس بها، واتسعت دائرةُ الإسلام بكثرةِ الفُتُوحِ وتمصيرِ الأمصار، وتُدوينِ الدَّوَاوينِ).

وتابع عمر في عهده الفتوحات التي ابتدأها الصديق، ووقعت في خلافته معارك إسلامية هائلة فاصلة: كاليرموك، والقادسية، ونهاوند - وسماها المسلمون فتح الفتوح - وجلولاء، وغيرها.

وفُتحت بلدان كثيرة، ومدائن عظيمة، وتوطد أمر الإسلام، وانتشر في أصقاع الأرض.

ففتح في خلافته من الشام: اليرموك، وبُضْرَى، ودمشق، والأزْدُنَّ، وبيسان، وطبرية، والجابية، وفلسطين، والرَّمْلة، وعسقلان، وعزّة، والسَّوَّاحل، والقدس، وبعْلَبَك، وحمص، وقنسرين، وحلب، وأنطاكية.

وفتح الجزيرة، وحرّان، والرُّها، والرَّقَّة، ونصيبين، ورأس عين، وسُمَيْسَاط، وعين وردة، وديار بكر، وديار ربيعة، وبلاد الموصل، وإزمينية جميعها.

وفتح مِصر، واسكندرية، وطرابلس الغرب، وبرقة.

وبالعراق: القادسية، والحيرة، وبهزسير، وساباط، ومدائن كسرى، وكورة الفرات ودجلة، والأبلة، والبصرة.

وفتح الأهواز، وفارس، ونهاوند، وهمدان، والرّي، وقومس، وخراسان، وإصطخر، وأصبهان، والشوس، ومرّو، ونيسابور، وجرجان، وأذربيجان، وغير ذلك.

وقطعت جيوشه النهر - نهر جيحون بخراسان - مراراً، واستشهد رضي الله

عنه وخيله على الرّبيّ، وقد فتحوا عامّتها.

بناء الدولة:

وخلال المدة الطويلة لخلافته المباركة، وقد تنامت فيها دولة الإسلام، وترامت أطرافها؛ كان عمر يبني الأسس الراسخة ويضع الدعائم القوية للدولة:

● ● فجعل الشورى شعاراً له وداراً، وكثيراً ما كان يقول: (لا تقولوا للرأي الذي تظنّونه يوافق هوائي، وقولوا للرأي الذي تحسبونه يوافق الحق).

وقال مرة في جمع من المهاجرين والأنصار: (أرأيتم لو ترخّصت^(١) في بعض الأمور، ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا. فقال ذلك مرتين وثلاثاً. فقال بشير بن سعد: لو فعلت ذلك قومناك تقويم القِدْح^(٢)! فقال عمر: أنتم إذا، أنتم إذا).

● ● ووضع لهم التاريخ الهجري، وذلك سنة (١٦هـ)، لستين ونصف من خلافته.

● ● وأبرم رأيه المسدّد في «الأرض المفتوحة»: فبعد أن اتسعت الفتوحات، وقفوا أمام أمرٍ وهو: هذه الأراضي المفتوحة، أنقسّم - بعد تخميسها - بين المجاهدين، أم تُترك لأصحابها، ويُضرب عليهم الخراج يؤدّونه للمسلمين؟

فاجتمع عمر بالناس، واستشارهم، واستقرّ بهم الأمرُ على أن تُترك الأرضُ بيد أصحابها، ويؤخذ منهم الخراج، فيرد في بيت مال المسلمين، لينتفع به عامة الناس.

● ● ووضع للقضاء سياسة محكمة، وأمر بها عماله على الأمصار، وأقام للناس قضاة ليس لهم عمل سوى القضاء.

● ● ودوّن الدواوين في سنة (٢٠هـ)، فدعا رجالاً من نساب قريش وقال

(١) أي تساهلت.

(٢) هو السهم الذي كانوا يستقسمون به.

لهم: (اكتبوا الناس على منازلهم).

(فكتبوا، فبدؤوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، على الخلافة. فلما نظر إليه عمر قال: وددت - والله - أنه هكذا، ولكن ابدؤوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله).

وَقَرَضَ عَمْرٌ لِأَهْلِ الدِّيْوَانِ: فَفَضَّلَ أَهْلَ السَّوَابِقِ وَالْمَشَاهِدِ فِي الْفَرَائِضِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَوَّى بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقَسَمِ، فَقِيلَ لِعَمْرٍ فِي ذَلِكَ!؟ فَقَالَ: لَا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ!!

ولم يفضل أحداً على أهل بدر إلا أزواج النبي ﷺ، فإنه فرض لكل امرأة منهن اثني عشر ألف درهم.

وفرض لكل مسلم نصيباً من المال، وكان يقول: (ما على الأرض مسلم لا يملكون رقبته إلا له في هذا الفيء حق، أُعْطِيَهُ أَوْ مُنِعَهُ. ولئن عشت لياثين الراعي باليمن حقه قبل أن يحمز وجهه في طلبه).

وقال: (لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم: ألف لسفره، وألف لسلاحه، وألف يُخَلِّقُهَا لِأَهْلِهِ، وألف لفرسه وبغله).

وكان يقول: (لأزيدنهم ما زاد المال، لأعذته لهم عدداً، فإن أعياني لأكيلته لهم كَيْلاً، فإن أعياني حثوثه بغير حساب)!!

● ● وابتنى «دار الدقيق»، وجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب، وما يُحتاج إليه، يُعين به المنقطع، والضيف ينزل بعمر. ووضع في طريق الشُّبُل ما بين مكة والمدينة ما يُصلِح مَنْ يَنْقَطِعُ بِهِ، وَيُحْمَلُ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ، حَتَّى يَبْلُغَ الْمَكَانَ الَّذِي يَرِيدُ.

● ● وفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق.

● ● وكتب إلى الولاة والقادة ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر، بل

يعود كل جندي إلى أهله وزوجته فيما دون هذه المدة.

وكان يغزي الأعزب عن ذي الحليلة، ويغزي الفارس عن القاعد.

● ● وفي سنة (٢٠ هـ) أجلى يهود خيبر ويهود نجران عن جزيرة العرب، وأرسل لهم فقال: (إن الله أذن لي في إجلائكم، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجز للجلاء).

● ● ووسَّع المسجد النبوي: فابتاع ما حوله من المنازل، ووسع على المسلمين مسجدهم، وطلب إلى العباس عم رسول الله أن يبيعه داره، فتصدَّق بها العباس على المسلمين.

● ● واهتم بتعليم الناس، فكان يجلس للأعراب وأهل البادية يعلمهم أمور دينهم، وبعث علماء الصحابة ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين، وأمر الباعة أن يتفقوها في دينهم، فكان يقول: (لا يَبِغ في سوقنا هذا إلا مَنْ تفقَّه في الدين).

● ● وجمع الناس في التراويح على أبي بن كعب، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام رمضان. ونوَّز المساجد بالقناديل.

● ● ووضع مبدأ (من أين لك هذا) في محاسبة الولاة والأمراء.

أوليَّاته:

لقد كان الفاروق يسابق الزمان بأعماله الباهرة، فسبق الناس إلى كثير من الأعمال: فهو أول مَنْ كتَبَ التاريخَ الهجري، وأول من جمعَ الناس على إمام واحد في التراويح، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، وأول من عَسَّ بالليل، وأول من عاقبَ على الهجاء، وأول من ضرب في شرب الخمر ثمانين جلدة، وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من نهى عن بيع أمهات

الأولاد، وأول من دَوَّن الديوان وفرض للناس الأَعْظِيَّةَ من الفَيءِ، وأول من حمل الطعام في السُّفُن من مصر في البحر إلى المدينة، وأول من وَقَفَ أرضاً يُتَصَدَّقُ بِعَلَّتِهَا، وأول من اتخذ الدَّرَّةَ، وأول من مَصَّرَ الأمصار، وأول من استقضى القضاة في الأمصار، وأول من مَسَّحَ السواد وأرض الجبل، ووضع الخراج على الأرضين، وأول من بَسَطَ الحصى في المسجد النبوي.

تواضعه وخشيته:

ومع كل هذا سبق الفريد والأعمال الجليلة؛ فلقد كان عمر على جانب كبير من التواضع والخشية والإشفاق ورجاء المغفرة وقبول الأعمال.

كان شعاره الدائم قوله: (أحِبُّ النَّاسَ إِلَيَّ مَنْ رَفَعَ إِلَيَّ عِيُوبِي).

ويقول أنس بن مالك: (سمعتُ عمرَ بن الخطاب يوماً، وخرجت معه حتى دخل حائطاً^(١))، فسمعتَه يقول - وبينه وبينه جدار وهو في جوف الحائط -:
عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، بَخِ وَاللَّهِ بُنَيَّ الْخَطَابِ، لِتَتَّقِينَ اللَّهَ أَوْ لِيَعَذَّبَنَّكَ!)
وحتى لا ينسى الموت والحساب كان نقش خاتمه: (كفى بالموت واعظاً يا عمر).

ولما احتَضِرَ - وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله - قال:

ظَلَمْتُ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ أَصَلِّي الصَّلَاةَ كُلَّهَا وَأَصُومُ

استشهاده، وتعيين أصحاب الشورى، ووصيته، ودفنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فقال: «أُثْبِتُ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(٢).

(١) الحائط: البستان من النخيل.

(٢) رواه البخاري - واللفظ له - وأبو داود والترمذي. قوله: (وصديق) هو أبو بكر.

(وشهيدان): هما عمر وعثمان.

وكان عمر رضي الله عنه يتطلع للشهادة، ويحب الموت في المدينة النبوية؛ فجمع الله له الكرامتين.

روى البخاري عن أسلم مولى عمر قال: قال عمر: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ).

وأخرج البزار عن عثمان بن مظعون قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا غلق الفتنة - وأشار بيده إلى عمر - لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم».

وفي الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن حذيفة (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال. قال: هات، إنك لعمري). قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلَقاً. قال: يُفتَح الباب أو يُكسَر؟ قال: لا، بل يُكسَر! قال: ذاك أحرى أن لا يُغلق. قلنا: علم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغليط. فهينا أن نسأله، وأمرنا مسروراً فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر).

وكان عند المغيرة بن شعبة غلام صنع هو أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، الرومي الدار، فكتب المغيرة إلى عمر يستأذنه أن يدخل أبا لؤلؤة المدينة - وكان عمر لا يأذن لسبي قد اختلم في دخولها - لأن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، فهو حداد نقاش نجار؛ فأذن له عمر رضي الله عنه.

وأضمر أبو لؤلؤة قتل عمر، واتخذ خنجراً ذا رأسين، نصابه في وسطه، وشحذه وسمه. وفي صبيحة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة كمن هذا العليج في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر ينتظر خروج عمر.

وكان عمر إذا مرَّ بين الصَّفيين قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهم خَللاً، تقدم فكَبَّر. فما هو إلا أن كَبَّر حتى انقضَّ عليه أبو لؤلؤة فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت الشُّرة قد خرقت الصَّفَاق، وهي التي قتلته رضي الله عنه وأرضاه.

روى البخاري عن عمرو بن ميمونٍ قال: (رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامِ الْمَدِينَةِ، وَقَفَّ عَلَى حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُيَيْبٍ قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تَطِيقُ؟ قَالَ: حَمَلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرٌ فَضَلَّ. قَالَ: أَنْظِرْنَا أَنْ تَكُونَا حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تَطِيقُ، قَالَ: قَالَا: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَيْتِنِ سَلَّمَنِي اللَّهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَفَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِمْ خَللاً تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ أَوْ النَّحْلَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الْكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينِ ذَاتِ طَرْقَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُزْئًا، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُودٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاجِحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَذُرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا أَنْصَرَفُوا قَالَ: يَا بْنَ عَبَّاسِ، أَنْظِرْنَا مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: غُلَامٌ الْمُغِيرَةَ، قَالَ: الصَّنْعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدْعِي الْإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتُ أَتَى وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ - وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيُّ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَّبْتَ، بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ،

وَصَلُّوا قِبَلَتِكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ. فَأَخْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، فَأَنْطَلَقَنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ نُصْنِبُهُمْ مُصِيبَةً قَبْلَ يَوْمَيْدٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُ بِنَيْبِدٍ فَسَرَبُهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِلَبَنِ فَسَرَبُهُ، فَخَرَجَ مِنْ جُزْجِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌ فَقَالَ: أَبَشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَرَيْتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ. قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَفَافٌ لِي عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَذْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْعُلَامَ، قَالَ: ابْنُ أَحْيَى أَرْفَعُ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَنْفَى لِثَوْبِكَ، وَأَنْتَقَى لِرَبِّكَ. يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَنْظِرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِنَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَا لِي أَلِ عُمَرَ فَأَدَّهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَيْتِي عِدِّي بِنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالَهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعُدَّهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدَّ عَنِّي هَذَا الْمَالَ. أَنْطَلِقُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَفْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ. فَسَلَّمَ وَأَسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَفْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ. فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَا أُوتِرُنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ، قَالَ: أَرْفَعُونِي، فَأَسْتَدَّهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذْنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَأَحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذْنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.

وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُئِمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَأَسْتَأْذَنَ الرَّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْتَخْلِفُ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوْ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُؤَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ،

فَسَمَى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالرُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّغْرِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةَ
سَعْدًا فَهُوَ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِينْ بِهِ أَئِكُمْ مَا أَمُرُ، فَإِنِّي لَمْ أَعَزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ.

وَقَالَ: أَوْصِيي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلِيَيْنِ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ،
وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ
قَبْلِهِمْ، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ
خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِذَاءُ الْإِسْلَامِ، وَجِبَاءُ الْمَالِ، وَعَظِيمُ الْعُدْوِ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا
فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ. وَأُوصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ، وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ،
أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فَقْرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُونَ إِلَّا
طَاقَتَهُمْ.

فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَأَنْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأَدْخِلَ، فَوَضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبِيهِ).

صفة غسله، ودفنه:

غُسِّلَ ثَلَاثًا بِالْمَاءِ وَالسُّدْرِ، غَسَّلَهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ
أَثْوَابٍ، وَحُمِلَ عَلَى سُرِيرٍ^(١) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَنَظَرَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ يَصَلِّي عَلَيْهِ، فَإِذَا
صُهِبَ يَصَلِّي بِهِمُ الْمَكْتُوبَاتُ بِأَمْرِ عُمَرَ، فَقَدَّمُوا صَهْبِيًّا فَصَلَّى عَلَى عُمَرَ، وَكَبَّرَ
أَرْبَعًا، فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ.

ونزل في قبره ابنه عبد الله، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وعبد
الرحمن بن عوف، ودُفِنَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَجُعِلَ رَأْسُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ كَتْفِي
النَّبِيِّ، وَجُعِلَ رَأْسُ عُمَرَ عِنْدَ حَقْوِي النَّبِيِّ ﷺ.

(١) هو النعش.

مراثيه :

وقد حزن المسلمون على أبي حفص حزناً عظيماً - وحقّ لهم ذلك - ورثوه بأرقّ العبارات، ويعبر عن ذلك ما أخرجه ابن سعد عن زيد بن وهب قال: (أتينا ابن مسعود فذكر عمر فبكى حتى ابتلّ الحصى من دموعه! وقال: إنَّ عمرَ كان حِصْناً حِصِيناً للإسلام يَدْخُلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلمَ الحصنُ فالناس يخرجون من الإسلام).

وأخرج ابن سعد أيضاً عن أبي وائل قال: (قَدِمَ علينا عبدُ الله بن مسعود، فنَعَى إلينا عمرَ، فلم أر يوماً كان أكثر باكياً ولا حزيناً منه، ثم قال. واللّه لو أعلمُ عمرَ كان يحبّ كلباً لأحْبَبْتُهُ، والله إنني أحسبُ العِصاة قد وَجَدَ فَقَدَ عمرَ)!!

وعنده - أيضاً - عن الحسن قال: (أيُّ أهلِ بيتٍ لم يجدوا فَقَدَ عمرَ فَهَمُّ أهلِ بيتِ سَوْءٍ).

ورثته زوجته عاتكة بنت زيد فقالت:

فَجَعَنِي فيروز^(١) لا درّ درّه
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا
متى ما يَقُلْ لا يكذبُ القولَ فعلُهُ
وقالت:

عينُ جودي بعبرةٍ ونحيبِ
فَجَعَتْنِي المنونُ بالفارسِ المُعْ
عصمةِ الناسِ والمعينِ على الدهرِ
قلْ لأهلِ السراءِ والبؤسِ موتوا
لا تملّي على الإمامِ النجيبِ
لَمِ يومَ الهياجِ والتلّيبِ
ر وغيثِ المتتابِ والمحروبِ
قد سَقَتْهُ المنونُ كأسَ شُعبِ

(١) هو الخييث أبو لؤلؤة.

عمره ومدة خلافته :

طعن عمر رضي الله عنه صبيحة الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وهو ابن ثلاث وستين^(١) سنة، كَسِنَ النبي ﷺ وسَنُّ أبي بكر، حين توفياً. وكانت مدة خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحدًا وعشرين يوماً.

أزواجه وأولاده :

مجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والإسلام، ممن طلقهن أو مات عنهن؛ سبع وَهْرُنٌ: جميلة بنت ثابت بن أبي الأَقْلَح، زينب بنت مظعون، عاتكة بنت زيد، قريبة بنت أبي أمية، مُلَيْكَة بنت جَزُول، أم حكيم بنت الحارث، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.

وله أمتان، هما: فُكَيْهَة ولُهَيْيَة.

وجملة أولاده ثلاثة عشر ولدًا، وهم: عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأوسط، وعبد الرحمن الأصغر، وزيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعبيد الله، وعاصم، وعياض، وحفصة، ورُقَيَّة، وفاطمة، وزينب.

وله من الموالي: أسلم، وهانيء، وأبو أمية، ومهجع، ومالك الدار، وذكوان.

* * *

(١) ورجح الحافظ ابن حجر أنه مات ابن ثمان وخمسين سنة أو تسع وخمسين؛ لخبر صحيح عن ابن عمر عن عمر نفسه.

(٣) $\frac{٣}{١}$ عثمان بن عفان^(١)

٤٧ق.هـ - ٣٥هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٥١ - ١٣٥٧، صحيح مسلم ٤/١٨٦٦ - ١٨٦٩، سنن الترمذي ٥/٦٢٤ - ٦٣١، سنن النسائي ٦/٢٣٣ - ٢٣٦، سنن ابن ماجه ١/٤٠ - ٤٢، مسند أحمد ١/٥٧ - ٧٥، المستدرک ٣/٩٥ - ١٠٧، جامع الأصول ٨/٦٣٢ - ٦٤٧، مشكاة المصابيح ٣/١٧١٢ - ١٧١٨، ١٧٢٥ - ١٧٢٧، ١٧٣٠، مجمع الزوائد ٩/٧٩ - ٩٩، المطالب العالیة ٤/٤٩ - ٥٥، ٢٧٥ - ٢٧٧، ٢٨٣ - ٢٩٤، الفتح ٧/٥٣ - ٦٩، ١٣/١٩٣ - ١٩٨، طبقات ابن سعد ٣/٥٣ - ٨٤، تاریخ يحيى بن معين ٢/٣٩٤، طبقات خليفة ١٠، تاریخ خليفة «انظر فهرس الأعلام»، العلل لأحمد: رقم ٧٩، ٤٦٧، ٦٩٣، ٩٤٨، ١٧٢٨، ٢٠٥٣، ٢٠٥٤، ٢٠٥٦، ٢٢٦٠، ٣٥٩٧، ٣٧٣٢ - ٣٧٣٤، ٤٦٥٤، ٤٨٤٢، ٥٨٨٦، التاريخ الكبير للبخاري ٦/٢٠٨ - ٢٠٩ ت ٢١٩١، التاريخ الصغير له ١/٨٣ - ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٩، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي «انظر فهرس الأعلام»، فضائل الصحابة للنسائي ١١ - ١٢، أخبار القضاة لوكيع «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٦/١٦٠ ت ١٨٢، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٢٣ - ٢٤ ت ٤، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير ٢٨، ٢٩، ٤٥، ٤٧، ٥١، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/٥١٦ - ٥١٧ ت ٧٩٧، حلية الأولياء ١/٥٥ - ٦١، جمهرة الأنساب لابن حزم «انظر فهرس الأعلام»، جوامع السيرة له «انظر فهرس الأعلام»، الاستيعاب ٣/٦٩ - ٨٥، طبقات الفقهاء للشيرازي ٢١ - ٢٢، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٣٤٧ ت ١٣٠٩، العواصم من القواصم ٤٥ - ١٤٦، صفة الصفوة ١/٢٩٤ - ٣٠٧، أسد الغابة ٣/٣٧٦ - ٣٨٤، الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٢١ - ٣٢٥، مختصر تاريخ ابن عساکر لابن منظور ١٦/١٠٩ - ٢٧٤، تهذيب الكمال ١٩/٤٤٥ - ٤٦٠ ت ٣٨٤٧، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٤٦٧ - ٤٨٢، تذكرة الحفاظ ١/٨ - ١٠، معرفة القراء الكبار ١/٢٤ - ٢٥، البداية والنهاية ٣/٣٠، ٦٦، ٣٠٣ =

اسمه ونسبه ونسبته، ومولده:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي، الأموي نسبة إلى أمية بن عبد شمس.

ولد بعد حادثة الفيل بست سنوات.

أبواه:

أما أبوه: عفان بن أبي العاص فَهَلَكَ في الجاهلية، ولم يدرك الإسلام.

وأما أمه: فهي أَرْوَى بنت كُرَيْز بن ربيعة، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ. فكان عثمان ابن بنت عمّة النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ ابن خال والدته.

وقد أسلمت أم عثمان، وهاجرت، وبايعت رسول الله ﷺ، ولم تنزل بالمدينة حتى ماتت في خلافة ابنها ولها تسعون سنة، فحمل عثمان سريرها، وصلى عليها، ودفنها بالبيع.

كنيته ولقبه:

كان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، ويُعَد إسلامه زوجه رسول الله ﷺ ابنته رقية - التي طَلَّقَهَا عتبة بن أبي لهب، ولم يكن دخل بها - فولدت له ابنة عبد الله فاكنتى به، وكناه المسلمون أبا عبد الله. وتوفيت رقية عند عثمان في أيام غزوة بدر - وعمرها عشرون سنة - فزوجه رسول الله ﷺ ابنته الأخرى أم كلثوم، وتوفيت عنده - أيضاً - سنة تسع للهجرة.

غاية ١٦٧/٤ - ١٦٨، ٤/٥، ١٩٦/٦، ٢٠٥ - ٢٠٧، ١٤٤/٧ - ١٦١، ١٦٥ - ٢٢٠، غاية
النهاية ١/٥٠٧، الإصابة ٢/٤٥٥ - ٤٥٦، تهذيب التهذيب ٧/١٢٧ - ١٢٩، تقريب
التهذيب ٢/١٢، الرياض المستطابة ١٥٦ - ١٦٣، تاريخ الخلفاء ١٤٧ - ١٦٥، شذرات
الذهب ١/٤٠ - ٤١، حياة الصحابة «انظر فهارسه». وغير ذلك كثير.

ولذلك كان يُلقَّب ذا النورين، ولا يُعرف أحدٌ أرخى ستره على بنتي نبيٍّ غير
عثمان رضي الله عنه.

صِفَتُهُ وَحِلْيَتُهُ:

كان عثمان رجلاً رُبْعَةً، ليس بالطويل ولا بالقصير، حَسَنَ الوجه، رقيق
البشرة، أَحْسَنَ الناسَ ثغراً، أَقْنَى^(١) الأنف، كَثَّ اللحية عَظِيمَهَا، أَسْمَرَ اللون،
عَظِيمَ الكَرَادِيسِ^(٢)، بعيد ما بين المنكبين، ممتلىء الساقين، طويل الذراعين،
شعره قد كسا ذراعيه، كثير شَعْرَ الرَّأسِ، يَصْفُرُّ لحيته، ويشدُّ أسنانه بالذهب.

كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم منقطع النظير، صادق اللهجة، عفيف
اللسان، طاهر الذيل، وصفه عبد الله بن عمر فقال: (ثلاثة من قريش أَصْبَحُ^(٣)
الناس وجوهاً، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياءً، إن حدثوك لم يَكْذِبُوكَ، وإن
حدَّثْتَهُمْ لم يَكْذِبُوكَ: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة الجراح،
رضي الله عنهم).

مكانته في قريش، وتجارته:

تبوأ عثمان مكانة رفيعة في قريش، فكان معظماً عندها، مُحِبِّباً فيها، حتى
ضُربَ المثل بحبِّها له، لدرجة أن الأم كانت عندما تداعب ولدها تقول له: (أَحْبَبُكَ
الرحمنُ حبَّ قريشِ عثمان).

ولقد ورث عن أبيه مالاً وفيراً، فكان يَتَجَرَّ فيه، فيعطي التجار ماله مضاربة
على النصف، واشتهر بالتجارة والصدق فيها في الجاهلية والإسلام.

(١) القَنَا في الأنف: طوله ورِقَّةٌ أُرْبِنَتْه مع حَدَبٍ في وسطه.

(٢) هي رؤوس العظام، واحدها كُرْدُوس، أو: هي ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين
والمرققين. والمراد أنه ضخم الأعضاء.

(٣) الصَّبَاحَةُ: الجمال.

إسلامه:

أسلم عثمان قديماً، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وقد ناله نصيب من الأذى يضاھي مكانته في قريش، على يد عمه الحَكَم. أخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي: (لما أسلمَ عثمان بن عفان أخذه عمُّه الحَكَمُ بنُ أبي العاص بن أميَّة، فأوثقه رباطاً، وقال: أتزَعَبُ عن ملَّةِ آبائك إلى دين مُحدَثٍ؟ والله لا أحلِّك أبداً حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين! فقال عثمان: والله لا أدعُه أبداً ولا أفارقه. فلما رأى الحَكَمُ صلابته في دينه تركه).

هجرته:

ذكر ابن سعد أن عثمان كان (ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، ومعه فيهما جميعاً امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ).

وقال الحافظ في «الفتح»: (وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت له: لقد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار. فقال: «صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط»).

ثم رجع عثمان إلى مكة مع من رجع من مهاجري الحبشة، ثم هاجر بأهله إلى المدينة المنورة، ونزل على أوس بن ثابت، أخي حسان شاعر الرسول ﷺ.

مشاهده:

لم يشهد عثمان غزوة بدر، فقد كانت زوجته رقية مريضة، فاشتغل بتمريضها عن أمر النبي ﷺ، فأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها؛ فهو معدود فيمن شهدها.

وشهد (أحدًا)، وتولى يومئذ فيمن تولى، وقد نصرَ القرآن على العفو عنهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾^(١).

عن سعيد بن المسيب قال: (رفع عثمانُ صوتَه على عبدِ الرحمن بن عوف، فقال له: لأيِّ شيء ترفع صوتك عليّ وقد شهدتُ بدرًا ولم تشهد، وبايعتُ رسولَ الله ﷺ ولم تُبايع، وفررتَ يوم أحد ولم أفر؟! فقال له عثمان: أما قولك أنك شهدت بدرًا ولم أشهد، فإن رسولَ الله ﷺ خلفني على ابنته، وضربَ لي بسهم، وأعطاني أجري. وأما قولك بايعت رسولَ الله ﷺ ولم أبايع، فإن رسولَ الله ﷺ بعثني إلى أناس من المشركين، وقد علمت ذلك، فلما اختبستُ ضربَ يمينه على شماله فقال: «هذه لعثمانَ بنِ عفان!» فشمالُ رسولِ الله ﷺ خير من يميني. وأما قولك: فررتَ يوم أحد ولم أفر، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فَلَمْ تُعَيِّرْنِي بِذَنْبٍ قَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ (١٩)^(٢).

وشهد الخندق، والحديبية - وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى - وخيبر، وعمرة القضاء، والفتح، وهوازن، والطائف، وتبوك، وجَهَّزَ جيشَ العُسرة.

أخرج أحمد في «مسنده» والترمذي في «سننه» والحاكم في «مستدرکه» عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ قال: (جاء عثمانُ رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألفِ دينار - حينَ جَهَّزَ جيشَ العُسرة - ففرَّغها عثمان في حَجَرِ النبي ﷺ. قال: فجعلَ النبي ﷺ يقلِّبُها ويقول: «ما ضَرَّ عثمانَ ما عملَ بعدَ هذا اليوم». قالها مراراً)^(٣).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

(٢) قال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن.

(٣) لفظ الحاكم، وضححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن حَبَّاب السَّلَمِي (١) قال: (شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وهو يَحْتُ على جيش العُسرة، فقامَ عثمانُ بن عفان فقال: يا رسولَ اللهِ، عليّ مئةٌ بعيرٍ بأخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سبيلِ اللهِ. ثم حَضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسولَ اللهِ، عليّ مِئْتًا بعيرٍ بأخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سبيلِ اللهِ. ثم حَضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسولَ اللهِ، لِلَّهِ عليّ ثلاثُ مئةٍ بعيرٍ بأخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سبيلِ اللهِ. فأنا رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ينزلُ عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمانَ ما عَمِلَ بعد هذه، ما على عثمانَ ما عملَ بعد هذه» (٢).

أخلاقه:

أخرج البخاري عن عُبَيْدِ اللهِ بن عَدِي بن الخِيَار قال: (دخلتُ على عثمانَ فتشَهدتُ ثم قال: أما بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ بعثَ محمداً ﷺ بالحقِّ، وكنتُ ممَّنِ استجابَ اللهُ ولرسولِهِ، وآمنَ بما بُعثَ به محمداً ﷺ، ثم هاجرتُ هجرتينِ، ونِلْتُ صِهْرَ رسولِ اللهِ ﷺ، وبايعتُهُ، فواللَّهِ ما عصيتهُ ولا غَشَشْتُهُ حتى توفَّاه اللهُ).

وعند مسلم عن عائشة - في حديث طويل - أن النبي ﷺ جمع عليه ثيابه حين دخل عثمان، وقال: «أَلَا أَسْتَحِي من رجلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الملائكةُ!». .

وفي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَزْحَمُ أُمَّتِي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمر، وأصدقُهم حياةً عثمان...» (٣).

(١) قال الحافظ في «التقريب»: وَهَمَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ ابْنُ حَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ، صَحَابِي، نَزَلَ الْبَصْرَةَ.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة - يعني الحديث الذي قبله - قال الأرنؤوط: فهو شاهد له بالمعنى، وهو به حسن.

(٣) مرَّ بطوله في ترجمة عمر، ص ١٨٥.

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال: «يا بنية، أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقاً»^(١).

وكان رضي الله عنه في صلة الرّحم مضرب المثل، قال علي بن أبي طالب: (كان عثمان أوصلنا للرّحم). وقالت أم المؤمنين عائشة - بعد مقتله -: (لقد قتلوه، وإنه لمن أوصلهم للرّحم، وأتقاهم لربه).

وبلغ من رحمته أنه كان إذا قام للتهجد يسعى في إحضار الماء بنفسه، ولا يوقظ أحداً من أهله أو خديمه ليعينه على ذلك، إلا أن يجده يقظان، فيعاتب في ذلك، فيقال له: لو أيقظت بعض الخدم فكفوك؟! فيقول: (لا، الليل لهم يستريحون فيه)!

وغضب مرة على عبد له، فعرك أذنه، وسرعان ما تذكر القصاص يوم الدين، فقال له: (إني عركت أذنك فاقتص مني)! فاستحى العبد، فألح عثمان عليه حتى فعل، فقال رضي الله عنه: (اشدّد، يا حَبْدًا قِصاص في الدنيا، لا قِصاص في الآخرة).

وروى الإمام أحمد (أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه، فلقية فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غببتني، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم. قال: فاحتر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مُشترياً وبائعاً، وقاضياً ومُقْتضياً»^(٢).

وروى ابن جرير (أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد، فقال له

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» - وهذا لفظه - والنسائي وابن ماجه والبيهقي في «شعب الإيمان». قال الألباني في «صحيح الجامع»: سنده حسن.

طلحة: إن الخمسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت، فأرسل من يقبضها. فقال له عثمان: إنا قد وهبناكها لمروءتك!

سخاؤه ونفقته:

أما سخاؤه وكرمه، وعطاؤه وإنفاقه؛ فشيء منقطع النظير، فلقد أنفق ماله يميناً وشمالاً في سبيل الله، حتى لقد غطى كرمه - مع حياته - على باقي خصاله الكريمة وسجاياه النبيلة وتنازل لإسلامه وإخوانه عن ماله الفياض، فبدله بغير حساب. ولو ذهبنا نبحت عن رجلٍ مثل عثمان في بذله العريض، وعطاؤه المفيض؛ لعز علينا أن نجد له مثيلاً ونظيراً.

فعندما ضاق المسجد النبوي بالمصلين، تمنى النبي ﷺ أن يشتري أحد الصحابة الأرض المجاورة لضمها إليه، فقال مرعياً بأجر ذلك: «من يشتري بقعة آل فلان، فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة». فاشتراها عثمان من صلب ماله بخمسة وعشرين ألفاً.

وبعد فتح مكة اشترى أحد البيوت الواسعة الملاصقة للمسجد الحرام بعشرة آلاف دينار، وضم للمسجد.

واشترى (بئر رومة) بعشرين ألف درهم، وجعلها للمسلمين، للغني والفقير وابن السبيل.

وفي (تبوك) جهز جيش العسرة بتسع مئة وخمسين بعبيراً، وأتم الألف بخمسين فرساً، وألقى في حجر النبي ﷺ ألف دينار، وجاء بسبع مئة أوقية ذهب فصبتها بين يديه ﷺ.

روى البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمى (أن عثمان رضي الله عنه حيث حوِّص، أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله - ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ - أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فحفرتها. أَلَسْتُمْ

تعلمون أنه قال: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فجهزته. قال: فصَدَّقُوهُ بما قال).
 وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ في غَزَاةٍ، فَأَصَابَ
 النَّاسَ جَهْدٌ، حَتَّى رَأَيْتُ الْكَأَبَةَ فِي وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرْحَ فِي وُجُوهِ الْمُنَافِقِينَ،
 فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ، لَا تَغِيبُ الشَّمْسُ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ
 بِرِزْقٍ». فَعَلِمَ عَثْمَانُ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيَصِدِّقَانِ، فَاشْتَرَى عَثْمَانُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ رَاحِلَةً
 بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الطَّعَامِ، فَوَجَّهَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِتِسْعَةٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ:
 «مَا هَذَا؟» قَالُوا: أَهْدَى إِلَيْكَ عَثْمَانٌ. قَالَ: فَعَرَفَ الْفَرْحَ فِي وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ
 وَالْكَأَبَةَ فِي وُجُوهِ الْمُنَافِقِينَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ بِيَاضَ إِبْطِيهِ،
 يَدْعُو لِعَثْمَانَ دَعَاءَ مَا سَمِعْتَهُ دَعَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ عَثْمَانَ، اللَّهُمَّ افْعَلْ
 لِعَثْمَانَ»^(١)).

وَقَحِطَ النَّاسُ فِي زَمَانِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ الصَّدِيقُ لَهُمْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا تُمْسُونَ
 غَدًا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ فَرْجُ اللَّهِ. فَلَمَّا كَانَ صَبَاحَ الْغَدِ، قَدِمَتْ قَافِلَةٌ لِعَثْمَانَ، فَغَدَا عَلَيْهِ
 التَّجَارُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ مِئَاةٌ قَدْ خَالَفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ
 يَبِيعَهُمْ قَافِلَتَهُ. فَأَبَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُهَا لِفُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ بِلَا ثَمَنِ وَبِلَا حِسَابٍ!
 وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا أَتَتْ عَلَيَّ جُمُعَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْتَقُ فِيهَا رَقَبَةً مَتَدَّ
 أَسْلَمْتُ، إِلَّا أَنْ لَا أَجِدَهَا فِي تِلْكَ الْجُمُعَةِ، فَأَجْمَعُهَا فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ).
 وَعِنْدَمَا حُصِرَ فِي أَيَّامِهِ الْأَخِيرَةِ مِنْ قَبْلِ الْبَغَاةِ أَعْتَقَ عَشْرِينَ عَبْدًا مَمْلُوكًا.
 عِبَادَتُهُ وَنَسْكُهُ وَتَقْوَاهُ:

● ● أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: (أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ صَلَّى
 بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَامَ خَلْفَ الْمَقَامِ فَجَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ فِي رُكْعَةٍ كَانَتْ وَثْرَهُ، فَسُمِّيَتْ
 الْبَيْرَاءَ).

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، وإسناده حسن.

وأخرج عبد الرزاق وابن سعد وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: (قمت خلف المَقَام وأنا أريد أن لا يُغَلِّبني عليه أحدُ تلك الليلة، فإذا رجلاً يَغْمِزُني فلم ألتفت، ثم غَمَزَني فنظرتُ فإذا عثمان بن عفان، فتنحيتُ، فتقدّم فقراً القرآن في ركعة، ثم انصرف)^(١).

وعن محمد بن سيرين قال: (لما أحاطوا بعثمان ودخلوا عليه ليقتلوه، قالت امرأته: إن تَقْتُلوه أو تَدَعُوهُ فقد كان يُخَيِّبُ الليلَ بركعةٍ يجمع فيها القرآن)^(٢).

قال الحافظ ابن كثير: (وقد روي هذا من غير وجه أنه صَلَّى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه. ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(٣) قال: هو عثمان بن عفان. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) قال: هو عثمان).

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (صحَّ من وجوه أن عثمانَ قرأ القرآن كلَّه في ركعة).

● ● وروى الإمام أحمد (أن عثمان كان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هَجَعَةً من أوَّله).

وعن الحسن قال: (قال عثمان: لو أنَّ قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربِّنا، وإنِّي لأكره أن يأتي عليَّ يومٌ لا أنظرُ في المصحف. وما مات عثمانُ حتى خَرَقَ مصحفَهُ، من كثرة ما يديم النظرَ فيه).

(١) وأخرجه أيضاً أبو عبيد بسنده، وقال ابن كثير في «فضائل القرآن»: هذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد - وهذا لفظه - والطبراني، قال الهيثمي: إسناده حسن.

(٣) سورة الرَّمَر: الآية ٩.

(٤) سورة النحل: الآية ٧٦.

● ● وحج رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وفي خلافته حج عشر سنين متوالية، إلا السنة التي حُوصِر فيها، فوجّه ابن عباس فحج بالناس. أخرج أبو نعيم عن هانيء مولى عثمان قال: (كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته).

قال الحافظ الذهبي في ترجمة عثمان من «تذكرة الحفاظ»: (كان من السابقين الصادقين، القائمين الصائمين، المُتفقيين في سبيل الله، وممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة... وكان ممن جمع بين العلم والعمل، والصيام والتهجد والإنفاق^(١))، والجهاد في سبيل الله، وصلة الأرحام، فقَبَّحَ اللهُ الرافضة). علمه ومروياته:

عن القاسم بن محمد قال: (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون علي عهد رسول الله ﷺ).

وعن سهل بن أبي حنمة^(٢) قال: (كان الذين يُفتون علي عهد رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من المهاجرين، وثلاثة من الأنصار: عمر وعثمان وعلي، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت).

وعن القاسم - أيضاً -: (أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمرٌ يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه، ودعا رجالاً من المهاجرين والأنصار؛ دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يُفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء. فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر، وكانت الفتوى تصير - وهو خليفة - إلى عثمان وأبي زيد).

وعن المسور بن مخرمة قال: (كان علم أصحاب رسول الله ﷺ ينتهي إلى

(١) في «التذكرة» ٩/١: والإتقان، ولعلها محرّفة عما أثبتناه.

(٢) في الطبقات ٣٥٠/٢: (خيشمة) تحريف، وسهل: صحابي صغير.

سنة: إلى عمر وعثمان وعلي، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت).

وقال ابن سيرين: (كان أعلمهم بالمناسك ابنُ عفان، وبعده ابنُ عمر)^(١).

ومن الأدلة على غزارة علمه كونه أصبح أميراً للمؤمنين، فالخليفة يجب أن يكون من أعلم الناس بكتاب الله، وأقرئهم له، وأكثرهم معرفة بسنة النبي ﷺ. ولهذا ترجم له الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ»، واعتبره أحد حفاظ السنة النبوية، وقال: (روى جملة كثيرة من العلم). وافتتح به كتابه (معرفة القراء الكبار)، وقال فيه: (أحدُ السابقين الأولين، وأحدُ مَنْ جَمَعَ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ).

وقال الحافظ شيخ قراء زمانه ابن الجزري: (أحد السابقين الأولين، وأحد من جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ، وعرضَ عليه).

وكان رضي الله عنه يتخرج من كثرة الرواية والتحديث عن رسول الله ﷺ خشية أن يخطيء حفظه، فزيد حرفاً أو ينقص حرفاً. أخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي عن عثمان قال: (لا يحلُّ لأحدٍ يزوي حديثاً لم يُسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر، فإنه لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ إلا أكون من أوعى أصحابه عنه، إلا إني سمعته ﷺ يقول: «مَنْ قال عليّ ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار»).

لذا قلَّت مروياته عن النبي ﷺ، قال النووي في «تهذيبه»: (رُوي لعثمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مئة حديث وستة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بشمانية، ومسلم بخمسة).

خرج له أصحاب الكتب الستة.

روى عثمان عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكر وعمر.

(١) أخرجها جميعها ابنُ سعد.

وروى عنه من الصحابة: ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وعمران بن حصين، وأبو قتادة، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو أمامة الباهلي، وغيرهم.

ومن التابعين: ابن عمه مروان بن الحَكَم، والأخنف بن قيس، وسعيد بن المسيب، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عبد الرحمن السلميّ، وعلقمة بن قيس، ومحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وآخرون.

وروى عنه أولاده: أبان، وسعيد، وعمرو، ومواليه: حمران، وهانيء البربري، وأبو صالح، وأبو سهلة، ويوسف، وابن وارة.

قال الداني: (عَرَضَ القرآنَ على النبي ﷺ، وعَرَضَ عليه أبو عبد الرحمن السلميّ، والمغيرة بن أبي شهاب، وأبو الأسود - يعني الدؤلي - وزر بن حبيش).

منزلته عند النبي ﷺ وأصحابه:

● ● كان عثمان يكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، كما كان كاتب سرّه ﷺ، وإذا جلس النبي ﷺ جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بين يديه.

وأخرج يعقوب بن سفيان عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيتُ أني وُضعتُ في كِفَّةِ وأمتي في كِفَّةِ فَعَدَلْتُها، ثم وُضع أبو بكر في كِفَّةِ وأمتي في كِفَّةِ فَعَدَلْتُها، ثم وُضع عُمر في كِفَّةِ وأمتي في كِفَّةِ فَعَدَلْتُها، ثم وُضع عُثمان في كِفَّةِ وأمتي في كِفَّةِ فَعَدَلْتُها».

وعن أبي سعيد الخدري قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ من أولِ الليلِ إلى أن

طلع الفجرُ رافعاً يديه يدعو لعثمان، يقول: «اللهم عثمان، رضيته عنه فارض عنه»!

وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: (لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ عثمانَ في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله»، فضربَ بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ الله ﷺ لعثمانَ خيراً من أيديهم لأنفسهم^(١)).

● ● ولقد عرف الصحابة لعثمان منزله، وأثنوا عليه، ونشروا فضائله، فكان رضي الله عنه مقرباً عند الشيخين، يدنيانه ويستشيرانه.

وذكر ابن كثير أنه ثبت عن علي من غير وجه أنه قال في عثمان: (كان من الذين ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾^(٢)). وفي رواية أنه قال: كان عثمان رضي الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم، وأشدنا حياءً، وأحسننا طهوراً، وأتقانا للرب عز وجل).

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ).

وسأل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ابن عباس رضي الله عنهما، فقال ما تقول في عثمان بن عفان؟ فقال ابن عباس: (رحمَ الله أبا عَمْرٍو، كان - والله - أكرمَ الحَفْدَةِ، وأوصلَ البِرَّةِ، وأصبرَ الغزاة، هجَداً بالأسحار، كثيرَ الدموع عند ذكر الله، دائمَ الفكر فيما يعنيه الليل والنهار، ناهضاً إلى كل مكرمة،

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. قال الشيخ الأرنؤوط: وهو كما قال، وشاهده في «الصحيح» من حديث ابن عمر في فضائل عثمان.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٣.

يسعى إلى كل منجية، فزاراً من كل موبقة، وصاحب الجيش^(١) والبئر^(٢)،
وختن^(٣) المصطفى على ابنتيه، فأعقب الله من سببه الندامة إلى يوم القيامة.

وعن حميد الطويل قال: (قيل لأنس بن مالك: إن حب علي وعثمان
رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب واحد! فقال أنس رضي الله عنه: كذبوا
- والله - لقد اجتمع حبهما في قلوبنا).

المبشر بالجنة:

أخرج أبو داود والترمذي - واللفظ له - عن سعيد بن زيد (أن رسول الله ﷺ
قال: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي،
والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص». قال: فعُدَّ
هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: نَشُدُّكَ اللَّهُ يَا أبا الأَعْوَرِ، مَنْ
العاشر؟ قال: نَشُدُّمُونِي بِاللَّهِ، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ^(٤)).

وفي «حديث القف» عن أبي موسى الأشعري: (فجاء إنسان يحرك الباب،
فقلت من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك، فجئت رسول الله ﷺ
فأخبرته، فقال: «الَّذُنْ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ». فجئته فقلت له:
ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، على بلوى تُصِيبُكَ. فدخل فوجد القف قد
مُلِيَ، فجلس وجأه من الشق الآخر^(٥)).

(وقال النبي ﷺ: «مَنْ يَحْفِرُ بئرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فَحَفَرَهَا عثمانُ. وقال:

(١) يريد تجهيزه جيش العسرة.

(٢) إشارة إلى شرائه بئر رومة.

(٣) أي صهره.

(٤) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني والأرنؤوط: حديث صحيح.

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي.

«مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ». فَجَهَّزَهُ عَثْمَانُ^(١).

قال الحافظ في «الإصابة»: (وجاء من أوجه متواترة أن رسول الله ﷺ بشره بالجنة، وعده من أهل الجنة، وشهد له بالشهادة).

استخلافه:

● ● الإشارات النبوية لاستخلافه، وإرهاصات ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ أرسل إلى عثمان، فجاء، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال له: «يا عثمان، إِنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْسِكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمَنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي»، ثلاثاً^(٢)).

وأخرج البزار عن ابن عمر قال: (كنا نقول في عهد النبي ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان - يعني في الخلافة -)^(٣).

وروى ابن سعد عن حذيفة بن اليمان قال: (كنت واقفاً مع عمر بن الخطاب بعرفات، وإنَّ راحلتي لبِجَنِبِ راحلته، وإنَّ رُكْبَتِي لتمس ركبته، ونحن ننتظر أن تغرب الشمس فنُفِيضَ، فلما رأى تكبير الناس ودعاءهم وما يصنعون، أعجبه ذلك فقال: يا حذيفة، كم ترى هذا يبقى للناس؟ فقلت: على الفتنة باب، فإذا كسر الباب أو فتح خرجت! ففرع، فقال: وما ذلك الباب، وما كسر باب أو فتحه؟! قلت: رجل يموت أو يُقتل! فقال: يا حذيفة، من ترى قومك يؤمرون بعدي؟ قال: قلت: رأيتُ الناس قد أسندوا أمرهم إلى عثمان بن عفان!)

وقال الحافظ في «الفتح»: (أخرج ابن أبي شيبة من طريق حارثة بن مُضَرَّب قال: حججت في خلافة عمر فلم أرهم يشكون أن الخليفة بعده عثمان. وأخرج

(١) رواه البخاري مُعَلَّقاً.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال الألباني: إسناده صحيح.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: هذا إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجه.

يعقوب بن شَيْبَةَ^(١) في «مسنده» من طريق صحيح إلى حذيفة قال: قال لي عمر: مَنْ تَرَى قَوْمَكَ يَوْمَكَ يَوْمًا بعدِي؟ قال: قلت: قد نظر الناس إلى عثمان وشهروه لها. وأخرج البَغَوِيُّ في «معجمه»، و«خَيْثَمَةُ فِي» فضائل الصحابة» بسند صحيح عن حارثة ابن مُضَرَّب: حججت مع عمر، فكان الحادي يحدو أن الأمير بعده عثمان بن عفان.

● ● استخلافه:

روى البخاري في حديث طويل أن عمر لما طعن دخل عليه الصحابة فقالوا: (أوص يا أمير المؤمنين، استخلف). قال: ما أجد أحداً أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرّهط، الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسَمَى علياً وعثمانَ والزبيرَ وطلحةَ وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيءٌ - كهَيْثَمَةُ التَّعْزِيَةُ له - فإن أصابت الإمرّة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنّي لم أعزله عن عجز ولا خيانة). فلما فرغ من دفن عمر (اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكمما تبرأ من هذا الأمر، فنجعلهُ إليه واللّه عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان! فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّ واللّه عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ، والقدم في الإسلام ما قد علمت، فاللّه عليك لئن أمرتكَ لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟! ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه).

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما - أي في عثمان وعلي - ويجمع رأي المسلمين برأي

(١) في الفتح ١٣/١٩٨: (شبة) وهو تحريف.

رؤوس الناس وأعيانهم^(١) جميعاً وأشتاتاً، مثنى وفردى ومجتمعين، سراً وجهراً، حتى خلص إلى النساء المخدّرات في حجابهنّ، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من يرد من الرّكبان والأعراب إلى المدينة، في مدة ثلاثة أيام بلياليها فلم يجد اثنين يختلفان في تقدّم عثمان بن عفان، إلا ما يُنقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب، ثم بايعا مع الناس على ما سنذكره. فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها، لا يغتمض بكثير نوم، إلا صلاةً ودعاءً واستخارةً، وسؤالاً من ذوي الرأي منهم؛ فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه).

وتمت بيعته في المسجد، فبايعه عبد الرحمن بن عوف، ثم كانت يمينُ عليّ بن أبي طالب ثانيَ يمينٍ شدّت بالبيعة على يمين أمير المؤمنين عثمان^(٢)، ثم بايعه الناس: المهاجرون، والأنصار، وأمرء الأجناد، وعامة الناس وازدحموا عليه حتى غشّوه تحت المنبر. واستقبل بخلافته يوم السبت غرة المحرم من سنة أربع وعشرين للهجرة.

روى الطيالسي والحاكم عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «تهجمون على رجلٍ مُعتَجِرٍ بيزدة يبايع الناس، من أهل الجنة». فهجمتُ على عثمان رضي الله عنه وهو معتجر بيزدة جيرة يبايع الناس)^(٣).

وتمت البيعة بإجماع المسلمين، واجتمعوا على خيرهم وأفضلهم، وقد عبر عن ذلك الصحابي الحبر عبد الله بن مسعود فيما أخرجه ابن سعد عن أبي وائل (أن عبد الله بن مسعود سار من المدينة إلى الكوفة ثمانياً حين استخلف عثمان بن

(١) في البداية ١٤٦/٧: (أقيادهم) فلعلها محرفة عما أثبتناه.

(٢) هذه رواية البخاري في «صحيحه»، وابن سعد في «الطبقات».

(٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

عفان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مات فلم نر يوماً أكثر نشيجاً من يومئذ، وإننا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فُوق^(١)، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان، فبايعوه.

ونقل ابن تيمية في «منهاج السنة» قول الإمام أحمد: (لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان: ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام، وهم مؤتلفون متفقون، متحابون متواردون، معتصمون بحبل الله جميعاً).

خطته في الحكم، وهديه مع الولاية والرعية:

قال في أول خطبة له - بعد مبايعته -: (أما بعد، فإنني قد حُمِلْتُ وقد قبلتُ. ألا وإني متَّبِعٌ ولست بمبتدع. ألا وإن لكم عَلَيَّ بعد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع مَنْ كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتم، وسَنَّ سَنَّهُ أهل الخير فيما لم تسنُّوا عن مَلَأ، والكفَّ عنكم إلا فيما استوجبتم).

● ● ووجه كتبه إلى ولاية الأمصار بأمرهم بأن يكونوا رعاة لا جباة، وأن يسيروا بين الناس بالعدل، وينشروا لهم الرحمة. وكتب إلى أمراء الأجناد في الثغور أن يلزموا ما أوصاهم به الفاروق عمر، وأمر عمال الخراج أن يتبعوا الحق فيما يأخذونه، والأمانة والوفاء، وأن يبتعدوا عن الظلم. ووجه كتبه إلى رعيته في البلاد بأمرهم بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموافاة موسم الحج كل عام؛ ليرفع مَنْ كانت له ظُلامة أمره إلى الخليفة.

كتب رضي الله عنه: (أما بعد، فإنني آخذ العمال لموافاتي في كل موسم، وقد سلَّطْتُ الأُمَّة منذ وُلِّيتُ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يُرْفَع عَلَيَّ شيءٌ ولا عَلَيَّ أحدٌ من عُمَّالي؛ إلا أعطيتُه. وليس لي ولعيالي حقٌ مثل الرعية إلا متروك لهم! وقد رفعَ إِلَيَّ أهلُ المدينة أن أقواماً يُشْتَمون، وآخرون يُضربون؛

(١) قوله (ذي فُوق): الفُوق مستعار من فُوق السهم وهو موضع الوتر منه، أراد: ولينا خيرنا وأكملنا، تاماً في الإسلام والسابقة والفضل.

فَيَا مَنْ ضُرِبَ وَشْتِمَ سَرًّا، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فليُؤَافِ الموسِمَ، فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ).

● ● وكان له مجلس شورى من أهل بدر وأصحاب الرأي من صحابة رسول الله ﷺ، ويدعو معهم ابن عباس - كما كان يفعل عمر - يستشيرهم بأمور المسلمين، وتوجيه الجيوش والفتوحات، وتصريف أحوال الدولة وشؤون الخلافة.

● ● وسيرته في خلافته، وهذبه وحياته ومعاشه كانت على منهاج النبوة وهدى الشيخين:

فكان يقبل في المسجد - وهو خليفة - رداؤه تحت رأسه، وليس حوله أحد، فيقوم وأثر الحصى بجنبه. ويطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الخبز والزيت. ورآه عبد الله بن شداد - التابعي الثقة - يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم.

يركب على بغلته، ويردف غلامه، ويعود مرضى المسلمين، ويدعو لهم، ويجيب الدعوة ولو كان صائماً. دعاه المغيرة بن شعبة - وقد تزوج وصنع وليمة - فجاء عثمان، وقال: (أما إني صائم، غير أنني أحببت أن أجيب الدعوة، وأدعو بالبركة).

ويسأل عن أحوال الرعية، والأخبار، والأسعار؛ أخرج ابن سعد عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: (رأيت عثمان بن عفان والمؤدّن يؤدّن وهو يحدث الناس، يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار).

● ● وتخيّر الولاة فكانوا أصحاب صدق وإيمان، وسيرة طيبة، والتزام بالشرع، وطاعة للخليفة، وحرص على الرعية، ورغبة في نشر الرسالة، وحنكة وحكمة، ودربة وخبرة في أمور الحرب.

فمعاوية بن أبي سفيان على الشام. وسعد بن أبي وقاص على الكوفة، ثم عزله وولى الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْظ، ثم عزل الوليد وولى سعيد بن العاص بن أبي أُحَيحة الأموي، وهو صحابي جليل، أمير شريف، جواد ممدّح، حليم وقور. وفي البصرة عزل أبا موسى الأشعري سنة (٢٩هـ) وولى الصحابي الفاتح الكبير عبد الله بن عامر بن كُرَيْز. وفي مصر كان الوالي عليها عمرو بن العاص، وفي جنده الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، فاختلف عمرو وعبد الله، فعزل عثمان عمراً، وولى ابن أبي سَرْح الخراج والجنود.

وكان مروان بن الحَكَم بن أبي العاص الأموي كاتب عثمان، وإليه الخاتم، وهو صحابي في رأي بعض العلماء، وعدّه آخروه في كبار التابعين. وفقهاء الأمصار على تعظيمه والالتقاد لروايته، والتلفت إلى فتواه. أُنهِم بتزوير كتاب على لسان عثمان^(١) موجّه إلى عامل مصر يأمره بقتل الخارجين على أمير المؤمنين. ودافع عن عثمان (يوم الدار)، وقاتل دونه أشد القتال.

ومن القادة الأبطال الذين برزت أسماؤهم في عهد عثمان، وتوطدت الفتوحات على أيديهم: الأحنف بن قيس، وسَلْمَان بن ربيعة الباهلي، وعبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريّان، وعبد الله بن قيس الجاسي أمير البحرية، ومُحَاشِع بن مسعود السَلَمي، والأسود بن كلثوم العدوي، والأقرع بن حابس، وعبد الله بن خازم، وغيرهم كثير.

● ● وقد توسعت الفتوحات في عهد عثمان توسعاً كبيراً في الشمال والشرق والغرب، فدانت له بلاد فارس، ووصلت جيوشه إلى حدود الهند، وفي الغرب قرعت كتابه أبواب الأندلس، وزحفت راياته المتصصرة نحو الجنوب حتى وصلت إلى الحبشة، وأوغلت في أرض الروم حتى مضيق القسطنطينية عاصمة الروم.

(١) ومروان بريء من هذا الكتاب، وإنما افتعله - على التحقيق - حُكَيْم بن جَبَلَة والأشتر النَّخعي.

ودخل المسلمون بقوة المجال البحري، فبنى معاوية أسطولاً لحماية سواحل الشام، وأنشأ ابن أبي سرح هو الآخر أسطولاً لحماية سواحل مصر وشمال إفريقية.

وسياسة عثمان في الفتوحات كان فيها شيء من (اللامركزية)، وذلك استجابة للمرحلة التاريخية التي تمر بها الدولة، فكان يتخير الولاة والقادة الأكفاء الثقات الأمناء المقتردين، ويحدد لهم واجباتهم، ثم يترك لهم الحرية في إدارة الحرب على ساحات العمليات، يمارسون بعض صلاحياتهم، ويجتهدون بأرائهم، وينظرون في خبرات من سبقهم لمعالجة المواقف الطارئة؛ إذ ليس من المعقول إذا حدث أمر في أقاصي إفريقية أو على أطراف خراسان، أن يبعث الوالي بالأمر إلى الخليفة، على هذه المسافة الهائلة، ثم ينتظر الرد! ولقد أثبتت تلك السنوات الطوال نجاح وواقعية هذا التفكير (العثماني) الموفق الرشيد.

فلما انتقضت (أَذْرِيحَان) و (أَزْمِينِيَّة) أمر عثمان الوليد بن عقبة أن يسير بجيش الكوفة إلى ذَيْنَكِ المِصْرَيْنِ، فأسرع الوليد لذلك، فوطىء بلادهم، وأغار بأراضي تلك الناحية، وردَّهم إلى صوابهم، وصالَحَهُمْ على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان.

وانتقضت (الرِّي) هي الأخرى وتمردت، فتوجه إليها جيش من أهل البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري، وأنزلهم على العهد الذي عقده مع حذيفة من قبل.

وتوجه عثمان بن أبي العاص إلى (سابور) فافتتحها صلحاً. وتوغل الجيش الإسلامي في (إفريقية) بقيادة ابن أبي سرح، فافتتحها. وبعد أن تم فتحها أرسل عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحُصَيْنِ الفهريَّين من فورهما إلى الأندلس، فأتياها من قِبَلِ البحر. وغزا معاوية (قَنْسَرين). وفتحت (أَزْجَان) و (دَرَابْجِرْد).

وتم تكوين الأسطول البحري الإسلامي، وأوعب مع معاوية جيش عظيم من

المسلمين، وركبوا في مراكب وقصدوا (جزيرة قبرص)، وكان فيهم جملة من خيار الصحابة. وأمدهم عثمان بجيش آخر من مصر بقيادة ابن أبي سرح. فالتقى الجيشان في (قبرص)، وافتتحوها. واستشهدت هناك الصحابية الجليلة أم حرام بنت ملحان.

وخاضت البحرية الإسلامية معركة (ذات الصواري) بقيادة ابن أبي سرح، ضد الروم الذين اجتمعوا على قسطنطين بن هرقل، وكانت وقعة مهولة، حتى غلب الدم على لون الماء، وأنزل الله نصره على المؤمنين. وفي الشام أمر معاوية على البحر عبد الله بن قيس الجاسي، فغزا خمسين غزاة بين شامية وصائفة في البحر، فلم يغرق فيه أحد، ولم يُنكب! وخلال نصف قرن من الزمان أصبح اسم البحر المتوسط: (بحر الشام)، وكان قبل ذلك يحمل اسم (بحر الروم)!

وانساحت الفتوحات فتوغل معاوية في أرض الروم، حتى غزا مضيق القسطنطينية، وغزا (مَلَطِيَّة) و (إفريقيَّة) سنة (٣٣هـ). وتوجه ابن أبي سرح بجيشه فغزا الحبشة. وانطلق سعيد بن العاص - والي الكوفة - بجيشه إلى (طَبْرِسْتَان)، فنزل (قَوْمِس)، ثم أتى (جُرْجَان) فصالحه أهلها، ثم (طَمِيسَة) - وهي كلها من طبرستان - وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، واقتتلوا حتى افتتحها. وزحف جيش بقيادة سلمان بن ربيعة إلى (الباب) على بحر قزوين، وقام عبد الرحمن بن ربيعة - نائب تلك الناحية - بمساعدته، وسار حتى بلغ (بَلَنْجَر)، فخرج أهلها وعاونهم الترك، فاقتتلوا قتالاً شديداً هائلاً انكسر فيه المسلمون، وهذه هي المعركة الوحيدة التي خسر فيها المسلمون خلال تلك الفتوحات الواسعة.

وعلى جبهة فارس زحف عبد الله بن عامر - ومعه الأحنف بن قيس والأقرع بن حابس - ففتح (أَصْبَهَانَ)، ثم توجه إلى (خُرَاسَانَ) فافتتح (أَبْرَشَهْر) و (طُوس) و (أَبِيوَرْد) و (نَسَا)، ثم صالح أهل (سَرْخُس)، وبعث الأسود بن كلثوم

العدوي إلى (بَيْهَق) فافتتحها وتابع ابن عامر فتوحاته وانتصاراته، فافتتح: (مرو
الرُّوذ) و (الطالقان) و (الفارياب) و (الجُوزجان) و (طَخَارِسْتان)، ووصلت
جيوشه إلى (كابُل)، وزيَّيلستان وهي ولاية غزنة - على حدود خُراسان والهند -
وافتح عبد الله بن خازم (خراسان).

ومن أعماله في خلافته:

كان عمر قد فرض لكل إنسان عطاءً من بيت المال، فجاء عثمان وزادهم
على ذلك كل رجل مئة.

كذلك كان الفاروق قد فرض لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من رمضان
درهماً من بيت المال، يفطر عليه، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين، فلما
استُخلف عثمان أقرَّ ذلك وزاده.

واتخذ سماطاً^(١) في المسجد للمتعبدين والمعتكفين، وأبناء السبيل،
والفقراء، والمساكين.

روى الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب» عن الحسن البصري قال:
(شهدت منادي عثمان ينادي: يا أيها الناس اغدوا على أعطيائكم، فيغدون
ويأخذونها وافية. يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم، فيغدون فيأخذونها وافية.
حتى - والله - سمعته إذ نادى يقول: اغدوا على كسوتكم، فيأخذون الحُلل،
واغدوا على السَّمْن والعَسَل)^(٢).

● ● وفي سنة (٢٦هـ) زاد في المسجد الحرام، وأمر بتجديد أنصاب
الحرم. وفي سنة (٢٩هـ) زاد في المسجد النبوي زيادة كبيرة ووسَّعه.

● ● وجمع الناسَ على مصحف واحد، وقراءة واحدة: فقد حدث أن

(١) هو ما يُمدَّ ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها.

(٢) ورواه الطبراني، قال الهيثمي: إسناده حسن.

حذيفة بن اليمان كان يغازي أهل الشام في فتح (إزمينية) و (أذربيجان) مع أهل العراق سنة خمس وعشرين، فرأى تنازع أهل الشام وأهل العراق في القرآن: أهل الشام يقرؤون القرآن بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وأهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً!! فأفرع حذيفة اختلافهم.

روى الإمام البخاري - واللفظ له - والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِزْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْرَعَ حُدَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أُرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَسْخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَقْرِ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا^(١)، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ).

ولقد رضي الصحابة ومن بعدهم عمل عثمان - في جمعه الناس على مصحف واحد وحرق ما سواه - فقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص: (أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك).

(١) تسمى «المصاحف الأئمة»، ويقال لها: «المصاحف العثمانية»، ولم يكتبها عثمان بيده، بل نُسبت إلى أمره وزمانه رضي الله عنه، وإنما هي بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وقال علي بن أبي طالب - حين حرق عثمان المصاحف -: (لو لم يصنعه هو لصنعتُه)^(١).

قال الذهبي في ترجمة عثمان من «التذكرة»: (مَنْ نظر في تحرّيه وقت أمره بجمع القرآن؛ عَلِمَ مرتبته وجلالته).

استشهاده:

مقدمات مقتله، والإشارة النبوية لذلك:

● ● إن الفتوحات التي دكّت دولتي الفرس والروم، وفرّقت شمل اليهود والنصارى، لم تكن لتمرّ دون أن تترك انعكاساتها على بنيان الدولة الإسلامية الظاهرة، فلقد بقيت من تلك الممالك المنهارة بقايا وأوكار، طوت بين جوانحها ناراً تلظى وتتأجج على الإسلام وخلفائه وقادته، تنتظر اللحظة المواتية لتضرم نارها. وساعدها على ذلك الخليط الهائل من الأجناس التي دخلت أبواب الإسلام الواسعة، وفيهم من أسلم راغباً، كما أن فيهم من دخل تقيّة يطوي على حقد دفين، ليكون مسعراً للفتن، وقادحاً زنديها.

وقد أشار الحديث النبوي إلى ذلك، فأخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن أسامة بن زيد قال: (أشرف النبي ﷺ على أُطَمٍ من آطام^(٢) المدينة، فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «فإنّي لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر»).

ومن تلك الفتن ما جاء في حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا: موتي، وخروج الدجال، وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه».

(١) أخرجهما ابن أبي داود في «المصاحف».

(٢) آطام: مفرداً أُطَم، هي الحصون التي تبنى بالحجارة.

● ● ولقد بشر النبي ﷺ عثمان بالشهادة في أكثر من مناسبة، وجاء ذلك في غير ما حديث، ويفهم من جملتها أنه هو الخليفة الذي يقتل وهو مصطبر قوام بالحق يعطيه.

أخرج البخاري - واللفظ له - وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ صعد أهدأ، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت أهد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»).

وفي «حديث الفف» عن أبي موسى: (ثم استفتح رجل، فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة، على بلوى نصيبه». فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: اللّهُ المُستعان).

وروى الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «يا عثمان، إنّه لعلّ الله يُفمّصك قميصاً، فإن أَرادوك على خلعِهِ فلا تخلعه لهم»^(١).

● ● وكان عثمان رضي الله عنه يعلم أنه هو الخليفة المقتول، وأن جماعة كبيرة ستمالاً عليه، ولقد حدّث بذلك قبل استشهاده بسنوات، فقال لابن مسعود^(٢): (إني قد سمعتُ وحفظتُ - وليس كما سمعت - أنّ رسول الله ﷺ قال: «سَيُقتلُ أميرٌ، ويتبرّى متبرّيء». وإني أنا المقتولُ وليسَ عمر، إنما قتلَ عمرَ واحدٌ، وإنه يُجتمع عليّ)^(٣).

● ● وقد أفصحت الأحاديث النبوية أن عثمان على الهدى والحق، والرشاد والصواب، وأنه سَيُقتلُ ظلماً. لذا حدّث رسول الله ﷺ الصحابة ومن

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ورواه أيضاً أحمد وابن ماجه والحاكم، وقال الألباني والأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) توفي ابن مسعود سنة (٣٢هـ).

(٣) أخرجه أحمد.

بعدهم ممّن سيدرك عثمان أن يلزموه ويتبعوه، ولا يلتفتوا إلى ما يُثار عليه وعلى عهده المبارك من افتراءات:

روى أحمد - وهذا لفظه - والترمذي عن ابن عمر قال: (ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً، فَقَالَ: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْمُقْتَنَعُ يَوْمئِذٍ مَظْلُوماً». فنظرتُ، فإذا هو عثمانُ بن عفان) (١).

وأخرج الترمذي عن أبي الأشعث الصنعاني (أنّ خطباءً قامت بالشام وفيهم رجالٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فقامَ آخرُهم رجلاً يُقال له: مُرَّةُ بنِ كَعْبٍ) (٢)، فقال: لولا حديثٌ سمعته من رسولِ الله ﷺ ما قمتُ، وذكرَ الفتنَ فقرَّبَها، فمرَّ رجلاً مُقْتَنَعاً في ثوبٍ، فقال: «هَذَا يَوْمئِذٍ عَلَى الْهُدَى». فقامتُ إليه فإذا هو عثمانُ بن عفان. قال: فأقبلتُ عليه بوجهه: فقلتُ: هذا؟ قال: «نَعَمْ» (٣).

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: (إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً - أو قال: اختلافاً وفتنة -». فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه». وهو يشير إلى عثمان بذلك) (٤).

وعن عبد الله بن حوالة: (أن رسول الله ﷺ قال: «كيف تفعل في فتنٍ تخرج من أطراف الأرض كأنها صياصي بقر»؟ قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله. قال: «اتبعوا هذا». ورجلٌ مقفي حينئذٍ، فانطلقتُ فسعيثُ، فأخذتُ بمنكبه، فأقبلتُ بوجهه إلى رسولِ الله ﷺ، قلتُ: هذا؟ قال: «نعم». فإذا هو عثمانُ بن

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) ويقال: كعب بن مرة، صحابي سكن البصرة ثم الأردن.

(٣) وأخرجه أيضاً ابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الأرنؤوط والألباني: إسناده صحيح.

(٤) قال الحافظ ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

الشغب على عثمان والمؤامرات، ودور ابن سبأ:

قامت حركات تمرد وارتداد في أطراف الدولة الإسلامية، فنقضت عهودها والمواثيق التي كانت عليها، والذي تولى كِبَرها تلك الأوكارُ المختفية الشائنة التي أفقدها الإسلام نفوذها الظالم ومكانتها المتعالية. وردف ذلك تحرك من الداخل أضرم ناره يهودي خبيث رحل من اليمن وسمى نفسه عبد الله بن سبأ، ويمم شطر المدينة في عهد عثمان، وأظهر إسلامه مدّعياً حبه لهذا الدين.

ونهدت الجيوش الإسلامية لتلك الثورات فأدبَّتْها، فألقى المتآمرون سلاحهم صاغرين، ولجؤوا للاتمار والدَّس في الخفاء. وقام ابن سبأ بتسقط الأخبار، وتابع بمكر ودهاء ما يجري في المدينة، وجعل يتسمع الأخبار التي تغد إليها من أطراف الدولة، فاعتنى بأحداث التمرد والانتقاض، وعرف نفسيات مؤججيهها، واغتنم وجود بعض النفسيات المريضة ممن قد ظهر أمثالهم في عهد الفاروق، كذاك الذي اتهم سعد بن أبي وقاص بأنه (لا يُحسِن يصلي)! واستفاد من الموتورين الحاقدين على الولاة ممن طالتهم يد العدالة وأُقيم عليها الحد. واهتم بأولئك الذين حررهم الإسلام من ظلم فارس والروم، فلم تَسْعَهُمْ أجسامهم على العيش في ظل عدالة الإسلام! ونصب شبّاه للأغراز والرُّعاع الذين دخلوا الإسلام مع الأفواج المتزاحمة، ولم يفقهوا روح الدين. ولم ينسَ أولئك الغلاة الذين تحجّرت عقولهم، وبست أفهامهم للنصوص والأحداث. فنظر في المدينة، فوجد أنه لا أرب له فيها ولا بأهلها، فأنطلق للشام فألقى أهلها أوفياء للولاة والخليفة، فَمِمَّ شطر البصرة، ونزل على (حكيم بن جبلة)، واجتمع إليه نفر من أهلها، وألقى

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح. ومعنى (صياصي بقر): أي قُرُونُها، واحدتها صِيبِيَّة - بالتخفيف -، شبه الفتنة بها لشدتها وصُعوبة الأمر فيها. وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صِيبِيَّةٌ.

عليهم آراءه ومبادئه، وما خرج منها حتى ترك فيها حواريين له ومؤيدين.

ومن سموه قوله: (لَعَجَبٌ مِّمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى يَرْجِعُ، وَيَكْذِبُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِيَ﴾^(١) .
ومحمد أحمق بالرجوع من عيسى)!

وقال: (إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد).
و (محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء)!

ثم قال: (من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة)!!

فأوحى للناس أن علياً مظلوم، ليلتفتوا إليه، ويرددوا النظر بينه وبين عثمان!
ومن ثم صرح لهم بعدم شرعية الخليفة عثمان، فقال: (إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فأنهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر)!!

● ● وابتدأ الشغب على الولاة، فثار أهل الكوفة على الوليد بن عقبة، ومن بعده شغبوا على سعيد بن العاص. ونقم أهل البصرة على واليهم أبي موسى الأشعري، وطلبوا من الخليفة عزله، وطعنوا على الصالحين. وفي مصر - حيث أقام ابن سبأ، وكان يرسل الكتب إلى أتباعه في البصرة والكوفة - شغب أهلها على عمرو بن العاص، وأوقعوا بينه وبين ابن أبي سرح، فاضطر عثمان لعزل عمرو.

● ● واستمرت المكاتبات بين أهل مصر وأشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة، وجميع من أجابهم؛ أن يثوروا خلاف أمرائهم، واتعدوا يوماً محدداً - حيث ذهب أمراؤهم إلى أمير المؤمنين - للوثوب على الولاة وخلعهم، وذلك سنة

(١) سورة القصص: الآية ٨٥.

أربع وثلاثين، فلم يستقيم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا أهل الكوفة، فنزلوا (الجرعة)^(١)، وتلقوا والي الكوفة سعيد بن العاص وهو قادم من عند عثمان، فمنعوه من دخولها، فرجع إلى الخليفة، وأخبره بأنهم يريدون أبا موسى والياً، فكتب عثمان بتوليته. وبذلك فشل موعد الأحزاب سنة (٣٤هـ)، واقتضرت الفتنة على ما حدث من أهل الكوفة في (الجرعة)، فسُمِّي ذلك اليوم (يوم الجرعة).

واستمر المنحرفون في مخططهم، وزوّروا الكتب في عيوب الولاية وسوء الحال، وأرسلوا بها إلى الأمصار. ويكتب أهل كل مِصرٍ منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعةً وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون! فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس!!

فأرسل عثمان محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة إلى البصرة، وعماراً إلى مصر، وابن عمر إلى الشام، وكانوا على رأس جماعة، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة. ثم عادوا جميعاً وقالوا: (أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين، ولا عوائثهم، وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم).

● ● ثم تكتبوا فيما بينهم أن يتوافوا بالمدينة، ليسألوا عثمان عن أشياء يمكنهم إدانته بها. فتوافوا بالمدينة، فقام عثمان فيهم، وناقشهم بالأمور التي ادعوا - زوراً وبهتاناً - أنه خالف فيها هدي النبي ﷺ وصاحبيه، فذكر لهم: (إتمام الصلاة بمنى، والجمي، وجمع المصحف، وردّ الحکم بن أبي العاص، وعزل الولاية وتولية الأحداث، وإعطاء خمس الخمس لابن أبي سرح، وتفضيل أقاربه بالعطايا...)، وفي كل مرة يقول مناشداً الصحابة: أو كذلك هو؟

(١) مكان مشرف قرب القادسية.

فيقولون: اللهم نعم!

● ● ولما أخفقت محاولتهم (يوم الجَرَعَة)، والمحاولة الثانية هذه في المدينة؛ صَمَّمُوا على قتله، فقالوا في قدمتهم الأخيرة على أمير المؤمنين: (نريدُ أن نذكُر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أننا قرَرناَه بها فلم يخرج منها، ولم يَبْ! ثم نخرج كأننا حُجَّاجٌ، حتى نقدم فنحيط به، فنخلعه، فإن أبي قتلناه)!!

فخرجوا في شوال من سنة (٣٥هـ)، ونظموا أنفسهم في اثنتي عشرة فرقة: أربع فرق من مصر، وأربع من الكوفة، وأربع من البصرة. وفي كل فرقة مئة وخمسون رجلاً، ومجموع الفرق من الجهات الثلاثة ألف وثمان مئة رجل.

وتوافوا حول المدينة، فتقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا (ذاخُشْب) (١)، وناس من أهل الكوفة فنزلوا (الأَعْوَص) (٢) وجاءهم ناس من أهل مصر، ونزل الجمهور منهم بذي المَرَوَة (٣).

فأتى المصريون عليَّ بن أبي طالب، والبصريون طلحةَ بن عبيد الله، والكوفيون الزبير بن العوام، وعرضوا لهم بالخلافة وخلع عثمان، فكان جواب الصحابة الثلاثة: (لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ)!!

فرجعوا إلى معسكرهم.

وأظهر هؤلاء البغاة المنحرفون لأهل المدينة أنهم راجعون إلى بلدانهم، فقَوَّضُوا خيامهم، وخرجوا عن المدينة. وخرج العراقيون - من بصريين وكوفيين - في طريقهم نحو الشرق إلى الشمال، متوجهين إلى بلادهم، والمصريون في

(١) وإد على مسيرة ليلة من المدينة.

(٢) موضع شرقي المدينة على بضعة عشر ميلاً منها.

(٣) قرى واسعة من أعمال المدينة.

طريقهم نحو الغرب إلى الشمال، وجهة كل من الفريقين مختلفة، والمسافة بينهما تأخذ بالازدياد كلما أمعنوا في السير.

وقطع كل من الفريقين مراحل، ووصل المصريون إلى (البُؤب) (١)، وإذا راكب يتعرّض لهم ثم يفارقهم مراراً!! قالوا: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر. ففتشوه فإذا هم بكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه، إلى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم، أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

فرجعت قوافل الثوار المصريين إلى المدينة، ومعهم محمد بن أبي بكر (٢)، ورجعت كذلك قوافل العراقيين، ووصل الجميع إلى المدينة في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد!! ولم يزعج أهل المدينة إلا التكبير في نواحي المدينة، وقد زحف إليها المنحرفون وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان، وقالوا للناس: مَنْ كَفَّ يده فهو آمن.

وصلى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من كلام، فأتاهم الناس فكلموهم، وفيهم علي فقال: ما ردّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟! فقالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا! وكذلك قال البصريون لطلحة، والكوفيون للزبير. وقال البصريون والكوفيون: فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً. فقال لهم علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سبّتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمرٌ أبرم بالمدينة!! قالوا: فضّعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعترلنا!

● ● وشددوا الحصار على أمير المؤمنين، وحصّبوه حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتمل فأدخل داره! وشمر أناس من الناس فاستقتلوا، منهم:

(١) مدخل أهل الحجاز إلى مصر.

(٢) كان عثمان قد ولّاه على مصر بطلب من المصريين، بدل ابن أبي سرح.

سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي، فبعث إليهم عثمان بعزمه لَمَا انصَرَفُوا، فانصَرَفُوا.

واستنصر عثمان بالولاء، وكتب إلى أهل الأمصار بنجدته، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري في جيش، وبعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح معاوية بن حديج السكوني في جيش آخر، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو في جيش ثالث.

ثم زاد أولئك الخوارج المنحرفون في حَضْر أمير المؤمنين والتضييق عليه حتى منعه ما يأتيه من طعام، ومنعه الماء والخروج إلى المسجد، وتهددوه بالقتل، فقام وأشرف عليهم من الدار، فوعظهم وتحدث بمناقبه وفضائله؛ لعلهم يرتدعون عن فعلهم، ويرعون عن غيِّهم، فناشدهم بالله، والصحابة يسمعون - وقال: لا أناشد إلا الصحابة - فقال:

(أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة وليس بها ماءٌ يُستعَدَّب غيرُ بئرِ رُومة، فقال: «من يشتري بئرَ رُومة يَجْعَلُ دَلْوَهُ مع دلاءِ المسلمين بخيرٍ لَهُ منها في الجنة؟»، فاشتريتها من صلب مالي، وأنتم اليوم تمنعونني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟! فقالوا: اللهم نعم. فقال: أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاقَ بأهله، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعةَ آلِ فلانٍ فيزيدها في المسجد بخيرٍ لَهُ منها في الجنة؟»، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعونني أن أصلي فيها ركعتين؟! فقالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أنني جهَّزْتُ جيشَ العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبيرِ مكةٍ ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحركَ الجبلُ حتى تساقطت حجارتُهُ بالحضيض، فركضه برجله قال: «اسكنْ ثبيراً! فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدانٍ؟»

قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر! شهدوا وربَّ الكعبة أني شهيدٌ. (ثلاثاً)^(١).

واستمر الحصار بدار عثمان رضي الله عنه حتى مضت أيام التشريق، ورجع القليل من الناس من حجهم، فأخبروا بسلامة الناس، وأخبر أولئك الفجيرة بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفُّوا عن أمير المؤمنين، وبلغهم أن ثلاثة جيوش قادمة لنصرته. فعند ذلك صمموا على أمرهم، وانتهزوا الفرصة لقتل الناس في المدينة، وغيبة أكثرهم في الحج؛ فأحاطوا بالدار، وجَدُّوا في الحصار، وألحُّوا على عثمان بخلع نفسه، فأبى.

وترادفت الأصحاب على نصرته، والقتال دونه، والحفاظ على نفسه الطاهرة ودمه الزكي، فكان يقول: (أنشدُ الله رجلاً رأى الله حقاً، وأقرَّ أن لي عليه حقاً؛ أن يُهَرِّيقَ في سببي ملءَ مِحْجَمَةٍ من دم، أو يُهَرِّيقَ دمهَ فيَّ).

وكان عثمان يقضي أيامه صائماً، وبات من ليلته فرأى رسول الله ﷺ في المنام وأبا بكر وعمر، فقالوا له: (اصبر فإنك تظفر عندنا القابلة).

عن مسلم أبي سعيد - مولى عثمان بن عفان -: (أنَّ عثمانَ بن عفانَ أعتقَ عشرين عبداً مملوكاً، ودعا بسراويلَ فشدَّها عليه - ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام - وقال: إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر، فقالوا لي: «اصبر فإنك تظفر عندنا القابلة». ثم دعا بمصحفٍ فنشَّره بين يديه، فقتل وهو بين يديه)^(٢).

وقال عثمان لمن عنده: (إني أشهدكم أني قد أصبحتُ صائماً، وإني أعزم

(١) رواه الترمذي والنسائي والدارقطني. قال الألباني: إسناده ضعيف. وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لكن له شواهد بمعناه، ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن عثمان و(تبير): جبل بين مكة ومنى، يُرى على يمين الذهاب منها إلى مكة.

(٢) قال الهيثمي: رواه عبد الله وأبو يعلى في «الكبير» ورجالهما ثقات.

على كل مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه). فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن خرجنا لم نأمن منهم علينا! فَأَذِنَ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ فِي بَيْتِ مِنَ الدَّارِ. ثم أمر ببياب الدار ففُتِحَ، ودعا بالمصحف فأكبَّ عليه، وعنده امرأته: بنت الفُرافِصَة وابنة شيبَة. ولولا عزمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً.

واتخذ المجرمون قرارهم النهائي، فتسوروا دار عمرو بن حزم - المجاورة لدار عثمان - ودخلوا بغير إذن كما يقول راعي الإبل النيمري:

عَشِيَّةً يَدْخُلُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ عَلَى مَتَوَكِّلٍ أَوْفَى وَطَابَا
خَلِيلٍ مُحَمَّدٍ وَوَزِيرٍ صَدَقٍ وَرَابِعٍ خَيْرٍ مَنَ وَطِئَ الثَّرَابَا

واقترحوا عليه وقد خلا من حراسه والمدافعين عنه، وكان فيمن دخل عليه: قُتَيْبَةُ السَّكُونِي، وسُودَانُ بْنُ حُمْرَانَ، والغَافِقِيّ بن حَزْبٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، وكَلثُومُ بْنُ تُجَيْبٍ، ورجل اسمه الموت الأسود^(١)، وِكِنَانَةُ بْنُ بِشْرِ الثُّجَيْبِيِّ. وهجموا على عثمان، فمنهم من يَجْؤُهُ بنعل سيفه، وآخر يلكزه، والمصحف الشريف بين يديه يقرأ في سورة البقرة، وهم يهابون قتله، فانقضَّ «الموت الأسود» فخنقه خنقاً شديداً، وضربه الغافقي بحديدة كانت معه، ورفع أحدهم السيف فأتقاه عثمان بيده فقطعها، فقال عثمان: (أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لِأَوَّلُ يَدٍ خَطَّتِ الْمُقْصَلِ)^(٢)! وجاء رجل بمشاقص^(٣) فوجأه في تَرْقُوتِهِ، فقال عثمان: (بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ)، وإذا الدم يسيلُ على لحيته يَقْطُرُ، والمصحف بين يديه، فاتكأ على شقه الأيسر وهو يقول: (سبحان الله العظيم)، وهو في ذلك يقرأ المصحف، والدم يسيل على المصحف، حتى وقف الدم عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ

(١) الأظهر أنه عبد الله بن سبأ، فقد ثبت خروجه مع المنحرفين من مصر، وكان حريصاً على أن لا يظهر فينكشف، حتى يتابع دوره الخبيث.

(٢) الْمُقْصَلُ: من سورة ﴿ق﴾ إلى آخر المصحف الشريف.

(٣) المشقص: نصل طويل عريض.

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾!! وضربوه جميعاً ضربة واحدة: فرجع كِنَانَةُ بنِ بَشْرِ مشاقص كانت بيده فوجأ بها أصلَ أُذُنِ عثمان، فمضت حتى دخلت في حلقه، ثم ضرب جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد فَخَزَ لجنبه، فجاء سُودَانُ بنِ حُمْرَانَ ليضربه، فانكبّ عليه نائلة بنت الفُرافِصَةِ - زوجته - وأثقتِ السيفَ بيدها، فتعمدها سودان ونفح أصابعها فقطع أصابع يدها، ووَلَّتْ، فغمز أوراكاها وقال: إنها لكبيرة العجيزة!! وضرب عثمان بعدما خَزَّ لجنبه فقتله، ووَثِبَ عَمْرُو بنِ الحَمِقِ على صدره وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: فأما ثلاث منهن فإني طعنتهن إياه لله، وأما ست فإني طعنتهن إياه لما في صدري عليه!!

ونادى منادي القوم: أَيْحُلُّ دَمُ عثمان ولا يحل ماله؟! فانتهبوا كل شيء، وأخذوا ما وجدوا في الدار - وكان شيئاً عظيماً جداً^(٢) - حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ كلثوم بن نُجَيْبِ مِلاَةَ نائلة، وبَصُرَ به غلام لعثمان فقتله، وقُتِلَ. ثم تناذوا في الدار: أدركوا بيت المال لا تُسبِقُوا إليه. فسمع أصحاب بيت المال أصواتهم، فقالوا: النجاء، فإن القوم إنما يريدون الدنيا، فهربوا وأتى الخارجون بيت المال فانتهبوه، وكان فيه شيء كثير جداً.

حزن الصحابة عليه، وأقوالهم في مقتله:

لما جاء خبر استشهاده إلى علي رضي الله عنه قال: (تَبَّأَ لَهُمُ آخِرُ الدَّهْرِ). ثم قام فدخل على عثمان، فأكب عليه، وجعل يبكي حتى ظن من هناك أنه سيلحق به. وكان يقول: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

(٢) كان لعثمان عند خازنه ثلاثون مليون درهم وخمسة مئة ألف درهم، ومئة وخمسون ألف

دينار، انتهت كلها!!

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٧.

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال: (أَوَّلُ الْفِتَنِ قَتْلُ عَثْمَانَ، وَآخِرُ الْفِتَنِ خُرُوجُ الدِّجَالِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ حُبِّ قَتْلِ عَثْمَانَ إِلَّا تَبَعَ الدِّجَالُ إِنْ أَدْرَكَهُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِكْهُ آمَنَ بِهِ فِي قَبْرِهِ)!

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن عباس قال: (لو لم يطلب الناس بدم عثمان لَرُمُوا بالحجارة من السماء)^(١).

وروى البخاري عن سعيد بن زيد قال: (لو أَنَّ أَحَدًا انْقَضَ لِمَا صَنَعْتُمْ بِعَثْمَانَ، لَكَانَ مَحْقُوقًا أَنْ يَنْقُضَ).

وروى ابن سعد عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قُتِلَ عَثْمَانُ: (اللَّهُمَّ إِنِّ لَكَ عَلَيَّ أَلَّا أَفْعَلُ كَذَا، وَلَا أَفْعَلُ كَذَا، وَلَا أَضْحِكُ، حَتَّى أَلْقَاكَ).

وأخرج - أيضاً - عن أبي صالح قال: (كان أبو هريرة إذا ذُكِرَ مَا صُنِعَ بِعَثْمَانَ بَكَى. قَالَ: فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ يَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، يَنْتَحِبُ).

وعنده - أيضاً - أن عبد الله بن سلام قال يوم قُتِلَ عثمان: (اليوم هَلَكَّتِ الْعَرَبُ). وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (قُتِلَ مَظْلُومًا، لَعَنَ اللَّهُ قَتْلَتَهُ).

من مراثيه:

قال حسان رضي الله عنه:

يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمُقَدَّدِ ^(٢)	مَاذَا أَرَدْتُمْ مِنْ أَحْسَنِ الْخَيْرِ بَارَكْتَ
وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ جَائِرٍ غَيْرِ مُهْتَدِي	فَقَتَلْتُمْ وَلِيِّ اللَّهِ فِي جَوْفِ دَارِهِ
وَأَوْفَيْتُمْ بِالْعَهْدِ عَهْدِ مُحَمَّدٍ	فَهَلْ أَرَعَيْتُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَسَطَكُمْ
وَأَوْفَاكُمْ عَهْدًا لَدَى كُلِّ مَشْهَدٍ	أَلَمْ يَكُ فِيكُمْ ذَا بِلَاءٍ وَمَصْدَقٍ
عَلَى قَتْلِ عَثْمَانَ الرَّشِيدِ الْمُسَدَّدِ	فَلَا ظَفِرَتْ أَيْمَانُ قَوْمٍ تَظَاهَرَتْ

(١) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) الأديم: الجلد. المقدد: المقطع.

وقال :

أتركتُم غزوَ الدَّرُوبِ ^(١) وراءكم
فلبئسَ هَدْيِي الْمُسْلِمِينَ هَدَيْتُمْ
وكأنَّ أصحابَ النَّبِيِّ عَشِيَّةَ
فابكِ أبا عَمْرٍو ^(٢) لِحُسْنِ بِلَائِهِ
وقال كعب بن مالك الأنصاري :

فَكَفَّ يَدِيهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ
وقال لأهل الدارِ لا تقتلوهمْ
فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهم العـ
وكيف رأيتَ الخيرَ أدبَرَ بعدهُ
وأيقنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
عَفَا اللَّهُ عَن كُلِّ امْرِئٍ لَمَّ يِقَاتِلِ
سِداوَةَ وَالبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَأْصُلِ !؟
عَنِ النَّاسِ إِدْبَارَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ !؟

تاريخ استشهاده، وغسله، والصلاة عليه، ودفنه :

استشهد عثمان رضي الله عنه في المدينة المنورة، يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين للهجرة النبوية.

وتولى غسله جبير بن مطعم، والمسور بن مخرمة، وحكيم بن حزام، وابنه عمرو بن عثمان، وزوجته نائلة وأم البنين. وكفنوه، وصلوا عليه، صلى عليه حكيم بن حزام، وقيل: الزبير بن العوام بوصية من عثمان.

وخرج به جماعة من الصحابة فيهم علي بن أبي طالب وطلحة والزبير، وحملوه سراً على باب، وإن رأسه ليقرع الباب يقول: «طق، طق»!! لإسراعهم به، لما بهم من الخوف العظيم من أولئك الفجرة الذين أرادوا رجمه ودفنه بمقبرة يهود!

(١) جمع درب، وهو كل مدخل إلى بلاد العدو.

(٢) يريد عثمان.

ودفنه ليلاً للعجز عن إظهار دفنه، بسبب غلبة قاتليه، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في «حَشَّ كَوْكَب»^(١). وكان الناس يتوقَّون أن يدفنوا موتاهم فيه، وكان عثمان رضي الله عنه يمرّ بحَشَّ كوكب ويقول: (يوشكُ أن يَهْلِكَ رجل صالح، فيُدفن هناك، فيأتسي الناسُ به). فكان عثمان أول من دفن فيه.

وقد اعتنى معاوية رضي الله عنه في أيام إمارته بقبر عثمان، فهدم الجدار بينه وبين البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله، حتى اتصلت بمقابر المسلمين، فجزاه الله خير الجزاء.

عمره، ومدة خلافته:

مات عثمان وعمره اثنان وثمانون عاماً، فقد وُلد بعد حادثة الفيل بست سنوات - فهو أصغر من النبي ﷺ بستة أعوام - فيكون عمره يوم توفي رسول الله ﷺ سبعا وخمسين سنة، وعاش بعده خمسا وعشرين سنة؛ فيكون عمره اثنتين وثمانين سنة^(٢).

وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً.

أزواجه وأولاده:

تزوج رضي الله عنه برُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ، فتوفيت عنده، فتزوج أختها أم كلثوم، ثم توفيت، فتزوج بفاخته بنت غزوان. وتزوج أم عمرو بنت جندب، وفاطمة بنت الوليد، وأم البنين بنت عيينة بن حصن، ورملة بنت شيبه، ونائلة بنت الفراءصة - وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها - وأم ولد.

(١) الحَشَّ: البستان، وكوكب: رجل من الأنصار. وحش كوكب يقع شرقي البقيع، وقد اشتراه عثمان وزاده في البقيع.

(٢) هذا أصح الأقوال التي قيلت في عمره، وقد رجَّحه الذهبي في «تاريخ الإسلام» و«معرفة القراء»، والحافظ في «الإصابة».

وله من الولد تسعة ذكور؛ هم: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعَمْرُو،
وخالد، وأبان، وعمر، والوليد، وسعيد، وعبد الملك.

ومن الإناث: مريم، وأم سعيد، وعائشة، وأم أبان، وأم عمرو، وأم البنين.
ومات وعنده أربع نسوة، هن: نائلة، ورملة، وأم البنين بنت عيينة،
وفاخته.

تركته:

كان لعثمان رضي الله عنه عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف درهم
وخمس مئة ألف درهم، ومئة وخمسون ألف دينار، فأنتهبَ وذهبَ!

وترك ألف بعير بالربذة، وترك صدقاتٍ كان تصدَّق بها، قيمة مئتي ألف

دينار.

* * *

(٤) ٤ علي بن أبي طالب^(١)

٢٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٥٧ - ١٣٥٩، صحيح مسلم ٤/١٨٧٠ - ١٨٧٥، سنن الترمذي ٥/٦٣٢ - ٦٤٣، سنن النسائي ٣/١٢، ٦/٦٢، ٨/١١٧، سنن ابن ماجه ١/٤٢ - ٤٥، مسند أحمد ١/٧٥، المستدرک ٣/١٠٧ - ١٤٦، جامع الأصول ٨/٦٤٨ - ٦٦٥، ٩/١٥٤ - ١٦٠، مشكاة المصابيح ٣/١٧١٩ - ١٧٤٢، ١٧٨٧ - ١٧٩١، مجمع الزوائد ٩/١٠٠ - ١٤٦، المطالب العالیة ٤/٥٥ - ٦٦، ٢٩٤ - ٣٢٥، الفتح ٧/٧٠ - ٧٤، ٤٧٨ - ٤٧٦، ١٢/٢٨٢ - ٣٠٣، ١٣/٣١ - ٣٥، الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي، طبقات ابن سعد ٢/٣٣٧ - ٣٤٠، ٣٥٠ - ٣٥١، ٣/١٩ - ٤٠، تاریخ يحيى بن معين ٢/٤١٨ - ٤٢٠، طبقات خليفة ٤، ١٢٦، ١٨٩، تاریخ خليفة «انظر فهرس الأعلام»، العلل لأحمد «انظر فهرس الأعلام»، التاریخ الكبير للبخاري ٦/٢٥٩ ت ٢٣٤٣، التاریخ الصغير له ١/٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٤، ١١٨، ١١٩، المعرفة والتاریخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاریخ أبي زرة الدمشقي «انظر فهرس الأعلام»، خصائص علي للنسائي، فضائل الصحابة له ١٣ - ١٧، أخبار القضاة لوكيع «انظر فهرس الأعلام»، تاریخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٦/١٩١ - ١٩٢ ت ١٠٥٥، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٢٤ ت ٥، تاریخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٢٧، ٥١، ٥٤، رجال صحيح البخاري للكلابادي ٢/٥٢٤ - ٥٢٥ ت ٨١٢، حلية الأولياء ١/٦١ - ٨٧، جمهرة الأنساب لابن حزم «انظر فهرس الأعلام»، جوامع السيرة له «انظر فهرس الأعلام»، الاستيعاب ٣/٢٦ - ٦٧، تاریخ بغداد ١/١٣٣ - ١٣٨ ت ١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٢ - ٢٣، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٣٥٢ - ٣٥٣ ت ١٣٣٤، العواصم من القواصم لابن العربي ١٤٦ - ٢٧٨، صفة الصفوة ١/٣٠٨ - ٣٣٥، أسد الغابة ٤/١٦ - ٤٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٤٤ - ٣٤٩، مختصر تاریخ ابن عساکر لابن منظور ١٧/٢٩٧ - ٣٨٩، ١٨/٥ - ٩٩، تهذيب الكمال ٢٠/٤٧٢ - ٤٩٠ ت ٤٠٨٩، تاریخ الإسلام - عهد =

اسمه ونسبه ونسبته، ومولده:

علي بن أبي طالب - واسمُ أبي طالب: عبدُ منافٍ - بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، الهاشمي نسبةً إلى هاشم بن عبد مناف.

ولد قبل البعثة النبوية بعشر سنين على الصحيح، كما رجح ذلك الحافظ في «الفتح» و«الإصابة».

وكان أصغر ولد أبي طالب.

كنيته:

يكنى علي بابي الحسن، وأبي تراب، وأبي القُصم.

فكنيته أبو الحسن: لأن الحسن أكبر بنيه، فأكْتَنَى به.

وأما أبو تراب: فكَتَاهُ به رسول الله ﷺ، فيما أخرجه الشيخان - واللفظ للبخاري - عن سهل بن سعيد قال: (جاء رسولُ الله ﷺ بيتَ فاطمة، فلم يجدَ علياً في البيت، فقال: «أينَ ابنُ عمِّك؟» قالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني فخرج، فلم يَقُلْ عندي. فقال رسولُ الله ﷺ لِإنسانٍ: «انظرَ أينَ هو». فجاء فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هوَ في المسجدِ راقداً، فجاءَ رسولُ الله ﷺ وهو مضطجعٌ، قد سقطَ

= الخلفاء الراشدين ٦٢١ - ٦٥٢، تذكرة الحفاظ ١٠/١ - ١٣، معرفة القراء الكبار ٢٥/١ - ٢٨، البداية والنهاية ٢٤/٣ - ٢٦، ٣٩ - ٤٠، ١٧٦ - ١٩٧، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٧٩، ٣٤٥، ٤٧، ٢٠/٤ - ١٠٥ - ١٠٧، ١٨٥ - ١٨٩، ٢٣٤، ٢٨٠ - ٢٨٢، ٢٧٢ - ٢٨٠، ٣٢٦، ٣٧/٥، ٣٧ - ٣٩، ١٠٤ - ١٠٨، ٢٠٨ - ٢١٤، ٢٤٩ - ٢٥٢، ٢٨٦ - ٢٨٨، ٧٧/٦ - ٨٧، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٨، ٣٠٢، ٣١١ - ٣١٤، ٣٥٣، ٣١/٧، ٥٥، ١٠٧، ١٤٥ - ١٤٧، ١٦٨، ١٧٠ - ١٧٤، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٣، ٢٠١، ٢٢٣ - ٢٢٤، ٢/٨ - ١٤، غاية النهاية ١/٥٤٦ - ٥٤٧، الإصابة ٢/٥٠١، ٥٠٣، تهذيب التهذيب ٧/٢٩٤ - ٢٩٨، تقريب التهذيب ٣٩/٢، الرياض المستطابة ١٦٣ - ١٧٦، تاريخ الخلفاء ١٦٦ - ١٨٧، شذرات الذهب ٤٩/١ - ٥١، حياة الصحابة «انظر فهرسه». وغير ذلك كثير.

رداؤه عن شِقِّه، وأصابه ترابٌ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يمسحُه عنه ويقول: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ».

وأما أبو القُصَم (١): فتكَنَّى بها في غزوة أُحُد، كما ذكر ذلك ابنُ إسحاق في «السيرة».

أبواه:

كان أبوه أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، احتشدت فضائل العرب في شخصيته، فسَادَ في قريش سيادة عظيمة، وكان من الخطباء العقلاء الأباة، وله تجارة كسائر قريش.

وهو عم رسول الله ﷺ، نشأ النبي ﷺ في بيته، فكفله ورعاه، وحَدِبَ عليه حَدَباً عظيماً، واصطحبه معه في سفره إلى الشام في صباه. ولما بُعث ﷺ هَبَّ أبو طالب لنصرته، وحماه، وحاجف عنه، فبارزته قريش بالعداوة، فلم تَلِنْ له قناة. ولما جاهرت قريش النبي ﷺ بعدائها، ازداد أبو طالب دفاعاً عن ابن أخيه، وجابه قريشاً بقوله:

كذبتُم وبيتِ اللّهِ تُبْرَى (٢) محمداً	ولمّا نطّاعن دونه ونُناضِل
وئُسْلِمُهُ حتّى نصرَعَ حوله	ونذْهَلُ عن أبنائنا والحلائل (٣)
ويَنْهَضُ قومٌ في الحديدِ إليكم	نهوضَ الرّواياتِ تحتَ ذاتِ الصّلاصل (٤)
وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه	ثمّالٌ (٥) اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِل

(١) وتروى بالفاء «أبو القُصم» قال المحدث محمد بن يوسف الصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد»: أبو القُصَم: أي أبو الدواهي العظيمة. والقُصَم - بالقاف - كسر بينونة، وبالفاء: كسر بغير بينونة.

(٢) أي: نُسَلِبُه ونُغَلِبُ عليه.

(٣) الحلائل: الزوجات، وأحدتها حليلة.

(٤) الروايا: هي الإبل التي تحمل الماء والأسقية. والصلاصل: المزدادات لها صلصلة الماء.

(٥) أي: يقوم بهم.

وقال لرسول الله ﷺ:

واللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي الثَّرَابِ دَفِينًا
فَأَمْضِي^(١) لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ^(٢) وَأَبْشِرْ وَقَرَّبْ بَذَاكَ مِنْكَ عُيُونَنَا

وطمع النبي ﷺ في إسلامه، فدعاه وألح عليه، فامتنع خوفاً من أن تعيره العرب بتركة دين آبائه!

أخرج البخاري - واللفظ له - ومسلم والنسائي عن المسيب بن حزن رضي الله عنه: (أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغْبِرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمَّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَنْزَعُبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾. (الآية).

ومات أبو طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، عن اثنتين وثمانين سنة.

وأما أم علي: فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وقد أسلمت وصحبت رسول الله ﷺ، وهاجرت إلى المدينة النبوية، وماتت بها، ورضي عنها النبي ﷺ، ونزل في قبرها، وتولى دفنها، وألبسها قميصه، وأثنى عليها خيراً.

صِفَتُهُ وَحَدِيثُهُ:

وصفه من رآه في تمام الرجولة فقال: كان رجلاً رُبْعَةً، إِلَى الْقِصْرِ أَقْرَبَ،

(١) هكذا بإثبات الياء للوزن.

(٢) أي: نقصان.

ضخم البطن، ضخّم المنكبين، لِمَنكِبِهِ مُشَاشٌ^(١) كَمُشَاشِ السَّبُعِ الصَّارِي، لا يَتَبَيَّنُ
عضدُهُ من ساعده قد أُدمجت إدماجاً، ضخّم عضلة الذراع، دَقِيقٌ مُسْتَدَقُّهَا، ضخّم
عضلة الساق، دَقِيقٌ مُسْتَدَقُّهَا، شَتْنٌ^(٢) الكفّين، عظيم اللحية قد ملأ ما بين
منكبيه، بيضاء كأنها قُطن، أَدْعَجٌ^(٣) العينين عظيمهما، أصلع، كثير شعر الصدر
والكتفين، كأنما اجتاب^(٤) إهابَ شاة. له قَلْنُسُوةٌ بيضاء مصرية، يتختم باليسار،
وكان نقش خاتمه: (الله الملك).

حسنُ الوجه، كأنه القمر ليلة البدرِ حُسناً، أَعْيَدَ كأن عنقه إبريقُ فضّة،
ضحوكُ السنّ، إذا مشى تكفّماً - على نحوِ مشية النبي ﷺ - وإذا أمسك بذراع
رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفّس، شديدُ الساعد واليد، إذا مشى للحرب
هروول، ثَبِتَ الجَنَان، قويُّ شجاع، منصورٌ على مَنْ لاقاه، رضي الله عنه
وأرضاه.

نشأته وإسلامه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جَبْرِ أبي
الحجّاج، قال: (كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له،
وأراد به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير؛
فقال رسولُ الله ﷺ للعبّاس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: «يا عبّاس: إنّ أخاك
أبا طالب كثيرُ العيال، وقد أصاب النَّاسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه،
فلنخفف عنه من عياله، آخذٌ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكلهما عنه».
فقال العبّاس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك

(١) المُشَاش: ما برز من عظم المنكب.

(٢) أي يميلان إلى الغلظ والقصر.

(٣) أي أن سواد عينيه كان شديداً.

(٤) كَيْس.

مِنْ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ عَنِ النَّاسِ مَا هُمْ فِيهِ؛ فَقَالَ لِهَمَا أَبُو طَالِبٍ: إِذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلاً فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا.

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفراً فَضَمَّهُ إِلَيْهِ؛ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيًّا، فَاتَّبَعَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ.

أَسْلَمَ عَلِيٌّ وَهُوَ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ، لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، وَلَمْ يَجِرْ عَلَيْهِ الْقَلَمَ، لَمْ يَقْتَرِفْ ذَنْباً، وَلَمْ يَلْزِمَهُ حَوْبٌ، مَا سَجَدَ لَصْنَمٍ، وَلَا سَقَطَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ رِذَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَقَابِحِهَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: (وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْغُلَمَانِ، كَمَا أَنَّ خَدِيجَةَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ، وَزَيْدُ بْنُ خَارِثَةَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَوَالِيِّ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ).

ثُمَّ قَالَ: (وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ. وَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ إِلَيْهِ. وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثٌ أوردَهَا ابْنُ عَسَاكِرَ كَثِيرَةً مَنْكَرَةً، لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا).

وقد ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْبَابِ أَحَادِيثٌ ضَعِيفَةٌ وَبَاطِلَةٌ، مِنْهَا:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَصَلَّى عَلَيَّ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ)^(١).

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ حَبَّةِ بْنِ جَوْيْنٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (عَبَدْتُ اللَّهَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَ سَنِينَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ)^(٢)!

(١) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

(٢) سَكَتَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: هَذَا بَاطِلٌ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَذَا لَا يَصِحُّ أَبَدًا، وَهُوَ كَذِبٌ.

هجرته:

استمر علي رضي الله عنه في صحبة رسول الله ﷺ يتلقى عنه القرآن بنفس مرهفة، وقلب واع، وذكاء وقاد، وعزم أكيد، فتكامل بناء شخصيته في حَجْرِ النبوة، فراح يسطر في تاريخ الدعوة المواقف الرائعة والبطولات النادرة. ولقد جاءت حادثة الهجرة النبوية لتخطَّ لعليٍّ واحداً من أبرز الأمثلة على بطولة روحه، وقوة شكيمته، وشجاعة نفسه، ورباطة جأشه، وصدق افتدائه للنبي ﷺ وطاعته له.

لما عزم رسول الله ﷺ على الهجرة، وأخبر أبا بكر بذلك، وفي الليلة التي سيخرج النبي ﷺ فيها؛ جاءه جبريل يخبره بأن قريشاً قد أجمعت قتله، وأحاط الرجال ببيته، وأمره ألا يبيت على فراشه الذي كان يبيت عليه.

قال ابن إسحاق: (فلما كان عثمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه؛ فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: نَمْ على فراشي، وتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الحَضْرَمِي الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يَخْلُصَ إليك شيء تكرهه منهم).

وخرج النبي ﷺ من بيته وقد أغشى الله على أبصار القائمين على الباب، وحمى الله علياً من أسيف قريش الظالمة. وبقي علي ثلاثة أيام يردّ الودائع التي كانت عند النبي ﷺ لأهل مكة، ثم هاجر إلى المدينة.

أخرج ابن سعد عن علي قال: (لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدِّي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يُسمَّى الأمين، فأقمت ثلاثاً كنتُ أظَهَرُ، ما تغيَّبتُ يوماً واحداً، ثم خرجتُ فجعلتُ أتبع طريق رسول الله ﷺ، حتى قدمتُ بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيم، فنزلتُ على كلثوم بن الهدم، وهناك منزل رسول الله ﷺ).

المؤاخاة:

آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكان علي أخاً لسَهْل بن حُئيف الأنصاري.

وأما ما رواه الترمذي عن ابن عمر قال: (آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ تدمعُ عيناهُ، فقال: يا رسولَ الله، آخيتَ بين أصحابك ولم تُؤاخِ بيني وبين أحدٍ! فقال له رسول الله ﷺ: «أنتَ أخي في الدنيا والآخرة»). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب^(١).

فقد قال الإمام الحافظ ابن كثير: (آخى النبي ﷺ بينه وبين سَهْل بن حُئيف. وذكر ابنُ إسحاق وغيره من أهل السَّير والمغازي أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه، وقد وردَ في ذلك أحاديث كثيرة لا يصحُّ شيء منها؛ لضعف أسانيدِها وركَّة بعض متونها، فإن في بعضها: «أنتَ أخي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي، وَخَيْرٌ مَنْ أَمْرٌ بَعْدِي!» وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين وغيرهما).

مشاهده:

شهد علي مع رسول الله ﷺ «غزوة بدر» وكانت معه الراية، و«أحدًا» وكان على الميمنة، وحمل الراية بعد استشهاد حاملها مصعب بن عمير، و«الخنديق» وقتل فارس العرب عمرو بن عبد ود، و«الحديبية» و«بيعة الرضوان»، و«خيبر» وكانت له فيها مواقف هائلة ومشاهد طائلة، ثم شهد «عمرة القضاء»، و«الفتح»، و«حُنينًا»، و«الطائف»، واعتمر مع رسول الله ﷺ من الجعرانة، وحجَّ معه حجة الوداع.

ففي بدر:

كان علي مُعلماً بصوفة بيضاء، ودفع النبي ﷺ إليه راية المهاجرين، ولما

(١) وقال الألباني والأرنؤوط: إسناده ضعيف.

تقابل الجيشان خرج من المشركين ثلاثة منهم، هم عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبه، وابنه الوليد بن عتبة، فبارزهم ثلاثة من المهاجرين، هم: عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي، فقتل المشركون الثلاثة، وعاد الصحابة الثلاثة وقد جرح عبيدة.

أخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن قيس بن عباد قال: سمعتُ أبا ذرٍّ يُقسِمُ قَسَمًا: (إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(١) نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وعُتْبَةُ وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة).

وروي البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُتُو^(٢) بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وفي أحد:

كان اللواء مع مصعب بن عمير، فلما استشهد دفعه النبي ﷺ إلى علي، فأخذه وتقدم به ونادى: أنا أبو القُصَم، فدعاه أبو سعد بن أبي طلحة - حامل لواء المشركين - للبراز، فأجابه لذلك، وبرزا بين الصفين، فاختلفا ضربتين، فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه لأنه استقبله بعورته!

وَبَتَّ عَلِيٌّ فِيمَنْ ثَبِتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سِتْ عَشْرَةَ ضَرْبَةً، وَتَخَضَّبَ سَيْفَهُ بِالدَّمَاءِ، وَانْحَنَى لِكَثْرَةِ مَا ضَرَبَ بِهِ هَامَ الْمَشْرُكِينَ. فلما عاد من المعركة دخل على زوجه فاطمة رضي الله عنها، وناولها السيف، وقال:

أَفَاطِمُ هَاكِ السَيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ^(٣) وَلَا بِلَثِيمٍ

(١) سورة الحج: الآية ١٩.

(٢) يجتو: يقعد على ركبته مخاصماً.

(٣) الرُعْدِيد: الجبان الكثير الارتعاد.

لعمري لقد أبلت في نصر أحمد ومرضاة ربِّ بالعبادِ عليم

وفي غزوة الخندق :

كانت لعلي بطولات مشهودة مشهورة، من ذلك أن فارس الجزيرة العربية عمرو بن عبد ود - الذي كان يقوِّم بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه - نادى في المسلمين: من يبارز؟ فقام علي، فأجلسه الرسول ﷺ مرتين قائلاً: «إنه عمرو!» فامتثل علي للأمر النبوي، وفي الثالثة قال ﷺ: «إنه عمرو!» فقال علي: وإن كان عمراً!!.

وبرز إليه، فقال له عمرو: مَنْ أنت؟ قال: أنا علي! قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: يا بن أخي، من أعمامك مَنْ هو أسنَّ منك، فإني أكره أن أهرِّق دمك! فقال له علي: ولكني - والله - لا أكره أن أهرِّق دمك!! فغضب عمرو، ونزلَ وسلَّ سيفه كأنه شعله نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله عليٌّ بِدَرَفَتِهِ^(١)، فضربه عمرو في درقته فقدَّها، وأثبتَ فيها السيف، وأصاب رأسه فشجَّه، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه، فسقط وثار العجاج^(٢)، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف المسلمون أن علياً قد قتله.

وفي غزوة خيبر :

أعطاه النبي ﷺ الراية، وأخبر أن الفتح سيكون على يديه. ففي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال: (كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءَ اللَّيْلِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ - أَوْ لِيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ - غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ». فَإِذَا نَحْنُ بَعْلِيٌّ وَمَا نَزَّجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ. فَأَعْطَاهُ

(١) هي الثرس من جلد.

(٢) الغبار.

رسول الله ﷺ الراية، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ). لفظ البخاري.

وأخرجا - أيضاً - من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قال: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ عَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيُّنَ عَلَيَّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ». فَأَتَيْتَنِي بِهِ فَبَصَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «أَنْتُمْ عَلَيَّ رِيسْلِكُ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ أَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». لفظ البخاري.

وقد روى ابن إسحاق عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن علياً لما انتهى إلى الحصن تناول بابه، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ. قال أبو رافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقله.

قال ابن كثير: (وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر. ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مُطَّلَب بن زياد عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر الباقر عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر، حتى صعد المسلمون عليه، فافتتحوها، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً. وفيه ضعف أيضاً. وفي رواية ضعيفة عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب) انتهى.

وذكر الحافظ في «الإصابة» رواية أخرى - في المسند لعبد الله بن أحمد بن حنبل - عن جابر، ثم قال: (وفي سنده حرام بن عثمان: متروك).

وفي خيبر قتل عليّ مزحياً فارس يهود.

وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة، وغزوة حنين وكان ممن ثبت معه.

وفي غزوة تبوك:

خلفه رسول الله ﷺ على أهله، وأمره بالإقامة فيهم: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا تزُصّي أن تكونَ مني بمنزلة هارونَ من موسى؟ إلا أنه ليسَ نبيُّ بعدي»^(١)).

وفي سنة تسع:

بعث الرسول ﷺ أبا بكر أميراً على الحج، ليقم للمسلمين حجهم، وأمره أن يؤدّن في الناس أن: «لا يحجّ بعد العامِ مشرك، ولا يطوفنَّ بالبيتِ عُزَيان». ثم بعث ﷺ علياً بعد أبي بكر ليكون معه، ويتولى علي بن نفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين، نيابة عن النبي ﷺ لكونه ابن عمه من عصبته.

روى الإمام البخاري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: (أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة، في مؤذنين يوم النحر، نوذّن بمنّي: ألا لا يحجّ بعد العامِ مشرك، ولا يطوف بالبيتِ عُزَيان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ علياً، فأمره أن يؤدّن بـ ﴿بَرَاءة﴾. قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم النحر: لا يحجّ بعد العامِ مشرك، ولا يطوف بالبيتِ عُزَيان).

وروى أحمد والترمذي عن أنس بن مالك: (أن رسول الله ﷺ بعث ﴿بَرَاءة﴾ مع أبي بكر، فلما بلغ ذا الحليفة قال: «لا يبلّغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي». فبعث بها مع عليّ بن أبي طالب^(٢)).

(١) رواه البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي وأحمد والطيالسي في مسنديهما.

(٢) لفظ أحمد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال الشيخ الأرنؤوط: إسناده حسن.

وعند الترمذي من حديث ابن عباس: (فقام عليّ أيام التَّشْرِيقِ، فنَادَى: ذِمَّةُ اللَّهِ ورسوله بريئةٌ من كلِّ مشركٍ، فسيحُوا في الأرضِ أربعةَ أشهرٍ، ولا يحجَّنَّ بعد العامِ مشركٌ، ولا يطوفنَّ بالبيتِ عُزَيَّانَ، ولا يدخلُ الجنةَ إلا مؤمنٌ. وكان عليّ ينادي، فإذا عَمِيَ قام أبو بكر فنَادَى بها)^(١).

وأقره النبي ﷺ على بعض السرايا، وبعثه إلى أهل اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، فذهب إليهم، ودعا إلى الإسلام، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ؛ فأسلمت همدان جميعاً. فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ النبي ﷺ الكتاب خَرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان».

وانطلق علي من اليمن راجعاً، وأسرع وأدرك الحج، فحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع.

أخلاقه:

كانت أخلاقه رضي الله عنه قبساً من نور خلق النبي ﷺ، الذي تربى في حَجْرِهِ، وعاش في روضة مكارم أخلاقه، وزاد من ذلك مصاهرته إليه ﷺ، حيث كان يتولاه وفاطمة الزهراء بالمواعظ الرفيعة والآداب العظيمة.

● ● فلقد كان رجلاً حياً حياء الأبطال الشجعان، ففي (غزوة أُحُد) عندما بارز أبا سعد بن أبي طحلة وجلد به الأرض، وأراد أن يجهز عليه، إذا به يتولى عنه ويتركه، وعندما سأله أصحابه: لِمَ لَمْ تُجْهِزْ عليه؟ قال: (لقد استقبلني بعورته، فعطفتني عليه الرحم، وعرفت أن الله قد قتله). وفعل مثل ذلك في (الخنديق) مع عمرو بن عبد ود، وقال: (ضربته، فاتقاني بسوءته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه).

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

● ● وعُرف بِصِدْقِهِ وصراحته ورفضه التَّيَّةِ في أحلك الظروف، وكان يقول: (علامة الإيمان أن تُؤثِّر الصدقَ حيث يضرُّك على الكذب حيث ينفَعك، وألا يكون في حديثك فَضْل على علمك، وأن تنقي الله في حديث غيرك).

● ● وبلغت صلة الرحم عنده حد التنافس، بل إنه تنازع مع بعض الصحابة في كفالة عمارة ابنة عمه حمزة رضي الله عنه، ولم يحسم الأمر بينه وبين أخيه جعفر وزيد بن حارثة إلا قضاء رسول الله ﷺ، وذلك عندما قضى النبي ﷺ وصحابته (عمرة القضاء).

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام... فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ، فتبعته ابنة حمزة: يا عمَّ يا عمَّ، فتناولها عليٌّ، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك احمليها. فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرٌ، فقال عليٌّ: أنا أحقُّ بها، وهي ابنة عمي. وقال جعفرٌ: ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيدٌ: ابنة أخي. فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم». وقال لعليٍّ: «أنت مني وأنا منك». وقال لجعفرٍ: «أشبهت خلقي وخلقي». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

● ● وكان من أزهد الناس، يأكل من عمل يده، ويستقي الماء من البئر بنفسه - وهو صهر النبي ﷺ - وزوجه فاطمة كانت تطحن الشعير بالرحى حتى مجّلت يداها.

قال عمر بن عبد العزيز: (أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب).

● ● يحب الضيفان، ويسط الموائد لهم: أخرج البخاري في «الأدب المفرد» عن علي قال: (لأن أجمع نقرأ من إخواني على صاعٍ أو صاعين من طعام، أحبُّ إليَّ من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق رقبة).

إيمانه وتدينه وورعه:

● ● لأزَمَ رضي الله عنه المحافظة على صلاة النوافل في الليل والنهار، يصلي قبل الظهر أربعاً طويلاً، ولما سئل عن ذلك؟ قال: (رأيت رسول الله ﷺ يصليها). وبقي يداوم على أربع ركعات قبل العصر، وكان يقول: (رحم الله من صلى قبل العصر أربعاً). وحرص على صلاة الضحى فما كانت تفوته. ودأب الوِرْدَ الذي علمه إياه رسول الله ﷺ: (تسبيحات وتحميدات وتكبيرات، مئة مرة)، إذا أصبح، وإذا أمسى، ما تركهن في سفر ولا حضر، ولا في صحة أو مرض؛ حتى قال في ذلك: (ما فاتني منذُ سمعتها من رسول الله ﷺ إلا ليلة صِفَيْن، فإني نسيتهَا، حتى ذكرتها من آخر الليل، فقلتها).

● ● دائم الصحبة لكتاب الله تعالى، قال رضي الله عنه: (ما كنتُ أرى أحداً يعقلُ ينامُ حتى يقرأ الآياتِ الأواخرَ من سورة البقرة؛ فإنهنَّ من كنز تحت العرش).

● ● واسع الصدقة، عريض البذل، ندي الكف، سخي العطاء، حتى لقد كثرت وقوفه التي جعلها صدقة جارية، فكان الحاصل من غلتها أربعين ألف دينار.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(١): نزلت في علي بن أبي طالب، كان عنده أربعة دراهم، فَأَنْفَقَ بالليل واحداً، وبالنهار واحداً، وفي السرِّ واحداً، وفي العلانية واحداً.

● ● وكان رضي الله عنه ثخين الورع، شديد القناعة، غزير العبرة، حاضر العبرة، طويل الفكرة.

جاء يوماً بِتَمْرٍ يابس فأكله، ثم شرب عليه الماء، ثم ضرب على بطنه وقال: (مَنْ أَدْخَلَهُ بطنه النارَ فأبعده الله!) ثم تمثَّل:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

فإنَّكَ مهما تعطي بطنك سُؤله وفزجك نالا مُتَّهى الذمَّ أجمعا

وخرج إلى المقبرة يوماً لزيارة موتى المسلمين، ومعه كُمَيْل بن زياد، فلما أشرف على المقابر قال: (يا أهل القبور، يا أهل البلى، يا أهل الوحشة: ما الخبرُ عنكم؟ فإن الخبر عندنا: قد قُسمت الأموال وأُيِّمَت الأولاد، واستُبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا فما الخبر عنكم)؟! ثم التفت إلى كُمَيْل وقال: (يا كُمَيْل، لو أُذِنَ لهم في الجواب لقالوا: إن خيرَ الزاد التقوى)! ثم بكى وقال: (يا كُمَيْل، القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر)!!

ومن دعواته قوله: (أعوذ بك من جَهْدِ البلاء، ودُزك الشقاء، وشماتة الأعداء، وأعوذ بك من السجن والقيد والسُّوط).

(اللهم إن ذنوبي لا تضرك، وإن رحمتك إياي لا تنقصك).

علمه ومروياته:

● ● عن علي رضي الله عنه قال: (والله ما نزلت آيةٌ إلَّا وقد علمتُ فيما نزلت، وأين نزلت وعلى من نزلت! إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً).

وقال: (سُئِلوني عن كتابِ الله، فإنه ليس من آيةٍ إلَّا وقد عرفتُ بليلى نزلت أم بنهار، في سهلٍ أم في جبل).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إذا حدَّثنا ثقةٌ عن علي بفُتْيَا لا نَعُدُّوها).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (كُنَّا نتحدَّث أن من أفضى أهل المدينة ابن أبي طالب).

وقال عمر رضي الله عنه: (علي أفضانا).

وعن سعيد بن المسيّب قال: (كان عُمر يتعوّذ من معضلة ليس فيها أبو حسن)^(١)!

وأخرج ابن عبد البر عن أم المؤمنين عائشة قالت: (أَمَّا إِنَّهُ لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ).
وأخرج ابن سعد عن مسروق بن الأجدع قال: (شَامَمْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فوجدتُ عِلْمَهُمْ انتهى إلى سِتَّةٍ: إلى عمرَ وعليّ وعبدِ الله ومعاذٍ وأبي الدرداء وزيد بن ثابت، فَشَامَمْتُ هؤلاء الستة فوجدتُ عِلْمَهُمْ انتهى إلى عليّ وعبدِ الله)^(٢).

قال الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: (وأما علمه: فكان من العلوم بالمحل العالي... وسؤال كبار الصحابة له، ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات؛ مشهور).

وعن علي رضي الله عنه قال: (بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعَثْتَنِي وَأَنَا شَابٌّ أَقْضِي بَيْنَهُمْ وَلَا أُدْرِي مَا الْقَضَاءُ! فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ». فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، مَا شَكَّكَتُ فِي قَضَاءِ بَيْنِ اثْنَيْنِ)^(٣).

قال الذهبي في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»: (أبو الحَسَنِ الهاشمي، قاضي الأُمّة، وفارسُ الإسلام، وَخَتَنُ المصطفى ﷺ، كان ممن سَبَقَ إِلَى الإسلامِ لَمْ يَتَلَعَّنْهُمْ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَنَهَضَ بِأَعْبَاءِ العِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَشَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ).

(١) أخرجها جميعها ابن سعد في «الطبقات».

(٢) عبد الله هو ابن مسعود. ومعنى (شاممت): يُقال: شاممتُ فلاناً إذا قاربتَه وتعرّفت ما عنده بالاختيار والكشف، وهي مُفَاعَلَةٌ مِنَ الشَّمِّ، كَأَنَّكَ تَشُمُّ مَا عِنْدَهُ وَيَشُمُّ مَا عِنْدَكَ، لِتَعْمَلًا بِمَقْتَضَى ذَلِكَ.

(٣) أخرج ابن سعد وأحمد والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي.

ومع ذلك فقد سئل مرة عن مسألة فقال: (لا علم لي بها). ثم قال: (وَأَبْرَدَهَا عَلَى الكبد، سئلت عمًا لا أعلم فقلت: لا أعلم)!

● ● وهو من الذين حفظوا القرآن أجمع، وعَرَضَ على رسول الله ﷺ:

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: (ما رأيتُ ابنَ أُنثى أقرأ لكتابِ الله تعالى من عليّ).

وقال الذهبي: (روى الكثير عن النَّبِيِّ ﷺ، وعَرَضَ عليه القرآنَ وأقرأه. عَرَضَ عليه أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ، وأبو الأسود الدُّؤلي، وعبدُ الرحمن بن أبي ليلي).

● ● روى علي عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، والمقداد بن الأسود، وزوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها.

روى عنه: أولاده الحسن والحسين ومحمد الأكبر المعروف بابن الحَنَفِيَّة وعمر وفاطمة، وابن ابنه محمد بن عمر بن علي، وابن ابنه علي بن الحسين بن علي مرسلًا، وسُرَيْئَةُ أم موسى، وابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وابن أخته جَعْدَةُ بن هُبَيْرَةَ المخزومي، وكاتبه عُبيد الله بن أبي رافع.

ومن الصحابة: ابن مسعود، والبراء بن عازب، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن أَرْقَم، وسَفِينَةُ مولى رسول الله ﷺ، وصهيب الرومي، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وجابر بن سَمُرَةَ، وجابر بن عبد الله، وأبو جَحْفَةَ وَهَب بن عبد الله الشَّوْائِي، وأبو أَمَامَةَ صُدَيْ بن عَجْلان البَاهِلِي، وأبو موسى الأشعري، وأبو الطَّفَيْل عامر بن وَائِلَةَ اللَّيْثِي، وغيرهم.

ومن التابعين: زَرَّ بن حُبَيْش، وزَيْد بن وَهَب، وأبو الأسود الدُّؤلي، والحاتر بن سُويد التَّمِيمِي، والحاتر بن عبد الله الأعور، وأبو سَاسَانَ حَضِين بن المنذر الرِّقَاشِي، وربيع بن حِرَاش، وشُرَيْح بن هَانِيء، وأبو وائل شَقِيق بن

سلمة، وسويد بن غفلة، وعامر بن شراحيل الشَّعْبِي، وعبد الله بن شدَّاد بن الهَاد،
وعبد الله بن مَعْقِل بن مُقَرَّن المَزْنِي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبيدة
السُّلْمَانِي، وعَلْقَمَة بن قَيْس التَّخَعِي، وقيس بن عُبَاد البَصْرِي، ومالك بن أوس بن
الْحَدَثَان، ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير، ونافع بن جُبَيْر بن مُطْعَم، وأبو بُزْدَة بن
أبي موسى الأشْعَرِي، وخلائق.

● ● وقد روت له كتب السنة (٥٨٦) خمس مئة حديث وستة وثمانين
حديثاً، في الصحيحين منها أربعة وأربعون، اتفقا على عشرين، وانفرد البخاري
بتسعة، ومسلم بخمسة عشر. وخرَّج له الجماعة.

قال الحافظ الذهبي في «التذكرة»: (كان إماماً عالماً متحرِّياً في الأخذ،
بعيثة إنه يستحلف من يحدثه بالحديث، فقال عثمان بن المغيرة الثقفي عن
علي بن ربيعة عن أسماء بن الحَكَم الفَزَارِي أنه سمع علياً يقول: كنتُ إذا سمعتُ
من رسولِ الله ﷺ حديثاً نَفَعَنِي اللهُ بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدَّثني عنه
غيره اسْتَحَلَفْتُهُ، فإذا حَلَفَ صَدَّقْتُهُ، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - قال:
سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من عبدٍ مسلمٍ يذنبُ ذنباً، ثم يتوضأ ويصلي
ركعتين، ثم يستغفر الله؛ إلا غفر الله له». رواه مسَعَر وشريك وسفيان وأبو عَوَانة
وقيس عنه، وإسناده حسن).

● ● ولعلي رضي الله عنه خطب جليلة جامعة، وأقوال بديعة رائعة، وقد
جُمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب سُمِّي «نَهْجُ البَلَاغَةِ»، ولأكثر الباحثين شك
في نسبه كله إليه.

وكان ينظم الشعر، ويحسن النظر فيه، وقد جادت قريحته بأشعار رفيعة،
وقد نحلوه ديواناً سموه «ديوان علي بن أبي طالب»، فيه قصائد كثيرة ليس بينها إلا
القليل مما يصح نسبه إليه، ومعظمه مدسوس عليه.

منزلته عند النبي ﷺ، ومناقبه:

قال الحافظ في «الفتح»: (قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي التيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي. وكان السبب في ذلك أنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينها من الصحابة رداً على من خالفه، فكان الناس طائفتين، لكن المبتدعة قليلة جداً).

وقال في «الإصابة»: (وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها، وتتبع النسائي ما خص به دون الصحابة، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد).

روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(١) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، هَؤُلَاءِ أَهْلِي»).

وروى مسلم - أيضاً - عن عائشة رضي الله عنها قالت: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ^(٢) مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾).

وأخرج الترمذي وأحمد عن علي: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنِ وَحُسَيْنٍ، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)).

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) قوله (مرط مرحل): المرط: كساء، جمعه مروط. المرحل: هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل.

(٣) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

وفي غزوة خيبر قال ﷺ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١). فأعطاهها علياً رضي الله عنه.

وروى الترمذي عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ»^(٢).

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن علي قال: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مَنَافِقٌ»). لفظ مسلم.

وروى البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»^(٣).

وعن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي - وفيه عنده قصة - وقال: حديث حسن غريب. وقال الألباني: سنده صحيح.

(٣) أي أنت متصل بي، نازل مني منزلة هارون من موسى. وليس فيه حجة لمن يقول بأن علياً وصي النبي ﷺ، وأن الخلافة كانت له، بل فيه إثبات فضيلة لعلي. ويؤيد هذا أن هارون - المشبه به - لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة، وإنما استخلفه حين ذهب للمناجاة، وقد شبه النبي ﷺ أبا بكر بإبراهيم وعيسى، وشبه عمر بنوح وموسى، عليهم جميعاً الصلاة والسلام - لما أشارا في أسرى بدر - وهذا أعظم من تشبيه علي بهارون! ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل. وتشبيه الشيء بالشيء لمشابهته في بعض الوجوه؛ كثير من الكتاب العزيز والسنة وكلام العرب.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي والضياء، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الذهبي: حديث صحيح.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: (أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسَدِّ الْأَبْوَابِ الشَّارِعَةِ فِي الْمَسْجِدِ وَتَرْكِ بَابِ عَلِيٍّ) (١).

وعن زيد بن أرقم قال: (كَانَ لِنَقَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَبْوَابٌ شَارِعَةٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ». فَتَكَلَّمَ نَاسٌ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي - وَاللَّهِ - مَا سَدَدْتُ شَيْئًا وَلَا فَتَحْتُهُ، وَلَكِنْ أَمَرْتُ بِشَيْءٍ فَاتَّبَعْتُهُ» (٢).

وعن ابن عُمَرَ قَالَ: (كُنَّا نَقُولُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرُ النَّاسِ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْنَتُهُ وَوَلَدَتْ لَهُ، وَسَدُّ الْأَبْوَابِ إِلَّا بِأَبِيهِ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ) (٣).

● ● وكان رضي الله عنه من كُتَّابِ الْوَحْيِ، وَيَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكُتُبَ وَالْعَهودَ وَالْمَوَاتِيقَ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ بِنُودِ صَلْحِ الْحَدِيثِيَّةِ. وَلَيْسَ بُرْدُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ، وَنَامَ مَكَانَهُ، وَفَدَاهُ بِنَفْسِهِ وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقَدْ قَالَ ﷺ - مَخَاطَبًا عُمَرَ -: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» (٤)؟! وَشَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، فَكَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٥). وَقَالَ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٦).

(١) أخرجه أحمد والنسائي، قال الحافظ: إسناده قوي.

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم، وقال الحافظ: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد، قال الحافظ: إسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري - وهذا لفظه - ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٥) سورة الفتح: الآية ١٨.

(٦) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

مكانته عند الصحابة :

أحب الصحابة الكرام علياً لفضائله وسوابقه وقرابته من النبي ﷺ، ووضعه من أنفسهم بالمكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ.

أخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال: قال عمر: (لقد أُعطيَ علي بن أبي طالب ثلاثَ خصال، لأن تكون لي خَصْلَةً منها أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ. قيل: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناهُ المسجدَ مع رسول الله ﷺ يحلُّ له فيه ما يحلُّ له، والراية يوم خيبر)^(١).

ولما تَنَقَّصَ قومٌ علياً في حضرة سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، قال سعد: (لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في عليّ ثلاثَ خصال، لأن يكون لي واحدةً منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ، سمعته يقول: «إنَّهُ بمنزلةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي». وسمعته يقول: «لأعطينَ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ». وسمعته يقول: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(٢)).

وعن قيس بن أبي حازم قال: (كنت بالمدينة فبينما أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدّم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه، فقال: يا هذا علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلّى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ - وذكر حتى قال: ألم يكن ختن رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم إنَّ هذا يشتم ولياً من أوليائك، فلا تفرق هذا

(١) قال ابن كثير: وقد روي عن عمر من غير وجه.

(٢) أخرجه النسائي في «خصائص علي» ومسلم والترمذي بأطول من هذا السياق.

الجمع حتى تريبهم قدرتك. قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات^(١).

وفي حضرة سعيد بن زيد رضي الله عنه قام رجل فسب علياً، فانتهره سعيد، وروى للناس عندئذ حديث العشرة المبشرين بالجنة، فذكر علياً رابعهم، ثم قال: (لَمَشَهُدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَغْبِرُ فِيهِ وَجْهُهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ، وَلَوْ عُمَّرَ عُمُرَ نُوْحٍ)^(٢).

وسأل معاوية ابن عباس - رضي الله عنهما وعن أبيهما - عن مناقب علي، فقال ابن عباس: (رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ، كَانَ - وَاللَّهِ - عِلْمَ الْهُدَى، وَكَهْفَ الثُّغَى، وَمَحَلَّ الْحِجَى، وَطَوْدَ الْبِهَاءِ، وَنُورَ الشُّرَى)^(٣) في ظلم الدجى، داعياً إلى المحججة العظمى، عالماً بما في الصحف الأولى، وقائماً بالتأويل والدكري، متعلقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجور والأذى، وحائداً عن طرقات الردى، وخير من آمن واتقى، وسيّد من تقمّص^(٤) وارثي، وأفضل من حجّ وسعى، وأسمح من عدل وسوى، وأخطب أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبي المصطفى، وصاحب القبلتين؛ فهل يوازيه موحد؟! وزوج خير النساء، وأبو السبطين، لم تر عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء، من لعنة فعلية لعنة الله والعباد إلى يوم القيامة).

وأخرج أحمد والطبراني عن رياح بن الحارث قال: (جاء رَهْطٌ إِلَى عَلِيٍّ بِالرَّحْبَةِ)^(٥)، قالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. و (أحجار الزيت): موضع بالمدينة.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال الأرنؤوط: هو حديث صحيح.

(٣) الشرى: السير ليلاً.

(٤) تقمّص: لبس القميص.

(٥) الرحبة: محلة بالكوفة.

مولاه». قال رباح فلما مَضَوْا تبعْهُمْ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ^(١).

● ● لكن ذلك لم يكن ليحمل الصحابة على أن يتعدوا به المنزلة التي تبوأها، أو أن يروا فيه العصمة؛ بل هو كغيره من الأصحاب، يجوز عليه ما يجوز عليهم:

أخرج البخاري عن ابن عُمَرَ قال: (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عَمَرَ ثُمَّ عَثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ).

بل إن علياً نفسه لم ير تقدمه على الشيخين رضي الله عنهما، يحدث بذلك ابنه محمد الشهير بابن الحنفية فيقول: (قلتُ لأبي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثُمَّ عُمَرُ. وخشيتُ أن يقول عثمانُ، قلتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٢)!

● ● والصحيح من قول أكثر أهل السنة أن أفضلية الخلفاء الأربعة حسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وما ذُكر عن بعض أهل الكوفة من تفضيل علي؛ إنما هو في تقديمه على عثمان لا على أبي بكر وعمر، فهذا لا يقول به أحد.

قال الحافظ ابن كثير: (المشهور عن بعض الكوفيين تقديم عليٍّ على عثمان، فأما عليُّ الشيخين فلا، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غبي).

ثم قال: (بل قد قال غير واحد من العلماء - كأيوب والذَّارِقُطَيْي -: مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عَثْمَانَ فَقَدْ أَرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. وهذا الكلام حق وصدق، وصحيح ومليح).

(١) قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات.

(٢) رواه البخاري.

وذلك لأنهم أجمعوا على بيعة عثمان في حضرة علي، ولا يجتمعون إلا على أفضلهم.

المبشر بالجنة:

هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، والحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن سعيد بن زيد، ورواه الترمذي - أيضاً - عن عبد الرحمن بن عوف^(١).

وأخرج الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (مشيت مع النبي ﷺ إلى امرأة، فذبحت لنا شاة، فقال رسول الله ﷺ: «لِيَدْخُلَنَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فدخل أبو بكر رضي الله عنه. ثم قال: «لِيَدْخُلَنَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فدخل عمر رضي الله عنه. ثم قال: «لِيَدْخُلَنَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْهُ عَلِيًّا». قال: فدخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه)^(٢).

وعند الحاكم - أيضاً - عن علي رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخِذٌ بِيَدِي وَنَحْنُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، إِذْ مَرَرْنَا بِحَدِيقَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنُهَا مِنْ حَدِيقَةٍ! قَالَ: «لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا»)^(٣).

مع الخلفاء الثلاثة قبله:

كان علي رضي الله عنه مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه على الأخلاق التي تربي عليها في كنف النبي ﷺ، يحبُّهم ويبجلُّهم، ويعترف بفضلهم، يصدِّقهم بما يقولون، ويصدِّقهم بما يقول، ويبذل لهم رأيه ونصحه، ويقف معهم في

(١) وهو حديث صحيح، قد مرَّ في ترجمة عثمان، ص ٢٠٤.

(٢) صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال في «تاريخ الإسلام»: حديث حسن. ورواه أحمد بنحوه، قال الهيثمي: إسناده حسن.

(٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الملّمات، ولا يُسَلِّمُهُمْ لمكروهه، بل يفديهم بنفسه وولده، ويبغض من يبغضهم.
ولم يعكر صفو علائقه معهم إلا افتراءات المفترين، وكذب الكذابين.

● ● يقول رضي الله عنه: (قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس، وأنا حاضرٌ غير غائب، وصحيحٌ غيرٌ مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدّمني، فرَضِينَا لدنيانا مَنْ رَضِيَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - عليه السلام - لِدِينِنَا).

وبايع أبا بكر في المسجد في أول يوم، أو في اليوم الثاني من وفاة النبي ﷺ، وكان معه: يصلي وراءه، ويحضر للمشورة، وشهد معه حروب الردة، ولما ركب الصديق في الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه من المدينة إلى (ذي القَصَّة) كان علي يقود براحلة أبي بكر!

ويبقى يعرف لأبي بكر سابقته وفضله حتى عندما أضحي خليفة، فقد أخرج خيشمة وابن عساكر عن أبي الزناد قال: (قال رجلٌ لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، ما بالُ المهاجرين والأنصار قدّموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبةً، وأقدم منه سلماً، وأسبق سابقه؟ قال: إن كنت قرشياً فأحسبك من عائذة؟ قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائذُ الله لقتلتك، ولئن بقيتُ ليأتيتك مني روعة حصراء، ويحك! إن أبا بكر سبقني إلى أربع: سبقني إلى الإيمان، وتقديم الإمامة، وتقديم الهجرة إلى الغار، وإفشاء الإسلام. ويحك! إن الله ذمَّ الناسَ كلهم ومدَّحَ أبا بكر، فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾^(١)).

وعندما سأله ابنه محمد ابن الحنفية عن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أجابه قائلاً: أبو بكر، ثم عمر.

قال الحافظ ابن كثير: (وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة: يا

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠. ومعنى (سلماً): إسلاماً. (عائذة): قبيلة من قریش. (روعة): فزعة.

أيها الناس، إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت).
الثالث لسميت).

وُجِعَ بموت أبي بكر، فقال يرثيه: (رَحِمَكَ اللَّهُ أبا بكر، كنت - واللّه - أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً. صدقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس، وواسيته حين يخلوا، وقمت معه حين قعدوا، كنت - واللّه - للإسلام حِضْناً، وللكافرين ناكباً. لم تهن حجّتك، ولم تضعف بصيرتُك، ولم تجبن نفسك).

● ● وتولى الخلافة عمر رضي الله عنه، فكان علي من جملة من بايعه وشدّ على يمينه، وكان معه يشاوره في الأمور، ويستفتيه في المسائل، واستقضاه في أيام خلافته. وقدم مع عمر إلى الشام، وسمع خطبته بالجابية.

وكان علي أحد من شارك في تحديد عطاء الخليفة الفاروق، وتولى قضاء المدينة، وامتدحه عمر بقوله: (علي أفضانا). كما كان له رأي بارز في توجيه الفتوحات، وكثيراً ما كان عمر يهوى قوله.

عن سويد بن غفلة قال: (مررتُ بقوم يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما! فأتيتُ علياً رضي الله عنه، فذكرتُ له ذلك، فقال: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَضْمَرَ لهما إلا الحسن الجميل، أخو رسول الله ﷺ ووزيراه! ثم صعد المنبر، فخطب خطبة بليغة فقال: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه، ومنه بريء، وعلى ما يقولون معاقب؟! والذي فلق الحبة وبرأ النسمة^(١) إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يُبغضهما إلا فاجر رديء! صحبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء، يأمران وينهيان ويعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا يرى رسول الله ﷺ كرايهما رأياً، ولا يحبّ حبهما حباً، مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راضٍ والناس راضون...). ثم قال: (فمن

(١) فلق الحبة: أي شقها بالنبات. وبرأ النسمة: أي خلق الإنسان، وقيل: النفس.

أحَبَّهُمَا فَقَدَ أَحَبَّيْنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدَ أَبْغَضَنِي، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ. وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ^(١) فِي أَمْرِهِمَا لِعَاقَبْتُ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ، فَمَنْ أَتَيْتَ بِهِ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَعَلِيهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي. أَلَا وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، ثُمَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ أَيْنَ هُوَ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَيَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ).

● ● وفي عهد عثمان كان علي من أهل الشورى، ومناصرًا لعثمان طيلة مدة خلافته، وَوَيَّخَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ - لَمَّا ضَرَبُوا خِيَامَهُمْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ -: (لَقَدْ عَلِمَ الصَّالِحُونَ أَنَّ جَيْشَ ذِي الْمَرَّةِ وَذِي حُشْبٍ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَارْجِعُوا لَا صَبَّحَكُمْ اللَّهُ). وَرَكِبَ دَابَّتَهُ وَأَوْصَلَ لِلْخَلِيفَةِ الْمَحْصُورِ قَرِيبًا مِنَ الْمَاءِ.

وَنَهَضَ لِنَصْرَةِ عُثْمَانَ، فَاعْتَمَّ بِعِمَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، وَجَاءَ إِلَى دَارِ عُثْمَانَ وَأَمَامَهُ ابْنَةُ الْحَسَنِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَدَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: (وَاللَّهِ لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَاتِلِيكَ، فَمُرْنَا فَلْنُقَاتِلْ)! فَأَبَى عُثْمَانُ عَلَيْهِمْ، فَأَعَادَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ الْقَوْلَ، فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ جَوَابِهِ الْأَوَّلِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَا بِذُلَّتِنَا الْمَجْهُودِ). ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ، فَقَالُوا لَهُ: (يَا أَبَا الْحَسَنِ، تَقَدَّمَ فَصَلِّ بِالنَّاسِ). فَقَالَ: لَا أَصَلِّي بِكُمْ وَالْإِمَامَ مَحْصُورًا، وَلَكِنْ أَصَلِّي وَحْدِي. فَصَلَّى وَحْدَهُ، وَانصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَحِقَهُ ابْنُهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أُمَّتٍ قَدْ اقْتَحَمُوا عَلَيْهِ الدَّارَ! قَالَ: إِنْ أَرَادَ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، هُمْ وَاللَّهِ قَاتَلُوهُ. قَالُوا: أَيْنَ هُوَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: فِي الْجَنَّةِ - وَاللَّهِ - رُفِيَ. قَالُوا: وَأَيْنَ هُمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: فِي النَّارِ وَاللَّهِ - ثَلَاثًا -).

ولما قتل عثمان، وجاء الخبر علياً، قال: (تباً لهم آخر الدهر)! ودخل علي عثمان فوقع عليه، وجعل يبكي حتى ظن من هناك أنه سيلحق به!
وتبرأ إلى الله من دمه في مواقف ومناسبات كثيرة، قال الحافظ ابن كثير:

(١) أي: نهيت.

(وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يُقسِم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، ولا مالأ، ولا رضي به، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه؛ ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث).

استخلافه:

بطلان دعوى الوصية:

أخرج البخاري - واللفظ له - ومسلم والنسائي عن الأسود بن يزيد قال: (ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَانَ وَصِيًّا، فَقَالَتْ: مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي، أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي، فَدَعَا بِالطُّسْتِ، فَلَقَدْ انْحَنَتْ فِي حَجْرِي، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ) (١)؟

وقال البخاري: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقَرُوهُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ غَيْرَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ: فَأَخْرَجَهَا، فَإِذَا فِيهَا أَشْيَاءٌ مِنَ الْجَرَاحَاتِ وَأَسْتَانَ الْإِبِلِ قَالَ: وَفِيهَا: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَخَذَتْ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدَّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ. وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بغيرِ إِذْنِ مَوْلَاهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ. وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ» (٢).

وأخرج مسلم والنسائي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: (كنت عند علي بن أبي طالب، فأناه رجلٌ فقال: ما كان النبي ﷺ يسرُّ إليك؟ قال: فغضب

(١) قوله (حجري): أي حضني. (انحنث): أي انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت.

(٢) رواه الخمسة، واللفظ للبخاري.

وقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئاً يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ. قال: ما هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال: قال: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُخْدِئاً، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»^(١).

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي الطفيل - أيضاً - قال: (سُئِلَ عَلِيٌّ: أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ؟ فقال: ما خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَ بِهِ النَّاسَ كَافَةً، إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سِيفِي^(٢)) هذا. قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُخْدِئاً».

وفي مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه قال العباسُ بن عبد المطلب لعليٍّ: (أذهب بنا إلى رسولِ الله ﷺ فَلْتَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَا، فَأَوْصِيْنَا). فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فَمَنَعَتْهَا لَا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(٣).

ويحدث علي عن آخر ساعاته مع النبي ﷺ فيقول: (أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ آتِيَهُ بِطَبَقٍ يَكْتُبُ فِيهِ مَا لَا تَضِلُّ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ تَفُوتَنِي نَفْسُهُ، قَالَ: قَلْتُ: إِنِّي أَحْفَظُ وَأَعِي. قَالَ: «أَوْصِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٤)).

قال الحافظ ابن كثير: (وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما^(٥)) عن

(١) لفظ مسلم. قوله (مُخْدِئاً): المُخْدِثُ: من يأتي بفساد في الأرض. (منار الأرض): علامات حدودها.

(٢) هو وعاء من جلد، ألطف من الجراب، يُدخَلُ فِيهِ السِّيفُ بِغَمْدِهِ وَمَا خَفَّ مِنَ الْأَلَةِ.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد.

(٥) الحديث رواه الخمسة، وقد ذكرنا رواية البخاري له في صدر هذه الفقرة.

علي رضي الله عنه يردُّ على فرقة الرافضة في زعمهم أنَّ رسولَ الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لَمَا رَدَّ ذلك أحدٌ من الصحابة، فإنهم كانوا أطوعَ لله ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه، فيقدّموا غيرَ مَنْ قَدَّمَهُ، ويؤخّروا من قَدَّمَهُ بنصّه! حاشا وكلاً ولَمَّا! وَمَنْ ظَنَّ بالصحابة - رضوان الله عليهم - ذلك فقد نَسَبَهُم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم له في حكمه ونصّه؛ وَمَنْ وصلَ من الناس إلى هذا المقام، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام، وكفرَ بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقةً دمه أحلَّ من إراقة المُدَّام^(١). ثم لو كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصرٌ فَلِمَ كان لا يحتجّ به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟! فإن لم يقدرْ على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة. وإن كان يقدر ولم يفعله، فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة. وإن لم يعلم بوجود النص، فهو جاهل. ثم وقد عرفه وَعَلِمَهُ مَنْ بعده؛ هذا محال واقتراء، وجاهل وضلال!

وإنما يَحْسُنُ هذا في أذهان الجَهْلَةِ الطَّغَام، والمفترين من الأنام، يزيّنُهُ لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكّم والهديان، والإفك والبهتان. عياداً بالله مما هم فيه من التخليط والخذلان، والتخيط والكفران، وملاذاً بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاة على الإسلام والإيمان، والموافاة على الثبات والإيقان، وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران، والفوز بالجنان، إنه كريم متّان، رحيم رحمن).

مبايعة المسلمين له بالخلافة:

ما إن قُتِلَ عثمان حتى جاء الناس إلى علي يُهْرَعُونَ إليه، وكلهم يقول: أمير المؤمنين علي. وألْحُوا عليه في ذلك، وقالوا: إنه لا بدّ من إمام، ولا يتأهلّ لذلك

(١) هي الخمر.

غيرك، فلما علم ذلك، وتحقق تعينه عليه، أجابهم، وقيل الخلافة وهي مشخنة بالجراح، ملأى بالمصاعب، لا يقوى على حملها إلا من هو مثله رضي الله عنه.

روى الطبري عن ابن الحنفية قال: (كنت مع أبي حين قُتل عثمان رضي الله عنه - فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا، فإن أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً. فقالوا: لا والله، ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين. قال ابن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يُشغَبَ عليه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل، دخل المهاجرون والأنصار، فبايعوه، ثم بايعه الناس).

وتمت لعلي رضي الله عنه البيعة العامة من المهاجرين والأنصار، وكل من حضر، وذلك يوم السبت، التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة، في اليوم التالي لاستشهاد عثمان. وكتب علي بيعة إلى الأمصار الإسلامية، فأذعنوا له، إلا ما كان من معاوية في أهل الشام.

سياسته مع الرعية:

أخذ علي الخلافة بحزم وعزم، وهو يرى أن واجبه أن يعطي ولا يأخذ، يسهر ولا ينام، يكذب ويتعب ولا يستريح. وقام في الناس خطيباً فأمرهم بالترام كتاب الله، وأداء الفرائض، والحفاظ على حرمة المسلم، والحرص على طاعة الله واجتناب معصيته.

وفرض على الولاة الرفق بالرعية، وإنصاف الناس، والصبر على حوائجهم، وعدم الاحتجاب عنهم، والابتعاد عن بطانة السوء، واتخاذ الوزراء الأمناء، وكان يتابعهم ويقتص أخبارهم، وينصحهم ويؤدبهم.

ونشر عدله بين الناس، حتى إنه خاصم يهودياً في درع، فقضى شريح بالدرع لليهودي، لعدم توفر البيئة عند أمير المؤمنين!

ووزع المال بيمينه وشماله، حتى إنه أعطى الناس في سنة ثلاث مرات، وعندما امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء؛ أنفق جميع ما فيه وهو يقول: (يا صفراء، ويا بيضاء، عُزِّي غيري، ها، وهأ، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم) ثم أمر بتضحته، وصلّى فيه ركعتين. وكان يكنس بيت المال، ويصلي فيه، يتخذه مسجداً؛ رجاء أن يشهد له يوم القيامة بأنه لم يحبس فيه مال المسلمين.

وكان يمشي في الأسواق وحده، يرشد الضالّ، ويعين الضعيف، ويمرّ بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن، ويقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾^(١).

وعند ابن سعد أن علياً كان (معه دِرَّةٌ له يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله، وحُسن البيع، ويقول: أَوْفُوا الكيلَ والميزان. ويقول: لا تَنْفُخُوا اللَّحْمَ).

ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحذر من الغش والخداع، ويبصّر الناسَ بأمور دينهم، ويرغبهم بالآخرة والتزود لها.

وبلغ من تواضعه أنه كان يشتري حاجاته بنفسه، ويحملها على عاتقه، غير عابىء بمنصب الخلافة. دخل السوق يوماً، فاشترى تمرّاً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال له رجل: أحمل عنك يا أمير المؤمنين. قال: (لا، أبو العيال أحق أن يحمل).

وكان يركب الحمار، ويدلي رجله إلى موضع واحد، ويقول: (أنا الذي أهنت الدنيا). يرقع قميصه، ولا يرى غضاضة في ذلك، ولما سئل عن هذا، فقيل

(١) سورة القصص: الآية ٨٣

له: يا أمير المؤمنين، لِمَ تَزَقُّ قَمِيصَكَ؟ قال: (يخشع القلب، ويقتدي به المؤمن).

وَجَمَلَ تلك الصفات ما كان عليه من الزهد والورع، فقد فرض لنفسه من مال المسلمين قصعتين من الطعام: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها بين الناس. ويلبس قميصاً ثمنه ثلاثة دراهم! ورآه رجل يوماً يُرعد من البرد، وعليه قَطِيفَةٌ بالية، فقال له: (يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً من هذا المال، وأنت تُرعد من البرد؟! فقال: إني - والله - ما أرزؤكم^(١) من مالكم شيئاً، وما هي إلا قطفيتي التي أخرجتها من بيتي).

قال رضي الله عنه: (أفنع من نفسي بأن يُقال أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان؟! واللَّهِ لو شئتُ لكان لي صَفْوُ هذا العسل، ولُبَّاب هذا البُرِّ، ومناعمُ هذه الثياب، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى، فَأَبَيْتُ مِنْطَاناً وحولي بطون غَزَتِي^(٢)، وأكبأد حَزِي)!

استقباله الخلافة وبداية الفتن:

بعد مقتل عثمان خرج النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - من المدينة ومعه قميص عثمان مضرَّج بدمه، وأصابع نائلة بنت الفُرافِصة التي أصيبت حيث دافعت عن زوجها عثمان، ففُطِعت مع بعض الكف! فَوَرَدَ به على معاوية بالشام، فوضع معاوية القميص على المنبر وعلَّق به الأصابع.

وقام معاوية وجماعة من الصحابة منهم أبو أمامة، وعَمْرُو بن عَبَّسَةَ، بتحريض الناس على المطالبة بدم عثمان وقَتْل القَتْلَةِ.

(١) أي: لا أنقصكم.

(٢) أي: جياع.

وما إن تمت البيعة لعلي حتى دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة، فطلبوا منه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان، ومعاينة القتلة قبل أن يستفحل أمرهم، ويعظم خطرهم، ويتعظم شرهم. ولم يكُ عليٌّ يجهل هذا، ولا يقلل من شأنه، لكنه كان يرى التمهل في هذا الأمر، حتى تستقرَّ أمور الدولة، وتقوى شوكتها، وتضمحلَّ قوة الثائرين، ويتفرقوا بين قبائلهم، وحينئذ يُقَاد منهم. فلقد رأى الإمام قوة بأسهم، وكثرة مادّتهم وأنصارهم، فقد تحدّث يوماً بشأن القوَد لعثمان، فشرَّع عشرة آلاف منهم الرماح، وهم يجهرون بأنهم (كلهم قتلَة عثمان)!

روى الطبري عن علي أنه قال لأولئك الصحابة: (يا إخوتاه، إني لستُ أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرائكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا. قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمر إن حرّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق. فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا).

وعزم علي على تغيير الولاية الذين كانوا في عهد عثمان، فنصحته المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عباس بأن يقرَّ نوابه على البلاد إلى أن يتمكن، وأن يقرَّ معاوية - خصوصاً - على الشام، فأبى ذلك، وولى على الأمصار نواباً، وبعث سهل بن حنيف على الشام، فخرج حتى إذا كان بتبوك لفيئته خيلاً، وردَّوه من حيث أتى. ورفض أهل الشام البيعة، فعزم علي على قتالهم، وتجهَّز لذلك، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله.

وقعة الجمل:

فقد خرجت أم المؤمنين عائشة مع طلحة والزبير إلى البصرة، وكانت عائشة تحمل في هودج لها على جَمَلٍ يقال له عسكر، فعلم علي بذلك فصرف النظر عن الذهاب إلى الشام، وتوجه لملاقة أهل الجمل، ففاته الأمر، حيث تغلب أصحاب الجمل على البصرة، فكانت هناك (وقعة الجمل) سنة (٣٦هـ)، أثارها سفهاء الفريقيين، وقتل بينهما نحو العشرة آلاف، وظفر علي بها. وقتل الزبير غيلة، وأما طلحة فجاءه في المعركة سهمٌ غَزَبَ - لا يعرف راميهِ - فقتله. وأما عائشة فقد جهزها أمير المؤمنين علي رفقة أربعين امرأة، وسارت إلى المدينة صحبة أخيها محمد.

وسئِلَ علي عن أصحاب الجمل، فقال: (إخواننا بَعَوْا علينا، فقاتلناهم، وقد فاؤوا، وقد قبلنا منهم). وجاء عنه من وجوه أنه قال: (إني لأرجو أن أكونَ أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(١)).

ثم كانت وقعة صِفِّين:

بين جيش الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، وجيش العراق بقيادة علي، وسبب ذلك أن معاوية رضي الله عنه رفض البيعة لأمير المؤمنين علي حتى يقتل قتلة عثمان المنبئين في جيشه.

وقد كان لعلي رضي الله عنه العذر في عدم التعجيل بعقوبتهم، لأنهم قد أصبحوا في العراق، بِمَعْقِلٍ من قوتهم وعنجهية قبائلهم، وكثرة مؤيديهم ومآذنتهم؛ وفتحُ باب القتال معهم ينذر بشرٌ مستطير، وتسكينُ الأمر هو الحل الأنجع في مثل هذه الظروف. ودعا عليٌ معاويةَ أن يدخل في البيعة كما دخل أهل مكة والمدينة،

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

والبصرة والكوفة واليمن، وأهل مصر والبحرين واليمامة، وغيرهم، ثم بعد ذلك يقوم الإمام بإقامة الحدود، والقصاص من المجرمين.

فالذين يطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون؛ لأنهم يطالبون بحق، سواء أكانوا من أصحاب الجمل، أو من أهل الشام. وكذلك علي معذور في تأجيل إقامة حد الله، لأن ذلك كان عن ضرورة قائمة لا فرار منها.

ولما رأى علي إصرار معاوية في أهل الشام على رأيه؛ تجهز في جيش وخرج باتجاه الشام، فعلم معاوية بخروج علي، فاستشار الناس فأشاروا عليه بالخروج.

فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية (صِفِّين)^(١) في تسعين ألفاً، وتقدم علي بجيوشه إلى تلك الجهة في مئة وعشرين ألف مقاتل. فتواجه الفريقان، وتوافقوا طويلاً في (صِفِّين)، في أوائل ذي الحجة.

وترددت الرسل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، والناس كاثون عن القتال حتى انسلك المحرم من سنة (٣٧هـ)، قام بعدها علي فنبذ إليهم على سواء، وعبى جيشه، وكذلك عبى معاوية جيشه، وتقدم علي في مئة ألف أو يزيدون، ومعاوية في مئة وثلاثين ألفاً، وشرعوا في القتال أول يوم من صفر. وأقاموا في صفين مئة وعشرة أيام خاضوا خلالها تسعين زحفاً، انتهت بأن رفع أهل الشام المصاحف على الرماح، ونادوا أهل العراق: ندعوكم إلى كتاب الله، فكانت قضية (التحكيم).

التحكيم:

وكل عليّ أبا موسى الأشعري، ومعاوية عمّرو بن العاص، واتفق الحكمان على أن يعزلا علياً ومعاوية، ثم يجعل الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح

(١) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات، آخر تخوم العراق، وأول تخوم الشام.

منهما أو من غيرهما، وأن إمامة المسلمين يُترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة. هذا هو الصحيح في أمر التحكيم، لا ما يدعيه البعض من أن عمراً حَدَعَ أبا موسى وأثبت معاوية!

فافترق الناس بعد التحكيم ثلاثة أقسام: العراقيون وبقوا على بيعتهم لعلي، وأهل الشام استمروا على بيعتهم لمعاوية، والقسم الثالث نقموا على علي رضاه بالتحكيم، فخرجوا عليه، وسموا «الخوارج» لذلك، وبالغوا في التكبير على علي رضي الله عنه، وصرّحوا بكفره، وعاثوا في الأرض فساداً، فانشغل علي بقتالهم.

مع الخوارج:

نزل الخوارج مكاناً يقال له (حَرْوَرَاء)^(١) فسمّوا (الحَرْوَرِيَّة)، وكانوا زيادة على ثمانية آلاف، وقد خرج إليهم ابن عباس رضي الله عنهما وحاجّهم فَحَجَّجَهُمْ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، حتى دخلوا على علي بالكوفة، وبقي مَنْ بقي على رأيه وضلالته. وخرجوا من الكوفة وحداناً حتى لا يفتن الناس بهم، وبعثوا لكل مَنْ هو على رأيهم فاجتمعوا (بالتَّهْرَوَان)^(٢)، وصارت لهم شوكة وَمَنَعَة، وفيهم شجاعة وبأس، وكانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع.

أخرج الطبري في مسند علي من «تهذيب الآثار» من طريق بُكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعاً: (كيف كان رأيي ابن عمر في الحَرْوَرِيَّة؟ قال: كان يراهم شرار خلق الله، انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين)^(٣).

وتقدّم إليهم قيس بن سعد، ثم أبو أيوب الأنصاري، ثم أمير المؤمنين علي، فوعظوهم وخوّفوهم، وحدّروهم وأندروهم، فلم يكن لهم جواب إلا أن نادوا

(١) قرية بالعراق قريبة من الكوفة.

(٢) كورة واسعة بين بغداد وواسط.

(٣) قال الحافظ: سنده صحيح.

فيما بينهم: لا تخاطبوهم ولا تكلموهم، وتهيؤوا للقاء الرب عز وجل، الرواح
الرواح إلى الجنة!!

وتقدموا واصطفوا للقتال، وتأهبوا للنزال، ووقف علي بجيشه أمامهم، وأمر
أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: (مَنْ جَاءَ إِلَى هَذِهِ
الرَايَةِ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ انصَرَفَ إِلَى الكُوفَةِ والمدائن فهو آمِنٌ، إنه لا حاجة لنا فيكم
إلا فيمن قتل إخواننا). فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف -
فلم يَبْقَ منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي.

والتحم الجيشان، فحصدهم جند علي وقتلوا أمراءهم: عبد الله بن وهب،
وخرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى. ولم ينجُ منهم إلا دون العشرة، ولا قُتل
ممن مع علي إلا نحو العشرة، وكان ذلك في شعبان، سنة ثمان وثلاثين
للهجرة^(١).

وقد كان علي رضي الله عنه يعلم صفة هؤلاء وما هم عليه، مما سمعه من
رسول الله ﷺ، ومما رواه غيره من الصحابة؛ فقد روى حديث الخوارج عن
رسول الله ﷺ خمسة وعشرون صحابياً.

عن سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا تَنْجَسُوا مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ
فِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الْحَزْبَ خَدَعَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ
الزَّمَانِ قَوْمٌ، حَدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَخْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ
مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا
لَقِيْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

(١) ذكر الزركلي في ترجمة علي من «الأعلام» ٢٩٥/٤ أن الخوارج كان (فيهم جماعة من خيار
الصحابة)، وهو خطأ فاحش قبيح!

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، واللفظ للبخاري.

وأخرج مسلم - واللفظ له - وأبو داود عن زَيْدِ بْنِ وَهَبِ الْجُهَنِيِّ، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه، الذين ساروا إلى الْخَوَارِجِ، فقال علي رضي الله عنه: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَيَّ قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَيَّ صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَيَّ صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تَجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ». لو يعلم الجيش الذين يُصَيَّبُونَهم ما قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ. وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ...).

ولما فرغ علي من أمر الخوارج، أمر الناس أن يلتمسوا الْمُخْدَجَ^(١) في القتلى، وأن آيته أن إحدى يديه كثدي المرأة لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع شعرات. قال رضي الله عنه:

(الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخْرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ. فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ! قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَلَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ)^(٢).

مقتله:

بعد أن فرغ علي من أمر الخوارج، قام يبحث العراقيين على التوجه إلى أهل الشام، فخالقوه ولم يوافقوه، ونكلوا عن القيام معه، وتفرقوا عنه ههنا وههنا،

(١) مخدج اليد: ناقص اليد.

(٢) هذا تنمة حديث مسلم آف الذكر.

واستفحل أمر أهل الشام، وسيطروا على أكثر الأمصار الإسلامية، فَتَنَعَّصَتْ على عليّ الأمور، فكان يتمنى الموت، ويكثر أن يقول: (ما يحبس أشقاها؟ ما له لا يقتل)؟!

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ لعليّ: «مَنْ أَشَقَى الْأَوْلِيَيْنِ؟» قال: عاقِرُ الناقَةِ. قال: «فَمَنْ أَشَقَى الْأَخْرِيْنَ؟» قال: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: «قَاتِلْكَ»^(١)).

وأخرج الحاكم عن عليّ قال: (قال لي رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَغْدِرُ بِكَ بَعْدِي، وَأَنْتَ تَعِيشُ عَلَى مِلَّتِي، وَتُقْتَلُ عَلَى سُنَّتِي، مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَبْغَضَنِي، وَإِنْ هَذِهِ سَتُخَضَّبُ مِنْ هَذَا». يعني لحيته من رأسه)^(٢).

وعند أبي داود الطيالسي في «مسنده» عن زيد بن وهب قال: (جاء رأس الخوارج إلى عليّ فقال له: اتق الله فإنك ميت. فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة؛ ولكني مقتول من ضربة من هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهدٌ معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى).

وعن علي رضي الله عنه قال: (لَتُخَضَّبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ، فَمَا يُتَنَطَّرُ بِالْأَشَقَى!؟ قالوا: يا أمير المؤمنين فأخبرنا به نبير عثرته! فقال: إذا واللّه تقتلوا بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا. فقال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ. قالوا: فما تقول لربك إذا أتيت؟ قال: أقول: اللهم تركك فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم)^(٣).

- (١) قال الحافظ: أخرجه الطبراني، وله شاهد من حديث عمار بن ياسر عند أحمد، ومن حديث صهيب عند الطبراني، وعن علي نفسه عند أبي يعلى بإسناد لين، وعند البزار بإسناد جيد.
- (٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
- (٣) أخرجه ابن سعد وأحمد وأبو يعلى والبزار. قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن سبيع وهو ثقة، ورواه البزار بإسناد حسن.

وقام ثلاثة نفرٍ من الخوارج هم: عبد الرحمن بن مُلجَم المُراذي، والبُرَك بن عبد الله التميمي، وعُمرو بن بكر التميمي، فاجتمعوا في مكة، وتذاكروا قَتْلَ عليٍّ إخوانهم من أهل النَّهْرَوَانَ، فترخَّموا عليهم، وتعاقدوا على قَتْلِ عليٍّ ومعاوية وعُمرو بن العاص. فقال ابن مُلجَم: أما أنا فأكفيكم عليٍّ بن أبي طالب، وقال البُرَك: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عُمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. واتَّعَدُوا لسبع عشرة من رمضان، أن يبيَّت كلُّ واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه.

وسار ابن مُلجَم إلى الكوفة لتنفيذ جريمته، وانضم إليه هناك رجل من بني الرُّباب يقال له وَرْدَان، وآخر هو شبيب بن بَجْرَةَ الحروري، فجاء هؤلاء الثلاثة وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدَّة التي يخرج منها أمير المؤمنين علي، فلما خرج جعل يُنهض الناسَ من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة، فثار إليه شبيب بالسيف فضربه، فوقع في الطَّاق^(١)، فضربه ابن ملجم بالسيف على قَرْنِه^(٢)، فسالَ دمه على لحيته رضي الله عنه! ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله، ليس لك يا عليٍّ ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣).

ونادى علي: عليكم به. وهرب وَرْدَان، فأدركه رجلٌ من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فَنَجَا بِنَفْسِه وفات الناس، وأخذ ابنُ ملجم فأدْخَلَ عليَّ عليٍّ. وقَدَّمَ عليٌّ جَعْدَةَ بن هُبيرة فصلى بالناس صلاة الفجر.

وفاته، ودفنه، وعمره، ومدة خلافته:

طعن رضي الله عنه يوم الجمعة سحراً، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان

(١) أي: فلم يصبه.

(٢) قرنه: جانب رأسه.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

سنة أربعين هجرية، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وفاضت روحه إلى بازئها ليلة الأحد، لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان.

وتقدّم أبناء عليّ إلى ابن مُلجَم فقتلوه، وذهب إلى ربه ليحاسبه عن فعله الأثيم.

وغسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفّوه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه ابنه الحسن - أكبر بنيه - ودفن بدار الإمارة بالكوفة؛ خوفاً عليه من الخوارج أن ينشوا قبره.

قال ابن كثير: (ومن قال إنه حُمِلَ على راحلته، فذهبت به، فلا يُدْرَى أين ذهب^(١))؛ فقد أخطأ وتكلّف ما لا علم له به، ولا يُسيغه عقلٌ ولا شرع. وما يعتقده كثيرٌ من جهلة الرّوافض من أن قبره بمشهد النّجف، فلا دليل على ذلك، ولا أصل له، ويُقال: إنما ذلك قبر المُغيرة بن شُعبة).

وكان عمره يوم استشهد ثلاثاً وستين سنة، ومدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

قال الحافظ في ترجمة علي من «تقريب التهذيب»: (مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح).

من مراثيه:

عن هُبيرة بن يريم قال: خطبنا الحسنُ بن علي فقال: (لقد فارقتكم رجلٌ بالأمس لم يسبقهُ الأولون بعلم، ولم يدركه الآخرون. كان رسولُ الله ﷺ يبعثه بالراية، جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، لا يتصرف حتى يُفتح له)^(٢).

(١) أخرجه ابن عساكر، وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام وسكت عليه!!
(٢) أخرجه أحمد والطبراني في «الأوسط» و«الكبير» و«البيار». قال الهيثمي: وإسناده أحمد =

وعندما بلغ عائشة رضي الله عنها مقتله، قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها التوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرِ
وقالت ابنته أم كلثوم: (ما لي ولصلاة الغداة، قُتِلَ زوجي عمرُ أميرِ المؤمنين
صلاة الغداة، وقُتِلَ أبي أميرُ المؤمنين صلاة الغداة)١.

ورثاه تلميذه أبو الأسود الدؤلي - التابعي الجليل - فقال:

ألاً يا عينُ ويحكِ أسعدينا	ألاً تبكي أميرَ المؤمنينَا
وتبكي أم كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقينَا
ألاً قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرَّت عيونُ الحاسدينَا
أفي شهرِ الصيام فجعتمونا	بخيرِ الناس طُراً أجمعينَا؟!
قتلتُم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا	وذللها، ومَنْ ركبَ السفينَا
وكل مناقبِ الخيرات فيه	وحب رسولِ رب العالمينَا
لقد علمت قريشٌ حيث كانت	بأنك خيرهم حسباً ودينَا
إذا استقبلتُ وجهَ أبي حُسينِ	رأيت البدرَ فوق الناظرينَا

أزواجه وأولاده:

كان لعلي رضي الله عنه أزواج كثيرات، منهن من توفيت في حياته، ومنهن من طلقها، وتوفي عن أربع. وأول نسائه فاطمة بنت سيد الخلق ﷺ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت بعد أبيها ﷺ بستة أشهر. وتزوج بعدها بنساء كثيرات، هن: خولة بنت جعفر، وليلى بنت مسعود، وأم البنين بنت حزام، وأسماء بنت عميس، والصهباء أم حبيب بنت ربيعة، وأميمة بنت أبي العاص بن الربيع، وأم سعيد بنت عروة بن مسعود، ومُحَيَّة بنت امرئ القيس، وأمها أولاد شتى.

وله من الأولاد الذكور خمسة عشر، هم: الحسن، والحسين، ومحسن،

= وبعض طرق البزار والطبراني في «الكبير» حسان.

ومحمد بن علي المشهور بابن الحَقِيقَةِ، وعُبيد الله، وأبو بكر، والعباس الأكبر،
وعثمان، وجعفر الأكبر، وعَبْدَ اللهِ، ومحمد الأوسط، ومحمد الأصغر، ويحيى،
وعون، وعُمر الأكبر.

ومن الإناث تسع عشرة، هن: زينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، ورقية،
وأم الحسن، ورَمَلَةَ الكبرى، وأم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، وزملة
الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم
سلمة، وأم جعفر، وجُمَانَةَ، ونفيسة، وجارية لم تُسَمَّ.

تركته: ماتَ عليٌّ رضي الله عنه ولم يترك صفراء ولا بيضاء، إلا سبع مئة
درهم، كان أرصدها ليشتري بها خادماً، فلقد كان ينفق ما عنده في سبيل الله،
ويقف الوقوفَ لتكون صدقةً جاريةً له، حتى بلغ الحاصل من غلَّة تلك الوقوف
أربعين ألف دينار.

* * *

(٥) مَعَاذِنَ جَبَلٍ^(١)

٢٠ ق. هـ - ١٨ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٧٢، ٤/١٥٧٨ - ١٥٧٩، صحيح مسلم ٤/١٩١٣ - ١٩١٤، سنن الترمذي ٥/٦٦٤ - ٦٦٧، موطأ مالك ٣/٩٥٣ - ٩٥٤، مسند أحمد ٥/٢٢٧ - ٢٤٨، المستدرک ٣/٢٦٨ - ٢٧٤، جامع الأصول ٨/٥٦٨ - ٥٦٩، ٥٨٠، مشكاة المصابيح ٣/١٧٥٦، ١٧٥٧، تحفة الأشراف ٨/٣٩٦ - ٤٢٢، مجمع الزوائد ٩/٣١١، فتح الباري ٧/١٢٥ - ١٢٦، طبقات ابن سعد ٢/٣٤٧ - ٣٥٠، ٣/٥٨٣ - ٥٩٠، ٧/٣٨٧ - ٣٨٩، تاريخ يحيى بن معين ٢/٥٧١، طبقات خليفة ١٠٣، ٣٠٣، تاريخ خليفة ٩٧، ١٣٨، ١٥٥، العلل لأحمد: رقم ٣٩٣، ١١٠٠، ١٧٦١، ٥٣٩٤، ٥٨٣٥، التاريخ الكبير ٧/٣٥٩ - ٣٦٠ ت ١٥٥٤، التاريخ الصغير ١/٦٦، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٩١، ٩٨، ٩٨، ١٨٥، ٢٠٦، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي «انظر فهرس الأعلام»، أخبار القضاة لوكيع «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ الطبري ١/٧٣، ٩٤، ٣/١٢١، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٥، ٣١٨، ٣٣٧، ٣٤٢، ٤٢٧، ٤/٦٠، ٦٢، الجرح والتعديل ٨/٢٤٤ - ٢٤٥ ت ١١١٠، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٨٤ ت ٣٢١، تاريخ الصحابة له ٢٢٩ ت ١٢٣١، الثقات له ٣/٣٦٨، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٤١، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/٧٠٠ ت ١١٥١، حلية الأولياء ١/٢٢٨ - ٢٤٤، جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٤٢، ٣٥٨، جوامع السيرة له ٢٣، ٣٠، ٨٤، ٩٦، ١٣٨، ٢٦٠، ٢٧٧، ٣٢٠، ٣٤١، الاستيعاب ٣/٣٣٥ - ٣٤١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٦ - ٢٧، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢/٤٨٧ ت ١٨٩٤، صفة الصفوة ١/٤٨٩ - ٥٠٢، أسد الغابة ٤/٣٧٦ - ٣٧٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٩٨ - ١٠٠، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٢٤/٣٦٨ - ٣٨٣، تهذيب الكمال ٢٨/١٠٥ - ١١٤ ت ٦٠٢٠، سير أعلام النبلاء ١/٤٤٣ - ٤٦١، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ١٦٧، ١٧٥، ١٧٩، تذكرة الحفاظ ١/١٩ - ٢٢، العبر ١/١٧، دول الإسلام ٨، الكاشف ٣/١٣٥، البداية والنهاية ٥/٩٩ - ١٠٣ =

اسمه ونسبه ونسبته :

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد - أخي سلمة بن سعد - بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج . الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي ، المدني ، البدري .

وقد نسبه بعضهم في بني سلمة بن سعد بن علي ، قال الكلبي : (رهط معاذ بن جبل بنو أدي بن سعد أخي سلمة بن سعد بن الخزرج ، ولم يبق من بني أدي أحد ، وعداده في بني سلمة) .

كنيته :

قال الجماعة : كنيته أبو عبد الرحمن ، إلا أبا أحمد الحاكم فقال : كنيته أبو عبد الله .

صِفَتُهُ وَحَلِيَّتُهُ :

كان معاذ - رضي الله عنه - رجلاً طَوَّالاً ، أبيض ، جميلاً وسيماً وضيئاً ، حَسَنَ الثَّغْرِ ، بَرَّاقَ الثَّنَايَا ، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمَهُمَا ، مَجْمُوعَ الْحَاجِبِينَ ، جَعْدًا قَطَطًا^(١) ، من أجمل الرِّجَالِ ، حَلَوَ الْمَنْطِقِ ، سَمْحًا ، من خير شبان قومه حلماً وحياءً وسخاءً ، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (كان معاذ من أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خلقاً ، وأسمحهم كفاً) .

= ٣٠٧/٦ - ٣١٠ ، ٩٤/٧ - ٩٥ ، غاية النهاية ٣٠١/٢ ، الإصابة ٤٠٦/٣ - ٤٠٧ ، تهذيب التهذيب ١٦٩/١٠ - ١٧٠ ، تقريب التهذيب ٢٥٥/٢ ، الرياض المستطابة ٢٥٠ - ٢٥١ ، شذرات الذهب ٢٩/١ - ٣٠ ، حياة الصحابة «انظر فهرسه» ، وغير ذلك من كتب السير والتواريخ والفتوح .

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» : القَطَطُ : الشديدُ الجُعُودَةُ ، وقيل : الحَسَنُ الجُعُودَةُ ، والأول أكثر .

وعن أبي بَخْرِيَّة^(١) السَّكُونِي الحِمَاصِي قال: (دخلتُ مسجدَ حِمَاص، فإذا أنا بفتى حوله الناس، جَعَدَ قَطَط، فإذا تكَلَّم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل).

إسلامه ومشاهده:

أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة، وشهد بيعة العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وهو ابن عشرين سنة أو إحدى وعشرين سنة، وشهد أيضاً أُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

ولما هاجر الناس آخى النبي ﷺ بين معاذ وبين عبد الله بن مسعود، وحكى الواقدي الإجماع على ذلك. إلا أن ابن إسحاق قال: آخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وقد رد الواقدي وابن كثير ذلك بأن المؤاخاة كانت بعد قدومه ﷺ المدينة وقبل يوم بدر، وجعفر إذ ذاك بالحبشة، وقدم بعد ذلك بسبع سنين في «فتح خيبر».

وكان معاذ - لما أسلم - يكسر أصنام بني سَلَمَةَ هو وثعلبة بن عَنَمَةَ وعبد الله بن أُنَيْس.

مناقبه:

أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أسيد بن حُضَيْر، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح»^(٢).

(١) مخضرم ثقة، توفي (٧٧هـ)، مشهور بكنيته، واسمه عبد الله بن قيس. وذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ٤٩٠/١ أن اسمه يزيد بن قُطَيْب السكوني، وهو وهم منه، فيزيد ممن يروي عن أبي بحرية.

(٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه ابن حبان، والنووي، وقال الألباني: صحيح =

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي يوماً ثم قال: «يا معاذ، واللّه إني لأحبُّكَ». فقلتُ له: بأبي وأمي يا رسولَ الله، وأنا والله أحبُّكَ! فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ أن تقولَ: اللهمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ»^(١)).

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «معاذُ بنُ جَبَلٍ أَمَامَ العُلَمَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِرُتُوبَةٍ»^(٢).

قال الحافظ في «الإصابة»: (مناقبه كثيرة جداً).

شذرات من سيرته وشمائله:

كان معاذ من نجباء الصحابة وفقهائهم وألبائهم، إماماً ربانياً، سيداً جليلاً، فاضلاً صالحاً، رفيع القدر، كبير الشأن، كريم الخصال، جميل الفعل، أردفه النبي ﷺ، وعلمه، وأشار على الناس أن يأخذوا القرآن عنه، وبعثه إلى اليمن معلماً.

● ● عن أنس بن مالك عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ:

= على شرط مسلم، وحسنه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه النووي وابن كثير.

(٢) أخرجه أبو نعيم وابن سعد عن عمر، وأبو نعيم والطبراني في «الكبير» عن محمد بن كعب مرسلًا، وأورده الألباني في «صحيح الجامع الصغير» وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة. قوله: (برتوة): أي برؤية سبهم، وقيل: بميل، وقيل: مدى البصر.

«يا معاذُ بنُ جبلٍ». قلتُ: لبيكَ رسولَ اللَّهِ وسَعَدَيْكَ، قال: «هلُ تدري ما حقُّ العبادِ على اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ؟» قلتُ: اللَّهُ ورسولُهُ أعلم، قال: «حقُّ العبادِ على اللَّهِ أن لا يُعَذِّبَهُمْ»^(١).

وعن معاذ قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَقَدْ أَصَابَنَا الْحَرُّ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ حَتَّى نَظَرْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرِبَهُمْ مِنِّي، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْتَنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنِ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ. قَالَ: وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ الْجَنَّةِ!» قلتُ: أجل، يا رسول الله. قال: «الصَّوْمُ جُحْتَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تَكْفُرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»^(٢). قَالَ: «وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ». قَالَ: قلتُ: أجل يا رسول الله. قال: «أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ: فَالْإِسْلَامُ، وَأَمَّا عَمُودُهُ: فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ: فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ!» فسكت فإذا راكبان يوضعان قَيْلَتَا، فخشيتُ أن يشغلاه عن حاجتي، قال: فقلتُ: ما هو يا رسول الله؟ قال: فَأَهْوَى بِأَصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ. قَالَ: فقلتُ: يا رسول الله، وَإِنَّا لَنَتَوَاحَدُ بِمَا نَقُولُ بِالْأَسْتِيْنَا؟ قَالَ: «كُلُّنَا أَتُكُ ابْنَ جَبَلٍ، هَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ الْأَسْتِيهِمْ»^(٣)!.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «أَلَا أَعْلَمُكَ دَعَاءَ تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ دَيْنًا لِأَدَى اللَّهِ عَنْكَ؟!» قل يا معاذ: اللهم مالك

(١) أخرجه أحمد والبخاري - وهذا لفظه - ومسلم والترمذي وابن ماجه .

(٢) سورة السجدة: الآية ١٦ .

(٣) أخرجه أحمد والطيالسي والترمذي وابن ماجه والحاكم - واللفظ له - وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح . وقال عبد القادر الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه .

الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحِمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، اِزْحَمْنِي رَحْمَةً تَغْنِينِي بِهَا عَنِ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»^(١).

وأخرج أحمد عن معاذ بن جبل قال: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ: «لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَعْقَنْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمْرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَالِكَ وَأَهْلِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةَ مَكْتُوبَةٍ عَمْدًا فَإِنْ مَنَ تَرَكَ صَلَاةَ مَكْتُوبَةٍ عَمْدًا فَقَدْ بَرَّئْتَ مِنْهُ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا تَشْرِبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ يَحُلُّ سَخَطُ اللَّهِ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوْتُ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَائْتِمْ، وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَلَيْهِمْ عَصَاكَ أَدْبًا، وَأَحْبِبَّهُمْ فِي اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ».

وروى أبو نعيم عن أنس بن مالك: (أَنْ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كَيْفَ أَصْبَحْتُ يَا مَعَاذُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ مِصْدَاقًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ، فَمَا مِصْدَاقُ مَا تَقُولُ؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أُمْسِي، وَمَا أُمْسَيْتُ مَسَاءً قَطُّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَصْبِحُ، وَلَا خَطَوْتُ خَطْوَةً إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَتْبِعُهَا أُخْرَى، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا، مَعَهَا نَبِيُّهَا وَأَوْثَانُهَا الَّتِي كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَقُوبَةِ أَهْلِ النَّارِ، وَثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ! قَالَ: «عَرَفْتَ فَالزَّمْ»).

● ● أخرج أبو نعيم عن ثور بن يزيد قال: (كَانَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: اللَّهُمَّ قَدْ نَامَتِ الْعَيُونُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، اللَّهُمَّ طَلِبِي لِلْجَنَّةِ بَطِيءٌ، وَهَرَبِي مِنَ النَّارِ ضَعِيفٌ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الصغير» ورجاله ثقات.

عندك هُدىً تَرُدّه إلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تَخْلُفُ الْمِيعَادَ»^(١).

وأخرج - أيضاً - عن الأسود بن هلال قال: (كنا نمشي مع معاذ، فقال لنا: اجلسوا بنا نؤمن ساعة).

وفي «صحيح البخاري» - باب بَغِثْ أَبِي مُوسَى وَمِعَاذَ إِلَى الْيَمَنِ - قال معاذُ: (يا عبدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. قال: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يا معاذُ؟ قال: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي)^(٢).

وأخرج ابنُ سعد وأبو نعيم - واللفظ له - عن مالك الدار: (أن عمَرَ بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أخذ أربع مئة دينار، فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح، ثم تَلَبَّثْ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ؟ فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ. فقال: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ. ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره. فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ، وتَلَبَّثْ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ؟ فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ. فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ. تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فأطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن - والله - مساكين، فأعطينا، ولم يبقَ في الخرق إلا ديناران، فدحا بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره. فسَرَّ بِذَلِكَ وقال: إنهم أخوة بعضهم من بعض)^(٣).

(١) وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده منقطع.

(٢) وأخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه والدارمي. قوله (أتفوقه تفوقاً): الأزم قراءة ليلاً ونهاراً، شيئاً بعد شيء، ولا أقرأ وردي دفعة واحدة.

(٣) قال الهيثمي في المجمع ١٢٥/٣: (رواه الطبراني في الكبير، ومالك الدار لم أعرفه، وبقيّة =

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه : (أن معاذاً كان رجلاً سَمْحاً، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، ولم يكن يمسك شيئاً، ولم يزل يَدَانُ حتى أُغْلِقَ ماله كله في الدَّيْنِ).

وفي (الحلية) عن يحيى بن سعيد (أن معاذ بن جبَل رضي الله تعالى عنه كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام، والناس في شغل، فدُفِنَتَا في حُفْرَةٍ، فَأَسْبَهَمَ بينهما أَيْتَهُمَا تقدَّم في القبر)!

بعثَ النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قاضياً ومعلماً:

بعثَ النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قاضياً ومعلماً، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن، وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس. وقد قسم رسول الله ﷺ اليمن على خمسة رجال، فكان معاذ على «الجند».

أخرج عبد الرزاق والحاكم وأبو نعيم وابن عبد البر والبيهقي وغيرهم عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: (كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سَمْحاً، من خير شباب قومه، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى كان عليه دَيْنٌ أُغْلِقَ ماله، فكلم رسول الله في أن يكلم غرماءه، ففعل، فلم يَضْعُوْا له شيئاً! فلو تُرِكَ لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله ﷺ. قال: فدعاه رسول الله، فلم يبرح أن باع ماله وقسمه بين غرمائه. قال: فقام معاذ ولا مال له. قال: فلما حَجَّ رسول الله بعث معاذاً إلى اليمن، قال: فكان أول مَنْ تَجَرَ في هذا المال معاذ، قال: فقدم على أبي بكر الصديق من اليمن وقد توفي رسول الله ﷺ. فجاء عمرُ فقال: هل

= رجاله ثقات). ومثله في الترغيب والترهيب. قلت: ذكره الحافظ في الإصابة ٤٦١/٣ فقال: (مالك بن عياض مولى عمر، هو الذي يقال له مالك الدار، له إدراك، وسمع من أبي بكر الصديق، وروى عن الشيخين ومعاذ وأبي عبيدة...).

لَكَ أَنْ تَطِيعَنِي فَتَدْفَعْ هَذَا الْمَالَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَإِنْ أَعْطَاكَ فَاقْبَلْهُ. قَالَ: فَقَالَ مَعَاذُ: لِمَ أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ لِيَجْبُرَنِي؟! فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ انْطَلَقَ عَمْرٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: أُرْسِلْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَخُذْ مِنْهُ وَدَعْ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلُ، إِنَّمَا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ لِيَجْبُرَهُ، فَلَسْتُ أَخْذُ مِنْهُ شَيْئاً. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ مَعَاذٌ انْطَلَقَ إِلَى عَمْرٍ فَقَالَ: مَا أَرَى إِلَّا فَاعِلَ الَّذِي قُلْتَ، إِنِّي رَأَيْتُنِي الْبَارِحَةَ فِي النَّوْمِ - فِيمَا يَحْسِبُ عَبْدُ الرَّزَاقِ قَالَ - أُجْرُ إِلَى النَّارِ، وَأَنْتَ أَخْذُ بِحِجْزَتِي! قَالَ: فَانْطَلَقَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِكُلِّ شَيْءٍ جَاءَ بِهِ، حَتَّى جَاءَهُ بِسُوطِهِ وَحَلْفَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُمِهِ شَيْئاً. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ لَكَ لَا أَخْذُ مِنْهُ شَيْئاً^(١).

وفي لفظ آخر: (قد وهبته لك. فقال عمر: هذا حين حلّ وطاب^(٢)). وخرج معاذ عند ذلك إلى الشام).

وعند ابن سعد وأبي نعيم مرسلًا، ووصله الحاكم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: (لما قبض النبي ﷺ واستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن، فاستعمل أبو بكر رضي الله عنهما عمرَ على الموسم، فلقي معاذًا بمكةَ ومعه رقيقٌ، فقال: ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء أهدوا لي وهؤلاء لأبي بكر. فقال له عمر: إني أرى لك أن تأتي بهم أبا بكر. قال: فلقية من الغد فقال: يا بن الخطاب، لقد رأيتني البارحة وأنا أنزو إلى النار وأنت أخذت بحجرتي، وما أراني إلا مطيعك! قال: فأتى بهم أبا بكر، فقال: هؤلاء أهدوا لي، وهؤلاء لك، قال: فإننا قد سلمنا لك هديتك. فخرج معاذ إلى الصلاة، فإذا هم يصلون خلفه، فقال معاذ: لمن تُصلون؟ قالوا: لله عز وجل. قال: فأنتم له، فَأَعْتَقَهُمْ^(٣)).

(١) وقد أخرجه الحاكم مطولاً ومختصراً، وصححه ووافقه الذهبي. ومعنى (أول من تجر في هذا المال معاذ): أن معاذاً قد أُنجر في مال الزكاة.

(٢) أي وهبته المال حين صار لبيت المال.

(٣) هذا لفظ الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.

قال ابن الجوزي في «صفة الصفوة»: (كان غرماؤه من اليهود، فلهذا لم يضعوا له شيئا).

قلت: فيما قاله نظر، ففي بعض الروايات: (فجاء ومعه غرماؤه، فقالوا: يا رسول الله، خُذْ لَنَا حَقًّا مِنْهُ. فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ». فتصدَّقَ عَلَيْهِ نَاسٌ وَأَبَى آخَرُونَ). فلا يُعْقَلُ أَنْ يَخَاطَبَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ بِهَذَا، كَمَا أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَخَاطَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ، بَلْ بِقَوْلِهِمْ: يَا مُحَمَّد.

● ● وقد دعا رسول الله ﷺ لمعاذ عندما ذهب إلى اليمن، وأوصاه بوصايا كثيرة.

أخرج سيف بن عمر بسند له عن عُبَيْدِ بْنِ صَخْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ وَدَعَهُ مَعَاذُ، قَالَ: «حَفِظْكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَدَرِّءْ عَنْكَ شَرَّ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ». فسار، فقال رسول الله ﷺ: «يُبَيِّعُ لَكَ رَثْوَةَ فَوْقَ الْعُلَمَاءِ»^(١).

وفي «صحيح البخاري» عن أبي بردة قال: (بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخالفة، قال: واليمن مخالفتان، ثم قال: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا». فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أخذت به عهداً فسلم عليه...)^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا

(١) قال الحافظ: سيف بن عمر ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ.

(٢) وأخرجه أيضاً أحمد ومسلم وابن ماجه والدارمي.

لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تُؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»^(١).

وأخرج أحمد عن معاذ أنه قال: (يا رسول الله أوصيني). فقال: «اتق الله حيثما كنت». قال: زدني، قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها». قال: زدني. قال: «خالق الناس بخلق حسن»^(٢).

وأخرج أحمد - أيضاً - عن عاصم بن حميد السكوني^(٣) (عن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته. فلما فرغ قال: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري!» فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: «إن أولى الناس بي المثلون من كانوا وحيث كانوا»^(٤).

قال ابن كثير: (وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضي الله عنه لا يجتمع بالنبي ﷺ بعد ذلك، وكذلك وقع، فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع، ثم كانت وفاته عليه السلام بعد أحد وثمانين يوماً من يوم الحج الأكبر).

وأخرج البخاري عن عمرو بن ميمون: (أن معاذاً رضي الله عنه لما قدم

(١) رواه الجماعة واللفظ للبخاري.

(٢) وأخرجه الترمذي وحسنه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وأورده الألباني في «صحيح الجامع» وقال: حسن.

(٣) قال الحافظ: صدوق مخضرم.

(٤) قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد، وهما ثقتان. قوله (جشعاً): الجشع: الجزع لفراق الإلف.

اليمن، صَلَّى بهم الصبح، فقرأ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(١). فقال رجلٌ من القوم: لقد فَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ.

ولم يزل معاذ باليمن عاملاً ومعلماً حتى توفي النبي ﷺ، وقدم على أبي بكر - وهو خليفة - في أواخر سنة (١١ هـ)، ثم خرج إلى الشام. وقد ذكره الحافظ ابن سعد فيمن نزل الشام من أصحاب رسول الله ﷺ.

في الشام:

عن محمد بن كعب القرظي قال: (جَمَعَ القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا كَانَ زَمَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ قَدْ كَثُرُوا وَرَبَّلُوا وَمَلَّوْا الْمَدَائِنَ، وَاحْتَاجُوا إِلَيَّ مِنْ يَعْلَمُهُمْ وَيَفْقَهُهُمْ، فَأَعْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرِجَالٍ يَعْلَمُونَهُمْ. فَدَعَا عُمَرُ أَوْلِيَاءَ الْخَمْسَةِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ اسْتَعَانُونِي بِمَنْ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيُفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَأَعِينُونِي - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - بِثَلَاثَةِ مِنْكُمْ، إِنْ أَحْبَبْتُمْ فَاسْتَهْمُوا، وَإِنْ انْتَدَبَ مِنْكُمْ ثَلَاثَةٌ فَلْيُخْرِجُوا. فَقَالُوا: مَا كُنَّا لِنَسَاهُمْ، هَذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ - لِأَبِي أَيُّوبَ -، وَأَمَّا هَذَا فَسَقِيمٌ - لِأَبِي بَنِي كَعْبٍ - فَخَرَجَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعُبَادَةُ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ. فَقَالَ عُمَرُ: ابْدُؤُوا بِحِمَصَ، فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ النَّاسَ عَلَى وَجْهِهِ مَخْتَلِفَةً مِنْهُمْ مَنْ يَلْقَنَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَوَجَّهُوا إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَضِيْتُمْ مِنْهُمْ فَلْيَقِمُوا بِهَا وَاحِدًا، وَلْيُخْرِجُوا وَاحِدًا إِلَى دِمَشْقَ، وَالْآخَرَ إِلَى فِلَسْطِينَ. فَاقْدِمُوا حِمَصَ، فَكَانُوا بِهَا حَتَّى إِذَا رَضُوا مِنَ النَّاسِ، أَقَامُوا بِهَا عِبَادَةً، وَرَجَعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى دِمَشْقَ، وَمَعَاذُ إِلَى فِلَسْطِينَ. فَأَمَّا مَعَاذُ فَمَاتَ عَامَ طَاعُونَ عَمَّاسَ، وَأَمَّا عِبَادَةُ فَصَارَ بَعْدَ إِلَى فِلَسْطِينَ فَمَاتَ بِهَا، وَأَمَّا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَلَمْ يَزَلْ

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

بدمشق حتى مات بها^(١).

● ● وفي الشام كان معاذ يجلس إلى الناس في مسجد دمشق ومسجد حمص يقرئهم ويفقههم، ويعلمهم ويرشدهم، فكان إليه المرجع في الفتوى، والفرع عند الاختلاف.

عن أبي إدريس الخولاني قال: (دخلتُ مسجدَ دمشق، فإذا فتى شابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا، وإذا الناسُ معه، إذا اِخْتَلَفُوا في شيءٍ أسندُوا إليه، وصَدَرُوا عن قوله، فسألتُ عنه، فقيل: هذا معاذُ بنِ جَبَلٍ. فلما كَانَ العَدُوُّ هَجَرْتُ، فوجدتهُ قد سبقني بالتهجير، ووجدتهُ يصلي، قال: فانتظرتهُ حتى قَضَى صَلَاتَهُ، ثم جئتهُ من قِبَلِ وجهه فسَلَّمْتُ عليه، ثم قلتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِلَّهِ! فقال: أَللَّهِ؟ فقلتُ: أَللَّهِ. فقال: أَللَّهِ؟ فقلتُ: أَللَّهِ. فقال: أَللَّهِ؟ فقلتُ: أَللَّهِ. قال: فَأَخَذَ بِحُجُورَةِ رِدَائِي، فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أُنَبِّرُ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ»^(٢).

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أبي مسلم^(٣) الخولاني قال: (دخلتُ مسجدَ حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كَهْلًا من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شابٌّ أكحل العينين بَرَّاق الثَّنَائِيَا، لا يتكلم ساكت، فإذا امتَرى القوم في شيء أقبلوا عليه،

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» وابن سعد والحاكم. قوله (رَبَّلُوا): رَبَّلَ القَوْمُ: كَثُرَ عَدُوُّهُمْ وَنَمَّوْا. (يَلْقَنُ): يفهم العلم سريعاً.
(٢) أخرجه مالك - واللفظ له - والطيالسي، وابن سعد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن عبد البر: هذا إسناد صحيح. قوله (بالتهجير): أي التبكير إلى كل صلاة. (بحبوة رداي): أي مجتمع ثوبه الذي يحتوي به، وملتقى طرفيه في صدره.
(٣) وقع في «سير أعلام النبلاء» ٤٥٣/١: «أبو سلمة»، وهو تحريف! وأبو مسلم الخولاني: هو عبد الله بن ثوب، ثقة عابد، رَحَلَ إلى النبي ﷺ فلم يدركه. وقد ذكر الشيخ المحدث شعيب الأرنؤوط أن الحاكم أخرج هذا الحديث في المستدرک ٢٦٩/٣، وهو وَهْمٌ منه، فإنما أخرج في هذا الموضوع حديث أبي إدريس الخولاني.

فسأله. فقلتُ لجليسٍ لي: مَنْ هذا؟ فقال: معاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه - فوقع في نفسي حُبُّه، فكنتُ معهم حتى تفرَّقوا).

● ● ولم يكتفِ معاذ بأن يكون قاضياً ومفتياً ومعلماً، فقد كان حريصاً على نيل شرف الجهاد، فشارك في الفتوحات، وشهد معركة اليرموك، وقد جعله أبو عبيدة على ميمنة الجيش، وقام يحث الناس على الثبات، ويرغبهم بالاستشهاد.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: (وخرج معاذ بن جبل على الناس، فجعلَ يذكُرهم ويقول: يا أهل القرآن، ومتحفّظي الكتاب، وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تُنال وجنته لا تُدخل بالأمانى، ولا يُؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدّق، ألم تسمعوا قول الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^(١) الآية، فاستَحْيوا - رحمكم الله - من ربكم أن يراكم فُراراً من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم مُلتَحِدٌ من دونه، ولا عزٌّ بغيره). (وجعلَ معاذ بن جبل كلِّما سمعَ أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبِّب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء).

ولما اشتعل طاعون عمّواس، طعن أبو عبيدة بن الجراح - قائد جيوش الشام بعد خالد بن الوليد - فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل، وأقرّه أمير المؤمنين عمر، فطعن معاذ هو الآخر، واستخلف على الناس عمرو بن العاص.

علمه ومروياته:

● ● كان معاذ من علماء الصحابة وفقهائهم، وكبار قرائهم، إماماً مقدماً في علم الحلال والحرام.

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

عن قتادة عن أنس بن مالك قال: (جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةً، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. قُلْتُ لِأَنْسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي) (١).

وأخرج الشيخان والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «اسْتَقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَأَبِي، وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ». هذا لفظ البخاري.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَمْرٌ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءُ عِثْمَانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَأُهُمْ أَبِي، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» (٢).

وأخرج الحاكم من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عُرْوَةَ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَخْلَفَ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَأَنْ يُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، ثُمَّ صَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِئاً إِلَى الْمَدِينَةِ وَخَلَّفَ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ) (٣).

● ● ومعاذ أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ، وفي خلافة أبي بكر كان إذا نزل به أمرٌ يريد فيه مشاورَةَ أهلِ الرأي وأهلِ الفقه؛ دعا رجلاً من

(١) رواه البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي. والحصص في هذا الحديث إضافي وليس بحقيقي، فقد حفظ القرآن جميعه الجسم الغفير من الصحابة، سرد أسماء جماعة منهم ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٧، والحافظ في الفتح ٩/ ٤٧ فما بعدها، باب (القراء من أصحاب النبي ﷺ).

(٢) أخرجه أحمد والترمذي - واللفظ له - وابن ماجه وابن سعد وأبو نعيم، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وساق رواية أخرى وقال: حسن صحيح. وقال المحدث شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) قال شعيب: هو على انقطاعه ضعيف لضعف ابن لهيعة.

المهاجرين والأنصار: دعا عمرَ وعثمانَ وعلياً وعبدَ الرحمن بن عوف ومعاذَ بن جبل وأبيَ بن كعب وزيدَ بن ثابت، وكلّ هؤلاء كان يُفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصيرُ فتوى الناسِ إلى هؤلاء. فمضى أبو بكر على ذلك، ثم وليَ عمرُ فكان يدعو هؤلاء النَّفَر.

أخرج ابن سعد - من طريق الواقدي - عن المسور بن مخرمة قال: (كان علمُ أصحاب رسول الله ﷺ ينتهي إلى ستة: إلى عمر وعثمان وعليّ، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت).

وروى ابن سعد في «الطبقات» وأبو عبيدة في «الأموال» والحاكم في «المستدرک» أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية فقال: (مَنْ أراد القرآنَ فليأتِ آبياً، ومَنْ أراد أن يسألَ عن الفرائض فليأتِ زيداً، ومَنْ أراد أن يسألَ عن الفقه فليأتِ معاذاً، ومَنْ أراد أن يسألَ عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له خزاناً وقاسماً)^(١).

● ● روى عن النبي ﷺ.

وروى عنه عبد الله بن عباس، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن أبي أوفى، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبو الطفيل، وأبو أمّامة الباهليّ، وأبو قتادة الأنصاريّ، وأبو ثعلبة الخشنيّ.

وأبو مسلم الخولانيّ، وعبد الرحمن بن عَنَم، ومالك بن يخامر، وأبو وائل، ومسروق، وعبد الله بن شداد بن الهاد، والأسود بن هلال، وابن أبي ليلى، وعمرو بن ميمون الأوديّ، والأسود بن يزيد، وقيس بن أبي حازم، ويزيد بن عميرة، وأبو إدريس الخولانيّ، وأبو بخرية عبد الله بن قيس السكوني، وأبو ظبية الكلاعي، وعطاء بن يسار، وخلق.

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في «الفتح». و (الجابية): قرية في الشام من ناحية الجولان قرب مَرَج الصُّفَر في شمالي حوران.

أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة وغيرهم، وروي له عن رسول الله ﷺ (١٥٧) مئة وسبعة وخمسون حديثاً، في الصحيحين منها ستة، اتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث.

من أقواله ووصاياه:

عن معاوية بن قُرة قال: قال معاذ بن جبل لابنه: (يا بني، إذا صَلَّيْتَ صلاةً فصلِّ صلاةً مودَّع، لا تظنَّ أنك تعودُ إليها أبداً. واعلمْ يا بني أن المؤمنَ يموت بين حسنتين: حسنة قدَّمها، وحسنة أخرها)^(١).

وعن أبي قِلابة وغيره: (أن فلاناً مرَّ به أصحابُ النبي ﷺ، فقال: أوْصوني. فجعَلوا يوصونه، وكان معاذ بن جبل في آخر القوم، فقال: أوْصني يرحمك الله. قال: قد أوْصوك فلم يألُوا، وإني سأجمع لك أمرَك: اعلمْ أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك إلى الآخرة أفقر، فابدأ بنصيبك من الآخرة، فإنه سيمرُّ بك على نصيبك من الدنيا فينتظمه، ثم يزول معك أينما زلت)^(٢).

وأخرج في «الحلية» عن عبد الله بن بن سَلِمة قال: (قال رجلٌ لمعاذ بن جبل: علِّمني. قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريصٌ. قال: صنمٌ وأفطرٌ، وصلٌّ ونَمٌ، واكتسبٌ ولا تأثم، ولا تموتنَّ إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم).

وأخرج - أيضاً - عن أشعث بن سليم قال: سمعت رجاء بن حَيوة يحدث عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: (ابْتَلَيْتُمْ بفتنة الصَّرَاءِ فصبرْتُمْ، وسْتَبْتَلُونَ بفتنة السَّرَاءِ، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تَسَوَّرْنَ الذهب والفضة،

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وأحمد في «الزهد» نحوه، وأورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء».

ولبسنَ رِياطَ الشام، وعَضِبَ^(١) اليمَن؛ فأَتَعَبَنَ الغنْيَى، وكَلَّفَنَ الفَقِيرَ ما لا يَجِدُ.

وعنده - أيضاً - عن رجاء بن حَيوة عن معاذ قال: تَعَلَّمُوا العِلْمَ فَإِن تَعَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى خَشِيَةً، واطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قرية؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السَّراء والضراء، والسلاح على الأعداء).

وعن يزيد بن عَميرة قال: (لما حضرَ معاذُ بنَ جبل الموتَ قيل له: يا أبا عبد الرحمن أوصنا. قال: أَجْلِسُونِي، فقال: إن العلمَ والإيمانَ مكانهُما، من ابتغاهما وجدهُما - يقول ذلك ثلاث مرات - والتَمِسُوا العِلْمَ عندَ أربعةَ رَهْطٍ. عندَ عُويمرَ أبي الدرداء، وعندَ سَلْمانَ الفارسي، وعندَ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعود، وعندَ عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنه عاشرُ عشرةٍ في الجنة»^(٢)).

مكانته وثناؤهم عليه:

أخرج أبو نعيم عن شَهْرِ بنِ حَوْشَب قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تحدَّثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا إليه هيبةً له).

وأخرج البخاري مطولاً في «تاريخه الصغير» عن عبد الله بن يزيد المقرئ، عن حيوة، عن أبي صخر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال

(١) تسورن: لبسن الأُسُورَةَ، جمع سِوار. والرياط: مفردُها رَيْطَةٌ، وهي كلُّ مُلاءة ليست بِلِفْقَيْن - أي شِئْتَيْن - . وقيل: كلُّ ثوبٍ رقيقٍ لَيِّنٍ. والعَضِبُ: ضَرَبْتُ مِنْ بَرُودِ اليَمَنِ مَخْطُطٌ.
(٢) أخرجه الترمذي - واللفظ له - وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن سعد وابن خزيمة، والبخاري في «التاريخ الصغير» والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، والحاكم في «المستدرک» وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: حسن الإسناد صحيح، وذكره الحافظ في «الإصابة» وجوّد إسناده.

لأصحابه: (تمنّوا. فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم، فأنفقها في سبيل الله. فقال: تمنّوا. فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهباً، فأنفقه في سبيل الله. قال: تمنّوا. قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً - أو نحوه -، فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تمنّوا. فقالوا: ما تمّئنا بعد هذا. قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجلاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَحُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ؛ فَاسْتَعْمَلَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ! قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بِمَالٍ إِلَى حُدَيْفَةَ، قَالَ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ، قَالَ: فَلَمَّا أَتَاهُ قَسَمَهُ. ثُمَّ بَعَثَ بِمَالٍ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَسَمَهُ. ثُمَّ بَعَثَ بِمَالٍ - يَعْنِي إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ - قَالَ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ. فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ قَلَّتْ لَكُمْ. أَوْ كَمَا قَالَ^(١).

وعن عمر قال: (عجزت النساء أن يلدنّ مثل مُعَاذٍ، لولا مُعَاذٌ لَهْلَكَ عُمَرُ)^(٢).

وعن عامرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي فَرْوَةَ بِنْتُ نُوفَلِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: (قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ! فَقُلْتُ: عَلِطُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)!! فَأَعَادَهَا عَلِيٌّ، فَقَالَ: إِنْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ الْأَمْرَ تَعْمُدًا، فَسَكَتُ. فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا الْأُمَّةُ وَمَا الْقَانِتُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ: الْأُمَّةُ الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ: الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُعَاذٌ، كَانَ يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَكَانَ مُطِيعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ)^(٤).

(١) قال المحدث شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات، غير أبي صخر، وهو حميد بن زياد الخراط فإنه مقبول الحديث حيث يتابع.

(٢) نسبه صاحب «الكتز» إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي في «الدلائل».

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٤) أخرجه ابن سعد - واللفظ له - وأبو نعيم، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وعَلَّقَ البخاريُّ بعضَه في تفسير سورة «النحل».

وأخرج ابن سعد وابن عبد البر عن خالد بن معدان قال: (كان عبد الله بن عمرو^(١)) يقول: حَدَّثُونَا عَنِ الْعَاقِلَيْنِ. فَيَقَالُ: مَنْ الْعَاقِلَانِ؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء^(٢)).

قال الذهبي في ترجمة معاذ من «تذكرة الحفاظ»: (العالم الرباني أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي . . . كان من نُجباء الصحابة وفقهائهم وألْبَائِهِمْ، رضي الله عنه).

ووصفه الحافظ في «الإصابة» بأنه: (الإمام المقدم في علم الحلال والحرام). وقال في «تقريب التهذيب»: (من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن).

وَحَلَّاهُ ابْنُ الْعِمَادِ فِي «شُدْرَاتِهِ» بقوله: (سلطان العلماء، وأعلم الأمة بالحلال والحرام . . . كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم).

وفاته:

● ● أخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: (لما أُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ فِي طَاعُونَ عَمَّوَسَ اسْتَخْلَفَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَاشْتَدَّ الْوَجْعُ، فَقَالَ النَّاسُ لِمَعَاذٍ: ادْعُ اللَّهَ يَرْفَعْ عَنَّا هَذَا الرَّجْزَ! قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَجْزٍ، وَلَكِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَشَهَادَةٌ يَخْتَصُّ بِهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبَعٌ خِلَالَ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُذْرِكَهُ شَيْءٌ مِنْهُمْ فَلَا يَدْرِكُهُ. قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: يَأْتِي زَمَانٌ يَظْهَرُ فِيهِ الْبَاطِلُ، وَيُصْبِحُ الرَّجُلُ عَلَى دِينٍ وَيُؤْمِسِي عَلَى آخَرَ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي عَلَى مَا أَنَا، لَا يَعِيشُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَلَا يَمُوتُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيُعْطَى الرَّجُلُ الْمَالَ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الزُّورِ الَّذِي يُسْخِطُ اللَّهَ. اللَّهُمَّ آتِ آلَ مَعَاذٍ نَصِيْبَهُمُ الْأَوْفَى مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ. فَطُعِنَ ابْنَاهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدَانِي كَمَا؟ قَالَا: يَا أَبَانَا الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْتَرِينَ. قَالَ: وَأَنَا سَتَجِدَانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ! ثُمَّ طُعِنَتْ امْرَأَتَاهُ، فَهَلَكْتَا، وَطُعِنَ هُوَ فِي إِبْهَامِهِ، فَجَعَلَ يَمْسُهَا بِفِيهِ،

(١) في الاستيعاب: عبد الله بن عمرو.

(٢) قال شعيب: رجاله ثقات.

يقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها، فإنك تبارك في الصغير، حتى هلك).

وعن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم من حديث الحارث بن عميرة، قال: (طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ: إنه رحمة ربكم عز وجل، ودعوة نبيكم ﷺ، وقبض الصالحين قبلكم، اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذين كان يكنى به، وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد، فوجده مكروباً، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال: يا أبت الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين. فأمسكه ليله، ثم دفنه من الغد، فطعن معاذ، فقال حين اشتد به التزع - نزع الموت - فنزع نزاعاً لم يُنزع أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طرّفه، ثم قال: ربّ اخنقني خنقك؛ فوعزتك إنك لتعلم أنّ قلبي يحبك^(١).

وأما ما رواه الحاكم من طريق مجاشع بن عمرو الأسدي، وأبو نعيم من طريق مجاشع ومحمد بن سعيد المصلوب من أن ابناً لمعاذ توفي، فوجد عليه وجداً شديداً، وأن الرسول ﷺ كتب إليه يعزيه؛ فهو حديث موضوع كما قال الذهبي. وقد ساق أبو نعيم عدة روايات في هذا الباب، ثم قال: كل هذه الروايات ضعيفة لا تثبت^(٢).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» وابن الأثير في «أسد الغابة» أن معاذاً لما حضره الموت قال: (انظروا أصبحنا؟ فأني فقيل: لم تُصبح، فقال: انظروا أصبحنا؟ فأني فقيل له: لم تُصبح، حتى أتي في بعض ذلك فقيل: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً، زائر مُعَبِّ، حبيب جاء على

(١) أخرجه ابن سعد مختصراً، وأبو نعيم - وهذا لفظه -، والبخاري في «التاريخ الصغير» عن عبد الرحمن بن غنم، نحوه، وذكره عبد الرزاق بنحوه عن قتادة، وأحمد عن أبي منيب مختصراً، وروى الطبراني بعضه في «الكبير»، قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات وسنده متصل.

(٢) انظر: المستدرک ٢٧٣/٣، الحلية ١/٢٤٢ - ٢٤٤.

فاقة. اللهمَّ إِنِّي قد كنتُ أخافك فأنا اليوم أرجوك. اللهمَّ إنك تعلم أنني لم أكن أحبُّ الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالزُّكَب عند حَلَقِ الذُّكْرِ).

● ● اتفق أهل التاريخ أن معاذاً - رضي الله عنه - توفي في طاعون عمّاس^(١) سنة (١٨هـ) في خلافة عمر رضي الله عنه. وكانت وفاته بقَصِيرِ خَالِدٍ من أرض الأزدنَّ بالغور، وقبره هناك.

وتوفي عن ثمان وثلاثين سنة في رأي الأكثر، وصححه الذهبي في «تلخيص المستدرک» وذكره دون غيره في «الكاشف».

ويرى بعضهم أنه توفي وسِنَّة ثلاثة وثلاثون سنة، وهذا رأي ابن المسيَّب، وصحَّحه ابنُ حجر في «الفتح».

والأول أدنى إلى الصواب؛ لأن معاذاً حضر بدراناً وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وتوفي - باتفاق - سنة (١٨ هـ)، وبين بدر وطاعون عمّاس نحو من سبع عشرة سنة، فيكون عمره (٣٨) سنة على وجه التقريب. من أخباره الشخصية:

أم معاذ هي: هند بنت سهل من بني رفاعة، ثم من جُهيَّنة.

وأخوه لأمه: عبد الله بن الجُد^(٢) بن قيس، من أهل بدر.

وأخته لأبيه وأمه: الصعبة بنت جبل، أسلمت وبايعت.

وكانت له زوجتان توفيتا بالطاعون قبله، ودُفنتا في حفرة واحدة.

وله من الولد: أم عبد الله، أسلمت وبايعت. وعبد الرحمن، وهو بكره، وبه

كان يُكنى، وقد قاتل معه يوم اليرموك. وابن آخر لم يُسمَّ.

وقد أصابهم الطاعون جميعاً، فمات من الجمعة إلى الجمعة آل معاذ كلهم،

ثم كان هو آخرهم، فاستشهد بالطاعون، ولم يبقَ له - رضي الله عنه - عقب.

* * *

(١) عمّاس: قرية بين الرملة وبيت المقدس، ونُسب الطاعون إليها لأنه بدأ منها.

(٢) كذا في «الطبقات»، وسماه ابن إسحاق: «سهل بن الجد».

(٦) $\frac{٦}{١}$ أبوذر الغفاري^(١)

... - ٣٢ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ١٢٩٤/٣ - ١٢٩٦، ١٤٠١ - ١٤٠٢، صحيح مسلم ١٩١٩/٤ - ١٩٢٥، سنن الترمذي ٦٦٩/٥ - ٦٧٠، سنن ابن ماجه ٥٣/١، ٥٥، مسند أحمد ١٤٤/٥ - ١٨١، المستدرک ٣٣٧/٣ - ٣٤٦، جامع الأصول ٥٦٧/٨ - ٥٧٩، ٥٨٠ - ٥٨١، ٥٠/٩ - ٥٦، مشكاة المصابيح ١٧٥٧/٣، ١٧٦٠، ١٧٦١، مجمع الزوائد ٣٢٧/٩ - ٣٣٢، المطالب العالیة ١١٦/٤ - ١١٩، فتح الباری ١٧٣/٧ - ١٧٦، طبقات ابن سعد ٣٥٤/٢، ٢١٩/٤ - ٢٣٧، تاریخ يحيى بن معين ٧٠٤/٢، طبقات خليفة ٣١، تاریخ خليفة ١٦٦، العلل لأحمد: رقم ٥٧٧٥، التاريخ الكبير للبخاري ٢٢١/٢ ت ٢٢٦٥، التاريخ الصغير له ٥٠/١، ٧٠، ٩٠، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ الطبري ٢٨٣/٤ - ٢٨٥، و «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٥١٠/٢ ت ٢١٠١، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٣٠ - ٣١ ت ٢٨، الثقات له ٥٥/٣، تاريخ الصحابة له ٦٠ ت ١٩٤، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير ٤٨، ٤٩، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١٤٦/١ - ١٤٧ ت ١٨٠، حلية الأولياء ١٥٦/١ - ١٧٠، جمهرة الأنساب لابن حزم ١٨٦، جوامع السيرة له ٩٦، ١٨٣، ٢٠٣، ٢٥٢، ٢٧٧، ٣٢٠، الاستيعاب ٢١٤/١ - ٢١٨، ٦٢/٤ - ٦٥، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٧٥/١ - ٧٦ ت ٢٨٦، الأنساب للسمعاني ٣٠٤/٤ «الغفاري»، صفة الصفوة ١/١ - ٥٨٤، ٦٠٠، أسد الغابة ٣٠١/١ - ٣٠٣، ١٨٦/٥ - ١٨٨، الكامل في التاريخ ١١٣/٣ - ١١٦، تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٩/٢ - ٢٣٠، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٧٦/٢٨ - ٣١٦، تهذيب الكمال ٢٩٤/٣٣ - ٢٩٨ ت ٧٣٥١، سير أعلام النبلاء ٤٦/٢ - ٧٨، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٤٠٥ - ٤١٣، تذكرة الحفاظ ١٧/١ - ١٩، العبر ٢٤/١ - ٢٥، دول الإسلام ١٨، الكاشف ٢٩٣/٣، البداية والنهاية ٣٤/٣ - ٣٦، ٨/٥ - ٩، ٢٠٧/٦، ١٥٥/٧، ١٦٤ - ١٦٥، الإصابة ٦٣/٤ - ٦٥، تهذيب التهذيب ٩٨/١٢ - ٩٩، تقريب التهذيب ٤٢٠/٢، الرياض المستطابة ٢٧٢، شذرات الذهب =

اسمه ونسبه ونسبته :

جُنْدُب بن جُنَادَة بن سُفْيَان بن عُبيد بن حَرَام بن غِفَار بن مُلَيْل بن ضَمْرَة بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَة، الغِفَارِي نسبةً إلى غِفَار، وغِفَار من بني كِنَانَة.

روى ابن ماجه في «سننه» عن أبي ذر قال: (مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي، فَزَكَّضَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «يَا جُنْدُبُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ»^(١)). وهذا صريح في أن اسمه: جندب.

وكنيته: أبو ذر، واشتهر بها حتى غلبت على اسمه.

فضل قبيلته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «قريش، والأنصار، وجُهَيْنَة، ومُزَيْنَة، وأسلم، وغِفَار، وأشجع: مَوَالِي، ليس لهم مَوَالِي دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ».

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ، وَعُصَيْبَةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

وعن أبي بكره قال: قال النبي ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي أَسَدٍ، وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ؟» فقال رجل: خابوا وخسروا! فقال: «هم خير من بني تميم ومن بني أسد، ومن بني عبد الله بن غطفان، ومن بني عامر بن صعصعة»^(٢).

صفته وحليته :

عن الأحنف بن قيس قال: (قدمت المدينة، فدخلت مسجدها، فبينما أن أصلي، إذ دخل رجل طوال، آدم، أبيض الرأس واللحية، محلوق، يشبه بعضه

= ٣٩/١، حياة الصحابة «انظر فهارسه».

(١) أورده الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٢) روى الأحاديث الثلاثة البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي.

بعضاً. فاتبعته فقلتُ: من هذا؟ قالوا: أبو ذر).

وكان رضي الله عنه رجلاً طويلاً، ضخماً، جسيماً، كث اللحية، كث الشعر.

قبل إسلامه:

كان أبو ذر شجاعاً مقداماً، ينفرد وحده فيقطع الطريق، ينأى عن الفواحش، ويتزهد عن عبادة الأصنام، ويعبد الله سبحانه.

أخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي عن حُفَاف بن إِيْمَاء بن رَحْصَةَ الغِفَارِي قال: (كان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق، وكان شجاعاً، يتفرد وحده يقطع الطريق، ويُغِير على الصَّرم^(١) في عَمَايَةِ الصُّبْحِ على ظهر فرسه أو على قدميه كأنه السَّبْعُ، فيطرق الحيَّ ويأخذ ما أخذ. ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام، وسمع بالنبي ﷺ - وهو يومئذ بمكة يدعو مختفياً - فأقبل يسأل عنه).

وجاء في قصة إسلامه عند الحاكم عن أبي ذر قال: (أول ما دعاني إلى الإسلام أَنَا كُنَّا قوماً غرباء، فأصابَتْنا السَّنَةُ، فاحتملتُ أمي وأخي - وكان اسمه أَنيساً - إلى أَصْهَارِ لَنَا بأعلى نَجْدٍ، فلما حَلَلْنَا بهم أَكْرَمُونَا، فلما رأى ذلك رجلٌ من الحي مشى إلى خالي فقال: تَعَلَّمْ أَن أَنيساً يَخَالِفُكَ إلى أَهْلِكَ! قال: فَحَقَّقَ في قلبه، فانصرفتُ في رعية إبلي، فوجدته كئيباً حزيناً يبكي، فقلتُ: ما أبْكَاك يا خالي؟ فأعَلَّمَنِي الخَيْرَ، فقلتُ: حَجَرَ اللهُ من ذلك، إنا نخاف الفاحشة وإن كان الزمانُ قد أَحَلَّ بنا، ولقد كَدَّرْتَ عَلَيْنَا صَفْوَ ما ابتدأتنا به، ولا سبيلَ إلى اجتماع، فاحتملتُ أمي وأخي حتى نزلنا بحضرة مكة...) (٢).

وأخرج ابن سعد عن الواقدي عن نَجِيحِ أَبِي معشر قال: (كان أبو ذر يَتَأَلَّهُ

(١) الصَّرم: الجماعة يَتَزَلون يابلهم نَاحِيَةَ على ماء.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم مطولاً، قال الذهبي: إسناده صالح.

في الجاهلية، ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبدُ الأصنام. فمرَّ عليه رجلٌ من أهل مكة بعدما أوحى إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا ذر، إن رجلاً بمكة يقول مثل ما تقول: لا إله إلا الله، ويزعمُ أنه نبيٌّ! قال: ممَّن هو؟ قال: من قريش. قال: فأخذَ شيئاً من بهشٍ - وهو المُقل - وفتزَّده حتى قَدِمَ مكة... (١).

وعند الطبراني في «الأوسط» عن أبي ذر في قصة إسلامه: (قال ابن عباس: قلتُ لأبي ذر: وما كان دِينُكَ؟ قال: رغبتُ عن آلهة قومي التي كانوا يعبدون. فقلتُ: أيُّ شيء كنتَ تعبد؟ قال: لا شيء، كنتُ أصلي من الليل حتى أسقط كَأني خِفَاءً، حتى يوقظني حرُّ الشمس. فقيل له: أين كنتَ توجَّه وَجْهَكَ؟ قال: حيثُ وَجَّهني ربي).

وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: (وقد صليتُ يا بنَ أخي قَبْلَ أن ألقى رسولَ الله ﷺ بثلاثِ سنين. قلتُ: لمن؟ قال: لله. قلتُ: فأينَ توجَّه؟ قال: أتوجَّه حيثُ يوجَّهني ربي، أصلي عِشاء حتى إذا كان من آخرِ الليل أَلقيتُ كأني خِفَاءً، حتى تَعْلوني الشمسُ) (٢).

إسلامه:

أخرج ابن سعد وأحمد ومسلم - واللفظ له - عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: (خرجنا من قومنا غفاري، وكانوا يُجْلون الشهرَ الحرام. فخرجتُ أنا وأخي أنيسٌ وأُمَّنا، فنزلنا على خالٍ لنا، فأكرمنا خالنا وأحسنَ إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجتَ عن أهليكَ خالفتَ إليهم أنيسٌ، فجاء خالنا فتنَّا علينا الذي قيل له، فقلتُ: أمَّا ما مضى من معروفك، فقد كدَّرته، ولا جِماعَ لك فيما بعدُ. فقرَّبنا صِرْمَتنا، فاحتملنا عليها، وتغطَّى خالنا ثوبه، فجعل يبكي. فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فناقَرَ أنيسٌ عن صِرْمَتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهنَ، فخبَّرَ أنيساً،

(١) البهش: المُقل الرطب. والمقل: حنظل الدَّوم، وهو يشبه النخل.

(٢) خفاء: هو الكساء، وجمعه أخفية. ككساء وأكسية.

فأتانا أنيسٌ بصرمينَا ومثلها معها. قال: وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين، قلتُ: لمن؟ قال: لله. قلتُ: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاءً، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيتُ كأني خفاءً، حتى تعلوني الشمس، فقال أنيسٌ: إن لي حاجةً بمكة، فاكفني. فانطلق أنيسٌ حتى أتى مكة، فرأى عليَّ، ثم جاء، فقلتُ: ما صنعت؟ قال: لقيتُ رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلتُ: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعرٌ، كاهنٌ، ساحرٌ، وكان أنيسٌ أحدَ الشعراء، قال أنيسٌ: لقد سمعتُ قولَ الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون. قال: قلتُ: فاكفني حتى أذهب فأنظر. قال: فأتيتُ مكة فتضعفتُ رجلاً منهم، فقلتُ: أين هذا الذي تدعونه الصابىء؟ فأشار إليَّ، فقال: الصابىء؟ فمال عليَّ أهلُ الوادي بكلِّ مدرةٍ وعظم، حتى خررتُ مغشياً عليَّ. قال: فارتفعتُ حين ارتفعتُ كأني نُصبٌ أحمرٌ، قال: فأتيتُ زمزمَ، فغسلتُ عني الدماءَ، وشربتُ من مائها. ولقد لبثتُ يا ابن أخي ثلاثين، بين ليلةٍ ويوم، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنتُ حتى تكسرتُ عكُنُ بطني، وما وجدتُ على كبدي سُخْفَةَ جوع. قال: فبينما أهل مكة في ليلةٍ قمرَاءٍ إضحياناً، إذ ضرب على أسمختهم، فما يطوف بالبيت أحد، وامرأتين منهم تدعوان إسافاً ونائلةً، قال: فأتتا عليَّ في طوافهما، فقلتُ: أنكحَا أحدهما الأخرى، قال: فما تناهتا عن قولهما، قال: فأتتا عليَّ، فقلتُ: هنُّ مثل الخشبة - غير أني لا أكفي - فانطلقتا تُولولان، وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا؟ قال: فاستقبلهما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر، وهما هابطان، قال: «مالكما؟» قالتا: الصابىء بين الكعبة وأستارها، قال: «ما قال لكما؟» قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم. وجاء رسولُ الله ﷺ حتى استلم الحجرَ، وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى، فلما قضى صلاته، قال أبو ذرٍّ: فكنت أولَ من حيَّاه بتحية الإسلام، قال: فقلتُ: السلامُ عليك يا رسول الله فقال: «وعليك ورحمةُ الله». ثم قال: «من أنت؟»

قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده، فوضع أصابعه على جبهته! فقلت في نفسي: كره أن اتّمتت إلى غفار، فذهبت أخذ بيده، فقدعني صاحبه، وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه، ثم قال: «متى كنت هاهنا؟» قال: قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين، بين ليلة ويوم. قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكّن بطني، وما أجد على كبدي سُخْفَةَ جوع. قال: «إنها مباركة، إنها طعام طعم». فقال أبو بكر: يا رسول الله، ائذن لي في طعامه الليلة. فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، وانطلقت معهما، ففتح أبو بكر باباً، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، وكان ذلك أول طعام أكلته بها، ثم غبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد وُجّهت لي أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك، عسى الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم؟» فأتيت أُنسأ، فقال: ما صنعْتَ؟ قلت: صنعتُ أني قد أسلمتُ وصدقتُ. قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمتُ وصدقتُ. فأتينا أُنسأ، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمتُ وصدقتُ، فأختملنا حتى أتينا قومنا غفارا، فأسلم نصفهم، وكان يؤمهم إيماء بن رَحْضَةَ الغفاري، وكان سيدهم. وقال نصفهم: إذا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا. فقَدِم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله، إخواننا، نُسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها، وأسلم سألها الله».

وأخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن ابن عباس قال: (ألا أُخبركم بإسلام أبي ذر؟ قال: قلنا: بلى. قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل، كلمه وائتني بخبره. فانطلق فلقيه ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخير، فأخذت جراباً وعصاً، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من

ماء زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ: مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَاهُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشِدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَأْتِبْنِي، أَدْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَحَافَهُ عَلَيْكَ، فُتُّتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أَصْلِحُ نَعْلِي وَأَمْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَكُنْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ. وَأَرْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ». فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأُضْرَحَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيءِ، فَقَامُوا فَضْرِبْتُ لَأُمُوتَ، فَأَذْرَكْنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَّارٍ، وَمَتَجَرُّكُمْ وَمَمْرُكُمْ عَلَى غِفَّارٍ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْعَدَا رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيءِ، فَصُنِّعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِّعَ بِالْأَمْسِ، وَأَذْرَكْنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ. قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ).

قال الحافظ في «الإصابة»: (وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر).

وقال في «الفتح» عند شرح حديث ابن عباس هذا: (قوله «فسمع من قوله وأسلم مكانه»: كأنه كان يعرف علامات النبي، فلما تحققها لم يتردد في الإسلام،

هكذا في هذه الرواية، ومقتضاها أن التقاء أبي ذر بالنبي ﷺ كان بدلالة عليّ . وفي رواية عبد الله بن الصامت (أن أبا ذر لقي النبي ﷺ وأبا بكر في الطواف بالليل، قال: فلما قضى صلاته قلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. قال: فكنت أول من حياه بالسلام. قال: من أين أنت؟ قلت: من بني غفار، قال: فوضع يده على جبهته، فقلت: كره أن انتميت إلى غفار). فذكر الحديث في شأن زمزم. وأنه استغنى بها عن الطعام والشراب ثلاثين من بين يوم وليلة. وفيه: (فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة، وأنه أطعمه من زبيب الطائف). الحديث، وأكثره مغاير لما في حديث ابن عباس هذا عن أبي ذر، ويمكن التوفيق بينهما بأنه لقيه أولاً مع علي ثم لقيه بالطواف، أو بالعكس، وحفظ كل منهما عنه ما لم يحفظ الآخر، كما في رواية عبد الله بن الصامت من الزيادة ما ذكرناه، ففي رواية ابن عباس أيضاً من الزيادة قصته مع علي، وقصته مع العباس، وغير ذلك. وقال القرطبي: في التوفيق بين الروایتين تكلف شديد، ولا سيما أن في حديث عبد الله بن الصامت أن أبا ذر أقام ثلاثين لا زاد له، وفي حديث ابن عباس أنه كان معه زاد وقربة ماء، إلى غير ذلك. قلت: ويحتمل الجمع بأن المراد بالزاد في حديث ابن عباس ما تزوده لما خرج من قومه، ففرغ لما أقام بمكة، والقربة التي كانت معه كان فيها الماء حال السفر، فلما أقام بمكة لم يحتج إلى ملئها ولم يطرحها).

● ● وقد روي عن أبي ذر أنه كان رابع أربعة في الإسلام، فأخرج الحاكم والطبراني من طريق صدقة بن عبد الله عن نصر بن علقمة عن أخيه عن ابن عائذ عن جبير بن نفير قال: كان أبو ذر يقول: (لقد رأيتني ربع الإسلام، لم يُسلم قبلي إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبلال)^(١).

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال المحدث شعيب الأرنؤوط: صدقة بن عبد الله: ضعيف، ضعفه غير واحد وقال الدارقطني: متروك. ومع ذلك فقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأورده الهشمي في المجمع ٣٢٧/٩، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، أحدهما متصل الإسناد ورجاله ثقات!!

وكلام أبي ذر - رضي الله عنه - مؤوّل، ويكون ذلك حسب علمه، وإلا فقد أسلم قبله كثير من الصحابة.

وقد توارد أكثر من ترجم له على اعتباره أحد السابقين الأولين، وأنه أسلم قديماً فكان رابع أربعة، أو خامس خمسة. ذكر ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب»، والسمعاني في «الأنساب»، وابن الأثير في «أسد الغابة»، والذهبي في «السير»، وتاريخ الإسلام، والتذكرة، والعبر، ودول الإسلام» وابن كثير في «البداية والنهاية»، واكتفى الحافظ في «الإصابة» بأن قال: «كان من السابقين إلى الإسلام».

لكن في قصة إسلامه الواردة في الصحيحين ما يفيد بأن إسلامه كان بعد المبعث بمدة طويلة: ففيها أن علياً قد أضاف أبا ذر، وعلي أسلم غلاماً ابن عشر سنين، فلا بد أن يكون عند حدوث قصته مع أبي ذر قد أصبح فتىً ليستقلّ بأمور الضيافة. وكذلك قوله ﷺ: «إنه قد وجّهت لي أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب»؛ ففيه ما يشعر بأن ذلك كان قريباً من الهجرة.

وقد أشار الحافظ في «الفتح» إلى ذلك فقال: (قوله «فراه علي بن أبي طالب»: وهذا يدل على أن قصته مع أبي ذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين، بحيث يتهيأ لعليّ أن يستقلّ بمخاطبة الغريب ويضيفه، فإن الأصح في سنّ عليّ حين المبعث كان عشر سنين). ثم قال: (وفي الحديث دلالة على تقدم إسلام أبي ذر، لكن الظاهر أن ذلك كان بعد المبعث بمدة طويلة، لما فيه من الحكاية عن علي كما قدمناه، ومن قوله أيضاً في رواية عبد الله بن الصامت: «إني وجهت لي أرض ذات نخل»، فإن ذلك يشعر بأن وقوع ذلك كان قرب الهجرة. والله أعلم).

● ● وقد استبشر النبي ﷺ بإسلامه، فعند الحاكم عن أبي ذر قال: (كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع، أتيت النبي ﷺ فقلت: السلام

عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
فرأيت الاستبشارَ في وجه رسول الله ﷺ^(١).

وكان أبو ذر شجاعاً مقداماً، جريئاً لا يخاف، حملته نفسه على أن جهر
بإسلامه، وصرخ بكلمة التوحيد بين ظهرائي المشركين، فثاروا عليه وضربوه حتى
أضجعوه وأدموه، فعزم على أن يثار منهم، فعند ابن سعد في قصة إسلام أبي ذر
أنه قال: (يا رسول الله، أما قريش فلا أدعُهُم حتى أثارَ منهم، ضربوني! فخرج
حتى أقام بعُسْفان، وكلِّمنا أقبليتَ عيرَ لقريش يحملون الطعام، يُنقَرُ بهم على نثية
غزال، فتلقني أحمالها، فجمعوا الحنطَ. قال: يقول أبو ذر لقومه: لا يمس أحدٌ
حبة حتى تقولوا لا إله إلا الله. فيقولون: لا إله إلا الله، ويأخذون الغرائر)^(٢).

هجرته:

رجع أبو ذر بعدما أسلم إلى بلاد قومه، وأقام بها بأمر النبي ﷺ، فكان
هناك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فهاجر إليها بعدما ذهبَ بدرٌ وأُحد
والخندق، ولزم رسول الله ﷺ حضراً وسفراً.

شاهده وجهاده:

شهد ما بعد الخندق من غزوات، وكان حاملَ راية غفار يوم حنين. وأبطأ
في غزوة تبوك من هزال بعيره، ثم لحق بالنبي ﷺ ماشياً!

أخرج ابن إسحاق بسنده عن ابن مسعود قال: (لما سار رسول الله ﷺ إلى
تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول:
«دعوه، إن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه».
حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال: «دعوه، إن يك فيه

(١) قال الذهبي: على شرط مسلم.

(٢) الغرائر: جمع غزاة، وهي وعاءٌ من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه.

خير فسيلحقه الله بكم . وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه . فتلوّم^(١) أبو ذر على بعبيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً . ونزل رسول الله ﷺ بعض منازلها ، ونظر ناظرًا من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ! فقال رسول الله ﷺ : «كن أبا ذر» . فلما تأملته القوم قالوا : يا رسول الله ، هو - والله - أبو ذر . فقال رسول الله ﷺ : «يرحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده»^(٢)

مع النبي ﷺ :

لما قدم أبو ذر على النبي ﷺ بالمدينة لآزمه ملازمة تامة حتى مات ﷺ . وكان يخدمه ، فإذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد ، وكان هو بيته .

أخرج ابن سعد وأحمد عن أبي ذر قال : (كنت ردف رسول الله ﷺ ، وهو على حمار ، وعليه بزذعة أو قطيفة)^(٣) .

وكان النبي ﷺ يتعاهد أبا ذر ويعلمه ، ويوصيه ويرشده ، وأبو ذر يحفظ عنه ويعي قوله ، ويسأله ويستزيده ، ويلتزم بأوامره وتوجيهاته ﷺ :

عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال : (أوصاني خليلي بسبع : أمرني بحب المساكين والذنن منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ، وأن لا أسأل أحداً شيئاً ، وأن أصل الرحم وإن أدبرث ، وأن أقول الحق وإن كان مرأ ، وألاً أخاف في الله لومة لائم ، وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فإنهن من كنز تحت العرش)^(٤) .

(١) تمكث وتمهل .

(٢) الحديث ، وفيه قصة ذهاب أبي ذر إلى الربذة ، ووفاته بها . قال ابن كثير : إسناده حسن ولم يخرجه . وذكره الحافظ في «الإصابة» وضعف سنده .

(٣) قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح .

(٤) أخرجه أحمد وابن سعد ، قال شعيب : وسنده حسن .

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعجليني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها».

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر، إنني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم»^(١).

قال الحافظ الذهبي: (فهذا محمولٌ على ضعف الرأي، فإنه لو ولي مال يتيم، لأنفقته كله في سبيل الخير، ولترك اليتيم فقيراً. فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادخار النقدين. والذي يتأمر على الناس، يُريد أن يكون فيه حلمٌ ومُدَاراةٌ، وأبو ذر رضي الله عنه كانت فيه حدةٌ - كما ذكرناه - فنصحَه النبي ﷺ).

ومن وصاياه ﷺ لأبي ذر قوله:

«يا أبا ذر، إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام، فُصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»^(٢).

«يا أبا ذر، إذا طبخت فأكثر المرق، وتعاهد جيرانك»^(٣).

«يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديدٌ لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك. فكيف تصنع؟ تعفف يا أبا ذر. أرأيت إن أصاب الناس موتٌ شديدٌ، يكون البيت فيه بالعبد - يعني القبر -^(٤) كيف تصنع؟ اصبر يا أبا ذر. أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، حتى تغرق حجارة الزيت^(٥) من الدماء، كيف تصنع؟

(١) أخرجه مسلم - واللفظ له - وأحمد وابن سعد وأبو داود والنسائي.

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي.

(٣) أخرجه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» ومسلم والترمذي والنسائي.

(٤) هذا تفسير من الراوي لـ (البيت) وليس لـ (العبد)، والمراد: أن الموت يكثر حتى يُباع موضع قبر بعبد.

(٥) موضع بالمدينة في الحرة، أي الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى. وهذا إشارة إلى وقعة الحرة التي كانت زمن يزيد.

اقعدُ في بيتك، واغلق عليك بابك. قال: فإن لم أترك؟ قال: فائت من كنت معه، فكُن فيهم. قال: فأخذُ سلاحِي؟ قال: إذا تشاركتهم فيما هم فيه! ولكن إن خشيت أن يزدعَكَ شعاعُ السيفِ؛ فألتو من طَرَفِ رداثك على وجهك، كي يبوءَ بإثمهِ وإثمك، ويكونَ من أصحاب النار»^(١).

«يا أبا ذر، ألا أعلمك كلماتٍ تقولُهُنَّ، تلحقُ مَنْ سَبَقَكَ، ولا يدركُك إلا مَنْ أخذَ بعملِك؟ تكبِّرُ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وتسبِّحُ ثلاثاً وثلاثين، وتحمِّدُ ثلاثاً وثلاثين، وتختِمُ بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. مَنْ قال ذلك عُفرت له ذنوبُهُ، ولو كانت مثلَ زَبَدِ البَحْرِ»^(٢).

وأخرج ابن حبان - في حديث طويل - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: «عليك بتقوى؛ فإنه رأسُ الأمرِ كله». قلت: يا رسول الله، زدني. قال: «عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نورٌ لك في الأرض، ودُخْرٌ لك في السماء».

عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر أنه قال: (يا رسول الله، الرَّجُلُ يُحِبُّ القومَ ولا يستطيع أن يعملَ كعملهم؟ قال: «أنت يا أبا ذر مع مَنْ أحببت». قال: فأني أحبُّ اللهَ ورسوله. قال: «فإنك مع مَنْ أحببت». قال: فأعادها أبو ذر، فأعادها رسولُ الله ﷺ»^(٣).

وقد كان أبو ذر حريصاً على سؤال النبي ﷺ، والافتباس منه، والافتداء به، فسأله عن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤيته ربه تعالى، وعن أحب الكلام إلى

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

(٢) أخرجه أبو داود. والأحاديث الأربعة صحيحة، أوردها الألباني في «صحيح الجامع الصغير».

(٣) أخرجه أبو داود، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: إسناده صحيح.

الله، وعن ليلة القدر، وعن صحف إبراهيم وموسى، وعن الصلاة، والصدقة، وأي الصدقة أفضل، وأي آية في كتاب الله أعظم، وأي الأنبياء كان أول، وسأله عن مس الحصا في الصلاة.

مناقبه:

مناقب أبي ذر شهيرة، وفضائله كثيرة.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْعَبْرَاءُ، مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ، شَبَّهَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ». فقال عمرُ بن الخطاب - كالحاسدِ - يا رسولَ الله، أَفَتَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قال: «نعم، فاعْرِفُوهُ لَهُ»^(١).

وقال الترمذي: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ابن بنت السُّدِّي، حدثنا شريك، عن أبي ربيعة عن ابن بُريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحَبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ». قيل: يا رسولَ الله، سَمِّهِمْ لَنَا. قال: «عَلَيٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا -، وَأَبُو ذَرٍّ، وَالْمِقْدَادُ، وَسَلْمَانَ. أَمَرَنِي بِحَبِّهِمْ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ»^(٢).

وأخرج الترمذي - واللفظ له - والطبراني في «الكبير» عن علي بن أبي طالب قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نَجَبَاءَ أَوْ نُقَبَاءَ، وَأُعْطِيْتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ». قلنا: مَنْ هُمْ؟ قال: أنا، وإِبْنَيْ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ،

(١) أخرجه الترمذي - وهذا لفظه - وابن حبان والحاكم. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. قوله (الخضراء): أي السماء. و (العبراء): الأرض. (كالحاسد): أي حسد غبطة، وهو حسد محمود.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي - واللفظ له - وابن ماجه، والحاكم وصححه على شرط مسلم وتعقبه الذهبي فقال: ما خرج مسلم لأبي ربيعة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك. وشريك: هو القاضي، سيء الحفظ. وأبو ربيعة: قال أبو حاتم: منكر الحديث. وقد أورد الألباني هذا الحديث في «ضعيف الجامع الصغير».

وعمر ومُصعب بن عُمير، وبلال. وسَلْمان، والمِقْدَاد، وأبو ذَرٍّ، وعَمَّار،
وعَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُود^(١).

سيرته وشمائله:

لزم أبو ذر - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ، فتأدب بأدبه، واهتدى بهديه،
وسار على سنته، وبقي على هذا الهدى والسمت بعد وفاته ﷺ.

عن أبي ذر قال: (إِنِّي لِأَقْرَبُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ إِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ
تُرِكَتْ عَلَيْهِ». وإنَّه - وَاللَّهِ - مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ تَشَبَّثَ مِنْهَا بِشَيْءٍ غَيْرِي^(٢).

قال الذهبي في ترجمة أبي ذر من «السير»: (وكان رأساً في الزُّهْدِ،
والصُّدُقِ، والعِلْمِ والعملِ، قَوَّالاً بِالْحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، عَلَى حِدَّةٍ
فِيهِ).

وقال في «تذكرة الحفاظ»: (وكان رأساً في العلم، والزهد، والجهاد،
وصدق اللهجة، والإخلاص).

● ● بايع النبي ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول
الحق وإن كان مرأاً. وكان - رضي الله عنه - كثير التعبد والتنفل، واسع الصدقة،
دائم التفكير في آخرته، سخياً كريماً، شجاعاً مجاهداً، يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر، يُضرب المثل بزهده.

أخرج ابن سعد بسنده عن أبي عثمان التَّهْدِيّ قال: (رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ يَمِيدُ عَلَى

(١) قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال المحذنان شعيب الأرنؤوط وعبد القادر
الأرنؤوط: في سنده كثير بن إسماعيل النَّوَّاء، وهو ضعيف.

(٢) قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن عِرَّاك بن مالك لم يسمع من أبي ذر فيما
أحسب. وقال الحافظ في «الإصابة»: رجاله ثقات، إلا أن عراك بن مالك عن أبي ذر
منقطع، وقد أخرج أبو يعلى معناه من وجه آخر عن أبي ذر متصلاً لكن سنده ضعيف.

راحلته، وهو مستقبل مَطْلَعِ الشمس، فظننته نائماً، فدنوتُ منه فقلتُ: أناائمُ أنت يا أبا ذر؟ فقال: لا، بل كنتُ أصلي^(١).

وفي «الحلية» و«صفة الصفوة» عن عبد الله بن سيدان عن أبي ذر أنه قال: (في المال ثلاثة شركاء: القَدَر لا يستأمرُك أن يذهب بخيرها أو شرّها من هلاكٍ أو موت. والوارثُ ينتظرُ أن تضعَ رأسك، ثم يستاقها وأنت ذَمِيم. وأنت الثالث، فإن استطعت أن لا تكونَ أعجزَ الثلاثة فلا تكونن. إن الله عز وجل يقول: ﴿لَنْ تَكْتُلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٢)، وإن هذا الجَمَلُ مما كنتُ أحبُّ من مالي، فأحببتُ أن أقدمه لنفسي^(٣)).

● ● وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن عيسى بن عميلة الفزاري قال: (أخبرني مَنْ رأى أبا ذر يحلب غنيمة له، فيبدأ بجيرانه وأضيافه قبل نفسه. ولقد رأيتُه ليلة حَلَبَ حتى ما بقي في ضُروع غنمه شيء إلا مضَّره، وقرب إليهم تمراً وهو يسير، ثم تعدَّر إليهم، وقال: لو كان عندنا ما هو أفضل من هذا لَجِئنا به. قال: وما رأيتُه ذاقَ تلك الليلة شيئاً).

وعن محمد بن واسع (أن رجلاً من أهل البصرة ركبَ إلى أمّ ذرٍ بعد موته، فسألها عن عبادة أبي ذر؟ قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكّر).

وقال يحيى بن أبي كثير: (كان لأبي ذر ثلاثون فرساً يحملُ عليها، فكان يحملُ على خمسة عشر منها يَغزُو عليها، ويصلح آلةَ بَقِيَّتِها، فإذا رجعت أخذها، فأصلحَ آلتها، وحَمَلَ على الأخرى).

● ● وفي «طبقات ابن سعد» عن أبي ذر قال: (ما زال بي الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى ما ترك لي الحقُّ صديقاً).

(١) قال شعيب: رجاله ثقات.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

(٣) عبد الله بن سيدان: ضعيف.

وفيها - أيضاً - عن علي بن أبي طالب أنه قال: (لم يبقَ اليومَ أحدٌ لا يُبالي في الله لومةَ لائمٍ غيرَ أبي ذرٍّ، ولا نفسي! ثم ضربَ بيده إلى صدره).

● ● وفيها عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (كَسَى أَبُو ذرٍّ بُرْدَيْنِ، فَاتَّزَرَ بِأَحَدِهِمَا وَارْتَدَى بِشِمْلَةٍ، وَكَسَا أَحَدَهُمَا غَلَامَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالُوا لَهُ: لَوْ كُنْتَ لِبَسْتَهُمَا جَمِيعاً كَانَ أَجْمَلًا! قَالَ: أَجَلٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَطْعُمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَكْسُونَ»).

وعن المَعْرُورِ بْنِ سُويِدٍ، عن أبي ذر قال: (رأيتُ عليه بُرداً، وعلى غلامه بُرداً، فقلتُ: لو أخذتَ هذا فَلَيْسَتْهُ كَانَتْ حُلَّةً، وأعطيتَه ثوباً آخرًا فقال: كان بيني وبين رجلٍ^(١) كلامٌ، وكانَتْ أُمَّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنَلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقال لي: «أَسَابَيْتَ فُلَانًا؟» قلتُ: نعم. قال: «أَقِنْتِ مَنْ أُمَّهُ؟» قلتُ: نعم. قال: «إِنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ!» قلتُ: على حينِ ساعتي هذه من كبرِ السنِّ؟! قال: «نعم؛ هُمُ إِخْوَانُكُمْ، جعلَهُمُ اللَّهُ تحتَ أيديكم، فَمَنْ جعلَ اللَّهُ أَخَاهُ تحتَ يَدِهِ: فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، ولا يكلِّفُهُ مِنَ العَمَلِ ما يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ ما يَغْلِبُهُ فَلْيَعْنَهُ عَلَيْهِ»^(٢)).

وفي رواية مسلم: (قلتُ: يا رسولَ الله، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبَّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ)^(٣).

طرف من زهده:

قال الحافظ السمعاني (صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ

(١) هو بلال الحبشي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد والبخاري - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه مختصراً.

(٣) معنى هذا الاعتذار عن سبِّه أم ذلك الإنسان، يعني أنه سبِّي، ومَنْ سَبَّ إِنْسَانًا سَبَّ ذَلِكَ الإنسانَ أباً السابِّ وأُمَّه! فأنكرَ عليه النبي ﷺ، وقال: هذا من أخلاق الجاهلية، وإنما يُباح للمسيوب أن يسبَّ السابِّ نفسه بقدر ما سبَّه، ولا يتعرَّض لأبيه ولا لأُمَّه.

إلى زهد عيسى ابن مريم؛ فليُنظر إلى زهد أبي ذر الغفاري»).

وقال ابن عبد البر: (كان من أوعية العلم، المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق).

أخرج ابن سعد وأحمد وأبو نعيم عن أسماء الرَّحَبِي (أنه دخل على أبي ذر وهو بالرَّبْدَةِ، وعنده امرأة له سوداء مُشْتَعَّة، ليس عليها أثر المَجَاسِدِ ولا الخُلُوقِ. قال: فقال: ألا تنظرون ما تأمرني به هذه السويداء؟! تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا عليّ بدنياهم، ألا وإن خليلي عهد إليّ أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دَحْضٍ ومَزَلَّةٍ، وأنا أن تأتي عليه وفي أحمالنا اقتدأً أخرى أن ندعو من أن تأتي عليه ونحن مواقير)^(١).

وقد سمع من رسول الله ﷺ أحاديث في الإنفاق وفضله، وعدم الإبقاء على مال، فألزم بها نفسه رضي الله عنه:

فمن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي ذر قال: (كنتُ أمشي مع النبي ﷺ في حَرَّةِ المدينة، فاستَقْبَلَنَا أَحَدٌ، فقال: «يا أبا ذرٍّ». قلتُ: لبيك يا رسول الله. قال: «ما يسُرُّني أن عندي مثلَ أُحَدَ هذا ذهباً، تمضي عليّ ثالثةٌ وعندي منه دينارٌ، إلا شيئاً أَرُضدُهُ لِدينٍ، إلا أن أقولَ به في عبادِ الله هكذا وهكذا). عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه. ثم مشى، ثم قال: «إنَّ الأكثرينَ همُ الأفلُون يومَ القيامةِ، إلا مَنْ قَالَ هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه، وعن شماله ومن خلفه - وقليلٌ ما همُ!» ثم قال لي: «مَكَانَكَ لا تَبْرُحْ حتى آتيك». ثم انطلق في سَوَادِ الليل حتى توارى، فسمعتُ صوتاً قد ارتفع، فتخوّفتُ أن يكونَ أَحَدٌ عَرَضَ لِلنبيِّ ﷺ، فأردتُ أن آتيه، فذكرتُ قوله لي: «لا تَبْرُحْ حتى آتيك»، فلم أَبْرُحْ حتى أتاني، قلتُ: يا رسول الله، لقد سمعتُ صوتاً تخوّفتُ، فذكرتُ له. فقال: «وهل

(١) قال شعيب: رجاله ثقات. قوله (مشتعة): أي قبيحة (المجاسد): جمع مجسد، وهو المصْبُوغُ المُشْبَعُ بالجسد: وهو الزعفران أو العُصْفَر. (الخلوق): نوع من الطيب.

سمعتَه؟ قلتُ: نعم. قال: «ذاك جبريلُ، أتاني فقال: مَنْ مات من أمّتك لا يشرك بالله شيئاً دخلَ الجنةَ. قلتُ: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق.»
لفظ البخاري.

● ● أخرج الطبراني وأبو نعيم عن أبي شعبة قال: (جاء رجلٌ إلى أبي ذرٍّ فعرض عليه نفقةً، فقال أبو ذرٍّ: عندنا أعتزُّ نحلبها، وحُمُرٌ تنقلنا، ومُحرّرةٌ تخدمنا، وفُضِّلُ عباءة عن كسوتنا، إني لأخاف أن أحاسبَ على الفضل)^(١).

وعند ابن الجوزي في «صفة الصفوة»: (عن جعفر بن سليمان قال: دخلَ رجل على أبي ذرٍّ، فجعل يقلّب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذرٍّ، أين متاعكم؟ قال: لنا بيتٌ نوجّه إليه صالح متاعنا! قال: إنه لا بدّ لك من متاعٍ ما دمتَ ها هنا. قال: إن صاحبَ المنزل لا يدعنا فيه)!

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن إبراهيم التيمي عن أبيه (عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تتخذ ضيعةً كما اتخذ فلان وفلان؟ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً؛ وإنما يكفيني كل يوم شربة ماء - أو لبن - وفي الجمعة قفيز من قمع)!!

وأخرج ابن سعد عن شيخه الواقدي قال: (حدثنا سعيد بن عطاء بن أبي مروان عن أبي ذرٍّ أنه رآه في نَمرةٍ مؤتزرأ بها قائماً يصلي، فقلتُ: يا أبا ذرٍّ، أمالك ثوبٌ غير هذه النمرة؟ قال: لو كان لي لرأيتَه عليّ. قلتُ: فإني رأيتُ عليك منذ أيام ثوبين. فقال: يا بن أخي أعطيتُهما مَنْ هو أحوج إليهما مني. قلتُ: والله إنك لمحتاج إليهما. قال: اللهم غفرأ، إنك لمعظمٌ للدنيا، أليس ترى عليّ هذه البُرْدَةَ، ولي أُخرى للمسجد، ولي أعتزُّ نحلبها، ولي أحمرةٌ نحتمل عليها ميرتنا، وعندنا مَنْ يخدمنا ويكفيننا مهنةً طعامنا، فأبى نعمةً أفضل مما نحن فيه)؟!.

(١) قال الهيثمي: أبو شعبة البكري لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. ومعنى (محرّرة): أمة نالت حريتها.

● ● عن عبد الله بن الصامت قال: (كنتُ مع أبي ذر - رضي الله عنه - فخرجَ عطاؤه، ومعه جارية له. قال: فجعلتُ تقضي حوائجَه، ففضلَ معها سبعة^(١)، فأمرها أن تشتري به فلوساً^(٢)). قال: قلت: لو أخزته للحاجة تنوبك، أو للضيف ينزل بك. قال: إن خليلي عهد إلي أن «أَيِّمًا ذهبٍ أو فضةً أو كِيٍّ عليه، فهو جَمْرٌ على صاحبه حتى يفرَّغَه في سبيلِ الله عز وجل»^(٣).

وكان عطاء أبي ذر أربعة آلاف.

وأخرج أبو نعيم عن أبي ذر قال: (ذو الدرهمين أشدُّ حساباً من ذي الدرهم).

● ● وعنده - أيضاً - عن أبي بكر بن المنكدر قال: (بعث حبيب بن مَسْلَمَةَ - وهو أمير بالشام - إلى أبي ذر بثلاث مئة دينار، وقال: استعن بها على حاجتك. فقال أبو ذر: ارجع بها إليه، أما وجدَ أحداً أغرَّ بالله منّا؟! ما لنا إلا ظلٌّ نتواري به، وثُلَّةٌ^(٤) من غنم تروح علينا، ومولاةٌ لنا تصدقت علينا بخدمتها، ثم إنني لأتخوفُ الفضلَ!).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن محمد بن سيرين قال: (بلغ الحارث - رجلاً كان بالشام من قريش - أن أبا ذر كان به عَوَزٌ، فبعثَ إليه بثلاث مئة دينار، فقال: ما وجدَ عبدُ الله مَنْ هو أهون عليه مني؟! سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَأَلَ وله أربعون فقد أَلْحَفَ»! ولأبي ذر أربعون درهماً، وأربعون شاةً، وماهينان. قال أبو بكر بن عياش: يعني خادمين)^(٥).

(١) أي سبعة دراهم، وهي من ذهب أو فضة.

(٢) هي من النحاس.

(٣) أخرجه ابن سعد وأحمد. قال شعيب: رجاله ثقات.

(٤) الثُلَّةُ: هي بفتح الثاء، جماعة الغنم. والثُلَّةُ - بضم الثاء -: الجماعة من الناس.

(٥) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجال الصحيح، غير عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن

يونس وهو ثقة.

وفي «طبقات ابن سعد» عن ابن بُريدة قال: (لما قَدِمَ أبو موسى الأشعريُّ لقي أبا ذر، فجعل أبو موسى يَلْزِمُه، وكان الأشعري رجلاً خفيفَ اللحم قصيراً، وكان أبو ذر رجلاً أسود كَثَّ الشعر. فجعل الأشعريُّ يَلْزِمُه، ويقول أبو ذر: إِلَيْكَ عني! ويقول الأشعري: مَرْحَباً بأخي، ويدفَعُه أبو ذر ويقول: لستُ بأخيك، إنما كنتُ أخاك قبل أن تُسْتَعْمَلَ. قال: ثم لقي أبا هريرة، فالتَزَمَه وقال: مرحباً بأخي. فقال أبو ذر: إليك عني، هل كنتَ عَمِلْتَ لهؤلاء؟ قال: نعم. قال: هل تناولتَ في البناء أو اتَّخَذْتَ زَرْعاً أو ماشيةً؟ قال: لا. قال: أنتَ أخي، أنتَ أخي^(١).

مذهبه في الأموال وإنفاقها:

عن ابن لهيعة، عن عبيد الله بن المغيرة، عن يعلى بن شداد قال: قال شداد بن أوس: (كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله فيه الشدَّة، ثم يخرجُ إلى قومه، فيسلمُ عليهم. ثم إن رسولَ الله ﷺ يرخِّص فيه بعدُ، فلم يسمعه أبو ذر، فتعلَّق أبو ذر بالأمر الشديد)^(٢).

قال الإمام النووي في ترجمة أبي ذر من «تهذيب الأسماء واللغات»: (كان مذهبه أنه يحرم على الإنسان ادخار ما زاد على حاجته).

أخرج البخاري ومسلم - واللفظ له - عن الأحنف بن قيس قال: (قَدِمْتُ المدينة، فبينما أنا في حَلَقَةٍ فيها ملاً من قريش، إذ جاء رجلٌ أحسنُ الثياب، أحسنُ الجسد، أحسنُ الوجه، فقامَ عليهم فقال: بَشِّرِ الكَانِزِينَ بِرَضْفٍ^(٣) يُحْمَى عليه في نارِ جهنم، فيوضَعُ على حَلْمَةٍ تَذِي أحدهم، حتى يخرجَ من نُغْضٍ^(٤) كتفيه، ويوضع

(١) قال شعيب: رجاله ثقات.

(٢) قال شعيب: ابن لهيعة سيء الحفظ، وباقي رجاله ثقات، وهو في المسند.

(٣) الرضف: الحجارة المحماة، الواحدة رضفة، مثل تمر وتمرة.

(٤) النغض: هو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف.

على نُغْضِ كَتْفَيْهِ، حتى يخرج من حَلْمَةِ نَدْيِهِ، يتزلزل^(١)!! قال: فَوَضَعَ القَوْمُ رؤوسهم، فما رأيتُ أحداً منهم رَجَعَ إليه شيئاً. قال: فأذْبَرَ، وأتْبَعْتُهُ حتى جلس إلى سارية، فقلتُ: ما رأيتُ هؤلاء إلا كرهوا ما قلتُ لهم! قال: إِنَّ هؤلاء لا يعقلون شيئاً، إن خَلِيلِي أبا القاسم عليه السلام دَعَانِي فأجَبْتُهُ، فقال: «أَتَرَى أَحداً؟» فنظرتُ ما عليّ من الشمس^(٢)، وأنا أظنُّ أنه يبعثني في حاجةٍ له، فقلتُ: أراه. فقال: «ما يَسْرُنِي أن لي مثله ذهباً أَثِقُهُ كُلَّهُ، إلا ثلاثةَ دنانيرٍ». ثم هؤلاء يجمعون الدنيا، لا يَعْقِلُونَ شيئاً. قال: قلتُ: مَا لَكَ وإِخْوَتِكَ من قريشٍ لا تَغْتَرِبُهُمْ^(٣) وتُصِيبُ منهم؟ قال: لا وَرَبِّكَ لا أسألهم عن دُنْيَا، ولا أَسْتَفْتِيهِمْ عن دِينٍ، حتى ألحقَ باللهِ ورسوله). وقد أورد البخاري هذا الحديث تحت ترجمة: (ما أدِّي زكاته فليس بكنز)؛ وهذا يدل على دقة فهمه، وكمال فقهه، وبراعة استدلاله، رضي الله عنه.

وعن موسى بن عبيدة، حدثنا عمران بن أبي أنس، عن مالك بن أوس بن الحدّان، قال: (قَدِمَ أبو ذرّ من الشام، فَدَخَلَ المسجدَ، وأنا جالس، فسَلَّمَ علينا، وأتى سارية، فصلى ركعتين، تجوّزَ فيهما، ثم قرأ: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ واجتمع الناس عليه فقالوا: حدثنا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: سمعتُ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «في الإبلِ صَدَقْتُهَا، وفي البقرِ صَدَقْتُهَا، وفي البُرِّ صَدَقْتُهُ، مَنْ جَمَعَ ديناراً، أو تيراً، أو فضّةً، لا يُعِدُّهُ لِغَرِيمٍ، ولا يُنْفِقُهُ في سبيلِ الله؛ كُوي به». قلتُ: يا أبا ذر، انظر ما تُخْبِرُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن هذه الأموال قد فُتت. قال: مَنْ أنتَ ابن أخي؟ فانتسبتُ له. فقال: قد عرفْتُ نَسَبَكَ الأكبر، ما تقرأ:

﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤) (٥) ١٩

(١) التزلزل إنما هو للرفض، أي: يتحرك من نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة نديه.

(٢) يعني كم بقي من النهار.

(٣) أي تأتيهم وتطلب منهم.

(٤) سورة التوبة: الآية ٣٥.

(٥) قال الذهبي: موسى: ضَعَفَ، رواه عنه الثقات.

ولما بلغ البناء بالمدينة سلماً، ارتحل أبو ذر إلى الشام، فسكن دمشق، وهناك كان يجهر برأيه في وجوب إنفاق جميع ما زاد عن القوت وسداد العيش، ومنع الادخار، وخالفه في ذلك معاوية - وكان عامل عثمان على الشام - فأرسل إلى الخليفة كي يقدم بأبي ذر إلى المدينة.

روى البخاري عن زيد بن وهب قال: (مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلقت أنا ومعاوية في: ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذلك. وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثرت عليَّ الناس حتى كأنهم لم يرؤني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت ننحيت، فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا عليَّ حبسيتاً لسمعت وأطعت).

وعن حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، قال: (دخلت مع أبي ذر على عثمان، فلما دخل حسرت عن رأسه وقال: واللَّهِ، ما أنا منهم يا أمير المؤمنين - يُريد الخوارج. قال ابن شوذب: سيماهم الحلق -! قال له عثمان: صدقت يا أبا ذر، إنما أرسلنا إليك لِتُجَاوِرَنَا بالمدينة. قال: لا حاجة لي في ذلك، ائذن لي إلى الربذة. قال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة، تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لي في ذلك، يكفي أبا ذر صريرته. فلما خرج قال: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعلذموها، ودعونا وربنا.

قال: ودخل عليه وهو يقسم، وعبد الرحمن بن عوف بين يديه، وعنده كعب، فأقبل عثمان على كعب، فقال: يا أبا إسحاق، ما تقول فيمن جمع هذا المال، فكان يتصدق منه ويصل الرحم؟ قال كعب: إني لأرجو له. فغضب ورفع عليه العصا، وقال: وما تدري يا بن اليهودية، ليوذن صاحب هذا المال لو كان

عقارب في الدنيا تَلَسُّعُ الشُّوَيْدَاءِ مِنْ قَلْبِهِ»^(١)!!

قال الحافظ ابن عبد البر: (وردت عن أبي ذر آثارٌ كثيرة تدلُّ على أنه كان يذهب إلى أن كلَّ مالٍ مجموع يفضَّلُ عن القوتِ وسدادِ العيش؛ فهو كثرٌ يُذَمُّ فاعلُهُ، وأن آيةَ الوعيد نزلت في ذلك. وخالفه جمهورُ الصحابةِ ومَن بعدهم، وحَمَلوا الوعيدَ على مانعي الزكاة).

قلت: للمسلم أن يكون غنياً بلا تحديد، بشرط أن يكون ذلك من حل، وأن يكتفي منه بما يكفيه بالمعروف، ويحرر نفسه من العبودية له، ومن الانقياد إلى توافه الأمور وسفاسفها، ثم يؤدي زكاته، ويتصرف بما تحت يديه بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسراً وعزاً وسعادة، وأن يستثمره فيما فيه مصلحة الأمة وكرامتها وسؤدها. وأن يكون المسلم غنياً خيراً من أن يكون فقيراً، واليد العليا خير من اليد السفلى، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى، واليدُ العُلْيَا هي المُتَّفِقَةُ، واليدُ السُّفْلَى هي السَّائِلَةُ»^(٢). وعن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْعَنِيَّ، الْحَفِيَّ»^(٣).

وقد كان أكثر العشرة المبشرين بالجنة من أغنى الأغنياء، كعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام.

وطريقة أبي ذر رضي الله عنه في أن لا يبيت المسلم وعنده مال، وأن ينفق كل ما زاد عن قوته؛ لا يقدر عليها أحد، وليست من مصلحة المسلمين! ولذا

(١) قال شعيب: إسناده صحيح، وهو في «طبقات ابن سعد» و«الحلية». قوله (صريمته): الصريمة: تصغير الصرمة، وهي القطيع من الإبل والغنم. (فاعدموها) أي خذوها. والعزم: العض والأكل بجفاء.

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم.

خالفه جمهور الصحابة فيما ذهب إليه . كذلك فإن طريقة كثير من أغنياء المسلمين اليوم في أنهم يعيشون لأنفسهم، غير مباليين بعزة الإسلام، وقوة دولته، وأحوال الشعوب المسلمة في أصقاع الدنيا، وحاجتهم الشديدة؛ هي أيضاً ليست من الإسلام .

ذهاب أبي ذر إلى الربذة :

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» في أحداث سنة (٣٠هـ) : (وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشام، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور، وكان ينكر على من يقتني مالاً من الأغنياء، ويمنع أن يدخر فوق القوت، ويوجب أن يتصدق بالفضل، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فبيناهم معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع، فبعث يشكوه إلى عثمان، فكتب عثمانُ إلى أبي ذرٍّ أن يقدم عليه المدينة، فقدمها).

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين (أن رسولَ الله ﷺ قال لأبي ذرٍّ : «إذا بلغَ البِئَاءَ سَلْعاً فَاخْرُجْ مِنْهَا - ونحا بيده نحو الشام - ولا أرى أمراءك يَدْعُونَكَ» . قال : يا رسول الله، أَفَلَا أَقَاتِلُ مَنْ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمْرِكَ؟ قال : «لا» . قال : فما تَأْمُرُنِي؟ قال : «اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لَعَبِدٍ حَبَشِيٍّ» .

قال : فلما كان ذلك، خرج إلى الشام، فكتب معاويةً إلى عثمانَ : إن أبا ذرٍّ قد أفسد الناسَ بالشَّامَ ! فبعث إليه عثمان فقدم عليه . ثم بعثوا أهله من بعده، فوجدوا عنده كيساً أو شيئاً، فظنُّوا أنها دراهم، فقالوا : ما شاء الله ! فإذا هي فلوس . فلما قدم المدينة قال له عثمان : كنْ عندي تغدو عليك وتروح اللقاح . قال : لا حاجة لي في دنياكم، ثم قال : ائذَنْ لي حتى أخرجَ إلى الرَّبْدَةِ . فأذِنَ له، فخرج إلى الربذة وقد أقيمت الصلاة، وعليها عبدٌ لعثمان حبشي، فتأخَّر، فقال أبو ذر : تَقَدَّمَ فَصَلِّ، فقد أُمِرْتُ أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ وَلَوْ لَعَبِدٍ حَبَشِيٍّ، فَانْتَ عَبْدٌ حَبَشِيٍّ^(١) .

(١) قال شعيب : رجاله ثقات إلا أنه مرسل .

وقد مرّ ما جاء في «صحيح البخاري» عن زيد بن وهب - التابعي الكبير الكوفي أحد المخضرمين - قال: (مررت بالريذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا...).

قال الحافظ في «الفتح»: (وإنما سأله زيد بن وهب عن ذلك لأنّ مُبَغِضِي عثمان كانوا يشنّعون عليه أنه نفى أبا ذر، وقد بين أبو ذر أن نزوله في ذلك المكان كان باختياره).

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الصامت قال: قالت أمّ ذرّ: (والله ما سیر عثمانُ أبا ذر^(١))، ولكن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغَ النبیانُ سلْعاً فاخرج منها». قال أبو ذر: فلما بلغ النبیانُ سلْعاً وجاوز خرج أبو ذر إلى الشام^(٢).

وقال غالب القطان للحسن: (يا أبا سعید، أكانَ عثمانُ أخرجَ أبا ذر؟ قال: معاذَ الله^(٣)).

عن عاصم بن كليب عن أبي الجوّیریة عن زيد بن خالد الجهني قال: (كنتُ عند عثمان، إذ جاء أبو ذرّ، فلما رآه عثمانُ قال: مرحباً وأهلاً بأخي. فقال أبو ذر: مرحباً وأهلاً بأخي، لقد أغلظت علينا في العزيمة، والله لو عزمت عليّ أن أحبوّ لحبوت ما استطعت، إني خرجتُ مع النبي ﷺ نحو حائط بني فلان، فقال لي: «ويحك بعدي!» فبكيْتُ، فقلتُ: يا رسول الله، وإني لباقي بعديك؟ قال: «نعم، فإذا رأيتَ البناءَ على سلْع، فالحقّ بالمغرب، أرضِ قُصّاعة». قال عثمان: أحببتُ أن أجعلك مع أصحابك، وخفتُ عليك جهال الناس^(٤).

(١) تعني إلى الريذة.

(٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) قال الزركلي في ترجمة أبي ذر من «الأعلام» ١٤٠/٢: «ولعله أول اشتراكي طارده الحكومات» وهو كلام ساقط.

(٤) قال شعيب: رجاله ثقات، وأبو الجويرية اسمه: حطّان بن حُصاف الجرمي.

علمه ومروياته:

● ● كان أبو ذر يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

قال الأوزاعي: حدثني أبو كثير، عن أبيه قال: (أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجَمْرَةِ الوُسْطَى، وقد اجتمعَ الناسُ عليه يَسْتَفْتُونَهُ، فأتاه رَجُلٌ، فوقفَ عليه، فقال: أَلَمْ يَنْهَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْفُتْيَا؟ فرفعَ رأسَه، ثم قال: أَرَقِيبُ أَنْتَ عَلَيَّ! لَوْ وَصَعْتُمْ الصَّنَمَاصَةَ^(١) عَلَى هَذِهِ - وَأشارَ بيده إلى قفاه - ثم ظننتُ أَنِّي أَنْفَذْتُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ؛ لِأَنْفَذْتُهَا)^(٢).

وقد كان يعلم الناس ويفتيهم، ويحدثهم، ويجيبهم عما يسألونه عن حديث رسول الله ﷺ.

أخرج الطيالسي - واللفظ له - وأحمد والطبراني عن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: (كَانَ الْحَدِيثُ يَبْلُغُنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ، فَلَقَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّهُ كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْكَ الْحَدِيثُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ. فَقَالَ: لِلَّهِ أَبُوكَ، فَقَدْ لَقَيْتَ، فَهَاتِ. قُلْتُ: بَلْغُنِي أَنْتَ تَحَدَّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَكُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ ثَلَاثَةَ وَيَبْغِضُ ثَلَاثَةَ. قَالَ: مَا إِخَالِنِي أَنْ أَكْذِبَ عَلَى خَلِيلِي! قُلْتُ: فَمَنْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يَحِبُّهُمْ اللَّهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَقَاتَلَ، وَإِنكُمْ لَتَجِدُونَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ عِنْدَكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾^(٣). قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَهُ جَارٌ سَوْءٌ فَهُوَ يُؤْذِيهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهِ، فَيَكْفِيهِ اللَّهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ. قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ مَعَ قَوْمٍ فِي سَفَرٍ، فَتَزَلُّوا فَعَرَّسُوا، قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الْكُرَى

(١) هي السيف القاطع.

(٢) هكذا ذكره الذهبي في «السير»، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» بأطول من هذا السياق. وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «رواه غير واحد عن الأوزاعي، واسم أبي كثير: مَزْنَدٌ، صَدُوقٌ». قلت: راجع ترجمة «مالك بن مرثد» في تهذيب التهذيب ١٩/١٠.

(٣) سورة الصف: الآية ٤.

والتعاس، ووضعوا رؤوسهم فناموا، وقام فتوضأ وصلى رهبة لله ورغبة إليه. قلت: فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله؟ قال: البخيل المئان، والمختال الفخور وإنكم لتجدون في كتاب الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١). قال: فمن الثالث؟ قال: التاجر الحلاف أو البائع الحلاف^(٢).

وأخرج أحمد والرويانى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قيل له: (أريد أن أسألك عن حديث من حديث النبي ﷺ؟ قال: إذا أحدثك به، إلا أن يكون سزا. قال: كان رسول الله ﷺ يضافحكم إذا لقيتموه؟ قال: ما لقيته قط إلا صافحني).

● ● عن علي بن أبي طالب وسئل عن أبي ذر فقال: (وعى علماً عجز الناس عنه، ثم أوكى عليه، فلم يُخرج منه شيئاً)^(٣).

وعن أبي إسحاق السبيعي، عن هانيء بن هانيء، سمع علياً يقول: (أبو ذر وعاء مليء علماً، ثم وكى عليه، فلم يخرج منه شيء حتى قبض)^(٤).

وقال أبو داود: (كان يوازي ابن مسعود في العلم).

ووصفه ابن عبد البر بأنه (كان من أوعية العلم).

● ● روى أبو ذر عن النبي ﷺ.

وروى عنه حذيفة بن أسيد الغفاري، وابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر، وجبير بن نفير، وأبو مسلم الخولاني، وزيد بن وهب، وأبو الأسود الدؤلي، وربيع بن جراح، والمعروزي بن سويد، وزيد بن حبيش، وأبو سالم الجيشاني سفيان بن هانيء، وعبد الرحمن بن غنم، والأحنف بن قيس، وقيس بن عباد، وعبد الله بن الصامت، وأبو عثمان النهدي، وسويد بن غفلة، وأبو مرواح،

(١) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٢) قال الهيثمي: إسناده الطبراني وأحد إسناده أحمد رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه ابن سعد.

(٤) أخرجه أبو داود، وجوّد الحافظ في «الإصابة» إسناده.

وأبو إدريس الخولاني، وسعيد بن المسيب، وخرشة بن الحر، وزيد بن زبيان،
 وصعصعة بن معاوية، وأبو السليل ضريب بن نفيير، وعبد الله بن شقيق،
 وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وعبيد بن عمير، وعُضَيْفُ بن الحارث، وعاصم بن
 سفيان، وعبيد بن الحخشاش، وأبو مسلم الجذمي، وعطاء بن يسار، وموسى بن
 طلحة، وأبو الشعثاء المَحَارِبِي، ومُورِقُ العِجْلِي، ويزيد بن شريك التيمي، وأبو
 الأحوص المدني - شيخ للزُّهْرِي -، وأبو أسماء الرَّحْبِي، وأبو بصرة الغفاري،
 وأبو العالية الرِّيَاحِي، ويزيد بن الحَوْتَكِيَّة، وجسرة بنت دجاجة، وخلق سواهم.

● ● خرج حديثه الجماعة كلهم، وله في كتب السنة عن رسول الله ﷺ
 (٢٨١) متنا حديث واحد وثمانون حديثاً، في الصحيحين منها ثلاثة وثلاثون
 حديثاً، اتفقا على اثني عشر، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر^(١).

من أقواله ونصائحه :

أخرج أبو نعيم في «الحلية» عن سفيان الثوري قال: (قام أبو ذر الغفاري
 رضي الله عنه عند الكعبة، فقال: يا أيها الناس، أنا جُنْدُبُ الغفاري، هَلُمُّوا إلي
 الأخ الناصح الشفيق. فاكتفه الناس، فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس
 يتَّخِذُ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما
 تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظام
 الأمور، صوموا يوماً شديداً حرُّه لطول النشور، صلُّوا ركعتين في سواد الليل
 لوحشة القبور، كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم،
 تصدَّقْ بمالك لعلك تنجو من عسیرها، اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب
 الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده. اجعل
 المال درهمين: درهماً تنفقه على عيالك من حلّه، ودرهماً تقدّمه لآخرتك،

(١) في «تهذيب الأسماء واللغات»: (بسبعة عشر) وهو تحريف. وفي «الأعلام» للزركلي:

(روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً) وهو وهَمَّ ظاهر.

والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده. ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس، قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً).

وعن نافع الطاحي قال: (مررتُ بأبي ذر فقال لي: ممن أنت؟ قلتُ: من أهل العراق. قال: أتُعرفُ عبدَ الله بن عامرٍ؟ قلتُ: نعم. قال: فإنه كان يتقرَّأ^(١) معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فترايا له، فإنه سيقول: لك حاجة؟ فقل له: أخليني، فقل له: أنا رسولُ أبي ذر إليك، وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش.

فلما قدمتُ تراءيتُ له، فقال: ألك حاجة؟ فقلتُ: أخليني أصلحك الله! فقلتُ: أنا رسولُ أبي ذر إليك - فلما قلَّتها خَشَع لها قلبه - وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش. قال: فحلل إزاره، ثم أدخل رأسه في جيبه، ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء).

مكانته وثناؤهم عليه:

سُئِلَ عليٌّ رضي الله عنه عن أبي ذرٍّ فقال: (وَعَى علماً عجز فيه، وكان شحيحاً حريصاً، شحيحاً على دينه، حريصاً على العلم، وكان يُكثِرُ السُّؤالَ فيُعْطَى ويُمْنَعُ، أما أن قد مُلِيَءَ له في وعائه حتى امْتَلَأَ).

وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن غنم قال: (كنتُ مع أبي الدرداء، فجاء رجلٌ من قِبَلِ المدينة، فسأله، فأخبره أن أبا ذرٍّ مسيرٌ إلى الرَّبْدَةِ، فقال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو أن أبا ذرٍّ قطع لي عضواً أو يداً ما هجنته بعدما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «ما أظَلَّتِ الخضرَاءُ، ولا أَقَلَّتِ الغبراءُ من رجلٍ أصدق لهجةً من أبي ذرٍّ»^(٢)).

(١) يتفقه.

(٢) سكت عليه الحاكم، وقال الذهبي: سنده جيد.

وقال الحافظ ابن عبد البر في ترجمته من «الاستيعاب»: (كان من أوعية العلم، المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق).

وقال الحافظ أبو سعد السمعاني في ترجمته من «الأنساب»: (كان من أصحاب رسول الله ﷺ وزهادهم وكُبرائهم، ومن العلماء العاملين، والحكماء السابقين، والعظماء الصادقين).

وأنتى عليه الذهبي في غير موضع، فقال: (أحد السابقين الأولين، من نَجَبَاء أصحاب محمد ﷺ). (وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم والعمل، قَوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حِدَّة فيه).

وفاته:

أخرج ابن سعد عن إبراهيم بن الأشرع عن أبيه: (أنه لما حضر أبا ذر الموتُ بكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أبكي لأنه لا يَدَانِ^(١) لي بتغييبك، وليس لي ثوب يسعك! قال: فلا تبكي، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لِنَقْرٍ أنا فيهم: «ليموتنَّ منكم رجلٌ بفلاةٍ من الأرض تشهده عصابةٌ من المؤمنين»، وليس من أولئك النَّقْرَ رجل إلا قد مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ^(٢)، فأبصري الطريق، فقالت: أنى وقد انقطع الحاج، وتقطَّعت الطرق؟! فكانت تشدُّ إلى كَثِيبٍ تقوم عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرَّضه، ثم ترجع إلى الكَثِيب، فبينما هي كذلك إذا هي بنفرٍ تخذُّ بهم رواحلهم كأنهم الرَّحْمُ^(٣) على رحالهم، فألاحت بشوبها فأقبلوا حتى وقفوا عليها قالوا: ما لك؟ قالت: امرؤ من المسلمين يموت تكفُّنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قالت: أبو ذر،

(١) أي: لا طاقة لي.

(٢) أي لم يكذبني النبي ﷺ.

(٣) نوع من الطير.

فقدوه بأبائهم وأمهاتهم، ووضعوا السياط في نحورها^(١) يستبقون إليه حتى جاؤوه، فقال: أبشروا، فحدثهم الحديث الذي قال رسول الله ﷺ، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيحتسبان ويصبران فيريان النار». أنتم تسمعون، لو كان لي ثوب يسعني كفنأ لم أكن إلا في ثوب هو لي، أو لامرأتي ثوب يسعني لم أكن إلا في ثوبها، فأنشدكم الله والإسلام أن لا يكفني رجل منكم كان أميراً، أو عريفاً، أو نقيباً، أو بريداً، فكل القوم قد كان قارف^(٢) بعض ذلك إلا فتى من الأنصار قال: أنا أكفك فإني لم أصب مما ذكرت شيئاً، أكفك في ردائي هذا الذي عليّ وفي ثوبين في عييتي^(٣) من عزّل أمي حاكتهما لي، قال: أنت فكفني. قال: فكفنه الأنصاري في نفر الذين شهدوه، منهم حُجر بن الأدبر، ومالك الأستر، في نفر كلهم يمان^(٤).

وفي رواية أخرى: (فلما حَضَرَتْهُ الوفاةُ، أوصى امرأته وغلأمه، فقال: إذا متُّ فاغسلاني وكفّني، وضعاني على الطريق، فأرل ركب يمرّون بكم فقولا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلا به ذلك. فاطلع ركب، فما علموا به حتى كادت ركائبهم توطأ السرير. فإذا عبدُ الله بن مسعود في رهطٍ من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ قيل: جنازة أبي ذر. فاستهلّ ابنُ مسعود يبكي، وقال: صدق رسولُ الله ﷺ: «يرحمُ اللهُ أبا ذرٍّ، يمشي وحده، ويموتُ وحده، ويبعثُ وحده!»! فنزل، فولىه بنفسه، حتى أجنّه^(٥). وصلى عليه.

(١) أي: نحور رواحلهم.

(٢) أي: داناه ولاصقه.

(٣) العيبة: ما يُجعل فيه الثياب.

(٤) قال شعيب: رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» ونسبه لأحمد وقال: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أبو نعيم وابن عبد البر في «الاستيعاب» وابن الأثير في «أسد الغابة» عن إبراهيم بن الأستر عن أبيه عن أم ذر.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن سعد وأبو نعيم وابن عبد البر، وقال الحافظ في «الإصابة»: (ويقال إنه صلى عليه عبد الله بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به).

ويُجمع بين الروایتين أن ركبَ يمان وصل أولاً، فتولوا غسله وتكفينه، ثم رهقهم ركبُ الكوفة، فشاركوا في دفنه، وقدّموا ابنَ مسعود - لفضله ومنزلته - فصلّى عليه. وينصر هذا الجمع أن الرواية الأولى لم تذكر أن اليمانيين صلوا عليه، والثانية واضحة الدلالة على أن ركب الكوفة لم يشهدوا غسله ولا تكفينه.

● ● وكانت وفاته - رضي الله عنه - في خلافة عثمان في شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وثلاثين^(١)، بالرَبْدَة، وقبره هناك.

تركته:

أخرج ابن سعد بسنده عن محمد بن سيرين قال: (سألتُ ابنَ أختِ لأبي ذرٍّ: ما تركَ أبو ذرٍّ؟ فقال: تركَ أتائين، وعَفْوًا، وأَعْتَرًا، وَرَكَائِب. قال: العَفْوُ: الحمار الذَّكْرُ).

من أخباره الشخصية:

● ● أمه: هي رملة بنت الوقيعة بن حرام، من بني غفار، وقد أسلمت وصدّقت، كما مرَّ في قصة إسلام أبي ذر، ولم تسمَّ في الحديث.

أخوه أنيس: وقد كان أحد الشعراء، وكان أكبر من أبي ذر، أسلم وصدّق.

أخوه الصامت: وهو والد عبد الله بن الصامت، ابن أخي أبي ذر الذي روى عنه قصة إسلامه.

أخوه لأمه عمرو بن عَبَسَةَ الصحابي المشهور: ذكر ذلك الحافظ في «الإصابة» و«تهذيب التهذيب».

● ● زوجته أم ذر: ساق الحافظ في ترجمتها من «الإصابة» حديثاً فيه

(١) وفي «الرياض المستطابة» ص ٢٧٢ أن أبا ذر أقام بالرَبْدَة «حتى مات عثمان، ولما قُتل عثمان رضي الله عنه، قيل له: ألا ترجع إلى المدينة؟ قال: لا، واللَّهِ لأطيعنَّه حياً وميتاً! وهو خطأ جدّ ظاهر.

التصريح بأنها أسلمت مع أبي ذر في أول الإسلام.

ولم تذكر المصادر أن لأبي ذر زوجاً أخرى.

وأما أولاده: فقد جاء في «الحلية» عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن خراش قال: (رأيتُ أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالرَّبْدَةِ في ظُلَّةِ سوداء، وتحتة امرأة له سحماء^(١))، وهو جالس على قطعة جُوالق^(٢))، فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولدا! فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء...»^(٣).

فَيُفهم من هذا أنه قد ولد لأبي ذر عدة أولاد، لكنهم يموتون بين يديه.

وقد ساق الحاكم في «مناقب أبي ذر» حديثاً قال في سنده: (عن المنتصر بن عمار بن أبي ذر الغفاري عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ).

قال الذهبي: (منتصر هو وأبوه مجهولان).

خَلَّفَ أبو ذر بنتاً له، وبعد وفاته حملوا عياله إلى عثمان بن عفان بالمدينة، فضمَّ ابنته إلى عياله، وقال: يرحم الله أبا ذر.

* * *

(١) أي: سوداء.

(٢) عدل من الخيش.

(٣) وأخرجه الطبراني نحوه، قال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٧) $\frac{٧}{١}$ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ^(١)

٢١ ق. هـ - ٢٢ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ١٣٦٨/٣ - ١٣٦٩، ١٣٧٢ - ١٣٧٣، ١٩١٢/٤، صحيح مسلم ٥٥١/١ - ٥٥٢، ١٩١٠/٤ - ١٩١٤، سنن الترمذي ٦٧٢/٥ - ٦٧٤، سنن ابن ماجه ٤٩/١، مسند أحمد ١/٣٧٤ - ٤٦٦، المستدرک ٣/٣١٢ - ٣٢٠، جامع الأصول ١٧٦٨/٨ - ٥٧٣، ٤٦/٩ - ٥٠، مشكاة المصابيح ٣/١٧٤٧ - ١٧٤٨، ١٧٥٥، ١٧٥٧، ١٧٦٠، مجمع الزوائد ٩/٢٨٦ - ٢٩١، المطالب العالیة ٤/١١٠، ١١١ - ١١٤، الفتح ٧/٩٠ - ٩٢، ١٠٢ - ١٠٣، ١٠/٩ - ٢١، ٣٩، ٤٢، ٤٦ - ٥١، طبقات ابن سعد ٢/٣٣٤ - ٣٤٢، ٣٤٤ - ٣٤٦، ٣٥١ - ٣٥٢، ٣٥٥، ٣/١٥٠ - ١٦١، ٦/٧ - ١٢، تاریخ يحيى بن معين ٢/٣٣٠ - ٣٣٢، طبقات خليفة ١٦، ١٢٦، ١٢٨، تاریخ خليفة ١٠١، ١٢٢، ١٤٩، ١٦٦، ٢٦٤، العلل لأحمد «انظر فهرس الأعلام»، التاريخ الكبير للبخاري ٥/٢ ت ٣، التاريخ الصغير له ١/٨٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي «انظر فهرس الأعلام»، أخبار القضاة لوكيع «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٥/١٤٩ ت ٦٨٦، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٢٩ ت ٢١، الثقات له ٣/٢٠٨ - ٢٠٩، تاريخ الصحابة له ١٤٩ ت ٧١٨، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٤٨، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/٣٨٢ - ٣٨٣ ت ٥٤٢، حلية الأولياء ١/١٢٤ - ١٣٩، ٣٧٥ - ٣٧٦، جمهرة الأنساب لابن حزم ١٩٦، ١٩٧، ٢٦٣، ٣٨٣، ٣٩٥، ٤١٠، جوامع السيرة له ١٣، ٤٧، ٥٩، ٦٥، ١١٨، ١٤٨، ١٦٤، ٢٤٣، ٢٧٠، ٢٧٦، ٣١٩، ٣٣١، الاستيعاب ٢/٣٠٨ - ٣١٦، تاريخ بغداد ١/١٤٧ - ١٥٠ ت ٥، طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٤ - ٢٥، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٢٣٨ ت ٨٧٦، الأنساب للسمعاني ٥/٦٣١ - ٦٣٢ «الهذلي»، صفة الصفوة ١/٣٩٥ - ٤٢٢، أسد الغابة ٣/٢٥٦ - ٢٦٠، الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٨٨ - ٢٩٠ ت ٣٣٣، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٤/٤٣ - ٧٢، تهذيب الكمال ١٦/١٢١ - =

اسمه ونسبه ونسبته :

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمَخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُدَيْل بن مُدْرِكَة - واسم مدركة : عَمْرُو - بن إلياس بن مضر بن نزار، الهُدَلِيّ نسبةً إلى قبيلة هُدَيْل بن مدركة، المكيُّ المهاجريُّ البدرِيُّ .

حليف بني زُهْرَة، كان أبوه مسعود بن غافل حالفَ - في الجاهلية - عبد الحارث بن زهرة .

كنيته ولقبه :

عن علقمة عن عبد الله قال : (كَنَّاني النبي ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يُولد لي) .

وأما لقبه : فكان يُعرف بأُمَّه، فيُقال له : ابن أُمَّ عَبْدِ .

صفته وحليته :

كان رضي الله عنه قصيراً جداً يكاد الجلوسُ يوازونه من قِصره، نحيفاً، آدمٍ شديد الأذمة، دقيق الساقين، عليه مسحة أهل البادية، شعره يبلغ ترقوته فإذا صلى

١٢٧ ت ٣٥٦٤، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٣٧٩ - ٣٨٩، العبر ١/٢٤، سير
أعلام النبلاء ١/٤٦١ - ٥٠٠ دول الإسلام ١٨، تذكرة الحفاظ ١/١٣ - ١٦، معرفة القراء
الكبار ١/٣٢ - ٣٦، البداية والنهاية ٣/٣٢، ١٢٠، ٤/٢٨٨، ٣٣٢، ٨/٥ - ٩، ١٨،
١٨/٦، ٤٩، ٧/١٦٢ - ١٦٣، ٢١٨، فضائل القرآن لابن كثير ١٠ - ١١، ١٨، ٢٢ -
٢٣، ٤٢ - ٤٣، ٤٥ - ٤٦، ٧٦ - ٧٧، غاية النهاية ١/٤٥٨ - ٤٥٩، الإصابة ٢/٣٦٠ -
٣٦٢، تهذيب التهذيب ٦/٢٤ - ٢٥، تقريب التهذيب ١/٤٥٠، النجوم الزاهرة ١/١١٤ -
١١٥، الرياض المستطابة ١٨٥ - ١٨٨، خلاصة تذهيب التهذيب ٢١٤، شذرات الذهب
١/٣٢، ٣٨ - ٣٩، ٦٢، ٦٣، حياة الصحابة «انظر فهرسه»، عبد الله بن مسعود لمؤلف هذا
الكتاب، وغير ذلك .

جعله وراء أذنيه، لا يغيّر شَيْبَهُ، من أجودِ الناس ثوباً أبيض، ومن أطيب الناس ريحاً، نظيف الثوب، يُعرف بالليل بريح الطّيب، له خاتم من حديد، لطيفاً فطناً، معدوداً في أذكىاء العلماء.

إسلامه، وحياته في مكة، وهجرته:

عن زُرِّ بن حُبَيْش عن ابن مسعود أنه قال: (كنتُ غلاماً يافعاً أُرعى غَمَماً لعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه، وقد فرّأ من المشركين، فقالا: يا غلام، هل عندك من لبن تَسْقِينَا؟ قلتُ: إني مُؤْتَمَنٌ، ولستُ سَاقِيكُمْ. فقال النبي ﷺ: «هل عندك من جَذَعَةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ؟» قلتُ: نعم، فأتيتهما بها، فَأَعْتَقَلَهَا النبي ﷺ، ومسح الضَّرْعَ، ودعا، فَحَقَلَ الضَّرْعَ، ثم أتاه أبو بكر رضي الله عنه بصخرة مُنْفَعِرَةٍ، فاحتَلَبَ فيها، فشرب، وشرب أبو بكر، ثم شربتُ، ثم قال للضَّرْعِ: «أَقْلِصْ»، فقلص! فأتيته بعد ذلك، فقلتُ: علّمني من هذا القول. قال: «إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ». قال: فأخذتُ من فيه سبعينَ سورةً، لا يُنَازِعُنِي فيها أحدٌ^(١).

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» وأبو نعيم في «حليته» عن عبد الله بن مسعود قال: (لقد رأيتُني سادس ستة ما على الأرض مسلمٌ غيرُنا)^(٢).

وقال ابن إسحاق: (أسلم ابن مسعود بعد اثنين وعشرين نفساً).

قلت: ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن مسعود مؤوّل، وقول ابن إسحاق

(١) أخرجه أحمد - وهذا لفظه - وابن سعد والطيالسي وأبو نعيم، وساقه الذهبي في «السير» بإسناده، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: إسناده جيد، وصححه إسناده المحدث أحمد شاكر. ومعنى «جذعة»: هو من الضأن ما تمت له سنة. (أقلص): اجتمع.

(٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رواه الطبراني والبخاري ورجالهما رجال الصحيح.

أدنى للصواب، وأقرب إلى الواقع، ويحمل كلام ابن مسعود على ما اطلع عليه ممن سبق إسلامه، فأخبر بحسب علمه، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم، ولا يطلع عليهم كثير أحد من قراباتهم دع الأجنب دع أهل البادية من الأعراب.

ويؤيد ذلك قصة إسلام ابن مسعود، حيث تبين أنها حدثت وقد فرّ النبي ﷺ والصدّيق من أذى المشركين، وهذا يدل على أن أمر الإسلام قد فشا وعلا، وعدد المؤمنين به كثر وازداد، مما دعا للاضطهاد. كذلك إذا استعرضنا أسماء أسبق السبق إلى الإسلام نجد أبا بكر، وعلياً، وخديجة، وزيد بن حارثة، ثم أسلم على يد الصدّيق: عثمان، والزبير، وسعد، وطلحة، وابن عوف. ثم أسلم بعد هؤلاء: أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم، وعثمان بن مظعون وأخوه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وزوجه فاطمة بنت الخطّاب، وأسماء بنت أبي بكر، وخبّاب، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد.

أضف إلى ذلك أنه قد جاء عن بعض الصحابة مثل قول ابن مسعود، روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: (لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام). وأخرج الحاكم والطبراني عن أبي ذر قال: (لقد رأيتني ربع الإسلام، لم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبلال). وكلاهما مؤول دون شك.

وبالجملة فابن مسعود رضي الله عنه كان من النفر الذين أسلموا قديماً في بدء الدعوة قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وقبل إسلام عمر، فهو أحد السابقين الأولين رضي الله عنهم أجمعين.

● ● أخرج ابن إسحاق في «السيرة» قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: (كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: واللّه ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا! قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يَمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال: دَعُونِي، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي! قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضُّحَى، وقریشٌ في أُنْدَيْتِهَا، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ - رافعاً بها صوته - ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، قال: ثم استقبلها يقرؤها، قال: فتأملوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابنُ أمِّ عبدٍ؟! قال: ثم قالوا: إنه لَيُثَلُّو بعضَ ما جاء به محمداً! فقاموا إليه فجعلوا يَضْرِبُونَهُ فِي وَجْهِهِ، وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خَشِينَا عَلَيْكَ. فقال: ما كان أعداءُ الله أهونَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْآنَ، ولئن شِئْتُمْ لِأَغَادِيئِهِمْ بِمِثْلِهَا غَدَاً قالوا: لا، حَسْبُكَ، قد أسمعْتَهُمْ ما يكرهون^(١).

● ● هاجر ابن مسعود الهجرة الثانية إلى الحبشة دون الأولى، فقد ذكر ابن إسحاق عشرة رجال وأربع نسوة هاجروا هجرة الحبشة الأولى، ولم يذكر ابن مسعود فيهم. وأيد الحافظُ ابنُ إسحاق، فقال في «الفتح»: (وأما ابن مسعود: فقد جزم ابن إسحاق بأنه إنما كان في الهجرة الثانية، ويؤيده ما روى أحمد - بإسنادٍ حَسَنٍ - عن ابن مسعود قال: بَعَثْنَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرَفَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مِطْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ). وقال في موضع آخر: (وظهر بما تقدّم من أسماء أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة وَهَمُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ).

● ● ومكث عبد الله في الحبشة مع جمع من الصحابة، حتى بلغهم أن النبي ﷺ هاجر إلى المدينة، فتوجه ابن مسعود - في آخرين - إليها، فشهدوا بدرأ.

المؤاخاة:

أخرج أبو داود عن أنس: (أن النبي ﷺ أخى بين الزبير وابن مسعود)^(٢).

(١) قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

(٢) قال شعيب: إسناده صحيح. وأخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي.

وبعد الهجرة آخى بينه وبين سعد بن معاذ، وفي رواية: بينه وبين معاذ بن جبل.

مشاهدته وجهاده:

حضر ابن مسعود مع رسول الله ﷺ غزواته كلها.

فشهد بديراً واحتزَّ رأسَ أبي جهل فأتى به النبي ﷺ، وكان ابنا عفراء قد شدَّا على أبي جهل مثل الصَّفْرَيْنِ، فضرباه حتى أثبَّاه، ويَلْغَا به بضربهما إياه بسيفيهما منزلةَ المقتول حتى لم يبقَ منه إلا مثل حركة المذبوح، وفي تلك الحالة لقيه ابن مسعود فاجتزَّ رأسه من عُرْشه^(١).

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (قال النبي ﷺ: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» فانطلقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: أأنتَ أبو جهل؟ قال: فأخذَ بلحيته! قال: وهل فوقَ رجلٍ قتلتموه، أو رجلٍ قتلَهُ قومه؟) ١٩.

وفي رواية أخرجهما رزين^(٢) عن عبد الله: (فأثبَّتْ أبا جهلٍ وبه رمقٌ، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» فانطلقتُ، فوجدته قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد، فقلتُ: أنتَ أبو جهل؟ وأخذتُ بلحيته وهو صريع، وقد ضربت رجله، فقلت: هل أخزأك الله يا عدوَّ الله؟! - قال: ولا أهابُه عند ذلك - فقال: هل فوقَ رجلٍ قتلتموه - أو قال: قتلته قومه - فلو غيَّرَ أكارَ قتلني؟ قال: فضربته بسيفي، وسيفه بيده، فلم يُغنِ شيئاً، فَبَصَّقَ إلى وجهي، وقال: سيفك كهامٌ، خذ سيفي، فاجتزَّ به رأسي من عُرْشي! فأجهزتُ عليه، فنقلني رسولُ الله ﷺ سيفه لما أجهزتُ عليه، وكان قد أُخِخَ)^(٣).

(١) العُرْش: عِرْقٌ في أصل الرقبة.

(٢) هو الإمام المحدث رزين بن معاوية العبدي الأندلسي، صاحب «تجريد الصحاح» الذي اعتمد عليه ابن الأثير في تصنيف كتابه «جامع الأصول».

(٣) وأخرجه أحمد مطولاً وأبو داود مختصراً من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن =

وشهد أُحُدًا والخَنْدُقِ وباقي المشاهد، وكان ممن ثبت في أُحُدٍ وحُنين.

وشارك في حروب الردة فكان على أحد أنقاب المدينة، وحضر معركة اليرموك وكان على الأقباض، وشهد فتح حمص وحمل الأخماس إلى عمر عن أمر أبي عبيدة.

مع النبي ﷺ:

● ● لازم عبدُ الله النبي ﷺ ملازمة دائمة حتى ظن بعض الصحابة أنه من

أهل البيت!

عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْ تُنَكَّرُ عَلَيَّ أَنْ يُزْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْتَمَعَ سِوَادِي، حَتَّى أَنْهَاكَ»^(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَّنَنَا حِينًا، مَا نُرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، لَمَّا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمَّهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ)^(٢).

وعن أبي موسى - أيضاً - قال: (وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا عَبْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ)^(٣).

● ● أخذ عن النبي ﷺ القرآن، وتلقاه من فيه رطباً، ونهل من معين

الحديث النبوي.

= أبيه. قال المحدث عبد القادر الأرنؤوط: إسناده منقطع فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، ولكن للحديث شواهد بمعناه يقوى بها. قوله (أَكَار): الأَكَار هو الفلاح. (كَهَام): كليل الحد لا يقطع. (فَأَجْهَزْتُ عَلَيْهِ): أتممت قتله بالسيف، وأسرعت في ذلك. (أَنْخَن): الإثخان شدة القتل وآلم الجراح.

(١) أخرجه أحمد ومسلم - واللفظ له - وابن ماجه وابن سعد وأبو نعيم. ومعنى (سوادِي): المراد به السرار، وهو السرّ والمساررة.

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ»، قال شعيب: رجاله ثقات.

عن شقيق بن سلمة قال: (خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: واللّه لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، واللّه لقد علم أصحاب النبي ﷺ أنّي من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك) (١).

وعن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال: (قرأت على النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾، فقال النبي ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٢).

وعن ابن مسعود قال: (قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليّ». قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإنّي أحب أن أسمعهُ من غيري». فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قال: «أمسك». فإذا عيناه تذرّفان) (٣).

قال الحافظ: (والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم، والله أعلم).

وسأل رسول الله ﷺ عن الحلال والحرام، وعن الأوامر والنواهي، وعن فضائل الأعمال وكبائر الذنوب، وعن أصول الإسلام وفروعه.

عن أبي عمرو الشيباني قال: (قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، أيّ العمل أفضل؟ قال: «الصلوة على ميقاتها». قلت: ثم أيّ؟ قال: «ثم برّ الوالدين». قلت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استردته لرادني) (٤).

(١) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي، وهذا لفظ البخاري.

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم والنسائي والترمذي.

وعن عمرو بن شَرْحِبِيل عن عبد الله قال: (سألتُ النبي ﷺ: أيُّ الذنوبِ أعظمُ عند الله؟ قال: «أَنْ تجعلَ لله نِدَاءً وهو خَلَقَكَ». قلتُ إنَّ ذلكَ لعَظيمٌ، قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «وَأَنْ تقتلَ وَلَدَكَ تخافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١)).

● ● وحرص على حضور صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ، وصلاة الليل، للأخذ عنه والافتداء به، حتى إن كان النبي ﷺ ليصح له صلاته:

عن ابن مسعود قال: (عَلَّمَنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ التَّشَهُدَ - كَفَى بَيْنَ كَفَّنِهِ - كما يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ)^(٢).

وعن ابن مسعود - أيضاً - قال: (رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ وقد وضعتُ شِمَالِي على يَمِينِي في الصلاة، فَأَخَذَ بِيَمِينِي فَوَضَعَهَا على شِمَالِي)^(٣).

وعن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: (صليتُ مع النبي ﷺ ليلةً، فلم يزل قائماً حتى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ. قُلْنَا: وما هَمَمْتَ؟ قال: هَمَمْتُ أَنْ أقعَدَ وَأَذَرَ النبيَّ ﷺ)^(٤)!

قال الحافظ في «الفتح»: (وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما همَّ بالعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده).

● ● وكان يخدم النبي ﷺ في الحضر والسفر:

عن عَلْقَمَةَ عن عبد الله قال: (اضطجع رسولُ الله ﷺ على حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ في جنبه، فلما استيقظ جعلتُ أمسحُ جَنْبَهُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أَلَا أَدْتُنَا حتى تَبْسُطَ لَكَ على الحَصِيرِ شيئاً؟! فقال رسولُ الله ﷺ: «مَا لي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا؟! إنما

(١) أخرجه الخمسة واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الخمسة واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه النسائي وأبو داود وابن ماجه، قال الحافظ: إسناده حسن.

(٤) أخرجه أحمد والشيخان، واللفظ للبخاري.

مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(١).

وأخرج ابن سعد عن أبي المليح قال: (كان عبد الله يستر رسول الله ﷺ إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، ويمشي معه في الأرض وخشياً)^(٢).

وأخرج البخاري - واللفظ له - والنسائي والترمذي عن عبد الله قال: (أتى النبي ﷺ الغَائِطُ، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالتَّمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَآتَيْتَهُ بِهَا، فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: «هَذَا رِكْسٌ»).

وفي «الطبقات» عن القاسم بن عبد الرحمن قال: (كان عبد الله يُلْبِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي أَمَامَهُ بِالْعَصَا، حَتَّى إِذَا أَتَى مَجْلِسَهُ نَزَعَ نَعْلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُمَا فِي ذِرَاعِيهِ، وَأَعْطَاهُ الْعَصَا، فَإِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُومَ أَلْبَسَهُ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ مَشَى بِالْعَصَا أَمَامَهُ، حَتَّى يَدْخُلَ الْحُجْرَةَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

وفيها عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ صَاحِبَ سِوَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي سِرَّةً -، وَوَسَادِهِ - يَعْنِي فَرَاشَهُ -، وَسِوَاكِهِ وَنَعْلَيْهِ وَظَهْرِهِ، وَهَذَا يَكُونُ فِي السَّفَرِ).

وَحَجَّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حِجَّةَ الْوَدَاعِ، وَاقْتَدَى بِهِ فِي أَعْمَالِهِ كُلِّهَا، وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَنَاسِكَ، وَالتَّزَمَهَا طِيلَةَ حَيَاتِهِ، وَبَيَّنَّهَا بَيْنَ النَّاسِ.

مناقبه:

مناقب أبي عبد الرحمن غزيرة، وفضائله شهيرة: فمن ذلك ما رواه مسلم - واللفظ له - والترمذي عن عبد الله قال: (لَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ

(١) أخرجه أحمد - واللفظ له - والترمذي وابن ماجه والطيالسي وابن حبان، وقال الترمذي:

حسن صحيح، وقال الأرنؤوط: وهو كما قال.

(٢) وحشاً: وحده ليس معه غيره.

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ،
قال لي رسول الله ﷺ: «قيلَ لي: أنتَ مِنْهُمْ».

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمَشْرُكُونَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِثُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ
مِنْ هَذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا. فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ
اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢) (٣).

وعن مَسْرُوقٍ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لَا أزالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ
- فَبَدَأَ بِهِ -، وَمِنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَمِنْ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَمِنْ مَعَاذِ بْنِ
جَبَلٍ». (٤).

وعن رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ عَنِ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْتَدُوا
بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَاهْتَدُوا بِهَذِي عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ
عَبْدٍ» (٥).

وعن أم موسى، سمعتُ عليًا يقول: (أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَصَعَدَ
شَجْرَةً يَأْتِيهِ مِنْهَا بَشِيءٌ، فَنظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللَّهِ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةٍ

(١) سورة المائدة: الآية ٩٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم - واللفظ له - والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم. ووقع
التصريح بأسماء الستة في رواية ابن ماجه.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم - واللفظ له - والترمذي، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأبو
نعيم.

(٥) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن سعد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟! لرجل عبد الله أنقل في الميزان يوم القيامة من أحد»^(١).

وعن زر بن حبیش، عن عبد الله: (أن النبي ﷺ أتاه بين أبي بكر وعمر، وعبد الله يصلي، فافتتح النساء فسحلها، فقال النبي ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». ثم تقدم يسأل، فجعل النبي ﷺ يقول: «سل تُعطه. سل تُعطه». فقال فيما سأل: اللهم إني أسألك إيماناً لا يزئد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. قال: فأتى عمر رضي الله تعالى عنه عبد الله ليشهره، فوجد أبا بكر رضوان الله عليه قد سبقه! فقال: إن فعلت، لقد كنت سباقاً بالخير»^(٢).

وأخرج الحاكم عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث عن أبيه قال: (قال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود: «اقرأ». قال: أقرأ عليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»). قال: فافتتح سورة النساء، حتى بلغ: «فكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً» فاستعبر رسول الله ﷺ، وكفَّ عبد الله، فقال له رسول الله ﷺ: «تكلم». فحمد الله في أول كلامه، وأثنى على الله، وصلى على النبي ﷺ، وشهد شهادة الحق، وقال: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وبالإسلام ديناً،

(١) قال شعيب: حديث صحيح. وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة. وجاء مثله عن ابن مسعود، رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني من طرق. وكذلك رواه معاوية بن قره بن إياس المزني عن أبيه عن النبي ﷺ نحوه، أخرجه الفسوي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ونسبه الهيثمي للبخاري والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد - واللفظ له - والطيالسي بنحوه، وعزه الهيثمي إلى أحمد والبخاري والطبراني وقال شعيب: إسناده حسن. وأخرجه الحاكم بنحوه عن علي، وصححه ووافقه الذهبي. ومعنى (فسحلها): أي قرأها كلها قراءة متتابعة متصلة. ويروى بالجيم.

ورضيت لكم ما رضي الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : «رضيت لكم ما رضي لكم ابن أم عبد» .^(١)

سيرته وشمائله :

عن عبد الرحمن بن يزيد قال : (أتينا على حذيفة فقلنا : حدثنا من أقرب الناس من رسول الله ﷺ هدياً ودلاً ، فناخذ عنه ونسمع منه ؟ قال : كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمنناً برسول الله ﷺ ابن مسعود حتى يتوارى منا في بيته ، ولقد علم المخفوطون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد هو أقربهم إلى الله زلفى)^(٢) .

وعن إبراهيم عن علقمة قال : (كان عبد الله يشبه بالنبي ﷺ في هذيه ودلّه وسمته . قال إبراهيم : وكان علقمة يشبه بعبد الله)^(٣) .

● ● كان رضي الله عنه شديد الاقتداء بالنبي ﷺ :

عن عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع عبد الله بن مسعود (فأتى جمرة العقبة ، فاستبطن الوادي ، فاستعرضها ، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة . قال : فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن الناس يرمونها من فوقها . فقال : هذا ، والذي لا إله غيره ، مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة)^(٤) .

وعن أبي عطية الوادعي الهمداني قال : (دخلت أنا ومسروق على عائشة ، فقلنا : يا أم المؤمنين . رجلان من أصحاب محمد ﷺ ، أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة ، والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة ؟ قالت : أئهما الذي يعجل الإفطار ويعجل الصلاة ؟ قال : قلنا : عبد الله - يعني ابن مسعود - قالت : كذلك كان

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه البخاري والترمذي - واللفظ له - وابن سعد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه ابن سعد والحاكم وصححه ، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» ، قال شعيب : إسناده صحيح .

(٤) أخرجه الستة واللفظ لمسلم . وخص سورة البقرة بالذكر لأن معظم أحكام الحج فيها .

يصنع رسول الله ﷺ. زاد أبو كُرَيْبٍ: والآخِرُ أبو موسى^(١).

● ● صلاته وصومه وحجه:

عن طارق بن شهاب قال: (كنا عند عبد الله جُلوساً، فجاء رجلٌ فقال: قد أقيمت الصلاة، فقامَ وقُمنا معه، فلما دخلنا المسجد رأينا الناسَ رُكوعاً في مقدّم المسجد، فكبرَ ورَكَعَ وركعنا، ثم مشينا، وصنعنا مثل الذي صنع...^(٢)).

وعن علقمة قال: (خرجتُ مع عبد الله بن مسعود يومَ الجمعة، فوجد ثلاثةً قد سبقوه، فقال: رابعٌ أربعة، وما رابع أربعة من الله ببعيد، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الناسَ يجلسون من الله عز وجل يوم القيامة على قدر رُوحاتهم إلى الجُمُعاتِ، الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، وما رابع أربعة من الله ببعيد»^(٣)).

وعن علقمة بن قيس - أيضاً - قال: (بثُّ مع عبد الله بن مسعود ليلةً، فنَامَ أوَّلَ الليل، ثم قامَ يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيّه، يرتل ولا يرجع، يسمعُ مَنْ حوله ولا يرجع صوته، حتى لم يبقَ من الغلَسِ إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصرافِ منها، ثم أوْتَرَ^(٤)).

وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن يزيد قال: (ما رأيتُ فقيهاً أقلَّ صوماً من عبد الله بن مسعود، فقيل له: لِمَ لا تصوم؟ فقال: إني أختارُ الصلاةَ عن الصوم، فإذا صُمتُ ضعفتُ عن الصلاة).

وروى الطبراني عن ابن مسعود: (أنه كان لا يكادُ يصومُ، وقال: إني إذا

(١) أخرجه مسلم - اللفظ له - والنسائي وأبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه أحمد مطولاً والبخاري، وقال الهيثمي: رجال أحمد والبخاري رجال الصحيح.

(٣) قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم، وإسنادهما حسن.

(٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح.

صمْتُ ضعفتُ عن الصلاة، والصلاةُ أحبُّ إليَّ من الصيام، فإنَّ صامَ صامَ ثلاثةَ أيامٍ من الشهر^(١).

وعند ابن سَعَدٍ عن زِرِّ عن عبد الله (أنه كان يصوم الإثنين والخميس).

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: (كنتُ مع عبد الله حتى انتهى إلى جَمْرَةَ العَقَبَةِ، فقال: ناولني أحجاراً. قال: فناولته سبعةَ أحجارٍ. فقل لي: خذْ بِزِمَامِ الناقَةِ. قال: ثم عادَ إليها، فرمى بها من بَطْنِ الوادي، بسبعِ حَصِيَّاتٍ، وهو راكب، يكبِّرُ مع كلِّ حَصَاةٍ، وقال: اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغوراً، ثم قال: ههنا كان يقوم الذي أنزلتُ عليه سورةُ البقرة^(٢)).

● ● صحبته لكتاب الله:

قال الحافظ البيهقي في «السنن الكبرى»: (روينا عن ابن مسعود أنه كان يختم القرآن في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة).

وأخرج الفسوي في «المعرفة والتاريخ» عن عَوْنِ بن عبد الله عن أخيه عبيد الله قال: (كان عبد الله إذا هدأتِ العيون، قام فسمعت له دويًّا كدويِّ النحل).

وعند ابن الأثير في «أسد الغابة» عن عبيد الله بن عبد الله - أيضاً - قال: (كان عبد الله إذا هدأتِ العيون، قام فسمعت له دويًّا كدويِّ النحل، حتى يُصبح).

وعن عَزَقَةَ الثقفي قال: (استقرأتُ ابنَ مسعود: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فلما بلغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تركَ القراءةَ وأقبلَ على أصحابه، وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة! فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل^(٣)).

(١) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد - واللفظ له - والسنة.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير سورة الأعلى. وعرفجة: مقبول، كما في «تقريب التهذيب».

● ● زجره لسانه، واستغفاره ودعوته:

عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه: (أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرِّ تَسْلَمُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ. ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ مِنْ لِسَانِهِ»^(١)).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: (والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان)^(٢).

وعن القاسم بن عبد الرحمن: (أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: خَائِفٌ مُسْتَجِيرٌ، تَائِبٌ، مُسْتَغْفِرٌ، رَاغِبٌ، رَاهِبٌ).

وعن أبي الأخص قال: (سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ - يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنِعْمَتِكَ السَّابِغَةِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا، وَبِبِلَائِكَ الَّتِي ابْتَلَيْتَنِي، وَبِفَضْلِكَ الَّتِي أَفْضَلْتَ عَلَيَّ: أَنْ تَدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، اللَّهُمَّ ادْخُلْنِي الْجَنَّةَ بِفَضْلِكَ وَمَنَّكَ وَرَحْمَتِكَ)^(٣).

وعن عبد الله بن عكيم: (أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَدْعُو: اللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَتَقِينًا وَفَهْمًا، أَوْ قَالَ: عِلْمًا)^(٤).

● ● أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

عن زينب امرأة عبد الله قالت: (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ، فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ، تَنْخَنَحُ وَيَرْقُ؛ كِرَاهِيَةً أَنْ يَهْجُمَ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ. قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَتَنْخَنَحُ، قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنَ الْحُمْرَةِ، فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ،

(١) قال المنذري: رواه الطبراني ورواه رواة رواية الصحيح، وأبو الشيخ في «الثواب»، والبيهقي بإسناد حسن. وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني موقوفاً بإسناد صحيح.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده جيد.

فدخل، فجلس إلى جنبي، فرأى في عنقي خيطاً، قال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط أُرقي لي فيه! قالت: فأخذته فقطعه، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الرُّقى، والثَّمائم، والثَّوَلَةَ شِرْكٌ»... (١)

وعن مسروق قال: (أتى عبدُ الله - رضي الله عنه - بَصْرِعَ، فقال للقوم: ادنوا، فأخذوا يطعمونه، وكان رجل منهم في ناحية، فقال عبد الله: اذن، فقال: إني لا أريده، فقال: لِمَ؟ قال: لأنني حرَّمتُ الصَّرْعَ. فقال عبد الله: هذا من خطوات الشيطان. فقال عبد الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢)، اذن فكل، وكفّر عن يمينك، فإن هذا من خطوات الشيطان) (٣).

● ● رضاه بالقضاء والقدر، وخوفه ورجاؤه:

قال رضي الله عنه: (ما أبالي إذا رجعتُ إلى أهلي على أي حال أراهم، بخير أم بشر أم بضر، وما أصبحتُ على حالة فتمنيتُ أني على سواها).

أخرج الحاكم عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود: (لو تعلمون ذنوبي ما وطىء عقبي رجلان، ولحثيتم على رأسي التراب، ولوددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي وأني دُعيت عبد الله بن روثه) (٤).

وأخرج يعقوب بن سفيان وابن عساكر عن ابن مسعود قال: (لأن أكون أعلم

(١) أخرجه أحمد - واللفظ له - وأبو داود مختصراً وابن ماجه والبيهقي وعبد الرزاق، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (الحمرة): مرض وبائي يسبب حمى وبقعاً حمراء في الجلد. (الثولة): نوع من السحر يحجب المرأة إلى زوجها.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٧.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. قوله (بصرع): قال في «القاموس»: الصُّرُوعُ: عَنَبٌ أَيْضٌ كَبَارُ الْحَبِّ.

(٤) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

أن الله يقبل مني عملاً أحب إليّ من أن يكون لي ملء الأرض ذهباً).

وفي «الحلية» عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: (والذي لا إله غيره، ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله به خيراً، أو يدفع عنهم به سوءاً؛ إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئاً)!

المبشر بالجنة:

أخرج الإمام الحافظ ابن عبد البر بإسناده عن سعيد بن زيد قال: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِرَاءٍ، فَذَكَرَ عَشْرَةَ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ^(١)).

علمه ومروياته:

كان ابن مسعود إماماً خبيراً، فقيهاً كبيراً، قارئاً مجوداً، محدثاً متحرّياً، من أذكياء العلماء، روى علماً غزيراً، وتخرّج به أئمة أكابر.

القارئ المفسر:

● ● أخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن مسروق قال: قال عبد الله رضي الله عنه: (والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ).

قال ابن كثير في «فضائل القرآن»: (وهذا كله حق وصدق، وهو من إخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره، فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ

(١) قال ابن عبد البر: إسناده حسن جيد.

ففي البخاري من حديث أنس: (فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للزهدي القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق).

قال الحافظ في «الفتح»: (واختلفوا في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة). ثم قال: (قال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتبت سبعة مصاحف: إلى مكة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدا).

وقال بعدها: (وفي رواية أبي قلابة: فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار: (إني قد صنعت كذا وكذا، ومحوت ما عندي، فامحوا ما عندكم). والمحو أعم من أن يكون بالغسل أو التحريق، وأكثر الروايات صريح في التحريق؛ فهو الذي وقع، ويحتمل وقوع كل منهما، بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك).

وقد شكرت الأمة صنيع عثمان رضي الله عنه، ورضي عمله الصحابة فمن بعدهم، وامتدحوه وعدّوه من مناقبه.

أخرج ابن أبي داود في «المصاحف» بسنده عن مضعب بن سعد بن أبي وقاص قال: (أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد)^(١).

(١) قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح.

وقال الرُّزْكَشِيُّ: (ولقد وُفِّقَ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَرَفَعَ الْاِخْتِلَافَ، وَجَمَعَ الْكَلِمَةَ، وَأَرَاخَ الْأُمَّةَ). وقال أيضاً: (وفي الجملة: إنه إمام عدل غير معاند، ولا طاع في التنزيل، ولم يحرق ما لم يجب إحراقه، ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك، بل رضوه، وعدَّوه من مناقبه).

● ● وقد حزن ابن مسعود لعدم حضوره هذا العمل الجليل - وكان إذ ذاك والياً على بيت مال الكوفة - فاتخذ موقفاً مغايراً لموقف الصحابة:

عن شقيق بن سلمة قال: (خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حِينَ أُمِرَ فِي الْمَصَاحِفِ بِمَا أُمِرَ، قَالَ فَذَكَرَ الْعُلُوقَ فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ يَغْلَى يَأْتِ بِمَا عَلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعُلُّوا الْمَصَاحِفَ، فَلَأَنَّ أَقْرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ مَنْ أَحَبَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى قِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ! فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وزيدُ بنُ ثابتٍ غلامٌ له دُؤَابَتَانِ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. ثم قال: والذي لا إلهَ غيرُه، لو أعلمُ أحداً أعلمُ بكتابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لِأَتَيْتُهُ. قال: ثم ذهبَ عبدُ اللَّهِ. قال: فقال شقيق: فقعدتُ في الجِلْقِ، وفيهم أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وغيرهم، فما سمعتُ أحداً رَدَّ عليه ما قال^(١)).

قال الحافظ في «فتح الباري»: (والعذرُ لعثمانَ في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبدُ اللَّهِ بالكوفة، ولم يؤخَّرْ ما عزمَ عليه من ذلك إلى أن يُرسلَ إليه ويحضر. وأيضاً فإنَّ عثمانَ إنما أرادَ نَسْخَ الصُّحُفِ التي كانت جُمِعَتْ في عهدِ أبي بكرٍ، وأن يجعلها مصحفاً واحداً، وكان الذي نَسَخَ ذلك في عهدِ أبي بكرٍ هو زيد بن ثابت كما تقدم، لكونه كان كاتبَ الوحي، فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره). انتهى.

ثم إن زيدا شهد بيقين العرْضة الأخيرة، وكتبها لرسولِ اللَّهِ ﷺ، وقرأها

(١) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن سعد وهذا لفظه.

عليه، وكان يُقرء الناس بها حتى مات. وأيضاً فابن مسعود أخذ من في النبي ﷺ بضعاً وسبعين سورة، واستكمل القرآن من الصحابة بعد، وأما زيدٌ فحفظ القرآن كله والنبي ﷺ حي. ثم إن زيدا كان يكتب الوحي للرسول ﷺ، فهو إمام في الرسم، وابن مسعود إمام في الأداء، وجمعُ عثمان يقتضي الميزة التي عند زيد، لذا أمر بالكتابة وأمر سعيد بالإملاء عليه لكونه أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ. زد على ذلك أن ابن مسعود يقرأ بلهجة هذيل، والمصحف كُتِبَ بلغة قريش عند الاختلاف، وبين لغة قريش ولغة هذيل تباين عظيم.

قال الحافظ الذهبي: (إنما شقَّ علي ابن مسعود لكون عثمان ما قدَّمه علي كتابة المصحف، وقدَّم في ذلك مَنْ يصلح أن يكون ولده، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة، ولأنَّ زيدا كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فهو إمام في الرسم، وابن مسعود إمام في الأداء. ثم إن زيدا هو الذي ندبه الصديق لكتابة المصحف وجمع القرآن. فهلاً عتب علي أبي بكر)؟.

ولم يبق عبدُ الله علي موقفه هذا، بل تابع الجماعة. وقد تابع رضي الله عنه عثمان في إتمام الصلاة بمنى، فقال: (كم صلى أمير المؤمنين؟ قالوا: أربعاً. فصلى أربعاً، وعندما سئل قال: إن عثمان كان إماماً، فما أخالفه، والخلاف شر). فإذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع؛ فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن؟!.

قال الذهبي: (وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان، والله الحمد). وقال ابن كثير في (البداية والنهاية): (فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأجاب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة، رضي الله عنهم أجمعين). وقال في (فضائل القرآن): (ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق).

وأخرج ابن عبد البر عن زيد بن وهب قال: (لما بعث عثمان إلى عبد الله بن

مسعود يأمره بالخروج إلى المدينة، اجتمع إليه الناس وقالوا: أقم ولا تخرج، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه. فقال لهم عبد الله: إن له عليّ طاعة، وإنما ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها، فرَدَّ الناس وخرج إليه).

● ● تلاميذه في القراءة، وإلى من تنتهي قراءته من القراء العشرة:

قال ابن الجزري: (عرض القرآن على النبي ﷺ. عرض عليه الأسود، وتميم بن حذلم، والحارث بن قيس، وزيد بن حُبَيْش، وعبيد بن قيس، وعبيد بن نَضْلَة، وعلقمة، وعبيدة السلماني، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمرو الشيباني، وزيد بن وهب، ومسروق). ثم قال: (وإليه تنتهي قراءة عاصم، وحمزة، والكِسائي، وخلف والأعمش).

وفي «فواتح الرحموت»: (وقد ثبت بالأسانيد الصحاح أن قراءة عاصم، وقراءة حمزة، وقراءة الكِسائي، وقراءة خلف؛ كلها تنتهي إلى ابن مسعود).

وهكذا فإن ثلاثة من القراء السبعة تنتهي قراءتهم إلى ابن مسعود، وهم: عاصم، وحمزة، والكِسائي، وكلهم كوفيون. والرابع هو: خلف البزار، من تمة القراء العشرة.

● ● وقد كان ابن مسعود واحداً من كبار الصحابة الذين أثار عنهم التفسير لآيات الكتاب العزيز.

قال ابن كثير في (تفسيره) وهو يذكر أحسن طرق التفسير، فذكر تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة: (وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة؛ رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرآن والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه).

وكتب التفسير مليئة بأراء ابن مسعود وأقواله في هذا الباب.

المُحَدَّث:

صحاب عبد الله رسول الله ﷺ مدة طويلة، ولازمه سفرأ وحضرأ، فسمع منه علماً طيباً غزيراً، وروى عنه حديثاً كثيراً.

● ● وكان رضي الله عنه شديد التحري في الرواية والتحديث، قال الذهبي في ترجمته من (تذكرة الحفاظ): (كان ممن يتحرى في الأداء، ويشدد في الرواية، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ). وقال: (كان ابن مسعود يقل من الرواية للحديث، ويتورع في الألفاظ).

أخرج ابن سعد والحاكم عن عمرو بن ميمون قال: (اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة، ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ، ولا يقول فيها: قال رسول الله ﷺ، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث، فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ، فعلاه الكزب، حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته! ثم قال: إن شاء الله إماماً فوق ذلك، وإماماً قريب من ذلك، وإماماً دون ذلك)^(١)

وعن علقمة بن قيس: (أن عبد الله بن مسعود كان يقوم قائماً كل عشيّة خميس، فما سمعته في عشيّة منها يقول: قال رسول الله، غير مرة واحدة، قال: فنظرت إليه وهو معتمد على عصا، فنظرت إلى العصا تززع).^(٢)

وعن مسروق (عن عبد الله، قال: حدثت يوماً حديثاً فقال: سمعت رسول الله ﷺ، ثم أزعده وأزعدت ثيابه، ثم قال: أو نحو ذا، أو شبه ذا)^(٣).

وقال الإمام أحمد: (حدثنا معاذ، حدثنا ابن عون، وابن أبي عدي عن ابن عون، حدثني مسلم البطين، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن عمرو بن ميمون

(١) لفظ ابن سعد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجهما ابن سعد.

قال: ما أخطأني - أو: فلما أخطأني - ابن مسعود خميساً، قال ابن أبي عدي: عشية خميس، إلا أتيتُه، قال: فما سمعته لشيء قط يقول: قال رسول الله ﷺ، فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله ﷺ، قال ابن أبي عدي: قال: سمعت رسول الله ﷺ، فنكس، قال: فنظرتُ إليه وهو قائمٌ، محلولٌ أزرارٌ قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجُه، فقال: أو دونَ ذاك، أو فوقَ ذاك، أو قريباً من ذاك، أو شيئاً بذاك).

● ● أخرج الطبراني في «الأوسط» عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: (بعث عمر بن الخطاب إلى ابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري وأبي الدرداء، فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله ﷺ؟! فحبسهم بالمدينة حتى استشهد)^(١)!

وقد ضعف الهيثمي هذا الأثر، وكلامه حق، فلئن كان عمر رضي الله عنه شديداً في الحديث، فلا يعني هذا أنه منع الصحابة من نشر حديث رسول الله ﷺ، بل قصدَ شدة التحري في ذلك، فلقد بعث ابن مسعود إلى الكوفة ليعلم أهلها ويفقههم، وكتب لهم: (وقد آثرتم بعد الله بن مسعود على نفسي)! فكيف يرسله معلماً إذا أراد أن يمنعه من التحديث عن النبي ﷺ؟! إذا فهم يحدث الناس، وماذا يعلمهم!؟

● ● زوي لابن مسعود عن النبي ﷺ (٨٤٨) ثمان مئة وثمانية وأربعون حديثاً، عند الشيخين منها مئة وعشرون، اتفقا على أربعة وستين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. وله عند أحمد (٩٠٢) تسع مئة حديث وحديثان بالمكرر. وخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم.

ويتبوأ عبد الله - من حيث عدد مروياته - المرتبة الثامنة بين محدثي الصحابة،

(١) قال الحافظ الهيثمي: هذا أثر منقطع، وإبراهيم ولد سنة عشرين، ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين، وابن مسعود كان بالكوفة، ولا يصح هذا عن عمر.

فأولهم أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، ثم أم المؤمنين عائشة، ثم ابن عباس،
فجابر بن عبد الله، فأبو سعيد الخدري، فابن مسعود.

● ● روى عن النبي ﷺ، وعن سعد بن معاذ، وعمر، وصفوان بن
عسال.

وروى عنه من الصحابة: أبو سعيد الخدري، وأنس، وجابر، وابن عمر،
وأبو موسى الأشعري، والحجاج بن مالك الأسلمي، وأبو أمامة، وأبو الطفيل،
وابن الزبير، وابن عباس، وأبو جحيفة، وأبو زافع مولى النبي ﷺ، وعبد الله بن
الحارث الزبيدي، وعمرو بن الحارث المصطلق، وقُرة بن إياس، وأبو شريح
الخرزاعي، وعمران بن الحُصين، وعمرو بن حُرَيْث المخزومي، وأبو هريرة،
وامراته زينب بنت عبد الله الثقفية، وغيرهم.

ومن التابعين: علقمة، والأسود بن يزيد، ومسروق، والربيع بن خُثيم،
وزيد بن وهب، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وشريح بن الحارث القاضي،
والحارث بن سويد التيمي، وربيع بن جِراش، وزر بن حُبَيْش، وأبو عمرو
الشيثاني، وعبد الله بن شداد، وعبد الله بن عَكيم، وعبد الرحمن بن أبي ليلى،
وعبيدة بن عمرو السُّلماني، وأبو عثمان التَّهْدِي، وأبو الأحوص عوف بن مالك،
وأبو مسرة عمرو بن شُرْحَبِيل، وعمرو بن ميمون الأودي، وقيس بن أبي حازم،
وأبو عطية مالك بن أبي عامر، ومرة الطَّيِّب، والمُسْتَوْد بن الأحنف، وهُزَيْل بن
شُرْحَبِيل، والتَّزَال بن سَبْرَةَ، وأبو الأسود الدُّؤلي، والمَعْرُور بن سُويد، وآخرون.

وأما رواية ابنه عبد الرحمن وأبي عبيدة عنه، فقد قال الإمام النووي:
(واتفقوا على أن أبا عبيدة لم يسمع أباه، ورواياته عنه كثيرة، وكلها منقطعة، وأما
عبد الرحمن: فقال علي بن المديني والأكثر: سمع أباه).

● ● وابن مسعود ليس من العبادلة، كما نقل ذلك الحافظ ابن الصَّلَاح في
«مقدمته» فقال: (وروينا عن أحمد بن حنبل - أيضاً - أنه قيل له: مَنْ العبادلة؟

فقال: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو. قيل له: فابن مسعود؟ قال: لا، ليس عبد الله بن مسعود من العبادلة. قال الحافظ أحمد البيهقي فيما روينا عنه وقرأته بخطه: وهذا لأن ابن مسعود تقدم موته، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اجتمعوا على شيء قيل: هذا قول العبادلة، أو: هذا فعلهم. قلت^(١): ويلتحق بابن مسعود في ذلك سائر العبادلة المسمين بعبد الله من الصحابة، وهم نحو مئتين وعشرين نفساً، والله أعلم).

الفقيه:

أخرج الإمام ابن سعد عن التابعي الفقيه الثقة مسروق بن الأجدع قال: (كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ: عمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري).

● ● وقد كان رضي الله عنه كثير التحرج في الفتيا، مثبتاً في اجتهاده، شديد التحري في اتباع الدليل، حتى قال رضي الله عنه: (إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون)^(٢)!

عن علقمة بن قيس: (أنَّ قوماً أتوا عبد الله بن مسعود، فقالوا له: إن رجلاً منّا تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً، ولم يجمعها إليه حتى مات؟ فقال لهم عبد الله رضي الله عنه: ما سئلتُ عن شيء منذ فارقتُ رسول الله ﷺ أشدَّ عليّ من هذه، فأثوا غيري! قال: فاختلفوا إليه فيها شهراً، ثم قالوا له في آخر ذلك: مَنْ نسأل إذا لم نسألك، وأنت أحيّة أصحاب محمد ﷺ في هذا البلد، ولا نجد غيرك؟ فقال: سأقول فيها بجهد رأيي، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمَنِّي، واللَّهُ ورسولُهُ منه بريء؛ أرى أن أجعل لها صداقاً كصداق

(١) القائل هو ابن الصلاح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، قال الهيثمي: رجاله موثقون.

نسائها، لا وَكُوسَ ولا شَطَطًا، ولها الميراث، وعليها العِدَّةُ أربعة أشهر وعشراً. قال: وذلك بِسَمْعِ ناسٍ من أَشْجَع، فقاموا فقالوا: نشهدُ أنك قضيتَ بمثل الذي قضى به رسولُ الله ﷺ في امرأةٍ منا، يقال لها: بَزْوَعُ بنتِ وَاشِقِرٍ قال: فما رُئي عبدُ الله بشيءٍ ما فرح يومئذٍ إلا بإسلامه. ثم قال: اللهم إن كان صواباً فمَنك وحدك لا شريكَ لك، وإن كان خطأً فمَنِّي ومن الشيطان، واللَّهُ ورسوله منه بريء) (١).

وأخرج البيهقي عن الأسود وعلقمة قالوا: (جاء رجلٌ إلى ابن مسعود رضي الله عنه وقال: كان بيني وبين امرأتي بعضٌ ما يكون بين الناس، فقالت: لو أن الذي بيدك من أمري بيدي لعلمت كيف أصنع! قال: فقلتُ: إن الذي بيدي من أمرِك بيديك. قالت: فإني قد طلقْتُك ثلاثاً!! قال عبد الله: أراها واحدة، وأنت أحقُّ بها، وسألني أمير المؤمنين عمر فأسأله عن ذلك. قال: فلقيه، فسأله، فقصص عليه القصة، فقال عمر رضي الله عنه: فعل الله بالرجال، يعمدون إلى ما جعل الله بأيديهم فيجعلونه في أيدي النساء! فيها التراب، وفيها التراب!! فما قلتُ؟ قال: قلتُ: أراها واحدة، وهو أحقُّ بها. قال: وأنا أرى ذلك، ولو قلتُ غير ذلك لرأيتُ أنك لم تُصِب).

وعن هُزَيْلِ بْنِ شُرْحَيْبِلٍ قال: (سأل رجلٌ أبا موسى الأشعري عن امرأةٍ تركت ابنتها، وابنةَ ابنتها، وأختها؟ فقال: النصفُ للابنة، وللأختِ النصف، وقال: انتِ ابن مسعود، فإنه سئبنا يعني. قال: فأتوا ابن مسعود، فأخبروه بقول أبي موسى، فقال: لقد ضللتُ إذا وما أنا من المهتدين! لأقضيَنَّ فيها بقضاء رسول الله ﷺ - قال شعبة: وجدتُ هذا الحرف مكتوباً: لأقضيَنَّ فيها بقضاء رسول الله ﷺ -: للابنة النصف، ولابنة الابن الشُّدُسُ تكملة الثلثين، وما بقي فلأخت. فأتوا أبا موسى،

(١) أخرجه أحمد وأهل السنن والبيهقي - واللفظ له - والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. ومعنى الأختية: الأضيّة: البقعة. (لاوكُوس): الوكس: النقصان والخسارة. (ولا شطط): الشطط: الزيادة على الواجب المعتاد.

فأخبروه بقول ابن مسعود، فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الخبر بين أظهركم^(١).

معلم الكوفة الكبير:

● ● عن حارثة بن مضرب قال: (قرأ علينا كتاب عمر: إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، من أصحاب بذر، وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم، فتعلموا منهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي)^(٢).

● ● وكان يلقي درساً جامعاً عامّاً كل يوم خميس حتى لا يملّ الناس، وأما الذين شغفوا بالعلم فلزموا ابن مسعود، وصحبوه طويلاً، وأخذوا عنه علماً جماً، فتخرج به أئمة كبار.

عن أبي وائل قال: (كان عبد الله مما يُدكّر كل يوم الخميس، فقل له: لَوِِدْنَا أَنْكَ ذَكَّرْنَا كُلَّ يَوْمٍ. قال: إني أكره أن أملككم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة، كراهية السامة علينا)^(٣).

● ● وجلس للناس يعلمهم القرآن، فيقرئهم ويفسر لهم، ويتلو عليهم، ويستمع تلاوتهم، ويؤدّبهم بأداب الإسلام، وينشر فضائل النبي ﷺ وصحابته، ويحملهم على الاقتداء بهم، ويرغبهم بالعمل فيما يعلمون. وفقّههم في العبادات،

(١) أخرجه أحمد - واللفظ له - والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي والبيهقي وعبد الرزاق.

(٢) أخرجه ابن سعد - واللفظ له - والبيهقي، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، وعزاه الهيثمي في «المجمع» للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة.

(٣) أخرجه أحمد - واللفظ له - والشيخان والترمذي.

فعلّمهم الصلاة والصوم والحج، وكان يجيب على أسئلتهم، ويصحح أخطاءهم، ويرشدهم للصواب، كما كانوا يأتونه في بيته، وأحياناً يزورهم في بيوتهم، ويتفقد أحوالهم.

قال الحافظ الخطيب البغدادي في ترجمة ابن مسعود من «تاريخ بغداد»: (وكان أيضاً من فقهاء الصحابة، ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: كُنَيْفٌ مَلِيٌّ عِلْمًا، وبعثه إلى أهل الكوفة ليُقرِّبهم القرآن، ويعلمهم الشرائع والأحكام، فَبِتَّ عبدُ الله فيهم علماء كثيرًا، وفَقَّهَ منهم جَمًّا غفيرًا).

وقال الحافظ أبو سعد السمعاني في ترجمته من «الأنساب»: (انتقل إلى الكوفة بأمر عمر رضي الله عنهما، ونشَر بها الفقه والعلم والسنة، وكثر أصحابه، وابتنى بها دارًا).

● ● فكان له تلامذة كبار يقولون بقوله، وقد حَزَّروا فتياه ومذاهبه، وحفظوها ونشروها.

قال الإمام الثبُّ الحُجَّةُ أميرُ المؤمنين في الحديث عليُّ بن المَدِينِي: (لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ له أصحاب يقولون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس رضي الله عنهم).

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري: (لم يكن أحد له أصحاب معروفون، حَزَّروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود، وكان يتركُ مذهبه وقوله لقول عمر، وكان لا يكاد يخالفه في شيء من مذاهبه، ويرجع من قوله إلى قوله).

وقال الإمام ابن القيم في «إعلام الموقعين»: (والدينُ والفقهُ والعلمُ انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبد الله بن عمر، وأصحاب عبد الله بن عباس، فَعَلِمُ الناسُ عامَّتُهُ عن أصحاب هؤلاء الأربعة).

ثم قال: (وَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ فَعَلِمُوهُمْ عَنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ).

وامتلات الكوفة بالقراء والمحدثين والفقهاء، بحيث أبلغ السرخسي في «المبسوط» عدد من نفقه على ابن مسعود وعلى أصحابه نحو أربعة آلاف عالم!!.

ولما دخل علي بن أبي طالب الكوفة قال: (رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ أُمَّ عَبْدٍ، قَدْ مَلَأَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ عِلْمًا).

من أقواله ووصاياه:

عن أبي الأخص قال: قال ابن مسعود: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةُ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ أَصْفَرَ الْبَيْوتِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ كَخِرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا عَامَرَ لَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُسْمَعُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)^(١).

وعن المسيب بن رافع، عن عبدالله بن مسعود قال: (يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مَفْطُرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ فَرِحُونَ، وَبِبَكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلُطُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ. وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا، حَلِيمًا حَكِيمًا، سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا، وَلَا غَافِلًا، وَلَا سَخَابًا، وَلَا صِيَّاحًا، وَلَا حَدِيدًا)^(٢).

وقال رضي الله عنه: (إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُؤْتِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُؤْتِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الْإِيمَانَ، فَمَنْ ضَنَّ بِالْمَالِ أَنْ يَنْفَقَهُ، وَهَابَ الْعَدُوَّ أَنْ

(١) أخرجه أبو نعيم، وعزاه الهيثمي للبخاري، وقال: رجاله موثقون. قوله (أصفر البيوت): أي أخلى البيوت.

(٢) أخرجه أحمد وأبو نعيم.

يجاهدته، والليل أن يكابده، فليكثر من قول لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله،
وسبحان الله^(١).

وأخرج ابن عبد البر في (جامع بيان العلم) عن ابن مسعود قال: (لا يزال الناس
بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه من أصاغريهم وشرارهم هلكوا).

وفيه - أيضاً - عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: (إنكم لن تزالوا بخير ما
دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم، سقته الصغير الكبير).

وأخرج البيهقي في «السنن الكبرى» عن ابن مسعود قال: (إنك ما دمت في
الصلاة فأنت تقرأ باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له).

وعن هزيل بن شرحبيل قال: قال عبد الله: (من أراد الدنيا أضرب بالآخرة،
ومن أراد الآخرة أضرب بالدنيا، يا قوم فأضربوا بالفاني للباقي)^(٢).

وقال: (إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة،
والموت يأتي بغتة، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شراً يوشك
أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك
حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيراً فإله تعالى أعطاه، ومن وقي شراً فإله
تعالى وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة).

وقال أيضاً: (إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً،
فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها)^(٣).

مكانته وثناؤهم عليه:

● ● عن زيد بن وهب قال: (إني لجالس مع عمر بن الخطاب، إذ جاء ابن

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني موقوفاً، وزجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو نعيم، قال شعيب: رجاله ثقات.

(٣) أخرجهما أبو نعيم في «الحلية».

مسعود، فكأذ الجلوس يواؤونه من قصره، فضحك عمر حين رآه، فجعل عمر يكلمه، ويتهلل وجهه، ويضحكه، وهو قائم عليه، ثم ولى، فأتبعه عمرُ بصره حتى تواري، فقال: كُنَيْفٌ مُلِيءٌ عِلْمًا^(١).

وأخرج ابن سعد عن حَبَّةَ بن جُوَيْنٍ قال: (لما قَدِمَ عَلَيَّ الكوفةَ، أتاه نفرٌ من أصحاب عبد الله، فسألهم عنه، حتى رأوا أنه يمتحنهم، فقال: وأنا أقول فيه مثل الذي قالوا وأفضل، قرأ القرآن، وأحلَّ حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة)^(٢).

وعن يزيد بن عميرة قال: (لما حضرَ معاذَ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا. قال: أجلسوني، فقال: إنَّ العلمَ والإيمانَ مكانهما، من ابتغاهما وجدهما - يقول ذلك ثلاث مرات - والتمسوا العلمَ عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنه عاشرُ عشرةٍ في الجنة»)^(٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي الأخص عوف بن مالك قال: (شهدتُ أبا موسى وأبا مسعود، حين مات ابنُ مسعود، فقال أحدهما لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟ فقال: إن قلت ذلك، إن كان ليؤذنُ له إذا حُجبتنا، ويشهد إذا غبتنا).

وفي رواية عن أبي الأخص قال: (كنتُ في دارِ أبي موسى مع نفرٍ من أصحاب عبد الله، وهم ينظرون في مُصحف، فقام عبدُ الله، فقال أبو مسعود: ما

(١) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم والفسوي، وقال شعيب: إسناده صحيح. والحاكم نحوه، وصححه ووافقه الذهبي. قوله (كُنَيْفٌ): تصغير كَيْف، وهو الوعاء، وهو تصغير تعظيم.

(٢) قال شعيب: سنده حسن.

(٣) أخرجه الترمذي - واللفظ له - وقال: حسن صحيح غريب، وابن سعد وابن خزيمة، والبخاري في «التاريخ الصغير»، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ في «الإصابة» وجود إسناده.

أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْقَائِمِ! فَقَالَ أَبُو مُوسَى:
أَمَّا لَنْ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ كَانَ يَشْهَدُ إِذَا غَبْنَا، وَيُؤَدِّنُ لَهُ إِذَا حُجِينَا).

● ● أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: (لَقَدْ جَالَسْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ،
فَوَجَدْتُهُمْ كَالِإِخَاذِ^(١))، فَالِإِخَاذُ يَرُوي الرَّجُلَ، وَالِإِخَاذُ يَرُوي الرَّجُلَيْنِ، وَالِإِخَاذُ
يَرُوي الْعَشْرَةَ، وَالِإِخَاذُ يَرُوي الْمِئَةَ، وَالِإِخَاذُ لَوْ نَزَلَ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ لِأَصْدَرَهُمْ،
فَوَجَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مِنْ ذَلِكَ الْإِخَاذِ).

وَفِي «الْمُسْتَدْرِكِ» عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: (كَانَ شَقِيقٌ يَذْكُرُ صَحَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ،
فَلَمْ يَذْكُرْ ابْنَ مَسْعُودٍ! فَقُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْكَ لَا تَذْكُرُ ابْنَ مَسْعُودٍ؟! قَالَ: ذَلِكَ رَجُلٌ لَا
أَفْضَلَ عَلَيْهِ أَحَدًا)^(٢).

وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» عَنْ عَامِرِ بْنِ شَرَّاحِيلِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: (مَا كَانَ
أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَفْقَهُ مِنْ صَاحِبِنَا عَبْدِ اللَّهِ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ).

وَعِنْدَهُ - أَيْضاً - عَنْ عَامِرٍ قَالَ: (مَا دَخَلَهَا^(٣) أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ
أَنْفَعَ عِلْمًا، وَلَا أَفْقَهُ صَاحِبًا مِنْهُ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ).

● ● وَوَصَفَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» بِأَنَّهُ (الْقَارِئُ الْمَلْفَنُ، وَالغَلَامُ الْمَعْلَمُ،
وَالْفَقِيهِ الْمَفْهَمُ صَاحِبِ السَّوَادِ وَالسَّرَارِ، وَالسَّبَاقِ وَالْبِدَارِ، أَقْرَبُهُمْ وَسِيلَةً،
وَأَرْجَحُهُمْ فَضِيلَةً، كَانَ مِنَ الرُّفَقَاءِ وَالنُّجَبَاءِ، وَالْوُزَرَاءِ وَالرَّقِيَاءِ).

وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي «الْأَنْسَابِ»: (وَأَمَّا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ... مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَتَقَدِّمِيهِمْ، وَسَادَاتِ فِقْهَائِهِمْ
وَمُفْتِيهِمْ، لَهُ الْمَنَاقِبُ الْمَأْثُورَةُ، وَالْفَضَائِلُ الْمَشْهُورَةُ).

(١) الإخاذا: هو مجتمع الماء.

(٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) يعني الكوفة.

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: (وكان من كبار الصحابة، وساداتهم وفقهائهم، ومقدميهم في القرآن والفقه والفتوى، وأصحاب الخلق، وأصحاب الأتباع في العلم).

وأثنى عليه الذهبي في غير موضع من كتبه، فقال في «تذكرة الحفاظ»: (أبو عبد الرحمن، عبد الله ابن أمّ عبد، الهذلي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدرين، ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين. كان ممن يتحرى في الأداء، ويشدد في الرواية، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ).

وقال في «السيرة»: (الإمام الحنبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البدري، حليف بني زهرة. كان من السابقين الأولين، ومن الثجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرة، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً).

وفاته:

● ● روى ابن الأثير في «أسد الغابة» عن سلمة بن تمّام قال: (لقي رجل ابن مسعود، فقال: لا تعدم حالماً مذكراً، رأيتك البارحة، ورأيت النبي ﷺ على منبر مرتفع، وأنت دونه، وهو يقول: يا ابن مسعود، هلم إليّ، فلقد جفيت بعدي. فقال: آله لأنت رأيت هذا؟ قال: نعم. قال: فعزمت أن تخرج من المدينة حتى تصلي عليّ. فما لبث أياماً حتى مات).

توفي ابن مسعود بالمدينة، وكان قدمها فمرض أياماً، ومات. وكانت وفاته - رضي الله عنه - سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في رأي الأكثر، وقال ابن كثير: إنه الصحيح.

وقال بعضهم: توفي سنة ثلاث وثلاثين. قال الذهبي: (لعله مات في أولها).

قلت : وهذا ممكن ، لأن ابن مسعود حضر دفن أبي ذر ، وصلى عليه ، ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليال ومات ، وأبو ذر توفي في شهر ذي الحجة ، بعد انقضاء الحج ، فيكون ابن مسعود مات في آخر ذي الحجة من سنة (٣٢هـ) ، أو في أوائل المحرم من سنة (٣٣هـ) ، والله أعلم .

● ● وصلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ودُفن بالبقيع .

قال الواقدي : (وقد روي لنا أنه صلى على عبد الله بن مسعود عمّار بن ياسر . وقال قائل : صلى عليه عثمان بن عفان ، واستغفر كل واحد منهما لصاحبه ، قبل موت عبد الله قال : وهو أثبت عندنا : إن عثمان بن عفان صلى عليه) .

وقال يحيى بن أبي عتبة : (عاش ثلاثاً وستين سنة) .

وصيّته :

أخرج ابن سعد بسنده عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : (أوصى عبد الله بن مسعود إلى الزبير ، وكان رسول الله ﷺ آخى بينهما ، فأوصى إليه وإلى ابنه عبد الله بن الزبير : هذا ما أوصى عبد الله بن مسعود ، إن حدثت به حدث في مرضه ، إن مرجع وصيته إلى الزبير بن العوام وإلى ابنه عبد الله بن الزبير ، وإنهما في حلّ وبلّ فيما وليا من ذلك وقضيا من ذلك ، لا حرج عليهما في شيء منه ، وإنه لا تزوج امرأة من بناته إلا بعلمها ، ولا يُحجز ذلك عن امرأته زينب بنت عبد الله الثقفية . وكان فيما أوصى به في رقيقه : إذا أدى فلان خمسين مئة فهو حرّ) .

وأخرج - أيضاً - عن قيس بن أبي حازم قال : (دخل الزبير بن العوام على عثمان بعد وفاة عبد الله بن مسعود ، فقال : أعطني عطاء عبد الله ، فأهل عبد الله أحقُّ به من بيت المال . فأعطاه خمسة عشر ألف درهم) (١) .

(١) قال شعيب : رجاله ثقات .

تركته:
 كان عبد الله ترك عطاءه حين مات عُمر، وفعل ذلك رجالٌ من أهل الكوفة أغنياء، واتخذ لنفسه ضيعة براذان^(١)، فمات عن تسعين ألف مثقال، سوى رقيق وعروض وماشية، رضي الله عنه.

من أخباره الشخصية:

● ● أبواه:

مات أبوه مسعود بن غافل في الجاهلية، ولم يدرك الإسلام، كما صرح بذلك الحافظ في «فتح الباري».

وأما أمه: فهي أم عبدة بنت عبد ود بن سواء بن قريم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر.

قال ابن سعد: (أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ).
وقد روت عن النبي ﷺ أنها رأته يقنت في الوتر قبل الركوع.
وكانت من المهاجرات الأول، رضي الله عنها.

إخوته:

لابن مسعود أخوان هما: عتبة وعميس.

وعتبة هو أخوه لأبيه وأمه.

قال ابن سعد: (كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية في روايتهم جميعاً، ثم قدم المدينة فشهد أحداً).

وكان عالماً فقيهاً، روي عن الزُّهري أنه قال: (ما عبد الله عندنا بأفقه من عتبة، ولكن عتبة مات سريعاً).

(١) راذان الأسفل، وراذان الأعلى: كورتان بسواد بغداد، تشتملان على قرى كثيرة.

مات عتبة رضي الله عنه في خلافة عمر، أخرج ابن سعد عن الأعمش عن
خَيْثَمَةَ قال: (لما جاء عبد الله نبيُّ أخيه عتبة؛ دمعَتْ عيناه، فقال: إِنَّ هَذِهِ رَحْمَةٌ
جَعَلَهَا اللهُ لَا يَمْلِكُهَا ابْنُ آدَمَ).

وأما عميس فلم أقف له على ترجمة.

زوجـه:

لابن مسعود زوجة صحابية هي: زينب بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب بن
الأسعد بن غاضرة بن حُطَيْط بن جُشَم - وهو ثقيف - فهي ابنة أبي معاوية
الثقفي.

روت عن النبي ﷺ، وعن زوجها ابن مسعود، وعمر بن الخطاب. وعنها:
ابنها أبو عُبَيْدَةَ، وابن أخيها - ولم يُسَمَّ - وعمرو بن الحارث بن أبي ضَرَارٍ،
وَبُسْر بن سعيد، وعُبَيْد بن السَّبَّاق.

وذكروا أن لابن مسعود امرأتين هما: ربيعة - أو: رائطة - وزينب، والراجح
- والله أعلم - أنهما واحدة، وأن (رائطة) أو (ربيطة) لقب لزينب. وقد نقل الحافظ
في «الفتح» ما يؤيد ذلك، فقال: (وقال الكلاباذي: رائطة هي المعروفة بزينب،
وبهذا جزم الطحاوي، فقال: رائطة هي زينب، لا يُعلم أن لعبد الله امرأة في زمن
رسول الله ﷺ غيرها).

لكن لابن مسعود امرأة أخرى غير زينب - أو رائطة -، ويُحمل ذلك على أنه
تزوج بهذه الثانية في الكوفة، وقد أنجب من كليهما كما تدل على ذلك رواية
صريحة في «الحلية»: عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود: (أنه كان يجالسه
بالكوفة، فبينما هو في صُفَّة له، وتحتة فلانة وفلانة - امرأتان ذواتا منصب
وجمال - وله منهما ولد كأحسن الولد، إذ شقشق على رأسه عصفور، ثم قذف
أذى بطنه، فنكته بيده...).

● ● أولاده:

أخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أبي الأحوص قال: (دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ مسعود، وعنده بنون ثلاثة كأمثالِ الدنانير، فجعلنَا ننظرُ إليهم، ففطنَ بنا، فقال: كأنكم تغبطوني بهم؟! قلنا: وهل يُغبط الرجلُ إلا بمثلِ هؤلاء...).

قال الإمام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: (وكان لابن مسعود ثلاثة بنين: عبدُ الرحمن - وبه كان يكنى - وعتبة وأبو عبيدة، واسم أبي عبيدة: عامر، وقيل: اسمه كنيته).

ولابن مسعود أكثر من بنت، كما يُفهم من رواية ابن سعد بشأن وصية عبد الله للزبير وابنه، قال: (وإنه لا تُزَوَّجُ امرأةٌ من بناته إلا بعلمِها، ولا يُخَجَّرُ ذلك عن امرأته زينب بنت عبد الله الثقفية).

منهن ابنة تسمى (سارة) جاء ذكرها في بعض الروايات.

* * *

(٨) ^١ أَبوالدَّرْدَاءِ^(١)

... - ٣٢ هـ

- (١) مصادر ترجمته: مسند أحمد ٥/١٩٤، ٦/٤٤٠ - ٤٥٢، المستدرک ٣/٣٣٦ - ٣٣٧، جامع الأصول ٨/٥٦٩ - ٥٧٠، مشكاة المصابيح ٣/١٧٥٧، تحفة الأشراف ٨/٢١٨ - ٢٤٧، مجمع الزوائد ٩/٣٦٧، كنز العمال ١٣/٥٥٠ - ٥٥٣، طبقات ابن سعد ٢/٣٥١ - ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٩٣ - ٣٩١/٧، طبقات خليفة ٩٥، ٣٠٣، العلل لأحمد: رقم ٦٩٢، ١٩٣١، ٣٠٣٠، ٤٣٢٢، ٤٣٢٤، ٥٠٤٧، التاريخ الكبير للبخاري ٧/٧٦ - ٧٧ ت ٣٤٨، التاريخ الصغير له ١/٦٦، ٦٧، ٨٥، ٨٦، ٩١، ٩٧، ٩٨، ٢٢٣، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي «انظر فهرس الأعلام»، أخبار القضاة لوکیع ٣/٤٩، ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٣، تاريخ الطبري ٣/٣٩٧، ٤/٢٥٨، ٢٦٢، ٢٨٣، ٤٢١، ٤٢١/٥، الجرح والتعديل ٧/٢٦ - ٢٨ ت ١٤٦، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٨٤ ت ٣٢٢، تاريخ الصحابة له ١٨٢ ت ٩٤١، الثقات له ٣/٢٨٥، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر ٤٨، ٤٩، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/٥٩٢ - ٥٩٣ ت ٩٣٩، حلية الأولياء ١/٢٠٨ - ٢٢٧، جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٦٢، جوامع السيرة له ٩٧، ٢٧١، ٢٧٧، ٣٢١، الاستيعاب ٣/١٥ - ١٨، ٤/٥٩ - ٦١، طبقات الفقهاء للشيرازي ٢٨، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٤٠٤ - ٤٠٥ ت ١٥٥٣، صفة الصفوة ١/٦٢٧ - ٦٤٣، أسد الغابة ٤/١٥٩ - ١٦٠، ٥/١٨٥ - ١٨٦، الكامل في التاريخ ٢/٤١١، ٣/٩٥، ٩٦، ١١٤، ١٢٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٢٨ - ٢٢٩ ت ٣٤٠، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٢٠/١٠ - ٤٣، تهذيب الكمال ٢٢٢/٤٦٩ - ٤٧٥ ت ٤٥٥٨، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٣٩٨ - ٤٠٤، العبر ١/٢٤، سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥ - ٣٥٣، دول الإسلام ١٧، تذكرة الحفاظ ١/٢٤ - ٢٥، المعين في طبقات المخدثين ٢٥ ت ١٠١، معرفة القراء ١/٤٠ - ٤٢، الكاشف ٢/٣٠٨ ت ٤٣٩١، غاية النهاية ١/٦٠٦ - ٦٠٧ ت ٢٤٨٠، الإصابة ٣/٤٦ ت ٦١١٩، تهذيب التهذيب ٨/١٥٦ - ١٥٧، تقريب التهذيب ٢/٩١، الرياض المستطابة ٢١٧ -

اسمه ونسبه ونسبته، وكنيته: **عُويَمر بن زيد بن قيس، الأنصاري الخزرجي**.

مختلف في اسم أبيه.

يكنى أبا الدرداء، وقد اشتهر بكنيته وباسمه جميعاً.

صفته وحليته:

حدث من رآه بأنه كان أشهل، أفنى، يخضب بالصفرة، عليه قلنسوة صغيرة، وعمامة قد ألقاها على كتفيه.

إسلامه:

أخرج ابن عساکر عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِسْلَامَ أَبِي الدَّرْدَاءِ». فَأَسْلَمَ^(١).

وعند أبي زرعة في «التاريخ» عن أبي الزاهرية حدير بن كريب الحمصي قال: (كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً).

وأخرج ابن عساکر عن سعيد بن عبد العزيز: (أن أبا الدرداء أسلم يوم بدر، وشهد أهدأ فأبلى يومئذ، وفرض له عمر في أربع مئة - يعني في الشهر - ألحقه بالبدرين).

وعن جبير بن نفير قال: (كان أبو الدرداء يعبد صنماً في الجاهلية، وإن عبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة دخلا بيته فكسرا صنمه، فرجع أبو الدرداء فجعل يجمع صنمه ذلك ويقول: وَيْحَكَ! هَلَّا امْتَنَعْتَ؟! أَلَا دَفَعْتَ عَن نَّفْسِكَ! فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أهدأ أو يدفع عن أهدأ، دفع عن نفسه ونفعها! فقال

= ٢١٨، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٩٨ - ٢٩٩، شذرات الذهب ٣٩/١، ٤٤، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام» وغيرها.

(١) ونسبه الألباني في «ضعيف الجامع» للطبراني في «الكبير»، وقال: ضعيف.

أبو الدرداء: أعدّي لي في المُغتسل ماء، فجعلت له ماء، فاغتسل، وأخذ حُلَّتَه فلبسها، ثم ذهب إلى النبي ﷺ، فنظر إليه ابنُ راحة مُقبلاً؛ فقال: يا رسول الله، هذا أبو الدرداء، وما أراه إلا في طلبنا. فقال النبي ﷺ: «إنما جاء يُسَلِّم، فإن ربِّي وَعَدَنِي بأبي الدرداء أن يُسَلِّم»^(١).

المؤاخاة:

أخى رسول الله ﷺ بين أبي الدرداء وبين سلمان الفارسي، وكان عند مقدمه المدينة أخى بين المهاجرين والأنصار، وهذان أسلما بعد ذلك بمدة، فأخى بينهما.

مشاهدته:

قال ابن عبد البر: (شهد أهدأ وما بعدها من المشاهد، وقد قيل: إنه لم يشهد أهدأ، لأنه تأخر إسلامه، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد).

وقال الحافظ في «تقريب التهذيب»: (أول مشاهدته أحد).

عن سعيد بن عبد العزيز قال: (أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أهدأ، وأمره رسول الله ﷺ يومئذ أن يؤدَّ من على الجبل، فردَّهم وحده. وكان قد تأخر إسلامه قليلاً)^(٢).

وقال شريح بن عبيد الحمصي: (لما هزم أصحاب النبي ﷺ يوم أهدأ، كان أبو الدرداء يومئذ فيمن فاء إلى رسول الله ﷺ في الناس، فلما أظلم المشركون من فوقهم، قال رسول الله ﷺ: «اللهم، ليس لهم أن يغلونا». فتاب إليه يومئذ ناس، وانتدبوا، وفيهم عويمر أبو الدرداء، حتى أدخضوهم عن مكانهم الذي كانوا فيه، وكان أبو الدرداء يومئذ حسن البلاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الفارس عويمر»^(٣).

(١) أخرجه ابن عساکر، وهو بنحوه في المستدرک وطبقات ابن سعد.

(٢) أخرجه ابن عساکر.

(٣) أخرجه ابن عساکر، قال شعيب: وهو مرسل، فإن شريح بن عبيد لم يدرك أبا الدرداء.

عن شريح بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «نِعْمَ الْفَارِسُ عُؤَيْمِرٌ»^(١).
وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «حَكِيمٌ أُمَّتِي عُؤَيْمِرٌ»^(٢).

وعن أبي الدرداء قال: (قال رسول الله ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَلَا أَلْفَيْنَ مَا نُوزِعْتُ فِي أَحَدِكُمْ، فَأَقُولُ: هَذَا مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَتْ بِعَدِّكَ» فقلتُ: يا رسول الله، ادعُ الله أن لا يجعلني منهم. قال: «لستَ منهم»^(٣)).

وعن أبي عبد الله الأشعري عن أبي الدرداء قال: (قلتُ: يا رسول الله، بلغني أنك تقول: إن ناساً من أمتي سيكفرون بعد إيمانهم! قال: «أجل يا أبا الدرداء، ولستَ منهم»^(٤)). قال: فتوفِّي أبو الدرداء قبل أن يُقتل عثمان^(٥).

وعن جبير بن نفير، عن عوف بن مالك الأشجعي (أنه رأى في المنام قبة من آدم ومرجاً أخضر، وحول القبة غنم رُبوض تجترُ وتبعرُ العجوة، قال: قلتُ: لمن هذه القبة؟ قيل: لعبد الرحمن بن عوف. قال: فانتظرنا حتى خرج، قال: فقال: يا عوف، هذا الذي أعطانا الله بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية؛ لرأيت ما لم ترَ عينك، ولم تسمع أذنك، ولم يخطر على قلبك، أعدّه الله سبحانه وتعالى لأبي الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر)^(٥).

وعن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، قال: (بينما أبو الدرداء

= وذكره مختصراً ابن سعد والحاكم. ومعنى (انتدبوا): أسرعوا. (أدحضوهم): أزالوهم.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) أخرجه ابن عساکر، والطبراني في «الأوسط»، قال شعيب: مرسل، وضعفه الألباني.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن عساکر، ونسبه الهيثمي في «المجمع» للطبراني في «الأوسط» والبخاري، وقال: رجالهما ثقات.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير»، والطبراني، والبيهقي، وابن عساکر، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير أبي عبد الله الأشعري، وهو ثقة.

(٥) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم وابن عساکر.

يُوقَدُ تَحْتَ قَدْرِ لَه، وَسَلْمَانُ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - عِنْدَهُ، إِذْ سَمِعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فِي الْقَدْرِ صَوْتًا، ثُمَّ ارْتَفَعَ الصَّوْتُ بِتَسْبِيحِ كَهَيْئَةِ صَوْتِ الصَّبِيِّ، قَالَ: ثُمَّ نَذَرْتُ فَاِنْ كَفَأْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَكَانِهَا لَمْ يَنْصَبْ مِنْهَا شَيْءٌ! فَجَعَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَنَادِي: يَا سَلْمَانُ، انظُرْ إِلَى الْعَجَبِ! انظُرْ إِلَى مَا لَمْ تَنْظُرْ إِلَى مِثْلِهِ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ! فَقَالَ سَلْمَانُ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَكَتَ لَسَمِعْتَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى^(١).

قال الحافظ في ترجمته من «تهذيب التهذيب»: (ومناقبه وفضائله كثيرة جداً).

سيرته وشمائله:

أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» عن محمد بن إسحاق، عن مكحول قال: (كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: أَتَيْعُنَا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَعْلَمُنَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ).

زهده:

عن الأعمش، عن خَيْثَمَةَ، عن أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: (كُنْتُ تَاجِرًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ التَّجَارَةِ وَالْعِبَادَةِ فَلَمْ يَسْتَقِمْ، فَتَرَكْتُ التَّجَارَةَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعِبَادَةِ)^(٢).

قال الحافظ الذهبي مُعَقِّبًا عَلَى هَذَا الْخَبَرِ: (الْأَفْضَلُ جَمْعُ الْأَمْرَيْنِ مَعَ الْجِهَادِ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ هُوَ طَرِيقُ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالصُّوفِيَّةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَمْزِجَةَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ فِي ذَلِكَ، فبَعْضُهُمْ يَقْوَى عَلَى الْجَمْعِ، كَالصُّدِّيِّقِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَمَا كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَبَعْضُهُمْ يَعْجِزُ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى

(١) أخرجه أبو نعيم وابن عساکر، وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: حديث صحيح.
(٢) أخرجه ابن سعد والطبراني وابن عساکر، وقال الهيثمي في «المنجم»: رجال الطبراني رجال الصحيح.

العبادة، وبعضهم يقوى في بدايته، ثم يعجز، وبالعكس؛ وكلُّ سائغ، ولكن لا بُدَّ من النهضة بحقوقِ الزَّوجَةِ والعيال).

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن عمرو بن مرة قال: قال أبو الدرداء: (بُعث النبي ﷺ وأنا تاجر، فأردتُ أن تجتمع لي العبادة والتجارة، فلم يجتمعا، فرفضتُ التجارة وأقبلتُ على العبادة؛ والذي نفسُ أبي الدرداء بيده، ما أحبُّ أن لي اليوم خانوتاً على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة، أربحُ فيه كلَّ يومٍ أربعين ديناراً، وأنصدقُ بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكرهُ من ذلك؟ قال: شدة الحساب).

وفي «الحلية» عن خالد بن حدير الأسلمي: (أنه دخل على أبي الدرداء وتحتة فراش من جلد أو صوف، وعليه كساء صوف، وسبتيه صوف، وهو وجع، وقد عرق، فقال: لو شئتُ كسيت فراشك بورك وكساء مرعزي مما يبعث به أمير المؤمنين؟ قال: إن لنا داراً، وإنا لنظعن إليها، ولها نعمل).

وفيها - أيضاً - عن حسان بن عطية: (أن أصحاباً لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه تضيّفوه، فضيّفهم، فمنهم من بات على ليدة، ومنهم من بات على ثيابه كما هو؛ فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم، فقال: إن لنا داراً لها نجمع وإليها نرجع).

وأخرج الإمام أحمد عن محمد بن كعب: (أن ناساً نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرة، فأرسل إليهم بطعام سخن، ولم يرسل إليهم بلحّف. فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القر، لا أنتهي أو أئين له. قال الآخر: دعه. فأبى، فجاء حتى وقف على الباب، رآه جالساً وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يُذكر، فرجع الرجل وقال: ما أراك بتّ إلا بنحو ما بتنا به. قال: إن لنا داراً ننقل إليها، قدّمنا فرشنا ولحّفنا إليها، ولو أقيمت عندنا منه شيئاً لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبه كؤوداً، المُخفّ فيها خيرٌ من المُثقل، أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم).

وعن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه قال: قالت أم الدرداء لأبي الدرداء: (إن احتجتُ بعدك آكل الصدقة؟ قال: لا، اعلمي وكُلِّي. قالت: فإن ضعفتُ عن العمل؟ قال: التقطي السنبَل ولا تأكلي الصدقة).

عبادته:

● ● عن أبي جحيفة قال: (أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فرآه سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتبدلةً، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كُل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بِأَكِلِ حَتَّى تَأْكُلِ، قال: فأكل، فلمَّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلمَّا كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلِّنا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كُلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ. فأتى النبي ﷺ فذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».)^(١)

وعن عباس بن جليد الحَجْرِي^(٢)، عن أبي الدرداء أنه قال: (لولا ثلاثٌ خلال لأحييتُ أن لا أبقى في الدنيا. فقلتُ: وما هنَّ؟ فقال: لولا وضَعُ وجهي للِسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار يكون تقدمةً لحياتي، وظمًّا للهَواجِر، ومقاعدة قوم ينتقون الكلام كما تُنتقى الفاكهة)^(٣).

وقال هشام بن عمار: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (كَانَ أَبُو الدرداء يُصَلِّي، ثُمَّ يُقْرَأُ وَيُقْرَأُ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ مِنْ وَلِيْمَةٍ أَوْ عَقِيْقَةٍ نَشَهُدُهَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، وَإِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي صَائِمٌ. وَهُوَ

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - والترمذي وابن سعد والبخاري وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والظهيراني والدارقطني وأبو نعيم. وأم الدرداء: هي خيرة الصحابة.

(٢) قال الحافظ: ثقة.

(٣) أخرجه أبو نعيم وابن عساكر.

الذي سنَّ هذه الحِلَقَ للقراء).

وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: (سألتُ أمَّ الدرداء: ما كانَ أفضلُ عبادةِ أبي الدرداء؟ قالت: التفكُّرُ والاعتبارُ)^(١).

وعن سالم بن أبي الجعد، عن أمِّ الدرداء، عن أبي الدرداء قال: (تَفَكَّرُ ساعةً خيرٌ من قيام ليلة)^(٢).

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن واقد، عن ابن حَلْبَس: (قيلَ لأبي الدرداء - وكان لا يفترُّ من الذكر - : كم تسبِّح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلا أن تُخطيء الأصابع).

● ● وكان رضي الله عنه شديد الخوف، عظيم الرجاء، عاملاً بعلمه، راسخَ اليقين بصدق ما أخبر به النبي ﷺ:

عن علي بن حوشب، عن أبيه، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: (أخوفُ ما أخاف أن يُقال لي يوم القيامة: يا عُويمر، أعلمت أم جهلت؟ فإن قلتُ: علمت؛ لا تبقى آية أمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها: المرأة هل اتتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع)^(٣).

وعند ابن أبي حاتم في «التفسير» عن أبي الدرداء قال: (لأنَّ أَسْتَيْقِنَ أن الله قد تقبَّل لي صلاةً واحدة؛ أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾)^(٤).

وأخرج أبو نعيم عن حكيم بن حزام قال: قال أبو الدرداء: (لو تعلمون ما

(١) أخرجه أبو نعيم وابن عساكر، وأحمد نحوه.

(٢) أخرجه ابن سعد وأحمد وأبو نعيم وابن عساكر.

(٣) أخرجه أحمد وأبو نعيم، وأخرج البيهقي وابن عساكر نحوه.

(٤) سورة المائدة: الآية ٢٧.

أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم، ولوددتُ أني شجرة تُعصد ثم تُؤكل).

وعند ابن عساکر: (كان أبو الدرداء يقف على أبواب المدائن الحَرَبية، يقول: يا مدينة، أين أهلك؟ أين سكانك؟ أين، أين... ثم لا يخرج حتى يبكي ويبيكي).

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن طلق قال: (جاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه، فقال: يا أبا الدرداء، احترق بيئتُك. قال: ما احترق!! ثم جاء آخر فقال مثل ذلك، فقال: ما احترق!! ثم جاء آخر فقال مثل ذلك، فقال: ما احترق!! ثم جاء آخر فقال: يا أبا الدرداء، انبعثت النار حتى انتهت إلى بيتك طفئت. قال: قد علمتُ أن الله عز وجل لم يكن ليفعل ذلك. قال: يا أبا الدرداء، ما نذري أيُّ كلامك أعجبُ قولك: ما احترق، أو قولك: قد علمتُ أن الله لم يكن ليفعل ذلك؟ قال: ذلك كلمات سمعتها من رسول الله ﷺ، من قالهن حين يُصبح لم تُضبه مصيبة حتى يمسي. «اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت، عليك توكلتُ وأنت ربُّ العرش الكريم. ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أعلمُ أن الله على كلِّ شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً. اللهم إني أعودُ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ كلِّ دابة أنت أخذٌ بناصيتها، إن ربِّي على صراطٍ مُستقيم»).

وأخرج مسلم وأبو داود عن أبي الدرداء قال: (أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث، لن أدعهنَّ ما عشتُ: بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر). لفظ مسلم.

خروجه إلى الشام:

عن سعد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي قال: (جمع القرآن في

زمان النبي ﷺ، خمسة من الأنصار معاذ بن جبل، وعُبادَة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب، كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا، وربُّلوا، وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم؛ فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أحببتهم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتسأهم، هذا شيخ كبير - لأبي أيوب - وأما هذا فسقيم - لأبي بن كعب -، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقيم بها واحداً، وليخرج واحداً إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين. فقدموا حمص فكانوا بها؛ حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين. وأما معاذ فمات عام طاعون عمّاس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات^(١).

فكان أبو الدرداء يعلم الناس، ويفقههم، ويحدثهم بما حفظ عن رسول الله ﷺ، ويقضي بينهم، ويحل خصوماتهم.

وشارك في الفتوحات، فكان في «اليرموك» قاضي المسلمين، وفي «فتح دمشق» أرصده أبو عبيدة على جيش بيزرة^(٢)، ليكون رداءً للمسلمين. كما شهد فتح (جزيرة قبرص) في جماعة من الصحابة، تحت إمرة معاوية، وذلك سنة (٢٧هـ) أو (٢٨هـ).

(١) أخرجه ابن سعد - وهذا لفظه - والبخاري في «التاريخ الصغير»، وابن أبي داود في «المصاحف» والحاكم وابن عساکر. قال شعيب: رجاله ثقات. وقال في موضع آخر: إسناده حسن، لكنه مرسل. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٤ و ٦.

(٢) من قرى دمشق، وقد اتصلت بها الآن.

علمه ومروياته:

كان أبو الدرداء إماماً ربانياً، فقيهاً عالماً، محدثاً مقرئاً، قاضياً فهماً، عاقلاً حكيماً، حليماً لبيماً.

أخرج ابن عساكر عن الأوزاعي: حدثنا حسان بن عطية قال: قال أبو الدرداء: (لو أنسيت آية لم أجد أحداً يُذكرنيها إلا رجلاً بيزك الغماد^(١))؛ رحلتُ إليه).

وقال الليث: عن رجلٍ عن آخر: (رأيتُ أبا الدرداء دخل مسجداً للنبي ﷺ، ومعه من الأتباع مثلُ السلطان: فمن سائلٍ عن فريضة، ومن سائلٍ عن حساب، وسائلٍ عن حديث، وسائلٍ عن مُغضلة، وسائلٍ عن شعر).

القاريء:

قال الذهبي في ترجمته من «السير»: (وهو معدودٌ فيمن تلا على النبي ﷺ، ولم يبلغنا أبداً أنه قرأ على غيره. وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ. وتصدّر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك).

وقال في «التذكرة»: (وحفظ القرآن عن رسول الله ﷺ، وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقههم وقاضهم).

عن أنس بن مالك قال: (مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه)^(٢).

● ● قال أبو عمرو الداني: (عرّض على أبي الدرداء القرآن: عبد الله بن عامر، وخُلَيْد بن سعد القاريء، وراشد بن سعد، وخالد بن معدان).

(١) موضع بناحية اليمن، وقيل: هو موضع في أقاصي أرض هجر.
(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم والترمذي. وانظر توضيح معنى الحديث في ترجمة «أبي بن كعب»، ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

واستدرك الذهبي عليه فقال: (في عَرْضِ هَوْلَاءَ عَلَيْهِ نَظَرٌ).

وقال في ترجمة أبي الدرداء من «معرفة القراء»: (يقال: إن عبد الله بن عامر^(١) قرأ عليه).

وقال في «السِّير»: (فَإِنْ صَحَّ، فَلَعَلَّهُ قرأ عليه بعضَ القرآن وهو صبيٌّ. وقرأ عليه عَطِيَّةُ بن قَيْسٍ، وأُمُّ الدرداء).

● ● قال سُويد بن عبد العزيز: (كان أبو الدرداء إذا صَلَّى الغَدَاةَ في جامع دمشق اجتمع الناسُ للقراءةِ عليه، فكان يجعلهم عشرةَ عشرةَ، وعلى كلِّ عشرةَ عريفاً، ويقف هو في المحراب يَزْمُقُهُم ببصره، فإذا غَلِطَ أحدهم رجعَ إلى عريفه، فإذا غَلِطَ عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك).

وعن سعيد بن عبد العزيز، عن مسلم بن مشكم: (قال لي أبو الدرداء: اعدُّ مَنْ في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفاً وسِتِّ مئةٍ ونيِّقاً. فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرةَ عشرةَ، فإذا صَلَّى الصبحَ، انفتلَ وقرأ جزءاً؛ فيُخَدِّقُون به يسمعون ألفاظه. وكان ابنُ عامر مقدماً فيهم)^(٢).

فأبو الدرداء أحدُ الصحابة الذين حَفِظُوا القرآنَ في حياة النبي ﷺ، وأخذ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة.

المحدث:

عن أبي إدريس الخَوْلَانِي قال: (رأيتُ أبا الدرداء إذا فرغَ من الحديثِ عن رسول الله ﷺ قال: هذا، أو نحوه، أو شكله)^(٣).

(١) هو عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، وهو أحد القراء السبعة المشهورين الثقات. توفي سنة (١١٨هـ).

(٢) قال شعيب: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه ابن سعد وابن عبد البر في «جامعه» وأبو يعلى والرُّوْيَانِي، وابن عساكر نحوه، ونسبه في «المجمع» للطبراني في «الكبير» وقال: رجاله ثقات.

روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ، وعن عائشة، وزيد بن ثابت.

وروى عنه: أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد، وابن عباس، وأبو أمامة الباهلي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم من جلة الصحابة. وجبير بن نفير، وزيد بن وهب، وأبو إدريس الخولاني، وعلقمة بن قيس، وقبيصة بن ذؤيب، وزوجته أم الدرداء العالمة، وابنه بلال بن أبي الدرداء، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، ومعدان بن أبي طلحة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وخالد بن معدان، وسويد بن غفلة، وابن سيرين، ومحمد بن كعب القرظي، وهلال بن يساف، وعبد الله بن عامر اليحصبي، وآخرون.

روي له عن رسول الله ﷺ (١٧٩) مئة حديث وتسعة وسبعون حديثاً، في الصحيحين منها ثلاثة عشر حديثاً، اتفقا على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية.

وخرج حديثه الجماعة.

القاضي:

ولي أبو الدرداء قضاء دمشق.

عن سعيد بن عبد العزيز قال: (إنَّ عمر أمَّرَ أبا الدرداء على القضاء بدمشق. قال: وكان القاضي يكون خليفة الأمير إذا غاب)^(١).

وقال ابن حبان: (ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر).

قلت: قال ابن عبد البر: (إنما ولي القضاء لمعاوية في خلافة عثمان).

وكان متحريراً في القضاء، شديد المراقبة لله فيه، أخرج ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال: (كان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين، ثم أدبراً عنه، نظر

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وهو عند ابن عساكر عن راشد بن سعد، مثله.

إليهما، فقال: ارجعا إليّ، أعيدا عليّ قضيتكما).

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال: (استعمل أبو الدرداء على القضاء، فأصبح يُهتُّونَه، فقال: أتَهتُّوني بالقضاء وقد جُعِلْتُ على رأسِ مَهْوَاةٍ مَزَلَّتْهَا أَبْعَدُ من عَدَنَ أَبِيْن^(١)؟! ولو عَلِمَ الناسُ ما في القضاء لأَخَذوه بالدُّوَل، رغبةً عنه، وكراهيةً له، ولو يَعْلَمُ الناسُ ما في الأَذانِ لأَخَذوه بالدُّوَل، رغبةً فيه، وحرصاً عليه).

● ● ومن شعره ما رواه محمد بن يزيد الرحبي قال: (قيل لأبي الدرداء: ما لك لا تَشْعُرُ، فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شِعْرًا؟! قال: وأنا قد قلتُ، فاسمعوا:

يريدُ المرءُ أن يُعطى مناهُ ويأبى الله إلا ما أَرَادَا
يقول المرءُ فائدتي ومالي وتقوى الله أفضلُ ما استَفَادَا^(٢)

من أقواله ووصاياه:

كان لأبي الدرداء حِكْمٌ ماثورة، وكلمات مشهورة، ومواعظ بليغة، ووصايا غالية:

● ● فمن ذلك قوله: (تَعَلَّمُوا قَبْلَ أن يُرْفَعَ العلم، إن رَفَعَ العلم ذهابُ العلماء، إن العالمَ والمتعلِّمَ في الأجر سواء، وإنما الناس رجلان: عالم ومتعلم، ولا خيرَ فيما بين ذلك)^(٣).

وعن مَيْمُون بن مِهْران، قال أبو الدرداء: (ويلٌ للذي لا يَعْلَمُ مرَّةً، وويلٌ للذي يَعْلَمُ ولا يَعْمَلُ سبعَ مرات)^(٤).

(١) مِخْلَاف باليمن، منه عَدَن.

(٢) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم وابن عساكر.

(٣) أخرجه أبو نعيم، وعند ابن عساكر نحوه.

(٤) أخرجه ابن عساكر، وعند أبي نعيم نحوه.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر، عن أبي الدرداء قال: (اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يُغنيك خيراً من كثيرٍ يُلْهِمُكَ، وأن البرَّ لا يتلى، وأن الإثمَ لا يُنسى).

وعندهما عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: (ليس الخيرُ أن يكثرَ مالكُ وولدُك، ولكن الخيرُ أن يعظمَ حلمُك، ويكثرَ علمُك، وأن تباريَ الناسَ في عبادةِ الله عز وجل، فإن أحسنتَ حمدتَ الله تعالى، وإن أسأتَ استغفرتَ الله عز وجل).

وعندهما - أيضاً - عن أبي وائل، عن أبي الدرداء قال: (إنَّ أبغضَ الناسِ إليَّ أن أظلمه مَنْ لا يستعين عليَّ إلا بالله عز وجل).

وعندهما عن أبي الدرداء: (أنتَ مرَّ على رجلٍ قد أصاب ذنباً، فكانوا يسبُّونه، فقال: أرايتم لو وجدتموه في قليبٍ ألم تكونوا مستخرجيه؟! قالوا: بلى. قال: فلا تستبوا أحاكم، واخمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغضُ عمله، فإذا تركه فهو أخي).

وأخرج أحمد وابن عساكر عن أبي الدرداء قال: (استعيذوا بالله من خشوعِ النفاق. قيل: وما خشوعُ النفاق؟ قال: أن يرى الجسدُ خاشعاً، والقلبُ ليس بخاشع).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء قال: (ابن آدم، طأ الأرضَ بقدمك فإنها عن قليلٍ تكون قبرك. ابن آدم، إنما أنت أيامٌ، فكلمنا ذهبَ يومَ ذهبٍ بعضك. ابن آدم، إنك لم تزل في هدمِ عمرك منذُ يومٍ ولدتك أمك).

وعنده عن أبي الدرداء قال: (تعلموا الصمتَ كما تعلمون الكلامَ؛ فإن الصمتَ حلمٌ عظيمٌ، وكُنْ إلى أن تسمعَ أحرصَ منك إلى أن تتكلمَ، ولا تتكلمَ في شيءٍ لا يعينك، ولا تكن مضحاكاً من غيرِ عَجَبٍ، ولا مشاءً إلى غيرِ أرب^(١)).

(١) أرب: حاجة.

ووصف الدنيا فقال: (الدنيا دار كَدْر، ولن ينجو منها إلا أهل الحَدَر، ولله فيها علامات، يسمَعُها الجاهلون، ويعتبر بها العالمون، ومن علاماته فيها أن حَقَّها بالشهوات، فارتطمَ فيها أهل الشُّبُهَات، ثم أعقَبها بالآفات، فانتفَع بذلك أهل العِظَات، ومزج حلالها بالمؤنَات، وحرامها بالتبعات، فالمُثري فيها تَعِب، والمُقل فيها نَصِب).

● ● ومن نصائحه ووصايا:

ما أخرجه ابن عساكر عن أبي الدرداء أنه كتب إلى مسَلَمَة بن مُخَلَّد: (أمَّا بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبَّه الله، وإذا أحبَّه الله حبَّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، وإذا أبغضه الله بغَّضه إلى خلقه).

وأخرج ابن عساكر عن راشد بن سَعْد قال: (جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السرِّاء يذكرك في الصِّرَّاء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدِهِم، وإذا أشرقت نفسك على شيء^(١) من الدنيا فانظر إلى ما تصير).

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال: (بلغني أن أبا الدرداء رضي الله عنه كتب إلى أخ له: أما بعد؛ فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، وهو صائر له أهل بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك، فأتزها على المصلح من ولدك، فإنك تقدّم على من لا يعذرك، وتجمع لمن لا يحمذك. وإنما تجمع لواحد من اثنين: إما عامل فيه بطاعة الله، فيسعد بما شقيت به، وإما عامل فيه بمعصية الله، فتشقى بما جمعت له؛ وليس - والله - واحد منهما بأهل أن تُبرِّد^(٢) له على ظهرك، ولا تؤثره على نفسك. ارجُ

(١) أي إذا تطلّعت إليه.

(٢) أي تخفّف عنه من عقوبة ذنبه. ومنه الحديث: (لا تُبرِّدوا عن الظالم) أي لا تشمّوه وتدعوا عليه فتخفّفوا عنه من عقوبة ذنبه.

لمن مضى منهم رحمة الله، وثق لمن بقي منهم رزق الله. والسلام).

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر: (أن رجلاً قال لأبي الدرداء: علّمني كلمة ينفعني الله عز وجل بها. قال: وثنتين وثلاثاً وأربعاً وخمسة، مَنْ عملَ بهنَّ كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العُلى؛ قال: لا تأكل إلا طيباً، ولا تُكسِب إلا طيباً، ولا تُدخِل بيتك إلا طيباً، وسلِّ الله عز وجل يرزقك يوماً بيوم، وإذا أصبحت فاعذُذ نفسك من الأموات، فكأنك قد لحقت بهم، وهَب عرضك لله عز وجل، فمن سَبَّكَ أو شَتَمَكَ أو قَاتَلَكَ فَدَعَهُ لِلَّهِ عز وجل وإذا أسأت فاستغفر الله عز وجل).

مكانته وثناؤهم عليه:

تبوأ أبو الدرداء مكانة عالية عند الصحابة فمن بعدهم، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرض له كالبدرين لجلالته.

● ● عن خالد بن معدان قال: (كان عبد الله بن عمرو^(١) يقول: حَدِّثُونَا عن العاقِلَيْنِ. فيقال: من العاقِلَانِ؟ فيقول: معاذٌ، وأبو الدرداء)^(٢).

وقال معاذ بن جبل: (الْتَمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ: عِنْدَ عُومِرِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامِ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَاسْتَلِمَ)^(٣).

وفي رواية ساقها ابن عبد البر في «الاستيعاب»، عن يزيد بن عميرة قال: (لما حضرت معاذ بن جبل الوفاة، قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا. فقال: الْتَمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ عُومِرِ أَبِي الدَّرْدَاءِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ).

(١) هكذا في «الطبقات» و«الاستيعاب» ووقع عند ابن عساکر وفي «النبلاء»: ابن عمر.

(٢) أخرجه ابن سعد وابن عساکر، قال شعيب: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن سعد وابن خزيمة والبخاري في «التاريخ الصغير»، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ في «الإصابة» وجوّد إسناده.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن الحجري قال: (قال أبو ذر لأبي الدرداء: ما حملت ورقاء، ولا أطلت خضراء^(١))، أعلم منك يا أبا الدرداء).

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن مسروق قال: (شاممت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: إلى عمر، وعلي، وعبد الله، ومعاذ، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله)^(٢).

وأخرج ابن عساكر عن القاسم بن محمد قال: (كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم).

● ● قال ابن عبد البر في ترجمة أبي الدرداء من «الاستيعاب»: (كان أبو الدرداء أحد الحكماء والعلماء والفضلاء).

وقال ابن عساكر في «تاريخه»: (كان فقيهاً، عالماً، عابداً، قارئاً، أحد الأربعة الذين أوصى معاذ بن جبل أصحابه أن يأخذوا العلم عنهم).

ووصفه ابن الأثير في «أسد الغابة» بأنه (كان من أفاضل الصحابة، وفقهائهم، وحكمائهم).

وأثنى الذهبي عليه في غير موضع من كتبه، فقال في «السير»: (الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، أبو الدرداء... حكيم هذه الأمة، وسيّد القراء بدمشق).

وقال في «معرفة القراء»: (توفي سنة اثنتين وثلاثين، وما خَلَفَ بالشام كلها بعده مثله رضي الله عنه).

(١) الورقاء: الغبراء، أراد بها الأرض. والخضراء: السماء.

(٢) قال شعيب: إسناده صحيح. قوله (شاممت): يقال: شاممت فلاناً: إذا قاربت، وعرفت ما عنده بالاختبار والكشف.

من أخباره الشخصية :

● ● أمه : هي مُحَبَّة بنت واقد بن عمرو بن الإطّابة .

● ● امرأته : كان لأبي الدرداء امرأتان ، كل واحدة منهما يقال لها : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى ، فالكبرى صحابية ، والصغرى تابعة . تزوج التابعة بعد وفاة الصحابية .

اسم الصحابية : خَيْرَة بنت أبي حَذْرَد ، وهي أخت عبد الله بن أبي حَذْرَد . توفيت في حياة أبي الدرداء . ويقال : كنيته أم محمد .

واسم التابعة : هُجَيْمَة الأوصائية الجَمِيرِيَّة الدَّمَشْقِيَّة . روت علماً جماً ، وكانت فقيهة حكيمة ، واتفقوا على وصفها بالفقه والعقل والفهم والجلالة .

توفي عنها أبو الدرداء بدمشق ، فخطبها معاوية ، فلم تفعل^(١) .

● ● ابنه بلال :

حدث عن أبيه ، وامرأة أبيه أم الدرداء الصغرى .

قال أبو مُشْهَر : كان أسنَّ من أم الدرداء الصغرى .

وقال البخاري : بلال أمير الشام .

وقال سعيد بن عبد العزيز : ولي القضاء بعد النعمان بن بشير ، فلما استُخلف عبد الملك ، عزله بأبي إدريس الخولاني .

توفي سنة (٩٣هـ) .

● ● ابنته الدرداء :

تزوجها صَفْوَان بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خَلْف الجَمْعِي ، وكان قد خطبها إلى أبي الدرداء يزيد بن معاوية ؛ فردّه .

(١) لها ترجمة في هذا الكتاب برقم ٥٤ .

وفاته:

أخرج ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن معاوية بن قُرة: (أن أبا الدرداء اشتكى، فدخَلَ عليه أصحابه، فقالوا: يا أبا الدرداء، ما تشتكى؟ قال: أشتكى ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني)!

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: (لما حضر أبا الدرداء الموت، جاءه حبيب بن مسلمة فقال: كيف تجدك يا أبا الدرداء؟ قال: أجدني ثقيلًا. قال: ما أراه إلا الموت. قال: أجل. قال: جزاك الله خيراً).

وعند ابن عساكر: (لما نزل بأبي الدرداء الموتُ دعا أمَّ الدرداء، ضمَّها إليه وبكى، وقال: يا أمَّ الدرداء، قد ترين ما نزل بي من الموت، إنه - والله - قد نزل بي أمرٌ لم ينزل بي قطُّ أمرٌ أشدُّ منه، فإن كان لي عند الله خير فهو أهنُّ ما بعده، وإن تكن الأخرى، فوالله ما هو فيها بعده إلا كحلاب ناقة! ثم بكى وقال: يا أمَّ الدرداء، اعْمَلِي لِمِثْلِ مَضْرَعِي هَذَا، يا أمَّ الدرداء، اعْمَلِي لِمِثْلِ سَاعَتِي هَذِهِ. ثم دعا ابنه بلالاً فقال: وَيْحَكَ يَا بِلَالُ! اعْمَلْ لِسَاعَةِ الْمَوْتِ، اعْمَلْ لِمِثْلِ مَضْرَعِ أَبِيكَ، وَاذْكُرْ بِهِ صَرَعَتَكَ وَسَاعَتَكَ، فَكَأَنَّ قَدْ. ثم قبض).

وعنده - أيضاً - عن أم الدرداء قالت: (أغمي على أبي الدرداء، فأفاق فإذا بلالُ ابنه عنده، فقال: قم فاخرج عني. ثم قال: مَنْ يَعْمَلْ لِمِثْلِي هَذَا؟ مَنْ يَعْمَلْ لِمِثْلِ سَاعَتِي هَذِهِ؟ ﴿وَوَقَلْبُ أَفْتَدْتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١). أتيتهم. ثم أغمي عليه، فلبثت ليلة ثم يفيق، فيقول مثل ذلك، فلم يزل يرددُها حتى قبض).

● ● توفي أبو الدرداء - كما قال غير واحد - سنة اثنتين وثلاثين للهجرة،

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٠.

في خلافة عثمان، قبل مقتله، رضي الله عنهما.

وفي رواية عن خالد بن معدان قال: (مات سنة إحدى وثلاثين). فهذا خطأ؛ لأنه لما جاء نعي ابن مسعود إلى أبي الدرداء قال: (أما إنه لم يخلف بعده مثله)، ووفاة عبد الله كانت سنة (٣٢هـ).

قال ابن عبد البر: (وقالت طائفة من أهل الأخبار: إنه مات بعد صيفين، سنة ثمان أو تسع وثلاثين. والأكثر والأشهر والأصح عند أهل الحديث أنه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه).

وكانت وفاته بدمشق، وقبره وقبر زوجته أم الدرداء الصغرى بباب الصغير بدمشق.

قال ابن حبان: (وقبره بدمشق مشهور يزار، قد زرته في قبره بباب الصغير مراراً. وله بالشام عقب).

* * *

(٩) $\frac{٩}{١}$ عُبَادَةُ بِنِ الصَّامِتِ^(١)

٣٨ ق. هـ - ٣٤ هـ

- (١) مصادر ترجمته: مسند أحمد ٢٠١/٤، ٣١٣/٥ - ٣٣٠، المستدرک ٣٥٤/٣ - ٣٥٧، تحفة الأشراف ٢٣٩/٤ - ٢٦٤، مجمع الزوائد ٣٢٠/٩، فتح الباري ٦٤/١ - ٦٧، كنز العمال ٥٥٤/١٣، سيرة ابن هشام ٤٣١/١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٤، ٤٥٤، ٤٦٤، ٦٦٦، ٦٩٤، ٤٩/٢، طبقات ابن سعد ٢١٧/١ - ٢٢٣، ٣٥٦/٢ - ٣٥٧، ٣٧٤، ٥٤٦/٣، ٦٢١، ٣٨٧/٧، طبقات خليفة ٩٩، ٣٠٢، تاريخ خليفة ١٥٥، ١٦٠، ١٦٨، التاريخ الكبير للبخاري ٩٢/٦ ت ١٨٠٩، التاريخ الصغير له ٦٦/١ - ٦٧، ٨٩ - ٩١، المعرفة والتاريخ للفسوي ٣١٦/١، ٣٥٦، ٣٨٦، ٣٢٠/٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٦٠ - ٣٦٢، ٤١٩، ٤٦٥، ٧١٨، ٧١٩، ٢٦٩/٣، ٣٩٧، ٥٥٥، تاريخ أبي زرعة ٦٩، ٢٠٥، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٣٣٩، ٣٧٤، ٥٧٦، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٦٤، ٦٩٠، تاريخ الطبري ٣٢/١، ٣٥٦، ٣٦٨، ٤٥٨، ٤٨١، ٦٠٤، ٤٠١/٣، ٤٤١/٤، ٢٥٨، ٢٨٣، الجرح والتعديل ٩٥/٦ ت ٤٩٢، الثقات لابن حبان ٣٠٢/٣، مشاهير علماء الأمصار له ٨٧ - ٨٨ ت ٣٣٤، تاريخ الصحابة له ١٩٠ ت ١٠٠٤، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير ٥٠، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٥٠٣/٢ - ٥٠٤ ت ٧٧٦، جمهرة الأنساب لابن حزم ٣١٨، ٣٥١، ٣٥٤، جوامع السيرة له ٧١، ٧٦، ١٣٣، ٢٠٤، ٢٧٧، ٣٢٠، الاستيعاب ٤٤١/١ - ٤٤٣، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٣٣٤/١ - ٣٣٥ ت ١٢٦٩، أسد الغابة ١٠٦/٣ - ١٠٧، الكامل في التاريخ ١٦/١، ١٣٨/٢، ١٩٢، ٤٩٢، ٧٧/٣، ٩٥، ١١٤، ١٥٣، تهذيب الأسماء واللغات ٢٥٦/١ - ٢٥٧ ت ٢٨١، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٣٠١/١١ - ٣١٠، تهذيب الكمال ١٨٣/١٤ - ١٨٩ ت ٣١٠٧، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٤٢٢ - ٤٢٤، العبر ٢٦/١، دول الإسلام ١٩، المعين في طبقات المحدثين ٢٣ ت ٦٧، الكاشف ٥٧/٢ ت ٢٦٠٩، سير أعلام النبلاء ٥/٢ - ١١، الوافي بالوفيات ٦١٨/١٦ - ٦١٩، البداية والنهاية ٣/١٥٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ٤/٤، تهذيب التهذيب ٩٧/٥ - ٩٨، تقريب =

اسمه ونسبه ونسبته:

عُبَادَةُ بن الصَّامِتِ بن قَيْسِ بن أَصْرَمَ بن فِهْرِ بن ثُعَلْبَةَ بن غَنَمَ بن عَوْفِ بن عَمْرٍو بن عَوْفِ بن الخَزْرَجِ، الأنصاريُّ الخَزْرَجِيُّ، العَقَبِيُّ البَدْرِيُّ، من القَوَاقِلَةِ.

قال ابن هشام: (وإنما قيل لهم: القواقِل؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل، دفعوا له سَهْمًا، وقالوا له: قَوَقِلْ به ييشرب حيث شئت. قال ابن هشام: القوقلة: ضرب من المشي).

قال ابن حبان: (قوئل حيثُ شئت: يريد أن اذهب حيث شئت، وقُل ما شئت، فإن لك الأمان، لأنك في ذمتي).

كنيته:

يكنى أبا الوليد، بابنه الوليد بن عبادة.

صِفَتُهُ وَحِلْيَتُهُ:

عن عُبَادَةَ بن الوليد بن عبادة، عن أبيه قال: كان عُبَادَةُ رجلاً طَوَالاً، جَسِيماً، جَمِيلاً.

وقال سعيد بن عفير: كان طوله عشرة أشبار.

فهو رضي الله عنه مَدِيدُ القَامَةِ، فَارِعُ الطُولِ، يَزِيدُ عَلَيَّ المَتْرِينَ، أَسْمَرُ اللُّونِ، مَهِيْبُ الطَّلْعَةِ، مَتِيْنُ البِنْيَةِ. أَرْسَلَهُ عَمْرٍو بن العاصِ سَفِيْرًا إِلَى المَقْوَقِسِ، فَكَانَ لَهُ مَوْقِفٌ بَاهِرٌ، وَكَلَامٌ سَدِيدٌ رَشِيدٌ؛ يَزْهَنَّا عَلَيَّ أَنَّهُ رَجُلٌ حَصِيْفُ العَقْلِ، ذَكِي الفؤَادِ، عَمِيْقُ الفِكْرِ، غَزِيْرُ العِلْمِ، وَاسِعُ الحِلْمِ، سَرِيْعُ البَدِيْهَةِ، مَتَمَاسِكُ الشَّخْصِيَّةِ، مَنْضَبُطُ النَفْسِ، حَسَنُ الجَوَابِ، عَزِيْزُ بَدِيْنِهِ، قَوِيٌّ بِإِيْمَانِهِ، مَطِيْعٌ

= التهذيب ١/٣٩٥، الإصابة ٢/٢٦٠ - ٢٦١ ت ٤٤٩٧، الرياض المستطابة ٢٠٧ - ٢٠٨، خلاصة تذهيب التهذيب ١٨٨، شذرات الذهب ١/٤٠، ٦٢، ٦٣، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام».

لأميره، عارف لهدفه، ماضٍ في طريقه، لا يهاب الموت، ولا يأبه بالملك، ولا تصرفه الزخارف عن الحقائق.

إسلامه:

أسلم عبادة مبكراً، في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية، حيث كان أحد أعلام بيعة العقبة الأولى، فكان واحداً من السابقين إلى الإسلام من الأنصار، الذين أسلموا بين يدي النبي ﷺ، وبايعوه، ثم عادوا إلى المدينة، وأظهروا الإسلام ودعوا إليه.

بيعته:

حضر عبادة بيعة العقبة الأولى، وبيعة الثانية، وبيعة النساء، وبيعة الرضوان. وإن شهود واحدة منهن كان مما يتفاخر به، فكيف بمن بايع في الأربع؟ أفوراء ذلك مفخر؟!.

● ● بيعة العقبة الأولى:

كانت في السنة الحادية عشرة للبعثة، حيث وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، عشرة من الخزرج فيهم عبادة بن الصامت، واثان من الأوس، فلَقُوا رسولَ الله ﷺ بالعقبة؛ فبايعوه عندها.

ونص البيعة عند ابن إسحاق، فيما رواه بسنده عن عبادة بن الصامت قال: (كنتُ فيمن حَضَرَ العقبةَ الأولى، وكُنَّا اثني عَشَرَ رجلاً، فبايَعْنَا رسولَ الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفَرِّضَ الحرب، على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِيَ، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيْهَتان نُفْتَرِيه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نَعْصِيه في مَعْرُوف. فَإِنْ وَفَيْتُمْ فلكمُ الجنة، وإن غَشِيْتُمْ من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله عز وجل، إن شاء عَذَّبَ، وإن شاء غَفَرَ).

وتابع ابن إسحاق على ذلك بعضُ كُتَّاب السيرة من القُدماء والمُحدثين.

لكن الحافظ الكبير ابن حجر يرى أن المبايعة كانت على الإيواء والتُّصرة، كما يتبين ذلك في «الفتح» - كتاب الإيمان، باب ١١، عند شرح حديث عبادة مرفوعاً: «بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تَسْرِقوا، ولا تَزْنُوا...» - فقال:

(والمبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصِّفة المذكورة، لم تقع ليلة العقبة، وإنما كان ليلة العقبة ما ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار: «أبايعُكم على أن تَمْنَعُونِي مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». فبايعوه على ذلك، وعلى أن يرحل إليهم هو وأصحابه. وسيأتي في هذا الكتاب - في «كتاب الفتن» وغيره - من حديث عبادة أيضاً قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السَّمْع والطاعة، في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ والمَكْرَه). . . الحديث. وأصرح من ذلك في هذا المراد ما أخرجه أحمد والطبراني من وجه آخر عن عبادة أنه جرث له قصة مع أبي هريرة عند معاوية بالشام، فقال: (يا أبا هريرة، إنك لم تكن مَعَنَا إذ بايعنا رسول الله ﷺ على السَّمْع والطاعة في النَّشَاطِ والكَسَلِ، وعلى الأمر بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ، وعلى أن نقول بالحق ولا نخاف في الله لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب، فمنعه مما تمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبنائنا، ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها). فذكر بقية الحديث. وعند الطبراني له طريق أخرى وألفاظ قريبة من هذه. وقد وضح أن هذا هو الذي وقع في البيعة الأولى. ثم صدرت مبايعات أخرى، ستذكر في «كتاب الأحكام» إن شاء الله تعالى، منها هذه البيعة التي في حديث الباب في الرَّجْرِ عن الفَوَاحِش المذكورة. والذي يقوي أنها وقعت بعد فتح مكة، بعد أن نزلت الآية التي في «المنتحنة»، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾^(١)، ونزول هذه الآية متأخراً

(١) سورة المنتحنة: الآية ١٢.

بعد قصة المُدَيِّبِيَّة بلا خلاف، والدليلُ على ذلك ما عند البخاريّ في «كتاب الحدود» من طريق سفيان بن عُيينة عن الزُّهري في حديث عُبادة هذا أن النبي ﷺ لما بايعهم قرأ الآية كُلَّهَا. وعنده في تفسير الممتحنة من هذا الوجه قال: (قرأ آية النساء). ولمسلم من طريق مَعْمَر عن الزهري قال: (فَتَلَا عَلَيْنَا آيَةَ النِّسَاءِ، قال: أن لا تشركنَ بالله شيئاً). وللنَّسائي من طريق الحارث بن فضَّيل عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا تُبَايِعُونِي عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ النِّسَاءُ: أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً» الحديث. وللطبراني من وجه آخر عن الزهري بهذا السند: (بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ النِّسَاءُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ). ولمسلم من طريق أبي الأشعث عن عبادة في هذا الحديث: (أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ). فهذه أدلَّة ظاهرة في أن هذه البيعة إنما صدرت بعد نزول الآية، بل بعد صدور البيعة، بل بعد فتح مكة، وذلك بعد إسلام أبي هريرة بمدة، ويؤيد هذا ما رواه ابنُ أبي خَيْثَمَةَ في «تاريخه» عن أبيه عن محمد بن عبد الرحمن الطُّفَاوِي عن أيوب عن عَمْرُو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً»، فذكر نحوَ حديث عبادة، ورجاله ثقات. وقد قال إسحاق بن راهويته: إذا صحَّ الإسناد إلى عَمْرُو بن شعيب، فهو كأَيُّوب عن نافع عن ابنِ عُمَرَ. اهـ. وإذا كان عبد الله بن عَمْرُو أحدَ من حَضَرَ هذه البيعة - وليس هو من الأنصار، ولا مِمَّنْ حَضَرَ بَيْعَتَهُمْ، وإنما كان إسلامُه قرب إسلام أبي هريرة - وضَحَّ تغاير البيعتين: بيعة الأنصار ليلة العقبة وهي قبل الهجرة إلى المدينة، وبيعة أخرى وقعت بعد فتح مكة وشهدها عبد الله بن عَمْرُو، وكان إسلامه بعد الهجرة بمدة طويلة. ومثل ذلك ما رواه الطبراني من حديث جرير قال: (بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِثْلِ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ النِّسَاءُ) فذكر الحديث، وكان إسلامُ جرير متأخراً عن إسلام أبي هريرة على الصواب. وإنما حصل الالتباسُ من جهة أن عبادة بن الصامت حضر البيعتين معاً، وكانت بيعةُ العقبة من أجلِّ ما يتمدَّح به، فكان يذكرها إذا حدَّث تنويهاً بسابقتيه، فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء، عقب ذلك توهم من لم

يقف على حقيقة الحال أن البيعة الأولى وقعت على ذلك). انتهى.

وهذا الذي ذكره الحافظ هو الصحيح إن شاء الله تعالى، فالبيعة كانت على الإيواء والنصرة.

● ● بيعة العقبة الثانية:

وجملة من حضرها ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وبعد أن بايعوا النبي ﷺ قال لهم: «أَخْرِجُوا مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا، يَكُونُوا كِفْلَاءَ عَلِيٍّ قَوْمَهُمْ بِمَا فِيهِمْ». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً^(١)، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وكان عبادة أحد النقباء الخزرجيين.

وأما شروط البيعة، فقد قال ابن إسحاق: (وكانت بيعة الحزب، حين أذن الله لرسوله ﷺ في القتال، شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حزب الأحمر والأسود؛ أخذ لنفسه واشترط على القوم لربّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة).

وقال ابن إسحاق: (فحدّثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جدّه عبادة بن الصامت - وكان أحد النقباء - قال: (بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب - وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء - على السّمع والطاعة، في عُسرنا ويُسرنا، ومَشَطْنَا ومَكْرَهْنَا، وَأَثَرَةَ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا).

وهذا وهم من ابن إسحاق رحمه الله، لأن الحرب إنما شرع في السنة الثانية من الهجرة، ويؤيد ذلك أن العباس بن عبادة بن نضلة لما قال للنبي ﷺ: (والذي

(١) النقيب: الرئيس المسؤول عن القوم.

بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِئْتِي غَدًا بِأَسْيَافِنَا)؟! فقال له رسول الله ﷺ: «لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ».

وإنما بايعهم ﷺ على السمع والطاعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقول الحق، والإيواء والنصرة. روى الإمام أحمد عن جابر قال: (قلنا: يا رسول الله، علامَ نبايعك؟ قال: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالثَّقَّةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ...» قال: فَقَمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ).

وعن جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ قَالَ: (دَخَلْنَا عَلَى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهَ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيهَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةِ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ»^(١)).

● ● بيعة النساء:

عن أبي إذرّيس عائذ الله بن عبد الله: أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان شهيدًا بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة -: (أن رسول الله ﷺ قال - وحوله عصابة من أصحابه -: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتُرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَزْجَالِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ

(١) أخرجه البخاري ومسلم ومالك والنسائي وابن ماجه، واللفظ لمسلم. الكفر البواح: الجهار.

إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فَبَايَعَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ^(١).

وفي رواية لمسلم: (فَتَلَا عَلَيْنَا آيَةَ النَّسَاءِ: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية).

● ● وشهد بيعة الرضوان:

وقد أثنى الله سبحانه على مَنْ حَضَرَهَا، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٢).

وامتدح أهلها رسول الله ﷺ.

المؤاخاة:

أخى النبي ﷺ بين عبادة وبين أبي مرثد الغنوي، واسمه كَنَاز بن الحُصَيْن.

مشاهده:

شهد عبادة مع رسول الله ﷺ بَدْرًا، وَأُحْدَا، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد، وكان بطلاً صَنِيدًا.

مناقبه:

أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على أن عبادة عَقَبِيٌّ، نَقِيبٌ، بَدْرِيٌّ، شَجْرِيٌّ، أَنْصَارِيٌّ.

● ● فأصحاب العقبة هم الذين شَدُّوا بِأَيْمَانِهِمْ عَلَى يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

وبايعوه على الإيواء والنصرة، والسمع والطاعة، فوفوا بذلك أيما وفاء، وحملوا الإسلام إلى المدينة، وكفاهم بذلك فضيلة ومنقبة. ومن ثم كان شهود العقبة مما يُتَمَدَّحُ بِهِ.

(١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي، واللفظ للبخاري.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٨.

ففي حديث كَعْب بن مالك الطويل - حين تخلَّف عن غزوة تَبُوك - قال: (وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَافَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرًا، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَدَّكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا) (١).

● ● والبدريون مكانتهم عالية، ففي حديث علي - في قصة حاطب بن أبي بلتعة، والكتاب الذي كتبه لقريش - قال النبي ﷺ مخاطباً عمر بن الخطاب: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَيَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» (٢)!

وأخرج أحمد عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» (٣).

● ● وأما الذين بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان:

فعن جابر بن عبد الله قال: (أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» (٤).

● ● وأما كونه أنصاريًا، فقد تضافرت الأحاديث الصحيحة على الإشادة بفضائل الأنصار، وذكر مناقبهم، وهي شهيرة مدونة في كتب السنة.

مع النبي ﷺ:

صحب عبادة رسول الله ﷺ، وجاهد معه، وصلى وراءه، وأخذ عنه، وسأله، وتآدب بأدبه، واهتدى بهديه، واقتفى أثره.

(١) أخرجه الشيخان مطوَّلاً، وأخرج النَّسَائِي وأبو داود والترمذي فصولاً منه.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) قال ابن كثير: تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم.

(٤) أخرجه مسلم عن أم مبشر من مسندها، وأخرجه أبو داود والترمذي عن جابر من مسنده، ونسبه ابن الأثير في «جامع الأصول» لجابر عند ثلاثتهم، وتابعه المحقق حفظه الله!

عن عبادة بن الصامت قال: (كُنَّا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَقَلَّتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «لَعَلَّكُمْ تَقْرَؤُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»^(١).

وأخرج البخاري والطيالسي عن عبادة قال: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَّاحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَّاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالخَامِسَةِ»). لفظ البخاري.

وعن عبادة قال: (كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُرْبٌ لَدَيْكَ، وَتَوَيْدٌ لَهُ وَجْهُهُ، قَالَ: فَأُنزِلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَقِيَ كَذَلِكَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: «خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: النَّيْبُ بِالنَّيْبِ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، النَّيْبُ جَلْدُ مِثْقَلٍ ثُمَّ رَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ جَلْدُ مِثْقَلٍ ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ»^(٢).

وعن سُرخييل بن السَّمْطِ عن عبادة قال: (عَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعْدُونَ شُهَدَاءَ أُمَّتِي؟» فَقَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ، الْقَتْلُ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونَ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا وَلِذَلِكَ جَمَعَا شَهَادَةً»^(٣)).

وعن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»؟

(١) أخرجه أبو داود - واللفظ له - والترمذي، وأخرج نحوه الشيخان والنسائي وابن ماجه. (هَذَا): هو سُرْدُ الْقِرَاءَةِ وَمَدَارِكُهَا فِي سُرْعَةٍ وَاسْتِعْجَالٍ.

(٢) أخرجه أحمد ومسلم - واللفظ له - وأبو داود والترمذي وابن ماجه والطيالسي والطبري والبيهقي.

(٣) أخرجه الطيالسي - واللفظ له - وأحمد والضياء، وقال الألباني في «صحيح الجامع»: صحيح.

قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ»^(١).

واستعمله النبي ﷺ على بعض الصدقات؛ فعن عبادة (أن رسول الله ﷺ بعثه على الصَّدَقَةِ، فقال له: «اتَّقِ اللَّهَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، اتَّقِ، لَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ لَهَا تُوْاجٌ». فقال: يا رسول الله، إن ذلك كذلك؟! قال: «إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». قال: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَعْمَلُ عَلَى اثْنَيْنِ أَبَدًا»^(٢).

سيرته وشمائله:

بایع عبادة النبي ﷺ على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَشْطِ وَالْمَكْرِهِ، وَعَلَى أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً؛ وَقَدْ كَانَتْ سِيرَتُهُ وَهَذِهِ تَطْبِيقًا فَذًا لَمَا التَزَمَ بِهِ وَبَايَعَ عَلَيْهِ، فَكَانَ مَتَمَسِّكًا بِالْحَقِّ، قَوْلًا لَبَّاهُ، نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، شَدِيدًا فِي ذَلِكَ، يَحِبُّ فِي اللَّهِ مَنْ أَحَبَّهُ، وَيُعَادِي فِيهِ مَنْ عَادَاهُ، ثَخِينٌ الْوَرَعِ، كَثِيرٌ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَاسِعٌ الرَّجَاءِ بِرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ.

● ● قال الحافظ في ترجمة عبادة من «الإصابة»: (وَلِعُبَادَةِ قَصَصٌ مُتَعَدِّدَةٌ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَإِنْكَارُهُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ، وَفِي بَعْضِهَا رَجُوعٌ مُعَاوِيَةَ لَهُ، وَفِي بَعْضِهَا شِكَاوَاهُ إِلَى عَثْمَانَ مِنْهُ؛ تَدُلُّ عَلَى قُوَّتِهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَقِيَامِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ).

عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعَةَ، عن أبيه: (أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مَرَّتْ عَلَيْهِ قِطَارَةٌ، وَهُوَ بِالشَّامِ، تَحْمِلُ الْخَمْرَ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ أَرَيْتُ؟ قِيلَ: لَا، بَلْ خَمْرٌ يُبَاعُ لِفُلَانٍ. فَأَخَذَ شَفْرَةً مِنَ السُّوقِ، فَقَامَ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَدْرُ فِيهَا رَاوِيَةً إِلَّا بَقْرَهَا - وَأَبُو هَرِيرَةَ إِذْ ذَاكَ بِالشَّامِ - فَأَرْسَلَ فُلَانًا إِلَى أَبِي هَرِيرَةَ، فَقَالَ: أَلَا تُمَسِّكُ عَنَّا أَحَاكَ

(١) أخرجه الطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي وابن ماجه - واللفظ له - والطبري. قال الترمذي: حديث حسن. وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، وابن عساکر في «تاريخه» وهذا لفظه، ونسبه الألباني في «صحيح الجامع» للطبراني، وقال: صحيح.

عُبادَة، أَمَّا بِالغَدَوَاتِ، فيغدو إلى السوق يُفسد على أهل الذمَّة متاجرهم، وأَمَّا بالعشي، فيقعد في المسجد ليس له عملٌ إلا شتم أعراضنا وعيينا!

قال: فاتاه أبو هريرة، فقال: يا عُبادة، مالكَ ولمعاوية؟ ذرهُ وما حُمِّل. فقال: لم تكنُ معنَا إذُ بَايعنَا على السَّمع والطاعة، والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وألَّا يَأْخُذْنَا في الله لومة لائم. فسكت أبو هريرة، وكتب فلانٌ إلى عثمان: إنَّ عبادَةَ قد أفسدَ عليَّ الشام^(١).

وعن بُزْد بنِ سِنَان، عن إِسْحَاق بنِ قَيْصَةَ، عن أبيه: (أنَّ عبادَةَ بنَ الصامت الأنصاريَّ النقيب، صاحبَ رسولِ الله ﷺ، غَزَا مع معاوية أرضَ الرُّوم، فنظَرَ إلى الناس وهم يتبايعون كِسْرَ الذَّهَبِ بالدَّنَانِيرِ، وكِسْرَ الفِضَّةِ بالدَّرَاهِمِ؛ فقال: يا أيُّهَا الناسُ، إنَّكم تأكلونَ الرُّبَا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تَبْتَاعوا الذَّهَبَ بالذَّهَبِ إلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، لا زيادةَ بينهما ولا نِظْرَةَ». فقال له معاوية: يا أبا الوليد، لا أرى الرُّبَا في هذا إلَّا ما كانَ من نِظْرَةَ. فقال عبادَةُ: أُحَدِّثُكَ عن رسولِ الله ﷺ وتُحَدِّثُنِي عن رَأْيِكَ؟! لئن أخرجني اللهُ، لا أَسَاكِنُكَ بأرضٍ لكَ عليَّ فيها إمْرَةٌ!! فلَمَّا قَفَلَ، لِحِقِّ بالمَدِينَةِ، فقال له عمرُ بن الخطاب: ما أَقْدَمَكَ يا أبا الوليد؟ فَقَصَّ عليه القِصَّةَ، وما قال من مُسَاكِنَتِهِ. فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أَرْضِكَ؛ فَقَبَّحَ اللهُ أَرْضاً لستَ فيها وأمثالك. وكتبَ إلى معاوية: لا إمْرَةَ لكَ عليه، واحمِلِ الناسَ على ما قال، فَإِنَّهُ هُوَ الأَمْرُ^(٢).

● ● وأخرج الإمام محمد بنُ إِسْحَاق في «سيرته» فقال: (حدَّثني أبي إِسْحَاق بنُ يَسَّار، عن عبادَةَ بنِ الوليد بنِ عبادَةَ بنِ الصامت، قال: لما حاربت بنو

(١) أخرجه ابن عساكر مطوَّلاً، وذكره الذهبي في «السير» بهذا اللفظ، وقال شعيب: إسناده محتمل للتحسين. وأخرجه البيهقي نحوه، قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: هذا إسناده جيد قوي، ولم يخرجوه.

(٢) أخرجه ابن ماجه - واللفظ له - والحاكم وابن عساكر مختصراً. وصحَّحه الألباني في «صحيح ابن ماجه»، و«صحيح الجامع الصغير».

فَيَنْقَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَشَبَّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْتِ سَلُولٍ، وَقَامَ دُونَهُمْ.
 قَالَ: وَمَشَى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي عَوْفٍ، لَهُمْ مِنْ
 حِلْفِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَحَلَعَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَبَرَأَ
 إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ حِلْفِهِمْ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَوَلَّى اللَّهُ
 وَرَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوَلَايَتِهِمْ. قَالَ: فِيهِ وَفِي
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنَ الْمَائِدَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
 وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿أَي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَقَوْلِهِ:
 إِنِّي أَخْشَى الدَّوَائِرَ، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. وَيَقُولُ الَّذِينَ
 آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا
 وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.
 وَذَكَرَ لَتَوَلَّى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَتَبَرَّأَ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعٍ وَحِلْفِهِمْ
 وَوَلَايَتِهِمْ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

● ● عن عطاء بن أبي رباح قال: (لَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ
 صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ: مَا كَانَ وَصِيَّةَ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: دَعَانِي أَبِي
 فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَنْقِي اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ
 كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنَّ مُنَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلَتْ النَّارَ. إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ. فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ
 الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»^(٢).

(١) وأخرجه ابن عساکر في «تاريخه»، والآيات من سورة المائدة: ٥١ - ٥٦.

(٢) أخرجه الطيالسي وأحمد والترمذي، وأبو داود نحوه، وما ذكرناه لفظ الترمذي، وعنده فيه
 قصة اختصرناها، قال عبد القادر الأرنؤوط: إسناده حسن، وهو حديث صحيح بطرقه،
 وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» و«المشكاة» وغيرهما.

● ● وأخرج ابن عساكر عن عثمان بن أبي العاتكة: (أن عبادة بن الصامت مرَّ بقريّة يقال لها: دُمْر^(١))، من قرى الغوطة، فأمر غلامه أن يقطع له سِوَاكاً من صفصاف على نهر بَرْدَى، فمضى ليفعل، ثم قال له: ارجع، فإنه إلا يكن بشمن، فإنه يَبْسُ فيعودُ حطباً بشمن!!

وأخرج - أيضاً - عن عبادة بن الوليد، عن أبيه قال: (لقد أهديت لعبادة بن الصامت هدية، وإن معه في الدار اثني عشر أهل بيت، فقال عبادة: اذهبوا بهذه إلى آل فلان، فهم أحوج إليها منا. قال: فما زالوا كلما جئت إلى أهل بيت يقولون: اذهبوا إلى آل فلان، هم أحوج إليه منا، حتى رجعت الهدية إليه قبل الصبح).

وحدث أبو الأشعث الصنعاني: (أنه راح إلى مسجد دمشق، فلقي شداد بن أوس الأنصاريّ والصُّنَابِيَّ، فقالا له: اذهب بنا إلى أخ لنا نعوذُه، فدخلا على عبادة بن الصامت، فقالا: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة من الله وفضل^(٢)).

جهاده:

بدأت حياة عبادة الجهادية منذ الساعة التي بايع فيها النبي ﷺ في العقبة، واستمرت كذلك حتى لقي ربه سبحانه. فشهد سائر المشاهد النبوية، ثم خرج إلى الشام حين غزاها المسلمون، فشارك في الفتوح.

فشهد اليرموك، وغزا أرض الروم مع معاوية، واشترك في فتح اللاذقية، وجبلة، وأنظرطوس^(٣)، وقبرص. وشهد فتح مصر سنة (٢٠هـ)، وكان أمير ربع المدد.

(١) بلدة جميلة قرب مدخل دمشق من جهة بيروت.

(٢) أخرجه ابن زنجويه في «الترغيب والترهيب» وابن عساكر بأطول من هذا.

(٣) وتسمى اليوم: طرطوس، والمدن الثلاث تقع على الساحل السوري، مظلة على البحر المتوسط.

أخرج ابن عبد الحَكَم عن عبد الله بن جعفر، وعَيَّاش بن عباس، وغيرهما - يزيد بعضهم على بعض - : (أن عَمْرُو بن العاص رضي الله عنه، لما أبطأ عليه فتح مِصْر، كتب إلى عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه يستمده، فأمدّه عُمَر بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل رجل، وكتب إليه عُمَر بن الخطاب: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف: الزبير بن العوام، والمِقْدَاد بن عَمْرُو، وعُبادَة بن الصامت، ومَسْلَمَة بن مَحَلَّد، رضي الله عنهم، واعلم أن معك اثني عشر ألف رجل، ولا يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة).

وشارك في غزو جزيرة قبرص - سنة ٢٧ أو ٢٨هـ - وكانت معه زوجه أم حرام، واستشهدت هناك، رضي الله عنها.

عن أنس بن مالك قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيَّ أُمَّ حَرَامَ بِنْتِ مَلْحَانَ، وَكَانَتْ تَحْتَ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَأَطْعَمْتُهُ، وَجَعَلْتُ تَقْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ تَبِجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسِيرَةِ، أَوْ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِيرَةِ» - شَكَ إِسْحَاقُ - ^(١) قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ. فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ. قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأُولَى». فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ» ^(٢).

(١) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، راوي الحديث عن أنس.

(٢) أخرجه الستة ومالك وأحمد والدارمي، واللفظ للبخاري. قال النووي في «شرح مسلم»: «اتفق العلماء على أنها - يعني أم حرام - كانت محرماً له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون: بل كانت خالة =

وفي رواية للبخاري: (فَحَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ غَازِيًا، أَوَّلَ مَا رَكِبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ غَزْوِهِمْ قَافِلِينَ، فَتَزَلَّوْا الشَّامَ، فَفَرَّقَتْ إِلَيْهَا دَابَّةً لِيَتَرَكَبَهَا، فَصَرَ عَثَّهَا فَمَاتَتْ).

علمه ومروياته:

جمع عبادة إلى البطولة والجهاد العلم، فكان قارئاً، محدثاً، فقيهاً، قاضياً.

القارىء:

عن محمد بن كعب القرظي قال: (جمع القرآن في زمان رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء)^(١).

وعدَّ محمد بن عبدوس الجَهْشِيَّارِي المؤرخ (ت ٣٣١هـ) في كتابه «الوزراء والكتاب»، عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فِي كِتَابِ الْوَحْيِ، وَهَم نَحْو (٤٠) صَحَابِيًا.

وعن عبادة رضي الله عنه قال: (عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَةَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا، فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ، وَأُزْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوِّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ، فَاقْبَلْهَا»)^(٢).

= لأبيه أو لجدّه، لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار». قلت: وذهب بعضهم إلى أنه من خصائصه ﷺ، ومال إليه الحافظ في «الفتح» واستحسنه. انظر فتح الباري ٧٨/١١ - ٧٩.

(١) أخرجه ابن سعد والبخاري في «التاريخ الصغير» وابن أبي داود في «المصاحف» والحاكم وابن عساكر. وقد مرَّ مطوَّلًا ص ٣٨٠ - ٣٨١.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه واللفظ له. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» و«صحيح ابن ماجه». ومعنى (ليست بمال) أي لم يعهد في العرف عد القوس من الأجرة، فأخذها لا يضر.

وفي رواية أخرى عن عبادة قال: (كان رسولُ الله ﷺ يُشغل، فإذا قَدِمَ رجلٌ مهاجر على رسول الله ﷺ، دَفَعَهُ إلى رجلٍ مَنَّا يَعْلَمُهُ القرآنَ، فدفعَ إليَّ رسولُ الله ﷺ رجلاً، وكان معي في البيت، أَعَشِيهِ عَشَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ، فكنتُ أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ، فانصرفَ انصرافَهُ إلى أَهْلِهِ، فرأى أن عليه حقاً، فَأَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا، لم أَرُ أَجودَ منها عوداً، ولا أَحسنَ منها عَطْفًا، فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: ما تَرى يا رسولَ الله فيها؟ قال: «جَمْرَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْكَ تَقَلِّدْتَهَا، أو: تَعَلَّقْتَهَا»^(١).

المحدث:

سمع عبادة من النبي ﷺ كثيراً، وروى عنه علماء طيباً مباركاً فيه، وحدث به، ونشره بين الناس، وكانوا يأتونه ليحدثهم بما حفظه عن رسول الله ﷺ، بل إنه حدثهم وهو في سياق الموت!

أخرج ابن عساكر عن المقدم الرهاوي قال: (جلستُ إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت والحارث بن معاوية، فقالوا لعبادة: حدثنا حديث النبي ﷺ في غزوة كذا وكذا، فقال: صلى بنا رسولُ الله ﷺ يومئذٍ إلى بعيرٍ من المَقَسَمِ، ثم أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «هَذِهِ غَنَائِمُكُمْ، وَلَا حَقَّ لِي فِيهَا إِلَّا سَهْمِي وَالْخُمْسُ، وَالْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَذُوا الْخَيْطَ وَالْخِيَاطَ، وَأَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْبَرَ، وَلَا تَغْلُوا فَإِنَّ الْغُلُولَ عَيْبٌ عَلَى أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَجَاهِدُوا النَّاسَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَلَا تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عَظِيمًا، يَنْجِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ».

(١) أخرجه أحمد - واللفظ له - والطبراني والبيهقي، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وانظر الحاشية السابقة. وهذا الحديث وأمثاله منسوخ بحديث ابن عباس مرفوعاً: (إنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ)، أخرجه البخاري. والجمهور على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن.

وعن عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِحِيِّ، عن عُبَادَةَ بن الصامت، أنه قال: (دخلتُ عليه وهو في الموتِ، فبكيْتُ، فقال: مَهْلًا، لِمَ تبكي؟ فواللهِ لئنِ استشهدتُ لأشهدنَّ لك، ولئنِ شُفِعْتُ لأشفعنَّ لك، ولئنِ استطعتُ لأنفَعنكَ. ثم قال: واللهِ، ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خيرٌ إلَّا حدثتُكموه، إلَّا حديثاً واحداً، وسوف أحدثُكموه اليوم، وقد أحيطَ بنفسِي، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ شهد أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ؛ حرَّمَ اللهُ عليه النارَ»^(١).

● ● وقد ذكر الذهبي في «دول الإسلام» أن عبادة «من العلماء الجلة»، وذكره مع المكثرين من رواية الحديث من الصحابة رضي الله عنهم، وترجم له في كتابه «المعين في طبقات المحدثين».

وقال الحافظ في ترجمته من «الإصابة»: (روى عن النبي ﷺ كثيراً).

● ● روى عبادة النبي ﷺ.

وحدث عنه: أبو أمامة صُدَيْ بن عَجْلان الباهلي، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، ورفاعة بن رافع الأنصاري البصري، وشُرْحَبِيل بن حَسَنَة، وسَلَمَة ابن المُحَبَّب، وفَضَّالَة بن عُبيد الأنصاري، ومحمود بن الرِّبِيع، وغيرهم من الصحابة. ومن التابعين: أبناؤُه الوليد وداود وعُبَيْد الله، وحفيدها يَحْيَى وعُبَادَة ابنا الوليد، وأبو مسلم الخَوْلَانِي، وجُبَيْر بن نُفَيْر، وجُنَادَة بن أَبِي أُمِيَة، وعَبْد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِحِيِّ، وأبو إدريس الخَوْلَانِي، وأبو الأشعث الصَّنَعَانِي، وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عَوْف - ولم يلقه - وابنُ امرأته أبو أُبَي الأنصاري، وحِطَّان بن عبد الله الرَّقَاشِي، وعطاء بن يَسَار، وقَيْصَة بن دُوَيْب، وعَبْد الله بن مُجَيْرِيز، وخلق سواهم.

(١) أخرجه مسلم - واللفظ له - وأحمد، والترمذي، وأخرجه البخاري عن جُنَادَة بن أَبِي أُمِيَة عن عبادة مختصراً.

● ● روي له عن النبي ﷺ مئة وواحد وثمانون حديثاً، اتفق الشيخان على ستة منها، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بآخرين.

وحديثه مخرج في الكتب الستة، وغيرها من السنن والمسانيد.

الفقيه القاضي:

● ● لما فُتح الشام أرسل عمر بن الخطاب عبادة ومعاذاً وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام، ويفقهوهم في دينهم.

وقال عمر لهم: (ابْدُؤُوا بِحِمَصَ، فَإِنكُمْ سَتَجِدُونَ النَّاسَ عَلَى وَجْهِهِمْ مُخْتَلِفَةً، مِنْهُمْ مَنْ يَلْقَنَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَوَجَّهُوا إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا رَضِيْتُمْ مِنْهُمْ فَلْيَقِمْ بِهَا وَاحِدًا، وَلِيُخْرِجْ وَاحِدًا إِلَى دِمَشْقَ، وَالْآخِرَ إِلَى فِلَسْطِينَ. فَقَدِمُوا حِمَصَ، فَكَانُوا بِهَا، حَتَّى إِذَا رَضُوا مِنَ النَّاسِ أَقَامَ بِهَا عِبَادَةً، وَخَرَجَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى دِمَشْقَ، وَمَعَاذًا إِلَى فِلَسْطِينَ. وَأَمَّا مَعَاذُ فَمَاتَ عَامَ طَاعُونَ عَمَّوَسَ، وَأَمَّا عِبَادَةُ فَصَارَ بَعْدُ إِلَى فِلَسْطِينَ فَمَاتَ بِهَا، وَأَمَّا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَلَمْ يَزَلْ بِدِمَشْقَ حَتَّى مَاتَ) (١).

قال الأوزاعي، والمحدث عبد الصمد بن سعيد الحمصي في تاريخه (مَنْ نَزَلَ حِمَصَ مِنَ الصَّحَابَةِ): (أول من تولى قضاء فلسطين عبادة بن الصامت).

عن أبي إدريس الخولاني قال: (كنتُ في مجلس من أصحاب النبي ﷺ، فيهم عبادة بن الصامت، فذكروا الوتر، فقال بعضهم: واجبٌ، وقال بعضهم: سنة، فقال عبادة بن الصامت: أمَّا أنا فأشهدُ أنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريلُ من عند الله تبارك وتعالى، فقال: يا محمدُ، إن الله عز وجل يقول: إني قد فرضتُ على أمتك خمسَ صلواتٍ، فمن وافى بهنَّ، على وضوئهنَّ، ومواقيتهنَّ، وركوعهنَّ، وسجودهنَّ؛ كان له عندي بهنَّ عهدٌ أن أدخله بهنَّ الجنة،

(١) أخرجه ابن سعد والبخاري في «تاريخه الصغير» وابن أبي داود في «المصاحف» والحاكم وابن عساكر، وقد سبق بطوله ص ٣٨١.

وَمَنْ لَقِينِي قَدْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ»^(١).

وفي رواية عن ابن مُخَيَّرِيز: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ يُدْعَى الْمُخَدَجِيَّ، سَمِعَ رَجُلًا بِالشَّامِ يُكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: إِنْ الْوَتْرَ وَاجِبٌ. فَقَالَ الْمُخَدَجِيُّ: فَرُحْتُ إِلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ وَهُوَ رَائِحٌ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ! فَقَالَ عُبَادَةُ: كَذَّبَ أَبُو مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ، لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً، اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ؟ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ. وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»^(٢)).

وأخرج مالكٌ عن يحيى بن سعيدٍ قال: (كَانَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ يَوْمٌ قَوْمًا، فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى الصُّبْحِ، فَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَأَسْكَنَتْهُ عِبَادَةٌ حَتَّى أَوْتَرَ، ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ)^(٣).

● ● وعن يعلى بن شداد قال: (ذَكَرَ مَعَاوِيَةَ الْفِرَارِ مِنَ الطَّاعُونَ فِي خُطْبَتِهِ، فَقَالَ عُبَادَةُ: أُمَّكَ هِنْدُ أَعْلَمُ مِنْكَ! فَاتَمَّ خُطْبَتَهُ ثُمَّ صَلَّى، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عِبَادَةَ، فَنفذتُ رِجَالَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ، فَاحْتَبَسَهُمْ، وَدَخَلَ عِبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَلَمْ تَتَّقِ اللَّهَ وَتَسْتَحِيَ إِمَامَكَ؟ فَقَالَ عِبَادَةُ: أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ

(١) أخرجه الطيالسي، ومحمد بن نصر في «كتاب الصلاة»، والطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة»، وأورده الألباني في «صحيح الجامع» وقال: صحيح.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ - وهذا لفظه - وأحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وضححه ابن عبد البر وغيره من العلماء. وقوله (كذب): أي أخطأ. وأبو محمد: صحابي أنصاري، مختلف في اسمه والمخدجي: قيل: اسمه رُفيع.

(٣) قال عبد القادر الأرنؤوط: في سنده انقطاع، فإن يحيى بن سعيد لم يدرك عبادَةَ، لكن يشهد له الذي قبله. قلت: يريد الأحاديث الواردة في «الوتر بعد الصبح»، انظر جامع الأصول ٥٩/٦ - ٦٠.

العقبة أني لا أخاف في الله لومة لائم؟ ثم خرج معاوية عند العصر، فصلّى العصر، ثم أخذ بقائمة المنبر، فقال: أيها الناس، إنّي ذكرتُ لكم حديثاً على المنبر، فدخلتُ البيتَ، فإذا الحديثُ كما حدّثني عبادة، فاقْتَبِسُوا منه، فهو أفْقَهُ مِنِّي^(١). رضي الله عن الصحابيِّين الجليلين، هكذا فليكن المسلم!

وعن مجاهد عن جُنَادَةَ بن أَبِي أُمَيَّة قال: (دخلتُ على عبادة بن الصامت، وكان قد تَفَقَّهَ في دينِ الله)^(٢).

وأخرج ابن سعد عن خالد بن معدان قال: (لم يبقَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ بالشَّام أحدٌ كان أوثقَ، ولا أفقَه، ولا أَرْضَى، من عبادة بن الصامت، وشَدَاد بن أوس).

وقد ذكره الإمام ابنُ حزم مع الصحابة المتوسطين فيما رُوي عنهم من الفُتَيَّا، وقال: (يمكن أن يُجمع من فُتَيَّا كلُّ امرئٍ منهم جزءٌ صغير جداً).

أخباره الشخصية:

أمه: هي قُرَّة العَيْن بنت عبادة بن نَضَلَةَ بن مالك بن العَجَلان بن زَيْد بن عَنَم بن سالم بن عَوْف بن عَمْرُو بن عوف بن الخَزْرَج.

تزوَّجت الصامتَ بنَ قيس، فولدت له عبادة بن الصامت، وأوساً، وخولة. أسلمت قرّة العين، وبايعت رسولَ الله ﷺ.

أخوه أوس: صحابي شهد بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والمشاهدَ كلّها مع النبي ﷺ. وهو الذي ظاهرَ من امرأته. قال ابن حِبَّان: مات أيام عثمان، وله خمس وثمانون سنة.

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده»، والطبراني في «الأوسط» وابن عساكر في «تاريخه».

(٢) أخرجه الحاكم، ونسبه الحافظ في «الإصابة» للسراج في «تاريخه»، وقال: هذا سند صحيح.

أخته خولة بنت الصامت: هي أخته لأبويه، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.
أخته أمامة بنت الصامت: هي أخت عبادة لأبيه، وأمها الرِّبَاب بنت مالك بن
عَمْرُو. أسلمت وبايعت رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ذكرت المصادر لعبادة زوجتين هما:

جميلة بنت أبي صَعَصَعَةَ النَّجَّارِيَّة: ولدت له الوليد بن عبادة، أسلمت
وبايعت رسول الله ﷺ.

أم حَرَام بنت مِلْحَانَ الأَنْصَارِيَّة النَّجَّارِيَّة: وهي أخت أم سُلَيْم، وخالة
أنس بن مالك. أسلمت وبايعت، وكانت من عِلْيَةَ النِّسَاء، وحديثها في جميع
الدواوين، سوى جامع أبي عيسى الترمذي.

ركبت البحر مع زوجها عبادة، لِعَزْو قُبْرَص، فلَمَّا رَجَعُوا قَرَّبَتْ لَهَا بَغْلَةً
لتركبها، فصرعَتْهَا فاندَقَّتْ عُنُقُهَا، فاستشهدت رضي الله عنها، وقبرها هناك يدعى
قبر المرأة الصالحة. وقد مرَّ حديثها في ذلك.

ولدت لعبادة ابنه محمداً.

ولعبادة أولاد وأحفاد:

فعند ابن عساکر عن عبادة بن الوليد، عن أبيه قال: (لقد أهديت لعبادة بن
الصامت هدية، وإن معه في الدار اثني عشرَ أهل بيت).

وقفت على أسماء سبعة، هم: الوليد، ومحمد، وعبيد الله، وداود، بنو
عبادة. وأحفاده: يحيى وعبادة ابنا الوليد بن عبادة، وعبادة بن محمد بن عبادة.

وفاته:

عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال: (لما حضرت عبادة الوفاة
قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن - يعني الدار - ثم قال: اجتمعوا لي موالي وخدمي

وجيراني، ومن كان يدخل عليّ، فجمعوا له فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا وأول ليلة من الآخرة، وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو - والذي نفس عبادة بيده - القصاص يوم القيامة. وأخرج عليّ أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتصر مني قبل أن تخرج نفسي، قال: فقالوا: بل كنت والدأ وكنت مؤدباً - قال: وما قال لخدم سوء أقط - فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، قال: اللهم، اشهد. ثم قال: أما لا فاحفظوا وصيتي: أخرج عليّ إنسان منكم يبكي عليّ، فإذا خرجت نفسي فتوضؤوا وأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلني ثم يستغفر لعبادة ولنفسه فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(١) ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تُتبعني ناراً، ولا تضعوا تحتي أرجواناً^(٢).

● ● توفي عبادة سنة أربع وثلاثين للهجرة، قاله يحيى بن بكير والمدائني وخليفة وآخرون.

وقال الهيثم بن عدي وحده: مات سنة (٤٥ هـ)، ولا متابع له.

قال ابن الأثير والنووي: الأول أصح وأشهر.

وأجمعوا على أنه توفي وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ووقع في «مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان: «ابن اثنتين وثمانين» فلعله سهو، أو تحريف، ففي «تاريخ الصحابة» له، مثل الأول.

قال بعضهم: توفي بالرملة. وقال آخرون: توفي ببيت المقدس. ويجمع ذلك قول ابن حبان: (مات بالرملة، ودفن ببيت المقدس). وهذا مقبول فالرملة تبعد عن بيت المقدس نحو (٢٥) كيلومتراً.

* * *

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.

(٢) أخرجه البيهقي، وابن عساكر واللفظ له.

(١٠) - أبي بن كعب^(١)

... - ٣٥ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٨٥ - ٤/١٩١٢ - ١٩١٣، صحيح مسلم ٤/١٩١٤ - ١٩١٥، سنن الترمذي ٥/٦٦٤ - ٦٦، مسند أحمد ٥/١١٣ - ١٤٤، المعجم الكبير للطبراني ١/١٩٧ - ٢٠٢، المستدرک ٣/٣٠٢ - ٣٠٥، جامع الأصول ٨/٥٦٧ - ٥٦٩، ٧٢ - ٧١/٩، المشكاة ٣/١٧٤٧، ١٧٤٨، تحفة الأشراف ١/١١ - ٤٠، مجمع الزوائد ٩/٣١١ - ٣١٢، الفتح ٧/١٢٦ - ١٢٧، ٢٤، ٢٦، ٣٩، ٤٦ - ٥٤، كنز العمال ١٣/٢٦١ - ٢٦٨، سيرة ابن هشام ١/٥٠٥ - ٥٠٦، ٧٠٣، ٣٥٨/٢، طبقات ابن سعد ٢/٣٤٠ - ٣٤١، ٣٥٠ - ٣٥٢، ٣٥٥ - ٣٥٧، ٤٩٨/٣ - ٥٠٢، طبقات خليفة ٨٨ - ٨٩، تاريخ خليفة ١٦٧، التاريخ الكبير للبخاري ٢/٣٩ - ٤٠ ت ١٦١٥، التاريخ الصغير له ١/٦٦، ٨٩، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام»، أخبار القضاة لوكيع ١/١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، المصاحف لابن أبي داود ١٥، ٣١ - ٣٤، ٣٨، تاريخ الطبري ١/٧٣، ١٦٠، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٥، ١٧٣/٣، ١٧٩/٦، الجرح والتعديل ٢/٢٩٠ ت ١٠٥٧، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٣١ ت ٣١، الثقات له ٣/٥، تاريخ الصحابة له ٢٩ - ٣٠ ت ٢١، رجال البخاري للكلاباذي ١/٩٠ ت ٩٨، الحلية ١/٢٥٠ - ٢٥٦، جوامع السيرة لابن حزم ٢٦، ٩٦، ١٤٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٧، ٣١٤، الاستيعاب ١/٢٧ - ٣٠، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٣٩ ت ١٤٧ صفة الصفوة ١/٤٧٤ - ٤٧٧، أسد الغابة ١/٤٩ - ٥١، الكامل في التاريخ ١/٥٢، ١٦١، ٣١٣/٢، ٤٨٩، ٥٦٢، ١٥٩/٣، تهذيب الأسماء واللغات ١/١٠٨ - ١١٠ ت ٤٤، مختصر ابن عساکر لابن منظور ٤/١٩٧ - ٢٠٤، تهذيب الكمال ٢/٢٦٢ - ٢٧٣ ت ٢٧٩، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ١٩١ - ١٩٥، العبر ١/١٧، ٢٠، دول الإسلام ٨، الكاشف ١/٥٢ ت ٢٣٠، تذكرة الحفاظ ١/١٦ - ١٧، المعين في طبقات المحدثين ١٩ ت ١١، سير أعلام النبلاء ١/٣٨٩ - ٤٠٢، معرفة القراء الكبار ١/٢٨ - ٣١، البداية والنهاية ٥/٣٤٠ - ٣٤١، ٩٧/٧، فضائل القرآن لابن كثير ٢٣، ٢٤، ٢٨ - ٣١، ٤٥ -

اسمه ونسبه ونسبته:

أَبِيُّ بَنُ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْخَزْرَجِ الْأَكْبَرِ، الْأَنْصَارِيِّ، الْخَزْرَجِيُّ، النَّجَّارِيُّ، الْمُعَاوِيُّ الْمَدَنِيُّ، الْعَقَبِيُّ، الْبَدْرِيُّ.

كُنْيته:

له كُنيتان: أبو المُنْذِرِ، كَنَاهُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ. وَأَبُو الطُّفَيْلِ، كَنَاهُ بِهَا عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ، بَابْنَهُ الطُّفَيْلِ.

صِفَتُهُ وَحَلِيَّتُهُ:

كَانَ أَبُو أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا دَخْدَا حَا - يَعْنِي رُبْعَةً - لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَسْمَرٌ، أَيْضُ الرُّأْسِ وَاللَّحْيَةِ، لَا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ.

مشاهده:

شهد أَبِي بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةَ مَعَ السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، فِي رَوَايَتِهِمْ جَمِيعًا، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَأُحْدَا، وَالْخَنْدَقَ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

المؤاخاة:

أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَبِي وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلِ.

مناقبه:

● ● عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾»). قَالَ: وَسَمَّانِي

= ٤٩، ٧٩، غَايَةُ النِّهَايَةِ ٣١/١ - ٣٢ ت ١٣١، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ١/١٦٤، تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ ٤٨/١، الإِصَابَةُ ٣١/١ - ٣٢ ت ٣٢، الرِّيَاضُ الْمَسْتَطَابَةُ ٢٧ - ٢٨، خُلَاصَةُ تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ٢٤، شُدْرَاتُ الذَّهَبِ ٣١/١، ٣٢ - ٣٣، حَيَاةُ الصَّحَابَةِ «انظُرْ فِهْرَسُ الْأَعْلَامِ».

لك؟ قال: «نعم». فبكى^(١).

وفي رواية للبخاري، عن أنس بن مالك: (أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِيَّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَكَ الْقُرْآنَ». قَالَ: أَللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «نعم». قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: «نعم». فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ).

قال الحافظ في «الفتح»: (بكى إما فرحاً وسروراً بذلك، وإما خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة).

ومعنى «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ»: قال أبو عبيد: (المرادُ بِالْعَرَضِ عَلَى أَبِي: لِيَتَعَلَّمَ أَبِي مِنْهُ الْقِرَاءَةَ، وَتَثَبَّتْ فِيهَا، وَلِيَكُونَ عَرَضُ الْقُرْآنِ سَنَةً، وَلِلتَّشْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي وَتَقَدُّمِهِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يَسْتَذَكَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئاً بِذَلِكَ الْعَرَضِ).

ومعنى «أَنْ أَقْرَأَكَ»: (أَيَ أَعْلَمُكَ بِقِرَاءَتِي عَلَيْكَ كَيْفَ تَقْرَأُ، حَتَّى لَا تَتَخَالَفَ الرَّوَايَتَانِ). قاله في «الفتح».

● ● وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي رزيق، عن أبيه قال: (قال أبي بن كعب: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسُمِّيتُ لَكَ؟ قَالَ: «نعم». قُلْتُ لِأَبِي: فَرِحْتَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: وَمَا يَمْتَعْنِي وَهُوَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(٢)!).

قال الإمام النووي: (وهي مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَبِي، لَمْ يَشَارِكْ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ).

(١) أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذي، وعبد الرزاق، وابن سعد، واللفظ للبخاري، والآية هي أول سورة البينة.

(٢) أخرجه أحمد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم وابن عساکر. والآية من سورة يونس: ٥٨.

مع النبي ﷺ:

صحب أبي رسول الله ﷺ، وتلقى عنه القرآن، وكتب له الوحي، وحفظ عنه علماً مباركاً فيه.

● ● عن ابن عباس رضي الله عنهما: (قال أبي لعمر بن الخطاب: إني تلقيتُ القرآنَ ممن تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب)^(١).

عن مُجاهد، عن ابن عباس قال: (قرأتُ على أبي بن كعب: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ بالتاء ﴿وَلَا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال أبي: أقراني رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ بالتاء ﴿وَلَا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ بالتاء ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ بالياء)^(٢).

وعن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (أقراني النبي ﷺ: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ يعني بجزم السين ونصب التاء)^(٣).

وعن أبي بن كعب قال: (كنتُ في المسجد، فدخل رجلٌ يصلي، فقرأ قراءةً أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءةً سِوَى قراءةِ صاحبه، فلمَّا قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: إنَّ هذا قرأ قراءةً أنكرتها عليه، ودخل آخرٌ فقرأ سِوَى قراءةِ صاحبه! فأمرهُما رسولُ الله ﷺ فقرأ، فحَسَنَ النبي ﷺ شأنَهُما، فسُقِطَ في نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فلمَّا رأى رسولُ الله ﷺ ما قَدْ غَشِيَتِي؛ ضَرَبَ فِي صَدْرِي، ففِضْتُ عَرَقًا، وكأنا أنظرُ إلى اللَّهِ عز وجلَّ فَرَقًا. فقال لي: «يا أباي، أُرْسِلَ إِلَيَّ: أنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ: أنِ هَوَّنْ عَلَى أُمَّتِي. فردَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ. فرددتُ إِلَيْهِ:

(١) أخرجه أحمد، وابن عساكر.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. والآية من سورة البقرة: ٤٨.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. والآية من سورة الأنعام: ١٠٥.

أَنْ هُوْنَ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ. فَلَمَّا بَكَرْتُ رَدَدْتُهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُهَا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخْرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمِ يَزْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

قال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن» معقِّباً على هذا الحديث: (وهذا الشكُّ الذي حصل لأبي في تلك الساعة، هو - والله أعلم - السبُّ الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة إعلَام وإبلاغ ودواء؛ لما كان حصل له، سورة ﴿لم يكن﴾ إلى آخرها؛ لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾. وهذا نظيرُ تلاوته «سورة الفتح» حين أنزلت مرجعه من الحُدَيْبِيَّةِ عَلَى عَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ؛ وَذَلِكَ لِمَا كَانَ تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْأَسْتِثْلَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَفِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾.

قلت: هذا كلام جيد من هذا الإمام الحافظ المفسر، رحمه الله تعالى.

● ● وعن أبي هريرة، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَعْلَمُكُمْ سُورَةَ مَا أَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا». فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي وَيَدِي فِي يَدِهِ، فَجَعَلْتُ أَتَبَاطَأُ كِرَاهِيَةً أَنْ يَخْرُجَ قَبْلَ أَنْ يَخْبِرَنِي بِهَا، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْبَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي؟ فَقَالَ: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا قَمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ؟» فَقَرَأْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ. فَقَالَ: «هِيَ هِيَ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي قَالَ اللَّهُ

(١) أخرجه أحمد، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، والطبري، وهذا لفظ مسلم. قوله (ولا إذ كنت في الجاهلية): معناه: وسوس لي الشيطان تكديباً للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية! لأنه في الجاهلية كان غافلاً أو متشككاً، فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب. وقوله (مسألة تسألنيها): معناه: مسألة مجابة قطعاً.

عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الذي أعطيت»^(١).

وعن أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب، فقال رسول الله ﷺ:

«يَا أَبِي» - وهو يصلي - فالتفت أبي فلم يُجِبْهُ، وصلى أبي فَحَقَّفَ. ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:

«وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا مَنَعَكَ يَا أَبِي أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟» فقال: يا رسول الله إني كنت في الصلاة، قال:

«أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنْ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)؟ قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله. قال:

«أَتَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَكَ سُورَةَ لَمْ يُنَزَّلْ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا؟» قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:

«كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟» قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا. وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي أُعْطِيْتُهُ»^(٣).

● ● وبلغ من منزلة أبي عند رسول الله ﷺ أنه عاتبه إذ لم يفتح عليه في الصلاة، وقد لبس عليه ﷺ:

أخرج أبو داود عن عبد الله بن عمر: (أن النبي ﷺ صلى صلاة، فقرأ فيها،

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي. والآية من سورة الحجر: ٨٧.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٤.
(٣) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال عبد القادر والأرناؤوط: وهو كما قال، وصححه الألباني.

فَلُبَّسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انصَرَفَ، قَالَ لِأَبِي: «أَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا مَنَعَكَ» (١) (١٩).

وأخرج أحمد عن الجارود بن أبي سبرة، عن أبي بن كعب: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَتَرَكَ آيَةً، فَقَالَ: «أَيْكُمْ أَخَذَ عَلَيَّ شَيْئاً مِنْ قِرَاءَتِي»؟ فَقَالَ أَبُو: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَرَكَتْ آيَةَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى: «قَدْ عَلِمْتُ إِنَّ كَانَ أَحَدٌ أَخَذَهَا عَلَيَّ فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ» (٢).

● ● وكان أبي يكتب في الجاهلية قبل الإسلام - وكانت الكتابة في العرب قليلة - وكان ممن كتب لرسول الله صَلَّى الوحي قبل زيد بن ثابت، ومعه أيضاً، وهو أوَّل من كتب للنبي صَلَّى مقدمه المدينة، وأول مَنْ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ: (وَكَتَبَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ). وكان أبي إذا لم يحضر دعا رسول الله صَلَّى زيد بن ثابت فكتب، وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يديه صَلَّى، ويكتبان كُتُبَهُ إِلَى النَّاسِ وَمَا يَقْطَعُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

سيرته وشمائله:

قال الذهبي في ترجمته من «السير»: (كان رأساً في العلم والعمل).

لقد كان رضي الله عنه ملازماً لصلاة الجماعة مع رسول الله صَلَّى، مديماً لتلاوة كتاب الله تعالى، معظماً لرسوله صَلَّى، مكثراً للصلاة عليه، يحث الناس على التزام الكتاب والسنة، راغباً في كثرة الأجر ومحو الذنوب، جريئاً في الحق.

أخرج ابن سعد عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن أبي بن كعب: (أنه كان يختم القرآن في ثمانين ليلاً) (٣).

(١) قال شعيب: إسناده صحيح. قال الخطابي: (ما منعك أن تفتح عليّ إذ رأيتني قد لبس عليّ؟ وفيه دليل على جواز تلقين الإمام).

(٢) قال شعيب: إسناده صحيح.

(٣) قال الذهبي: إسناده صحيح.

وعن أبي بن كعب قال: (كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه». قال أبي: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت». قلت: الربيع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: التصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قال: قلت: فالثنتين؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذا تكفَى همك، ويُغْفِرَ لك ذنبك»^(١)).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أبي العالية قال: (قال رجل لأبي بن كعب: أوصني. قال: اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهد لا يئثم، فيه ذكركم وذکر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم).

وعنده - أيضاً - عن أبي قال: (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة، ذكّر الرحمن عز وجل، ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل، فتمسه النار. وليس من عبد على سبيل وسنة، ذكّر الرحمن، فاقشعرّ جلده من مخافة الله عز وجل؛ إلا كان مثله كمثل شجرة ييس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح، فتحات عنها ورقها - إلا تحاتت عنه ذنوبه، كما تحاتت عن هذه الشجرة ورقها. وإن اقتصاداً في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنته. فانظروا أعمالكم، فإن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً، أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم).

وعن شعبة قال: أخبرني أبو جَمْرَةَ قال: سمعتُ إياسَ بن قتادة، عن قيس بن عباد قال: (قدمت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ، فلم يكن فيهم أحد أحب إليّ

(١) أخرجه أحمد، والترمذي - واللفظ له - وعبد بن حميد، والروياتي، والحاكم، وغيرهم. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

لقاءً من أبي بن كعب، فقمْتُ في الصفِّ الأول، وخرجَ عمرُ مع أصحابِ محمدٍ ﷺ، فجاء رجلٌ، فنظرَ في وجوه القوم، فعرفهم غيري، فنحَّاني وقامَ في مكاني، فما عقلتُ صلاتي! فلما صلَّى قال لي: يا بني، لا يسوؤك الله، فإني لم آتِ الذي أتيتُ بجهالةٍ، ولكن رسولُ الله ﷺ قال لنا: «كونوا في الصفِّ الذي يليني»، وإني نظرتُ في وجوه القوم فعرفتهم غيرك. ثم حدَّثتُ، فما رأيتُ الرجالَ فتحتُ أعناقها إلى شيءٍ فتوحها إليه، قال: فسمعتُهُ يقول: هلكَ أهلُ العقدة وربُّ الكعبة - قالها ثلاثاً - هلكوا وأهلكوا، أما إني لا آسى عليهم، ولكنني آسى على من يهلكون من المسلمين. فإذا الرجلُ أبي بن كعب^(١).

وثبت عن أبي سعيد الخُدري: (أن رجلاً من المسلمين قال: يا رسول الله، رأيتَ هذه الأمراض التي تُصيبنا، ما لنا بها؟ قال: «كفارات». فقال أبي بن كعب: يا رسول الله، وإن قلتُ؟ قال: «وإن شوكة فما فوقها». قال: فدعا أبي أن لا يفارقه الوَعكُ حتى يموت، وأن لا يشغله عن حجِّ، ولا عمرة، ولا جهاد، ولا صلاة مكتوبة في جماعة. قال: فما مسَّ إنسانٌ جسده، إلا وجد حرَّه، حتى مات^(٢)).

قال الذهبي: (ملازمة الحمى له حرَّفت خُلُقَه يسيراً، ومن ثمَّ يقول زُرَّ بن حُبَيْش: كان أبيُّ فيه شراسة).

أخرج ابن سعد عن زُرَّ بن حُبَيْش قال: (كانت في أبي بن كعب شراسة،

(١) أخرجه أحمد، والطبراني - وهذا لفظه - والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وأبو نعيم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه شعيب والألباني. ومعنى (فتحت أعناقها): مدَّت أعناقها نحوه. و (أهل العقدة): يريد البيعة المعقودة للولادة. قاله في «النهاية».

(٢) قال الحافظ في «الإصابة»: رواه أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي الدنيا، وصححه ابن حبان، ورواه الطبراني من حديث أبي بن كعب بمعناه، وإسناده حسن. قلت: وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وابن عساكر، كلاهما من حديث أبي سعيد، وهو في «الحلية» من حديث أبي. و (الوعك): الحمى.

فقلت له: أبا المنذر، ألن لي من جانبك، فإني إنما أتمتع منك).

● ● وكان رضي الله عنه جريئاً، لا يهاب في الحق أحداً:

أخرج مالك والجماعة إلا النسائي، عن أبي موسى الأشعري قال: (جاء أبو موسى إلى عمَرَ بن الخطاب، فقال: السلامُ عليكم، هذا عبد الله بن قيس، فلم يَأْذَنَ له، فقال: السلامُ عليكم، هذا أبو موسى. السلامُ عليكم، هذا الأشعريُّ، ثم انصرف. فقال: رُدُّوا عَلَيَّ، رُدُّوا عَلَيَّ. فجاء، فقال: يا أبا موسى، ما رَدَّكَ؟ كُنَّا في شُغْلٍ! قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذِنَ لك، وإلا فارجع». قال: لَتَأْتِيَنِي على هذا بيئته، وإلا فَعَلْتُ وفعلتُ! فذهب أبو موسى. قال عمرُ: إن وجدَ بيته تجدوه عند المنبر عشيّة، وإن لم يجدَ بيته فلم تجدوه. فلما أن جاء بالعشيِّ وجدَّوه، قال: يا أبا موسى، ما تقول؟ أقد وجدت؟ قال: نعم، أباي بن كعب. قال: عدل. قال: يا أبا الطُّفَيْلِ، ما يقولُ هذا؟ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ذلك يا بنَ الخطاب! فلا تكوننَّ عذاباً على أصحابِ رسولِ الله ﷺ!! قال: سبحانَ اللهِ، إنما سمعتُ شيئاً، فأحييتُ أن أتتبت). لفظ الإمام مسلم.

وفي رواية: (فقال عمرُ: خَفِيَ عَلَيَّ هذا من أمرِ رسولِ الله ﷺ، ألّهاني عنه الصَّفْقُ بالأسواق).

وفي «مستدرک الحاکم»: (مرَّ عمَرُ بن الخطاب برجلٍ وهو يقول: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»^(١) إلى آخر الآية، فوقفَ عليه عمرُ فقال: انصرف، فلما انصرف قال له عمرُ: مَنْ أقرأكَ هذه الآية؟ قال: أقرأنيها أباي بنُ كعب، فقال: انطلقوا بنا إليه. فانطلقوا إليه، فإذا هو متكئ على وسادة يرجل رأسه، فسلم عليه، فردَّ السلام، فقال: يا أبا المنذر، قال: لبيك، قال: أخبرني هذا أنك أقرأته

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

هذه الآية؟ قال: صدق، تلقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قال عمر: أنت تلقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: نعم، أنا تلقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ثلاث مرات - كل ذلك يقوله، وفي الثالثة وهو غضبان: نعم، واللَّه لقد أنزلها الله على جبريل، وأنزلها جبريلُ على محمد، فلم يَسْتَأْمِرْ فِيهَا الْخَطَابَ وَلَا ابْنَهُ! فخرجَ عُمر وهو رافعٌ يديه، وهو يقول: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ).

وعن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: (اخرجوا بنا إلى أرضي قومنا. قال: فخرجنا، فكنتُ أنا وأبي بن كعب في مؤخر الناس، فهاجث سحابة، فقال أبي: اللهم اصْرِفْ عنا أذاها. فلحقناهم وقد ابتلث رحالهم، فقال عمر: أما أصابكم الذي أصابنا؟ قلت: إنَّ أبا المنذر دعا الله عز وجل أن يَصْرِفَ عنا أذاها، فقال عمر: ألا دعوتُم لنا معكم^(١)؟

علمه ومروياته:

كان أبي من كبار القراء، ومن أهل الفقه وأصحاب الفتوى، وأحد الراسخين في العلم، رضي الله عنه.

القارئ:

عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه: (جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةَ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. قلتُ لأنس: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قال: أَحَدُ عُمُومَتِي)^(٢).

وفي رواية أخرى للبخاري، عن أنس قال: (ماتَ النَّبِيُّ ﷺ ولم يَجْمَعْ

(١) أخرجه ابن عساکر، قال شعيب: رجاله ثقات؛ إلا أن حبيب بن أبي ثابت مدلس، وقد عَنَّ.

(٢) أخرجه الشيخان، والترمذي، وابن سعد، واللفظ للبخاري. ومعنى (جمع القرآن): حفظه غيباً.

القرآن غير أربعة: أبو الدزداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه.

قلت: هذا الحصر لا مفهوم له، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه، وقد استوفى الحافظ ابن حجر في «الفتح» ما قاله المحققون من الأجوبة عن قول أنس.

وأرى - والله أعلم - أنه ذكر هؤلاء الأربعة، لأنهم أكابر من جمع القرآن من الخزرج، فذكرهم لإثبات مفخرة للخزرج، ويؤيد ذلك ما جاء في زواية أخرى للحديث، عن أنس قال: (افتخر الحَيَّان الأوس والخزرج: فقالت الأوس: منا غسيلُ الملائكة حَنْظَلَةُ بن الراهب، ومنا من اهتز له عرشُ الرحمن سعدُ بن مُعَاذ، ومنا من حَمَّتُهُ الدَّبْرُ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأفلح، ومنا من أُجيزَتْ شهادته بشهادة رجلين حُزَيْمَةُ بن ثابت. وقالت الخزرجيون: منا أربعة جَمَعُوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، لم يجمعه غيرهم: زيدُ بن ثابت، وأبي بن كعب، ومُعَاذ بن جبل، وأبو زيد^(١)).

ثم إنه لا يعقل أنه لم يحفظ القرآن على عهد النبي ﷺ سوى هؤلاء المذكورين، والصحابة عشرات الآلاف، وكثير منهم كان ملازماً له ﷺ، ومن أظهر الأدلة على ذلك ما حدث في «معركة اليمامة» من موت القراء، فقد ذكروا أنه قتل منهم نحو من سبع مئة نفس؛ مما أخاف عمر على ذهاب القرآن بذهاب حفظته، ومعركة اليمامة قريبة العهد جداً بوفاة ﷺ.

وقد جمع القرآن الجُم الغفير من الصحابة، فمن المهاجرين: الخلفاء الراشدون الأربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم، وأبو هريرة، وابن السائب، والعبادة الأربعة، ومن النساء: عائشة، وحفصة، وأم سلمة.

(١) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والبخاري، ورجالهم رجال الصحيح. وحسن الحافظ البوصيري إسناده. وأخرجه أيضاً أبو عوانة وابن عساكر.

وبعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي ﷺ^(١).

● ● عرض أبي القرآن على رسول الله ﷺ، وقد ندب النبي ﷺ الناس إلى أخذ القرآن عن جماعة من الصحابة، منهم أبي:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (سمعتُ النبي ﷺ يقول: «اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَأَبِي، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»)^(٢).

وصحَّ عنه ﷺ أن أياً أقرأ الأمة، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءُ عَثْمَانُ، وَأَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنْ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(٣).

وعن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: (أَقْرَأُنَا أَبِيُّ، وَأَفْضَانَا عَلِيُّ، وَإِنَّا لَنَدْعُ مِنْ قَوْلِ أَبِيُّ، وَذَلِكَ أَنْ أَبِيًّا يَقُولُ: لَا أَدْعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾)^(٤).

قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي من «معرفة القراء»: (أبيُّ بن كعب أقرأ

(١) انظر مثلاً: طبقات ابن سعد ٢/٣٥٥ - ٣٥٧، فضائل القرآن لابن كثير ٤٦ - ٤٧، الفتح ٥١/٩ - ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم، والترمذي، وابن سعد، والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، وأبو نعيم، وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد، والترمذي - واللفظ له - والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي في السنن، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد، والبخاري - واللفظ له - والفسوي في «المعرفة والتاريخ» والحاكم. والآية من سورة البقرة: ١٠٦.

من أبي بكر ومن عمر، وبعد هذا فما استخلف النبي ﷺ أياً، بل استخلف
أبا بكر على الصلاة، وقد قال ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أقرؤهم لكتاب الله...»^(١)
الحديث. وهذا مُشْكِل).

قلت: الأظهر - والله أعلم - أن أبا بكر أقرأ منه، كما صرح بذلك الإمام أبو
الحسن الأشعري، مستدلاً بما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره، عنه ﷺ: «يَوْمُ
الْقَوْمِ أقرؤهم لكتاب الله»، وقد أمر النبي ﷺ - في مرضه - أبا بكر أن يَوْمَ في
مكانه، فلولا أنه كان أقرأ الصحابة لكتاب الله لما قدمه عليهم. وقد جَنَحَ إلى هذا
ثلاثة من كبار الحفاظ: ابن كثير، وتلميذه ابن الجزري، وابن حجر. وقد فصلنا
القول في هذا في «ترجمة الصديق»^(٢).

● ● وقد كان أبي رضي الله عنه على علم واسع بفضائل القرآن،
وتفسيره، وأغراضه ومراميه؛ حتى امتدحه النبي ﷺ في ذلك:

عن أبي بن كعب قال: (قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المُنْذِرِ، أتَدْرِي أَيُّ
آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «يا أبا
المُنْذِرِ، أتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قال: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَاللَّهِ، لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا
المُنْذِرِ»^(٣)).

لذا كان عمر - وهو أمير المؤمنين - يأتي أياً يسأله عن بعض آي القرآن،
ويوجه من أراد أن يسأل عن القرآن إلى أبي.

أخرج الحاكم عن سعيد بن المسيب: (أن عُمَرَ بن الخطاب أتى على هذه

(١) أخرجه أحمد والطيالسي في «مستديهما»، ومسلم وأهل السنن الأربعة.

(٢) انظر: ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣) أخرجه أحمد، والطيالسي، ومسلم - واللفظ له - وأبو داود. والآية من سورة البقرة: ٢٥٥.

قوله (لهنك العلم): أي ليكن العلم هنيئاً لك.

الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(١)، فأتى أبي بن كعب، فسأله: أئنا لم نظلم أنفسه؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إنما ذاك الشرك؛ أما سمعت قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)؟ ١٩.

وقال أبو صالح كاتب الليث: حدثنا موسى بن عُلَيِّ، عن أبيه: أن عمر خطب بالجابية، فقال: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ فَلْيَأْتِ زَيْدًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي خَازِنًا وَقَاسِمًا)^(٣).

● ● وجمع عمر الناس في التراويح على أبي، فكان إمامهم، وذلك في رمضان سنة أربع عشرة للهجرة:

عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: (خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب. ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله)^(٤).

وشارك في جمع القرآن زمن عثمان بن عفان:

عن كثير بن أفلح قال: (لمَّا أَرَادَ عَثْمَانُ أَنْ يَكْتَبَ الْمَصَاحِفَ، جَمَعَ لَهُ اثْنِي

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٣) قال شعيب: أبو صالح سبى الحفظ، وباقي رجاله ثقات.

(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومالك، وابن خزيمة، وغيرهم.

عَشْرَ رَجُلًا مِنْ قَرِيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ^(١) الْحَدِيثِ .
 وَقَدْ اسْتَبْعَدَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» حُضُورَ أَبِي؛ فَقَالَ: (وَمَا أَحْسَبُ أَنَّ عَثْمَانَ
 نَدَبَ لِلْمَصْحَفِ أُبَيًّا، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَأَشْتَهَرَ، وَلَكَانَ الذُّكْرُ لِأَبِي لَا لِزَيْدٍ).
 قُلْتُ: لَيْسَ لِهَذَا وَجْهٌ، فَقَدْ نَدَبَ الصَّدِيقُ زَيْدًا لَجَمْعِ الْقُرْآنِ، فَكَانَ الذُّكْرُ
 لَهُ، وَأَبِيٌّ مَوْجُودٌ آنَذَاكَ بِلَا خِلَافٍ.

● ● قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: (قَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ مِنَ الصَّحَابَةِ: ابْنُ عَبَّاسٍ،
 وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ. وَمِنَ التَّابِعِينَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ،
 وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ الرَّيَّاحِيِّ).

المحدث الفقيه:

● ● أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ بِسَنَدٍ فِيهِ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَنْمَةَ^(٢) قَالَ:
 (كَانَ الَّذِينَ يَفْتَوْنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ
 الْأَنْصَارِ: عُمَرُ وَعَثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ).
 وَكَانَ يَفْتِي فِي عَهْدِ الشَّيْخِينَ، فِي نَفَرٍ مِنْ عِلْيَةِ الصَّحَابَةِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: (كَانَ أَصْحَابَ الْفَتْوَى مِنْ
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَزَيْدٌ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَبُو
 مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ).

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبِي بَنْ كَعْبٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ؟ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي،
 أَكَانَ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَأَجِئْنَا حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَ اجْتَهَدْنَا لَكَ رَأْيَنَا)^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي «الْمَصَاحِفِ»، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.
 (٢) فِي الطَّبَقَاتِ (٣٥٠/٢) «خَيْثَمَةَ»، تَحْرِيفٌ. وَسَهْلٌ: صَحَابِيُّ صَغِيرٌ، أَنْصَارِي خَزْرَجِي،
 وَلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، أَخْرَجَ حَدِيثَهُ الْجَمَاعَةُ.
 (٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ. وَمَعْنَى (فَأَجِئْنَا): فَأَرِخْنَا. وَتَصَخَّفَتْ فِي «الطَّبَقَاتِ»،
 وَكَذَلِكَ فِي «النَّبَلَاءِ» إِلَى (فَاخْمِنَا).

● ● وقد جلس للناس يحدثهم، ويعلمهم، وبقي على ذلك حتى أيامه الأخيرة، فأخذ عنه كبار الصحابة والتابعين:

فكان عمر يسأله عن النوازل، ويتحاكم إليه في المعضلات. وكان ابن عباس يأتيه، فيجده نائماً، فيقبل على بابه كراهة أن يوقظه.

أخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي، عن ابن عباس قال: (ما حدثني أحد قط حديثاً فاستفهمته، فلقد كنتُ آتي بابَ أبي بن كعب، وهو نائم، فأقبل على بابه، ولو عَلِمَ بمكاني لأحبَّ أن يوقظ لي؛ لمكاني من رسولِ الله ﷺ، ولكنِّي أكرهُ أن أمله).

قال معمر: (عامَّةُ عَلِمَ ابن عباس من ثلاثة: عُمر، وَعَلِي، وأبي).

وعن زُرِّ بن حُبَيْشٍ قال: (سألتُ أبي بن كعب رضي الله عنه، فقلتُ: إن أخاك ابن مسعود يقول: مَنْ يَقُمِ الحَوْلَ، يُصِيبُ لَيْلَةَ القَدَرِ! فقال: رَحِمَهُ اللهُ، أَرَادَ أَنْ لا يَتَّكِلَ النَّاسُ؛ أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَأَنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَّخِرِ، وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ. ثُمَّ حَلَفَ لا يَسْتَنْبِي، أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ. فقلتُ بأبي شيءٍ تقولُ ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بِالْعَلَامَةِ - أو بِالآيَةِ - التي أَخْبَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ، أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ، لا شُعَاعَ لَهَا)^(١).

وعن جُنْدُب بن عبد الله البجلي قال: (أتيت المدينة ابتغاء العلم، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ، فإذا الناس فيه جَلَقَ يتحدثون، فجعلت أمضي الجَلَقَ حتى أتيت حَلَقَةَ فيها رجل شاحب عليه ثوبان، كأنما قدم من سفر، قال: فسمعته يقول: هلك أصحاب العُقدة ورب الكعبة، ولا آسي عليهم - أحسبه قال مراراً - قال: فجلست إليه فتحدث بما قُضِيَ له ثم قام، قال: فسألت عنه بعد ما قام، قلت: من

(١) أخرجه مسلم - واللفظ له - وأبو داود، والترمذي. قوله (لا يستنبي): أي جزم في حلقه بلا استثناء فيه، بأن يقول عقب يمينه: إن شاء الله.

هذا؟ قالوا: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب - رضي الله عنه - . قال: فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو ركنُ المنزل، ركنُ الهيئة، فإذا رجل زاهد منقطع يشبه أمره بعضه بعضاً، فسلمتُ عليه فرد عليَّ السلام ثم سألتني ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق، قال: أكثر شيء سؤالاً، قال: لَمَّا قال ذلك غضبت، قال: فجثوت على ركبتي ورفعت يديَّ هكذا - وصفتُ حيال وجهه - فاستقبلت القبلة، قال: قلت: اللهمَّ نشكوهم إليك، إنا ننفق نفقاتنا، ونُنصب أبداننا، ونرحل مطايانا ابتغاءَ العلم، فإذا لقيناهم تجهموا لنا وقالوا لنا! قال: فبكى أبي وجعل يترضاني ويقول: ويحك لم أذهب هناك، لم أذهب هناك، قال: ثم قال: اللهمَّ إني أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمنَّ بما سمعتُ من رسول الله ﷺ لا أخاف فيه لومة لائم، قال: لَمَّا قال ذلك انصرفتُ عنه وجعلتُ أنتظر الجمعة، فلما كان يوم الخميس خرجتُ لبعض حاجتي، فإذا السُّككُ غاصَّة من الناس، لا آخذ في سِكةٍ إلا يلقاني فيها الناس! قال: قلتُ ما شأن الناس؟ قالوا: إنا نحسبك غريباً؟ قال: قلت: أجل . قالوا: مات سيّد المسلمين أبي بن كعب . قال جنذب: فلقيت أبا موسى بالعراق، فحدّثته حديث أبي، قال: والهفاه! لو بقي حتى تُبلِّغنا مقالته^(١).

● ● روى أبي عن النبي ﷺ .

وحدّث عنه: أولاده: محمد، والطُّفيل، وعبد الله .

وجماعة من الصحابة، منهم: عمر بن الخطاب، وأبو أيوب الأنصاري، وابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وسهل بن سعد الساعدي، وسليمان بن صرد الخُرَاعي، وعبد الرحمن بن أبزي، وغيرهم .

ومن التابعين: سويد بن غفلة، وزر بن حُبَيْش، وأبو العالية الرِّياحي، وأبو عثمان التَّهديّ عبد الرحمن بن مَلّ، وأبو إدريس عائذُ الله بن عبد الله الخولانيّ، وعُتَي بن ضَمْرَةَ التِّيمي السَّعدي، وعبد الرحمن بن أبي لَيْلي، وقيس بن عبّاد، وخلق .

(١) أخرجه ابن سعد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن عساكر .

● ● له في الكتب عن رسول الله ﷺ مئة وأربعة وستون حديثاً، اتفق الشيخان منها على ثلاثة أحاديث، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة.
وروى له الجماعة.

من أقواله:

أخرج أبو نعيم عن عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَبَدَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. وَمَا تَهَاوَنَ بِهِ عَبْدٌ، فَأَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَصْلِحُ، إِلَّا آتَاهُ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْهُ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

وعنده عن أبي العالية، عن أبيِّ قال: (المؤمن بين أربع: إن ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِنْ قَالَ صَدَقَ، وَإِنْ حَكَمَ عَدَلَ. فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةِ مِنَ النُّورِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: كَلَامُهُ نُورٌ، وَعِلْمُهُ نُورٌ، وَمُدْخَلُهُ فِي نُورٍ، وَمَخْرَجُهُ مِنْ نُورٍ، وَمَصِيرُهُ إِلَى النُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَالْكَافِرُ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةِ مِنَ الظُّلْمِ. فَكَلَامُهُ ظُلْمَةٌ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمُدْخَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَخْرَجُهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الظُّلْمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

منزله وثناؤهم عليه:

● ● عن أبي نَضْرَةَ الْعَبْدِيِّ: (قَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ: جَابِرٌ، أَوْ جُوَيْرٌ: طَلَبْتُ حَاجَةَ إِلَى عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيْلاً، فَغَدَوْتُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أُعْطِيتُ فِطْنَةً وَلِسَاناً - أَوْ قَالَ: مَنْطِقاً - فَأَخَذْتُ فِي الدُّنْيَا فَصَعَّرْتُهَا، فَتَرَكْتُهَا لَا تَسْوَى شَيْئاً، وَإِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ أَيْضَ الشَّعْرِ، أَيْضُ الثِّيَابِ، فَقَالَ لِمَا فَرَعْتُ: كُلُّ قَوْلِكَ كَانَ مَقَارِباً، إِلَّا وَقُوعَكَ فِي الدُّنْيَا، وَهَلْ تَدْرِي مَا الدُّنْيَا؟ إِنَّ الدُّنْيَا فِيهَا بِلَاغُنَا - أَوْ قَالَ: زَادُنَا - إِلَى الْآخِرَةِ، وَفِيهَا أَعْمَالُنَا الَّتِي تُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ. قَالَ: فَأَخَذَ فِي الدُّنْيَا رَجُلٌ هُوَ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ هَذَا

الرجل الذي إلى جنبك؟ قال: سيّد المسلمين، أبيّ بن كعب^(١).

وقد كان عمر يكرم أبيّاً، ويهابه، ويستفتيه، وكره أن يوليه الإمارة!

عن سلام بن مسكين قال: أخبرنا عمران بن عبد الله قال: (قال أبيّ بن كعب لعُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه: مَا لَكَ لَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ قال: أكره أن يُدْتَسَرَ دينك)^(٢).

وقال ابنُ عباس في أبيّ: (كَانَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ)^(٣).

ولما مات رضي الله عنه، خرج أهل المدينة في السكك، يموج بعضهم في بعض، وعندما سألهم جُنْدُب البجلي عن ذلك؟ قالوا: (مات سيّد المسلمين، أبيّ بن كعب).

● ● قال ابن حبان: (كان من فقهاء الصحابة، وجيلّة الأنصار).

وقال الذهبي في «التذكرة»: (أقرأ الصحابة، وسيّد القراء، شهد بَدْرًا والمشاهد، وقرأ القرآن على النبي ﷺ، وكان أحدَ مَنْ سَمِعَ الكثير، وجمَعَ بين العلم والعمل، ومناقبه جَمَّة).

وحلّاه ابن كثير بقوله: (كَانَ سَيِّدًا جَلِيلَ الْقَدْرِ، وَهُوَ أَحَدُ الْقُرَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْخَزْرَجِيِّينَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

من أخباره الشخصية:

أمه: هي ضُهَيْلَةُ بنت الأسود بن حَرَام بن عَمْرُو، من بني مالك بن النجّار. وهي عمّة أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري.

(١) أخرجه بطوله البخاري في «الأدب المفرد»، وابن سعد مختصراً.

(٢) أخرجه ابن سعد، وابن عساكر.

(٣) أخرجه ابن سعد.

أزواجه وأولاده:

ذكرت المصادر لأبي زوجتين: إحداهما أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو، من دوس. والثانية لا يعرف اسمها.

وله من الولد: الطفيل، ومحمد، وعبد الله، وأم عمرو.

ولأبنائه الثلاثة الذكور رواية، وقد ترجم لهم الحافظ في «التهذيب».

وفاته:

توفي أبي رضي الله عنه بالمدينة، ودُفن بها. وقد اختلف في تاريخ موته اختلافاً كثيراً:

قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، ويقال: قبل موت عثمان بجمعة.

قال ابن حبان في «مشاهيره»: الأصح سنة اثنتين وعشرين، ورجَّحه الذهبي في «السير». وصحَّح أبو نعيم أنه مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين، واحتجَّ له بأن زبَّ بن حُبَيْش لقيه في خلافة عثمان. واختاره ابن الجوزي في «صفة الصفوة». وهذا هو اختيار الواقدي، قال: (وهو أثبت هذه الأقاويل عندنا؛ وذلك أن عثمان بن عفان أمره أن يجمع القرآن).

أما الحافظ ابن الجوزي، فقد رجَّح أن وفاته كانت قبيل مقتل عثمان، واستدلَّ لذلك بما رواه الإمام أحمد، عن أبي العالية، عن أبيِّ، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُؤَدِّقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(١)؛ قال: (هنَّ أربع، وكلُّهن واقع لا محالة، فمضت اثنتان بعد وفاة

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٥.

رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً، وذاق بعضهم بأس بعض).

ثم قال ابن الجزري: (حديثه المتقدم يدل أنه توفي بعد عثمان، والله أعلم).

قلت: وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»، ولفظه: (عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، في قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الآية، قال: هنَّ أربعٌ، وكلهنَّ عذابٌ واقعٌ لا محالة: فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنةً، فألبسوا شيعاً، وذاق بعضهم بأس بعض، وبقي اثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم).

وُستدَلَّ له أيضاً بما رواه الحاكم في «مستدرکه»، عن عبد الرحمن بن أبيزى قال: (لما وقع الناس في أمر عثمان رضي الله عنه، قلت لأبي بن كعب: أبا المنذر، ما المخرج من هذا الأمر؟ قال: كتاب الله، وسنة نبيه، ما استبان لكم فاعملوا به، وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه)^(١).

وقد ذكر البخاري في «تاريخه الصغير» وفاة أبي، فيمن توفي في خلافة عثمان. وقال الحافظ في «الفتح»: (وأبي عاش بعد إرسال المصاحف على الصحيح)^(٢). قلت استمرَّ نسخ المصاحف من سنة (٢٥هـ) إلى سنة (٣٠هـ). فأبي عاش إلى ما بعد هذا التاريخ. فهذه أدلة ظاهرة قوية على أن وفاته كانت قبيل وفاة عثمان، أو بعينها، والله أعلم.

* * *

(١) سكت عليه الحاكم وقال الذهبي: صحيح. قلت: وذكر البخاري في «تاريخه الكبير» الجزء الأول منه، وذكره بتمامه في «تاريخه الصغير».

(٢) الفتح ٣٩/٩.

(١١) ١١ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ^(١)

... - ٣٦ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ١٣٦٨/٣، ١٣٩٠، سنن الترمذي ٦٦٠/٥ - ٦٦١، ٦٧٥، مسند أحمد ٣٨٢/٥ - ٤٠٨، المعجم الكبير للطبراني ١٨٥/٣ - ١٨٩، المستدرك ٣٧٩/٣ - ٣٨١، جامع الأصول ٥٧٠/٨ - ٥٧٢، ٥٨/٩ - ٥٩، المشكاة ١٧٣٨/٣ - ١٧٣٩، ١٧٤٨، ١٧٥٥، ١٧٥٧، تحفة الأشراف ٢١/٣ - ٥٨، مجمع الزوائد ٣٢٥/٩، الفتح ٩٠/٧ - ٩٢، ١٣٢، ١١/٩، ١٦ - ١٨، كثر العمال ٣٤٣/١٣، سيرة ابن هشام ٥٠٦/١، ٨٧/٢، ٨٨، ١٢٢، ٢٣١ - ٢٣٣، طبقات ابن سعد ٤٥/٢، ٢٦٣/٣، ٥٥٣/٥، ٨/٦، ١٥، ٣١٧/٧، تاريخ يحيى بن معين ١٠٤/٢، طبقات خليفة ٤٨، ١٣٠، تاريخ خليفة ٦٩، ١٤٨ - ١٥١، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٦، ١٨٢، التاريخ الكبير للبخاري ٩٥/٣ - ٩٦، ٣٣٢، التاريخ الصغير له ٧٩/١، ٨٠، ١٠٥، ١٠٦، ١٤٠، المعرفة والتاريخ للفوسى «انظر فهرس الأعلام»، أخبار القضاة لوكيع ٣٩/١، ٤٠، ١٨٦/٢، ٢٨٥، ٤١/٣، ٤٢، ٤٥، ٦٦، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، المصاحف لابن أبي داود ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٤٤، الجرح والتعديل ٢٥٦/٣، ١١٤٠، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٧٤، ٢٦٧، تاريخ الصحابة له ٧٣، ٢٦٧، الثقات له ٨٠/٣ - ٨١، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير ٥١، ٥٢، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢١٣/١ - ٢١٤، ٢٧٩، حلية الأولياء ٢٧٠/١ - ٢٨٣، ٣٥٤ - ٣٥٥، جوامع السيرة لابن حزم ٩٦، ١٦٤، ١٦٨، ١٩١، ٢٧٧، ٣١٩، ٣٤٣، ٣٤٦، الاستيعاب ٢٧٦/١ - ٢٧٨، تاريخ بغداد ١٦١/١ - ١٦٣، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١٠٧/١، ٤١٤، صفة الصفوة ٦١٠/١ - ٦١٦، أسد الغابة ٣٩٠/١ - ٣٩٢، الكامل في التاريخ ١٦٢/٢، ١٧٩، ١٨٤، ٩/٣، ١٤ - ١٧، ١٨ - ٢١، ٨٣ - ١٠٩، ١١١، ١٣٣، ١٥٠، ٢٨٧، ٣١٠، تهذيب الأسماء واللغات ١٥٣/١ - ١٥٥، ٥١٠، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٢٤٨/٦ - ٢٦٣، تهذيب الكمال ٤٩٥/٥ - ٤٩٥، ٥١٠، ١١٤٧، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٤٩١ - ٤٩٤، العبر - ٢٧/١، دول =

اسمه ونسبه ونسبته :

حذيفة بن اليمان - واسم اليمان: حُسَيْل، ويقال: حِئْل - بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جِرْوَةَ بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن عَطْفَان، العَبْسِيُّ نسبةً إلى (عَبْس)، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين.

وإنما قيل لأبيه حُسَيْل: اليمان، لأنه من ولد اليمان: جِرْوَةَ بن الحارث، فقد كان جرّوة - أيضاً - يقال له: اليمان؛ وذلك لأنه أصاب في قومه دمًا، فهرب إلى المدينة، فحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن.

كنيته:

أخرج ابن سعد عن الأعمش، عن أبي وائل قال: (كان حذيفة يُكْنَى أبا عبد الله).

إسلامه وهجرته:

حذيفة أحد أعيان المهاجرين، أسلم هو وأبوه، وهاجراً إلى النبي ﷺ.

وصفه الذهبي في «العبر» بأنه: (أحد السابقين). وقال الحافظ في ترجمته

= الإسلام ٢٢، الكاشف ١٥٢/١ ت ٩٧٠، سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢ - ٣٦٩، المعين في طبقات المحدثين ٢٠ ت ٢٧، الوافي بالوفيات ٣٢٧/١١ - ٣٢٨، البداية والنهاية ٣٣/٤، ٩٩، ١١٣ - ١١٥، ١٩/٥ - ٢١، ٢٠٨/٦، ١٠٧/٧ - ١١١، ١٢٩، ١٥٤، ١٩٢، غاية النهاية ٢٠٣/١ ت ٩٣٨، تهذيب التهذيب ١٩٣/٢، تقريب التهذيب ١٥٦/١، الإصابة ٣١٦/١ - ٣١٧ ت ١٦٤٧، الرياض المستطابة ٤٩ - ٥٠، خلاصة تهذيب التهذيب ٧٤، سبل الهدى والرشاد ٣١٢/٤، ٥٤٦ - ٥٤٩، ٦٦٩/٥ - ٦٧٢، شذرات الذهب ٣٢/١، ٤٤، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام». وغير ذلك من كتب السيرة والفتوح والتواريخ.

من «تقريب التهذيب»: (صحابي جليل، من السابقين). وقال في «الفتح» في «مناقب عمّار وحذيفة»: (وكان عمّار من السابقين الأولين، وحذيفة من القدماء في الإسلام أيضاً، إلا أنه متأخّر فيه عن عمار).

عن أبي الطُّفَيْل قال: حَدَّثَنَا حذيفةُ بن اليمان قال: (ما مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا، إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٍ، قَالَ: فَأَخَذْنَا كَفَارُ قَرِيشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ مُحَمَّدًا؟ فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لِنَنْصُرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نَقَاتِلُ مَعَهُ. فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: «انْصُرِفَا، نَفِي لَهُمْ بَعْدَهُمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»^(١).

وعن حذيفة قال: (خَيَّرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْهَجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ، فَاخْتَرْتُ النُّصْرَةَ)^(٢).

المؤاخاة:

قال ابن إسحاق والواقدي: آخَى رسول الله ﷺ بين حذيفة وبين عمار بن ياسر.

مشاهده:

لحذيفة مقامات محمودة في الجهاد، فشهد أحداً وما بعد ذلك من المشاهد. وقد فاتته بدر، لأنه لما خرج مهاجراً صحبة أبيه إلى المدينة، أخذهما كفار قريش، وأخذوا عليهما العهد أن لا يقاتلا مع النبي ﷺ، فأمرهما ﷺ بأن يفيا بالعهد.

(١) أخرجه أحمد، ومسلم واللفظ له، وأخرجه الحاكم في «مناقب اليمان» وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير علي بن زيد وهو حسن الحديث. وضعفه الشيخ شعيب بن علي بن زيد بن جُدعان، واختيار أحمد شاكر أن علياً هذا: ثقة، كما في شرح الترمذي له (الحديث ١٠٩، ٥٤٥). وقال الذهبي في رسالة (من نُكَلِّم فِيهِ وَهُوَ مُؤْتَوٌّ): صُوِّلِحَ الْحَدِيثُ.

● ● شهد حذيفة، وأبوه، وأخوه صفوان بن اليمان، أُحْدًا، واستشهد أبوه يومئذ، قتله بعض الصحابة غلطاً، ولم يعرفه.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ. فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ، فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ، فَبَصُرَ حَذِيفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ، فَقَالَ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ، أَبِي أَبِي! قَالَ: قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا اخْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ. فَقَالَ حَذِيفَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ! قَالَ عُرْوَةُ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِي حَذِيفَةَ بَقِيَّةٌ خَيْرٍ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) (١).

وسبب الخطأ في قتله تَبَيَّنَهُ رواية ابن إسحاق والحاكم عن محمود بن لبيد قال: (لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، رُفِعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ - وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - وَثَابِتُ بْنُ وَقَّشٍ فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَهِيَ شَيْخَانُ كَبِيرَانٍ: مَا أَبَا لَكَ، مَا تَنْتَظِرُ؟ فَوَاللَّهِ لَا بَقِيَ لَوَاحِدٍ مَنَّا مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا ظَمُّهُ جِمَارًا، إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا، أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا، ثُمَّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا ثُمَّ خَرَجَا، حَتَّى دَخَلَا فِي النَّاسِ، وَلَمْ يُعْلَمْ بِهِمَا، فَأَمَّا ثَابِتُ بْنُ وَقَّشٍ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَّا حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ. فَقَالَ حَذِيفَةُ: أَبِي؛ فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ عَرَفْنَا، وَصَدَقُوا. قَالَ حَذِيفَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَزْحَمُ الرَّاحِمِينَ! فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ، فَتَصَدَّقَ حَذِيفَةُ بِدِيَّتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا) (٢).

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - وابن سعد.

(٢) هذا لفظ ابن إسحاق، وصححه الحاكم وسكت عليه الذهبي. قوله (ظمه حمار): الظمه: مقدار ما يكون بين الشربتين، وأقصر الأظماء ظمه الحمار، لأنه لا يصبر عن الماء؛ فضرِبَ مثلاً لقرب الأجل.

● ● وأرسله رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب سرية وحده، ليأتيه بخبر القوم، فوصلهم، وعرف عن جموعهم كل أمرهم، ظاهره وخفيه، لأنه داخلهم مداخلة لم تترك لهم سراً إلا كشفته، ولا خبيئاً إلا أعلنته. وقد وقعت له فيهم عجائب، دلت على أن اختياره لهذه المهمة الخطيرة كان من متزلّ التوفيق، فقد عرف ما هم فيه من الاضطراب والضياع، والرعب والفرع، واستغراق الأمور أمامهم، بحيث لم يجدوا للخلاص من حالهم إلا الاستعداد للهرب. ورجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ، فأخبره خبر القوم.

عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: (كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريحٌ شديد وقُرٌّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكّتنا، فلم يُجِبْهُ منا أحدٌ. ثم قال: «ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكّتنا، فلم يُجِبْهُ منا أحدٌ. ثم قال: «ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكّتنا، فلم يُجِبْهُ منا أحدًا فقال: «قم يا حذيفة، فائتينا بخبر القوم». فلم أجد بداً - إذ دعاني باسمي - أن أقوم. قال: «اذهب، فائتني بخبر القوم، ولا تدعهم علي». فلما وكئت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يضلّي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تدعهم علي»، ولو رميته لأصبته. فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيت، فأخبرته بخبر القوم، وفرغت؛ فَرَزْتُ! فَأَلْبَسَنِي رسولُ الله ﷺ من فضل عباءة، كانت عليه يُصَلِّي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: «قم يا نومان».)^(١)

(١) أخرجه مسلم بهذا اللفظ. وأخرجه عن حذيفة أيضاً: الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» و«الدلائل»، والبيهقي في «الدلائل»، والطبراني في «الكبير»، وابن عساكر وطوله، وغيرهم. ومعنى (لا تدعهم علي): لا تفزعهم علي، ولا تحركهم علي.

وجاء في رواية البيهقي في «الدلائل» قال حذيفة: (فخرجتُ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته». قال: فوالله، ما خلق الله فرعاً ولا فؤاً في جوفِي إلا خرج من جوفي، فما أجدُ فيه شيئاً).

● ● وفي «غزوة تبوك» كان له شأن مع المنافقين الذين أرادوا أن يزحموا رسول الله ﷺ في العقبه؛ ليقع عن ناقته، وحذيفة أخذ بخطامها.

مناقبه:

مناقب حذيفة كثيرة مشهورة.

● ● من أجَّلها ما كان منه يوم «الخنديق»، وقد نال بشرى النبي ﷺ، حيث قال: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة؟ فلبى حذيفة أمره ﷺ، وسينال البشرى إن شاء الله تعالى، في الآخرة.

● ● وأخرج الترمذي عن زرِّ بن حُبَيْش، عن حذيفة قال: (سَأَلْتَنِي أُمِّي: متى عهدُك - تعني بالنبي ﷺ -؟ فقلتُ: ما لي به عهدٌ منذ كذا وكذا. فنالت مني، فقلتُ لها: دَعِينِي آتِي النبي ﷺ، فأصَلِّيَ معه المغربَ، وأسأله أن يستغفرَ لي ولكِ. فَاتَيْتُ النبي ﷺ، فصَلَيْتُ معه المغربَ، فصَلَّى حتى صلى العشاءَ، ثم انفتَلَ، فتبعتهُ، فسمعَ صوتي فقال: «مَنْ هَذَا، حذيفةُ؟» قلتُ: نعم. قال: «ما حَاجَتُكَ، غَفَرَ اللهُ لَكَ ولَأُمَّكَ. قال: إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزَلِ الأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ الليلةِ، اسْتَأذَنَ رَبِّه أَنْ يَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَيُسِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَأَنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»^(١).

= (يَضِلِّي ظَهْرُهُ بالنار): يَدْفَعُهُ وَيَدْنِيهِ مِنْهَا. (قُرِزَتْ): بَرَدَتْ. (فَلَمَّا أَصْبَحْتُ): أَي طَلَعَ عَلَيَّ الفَجْرُ.

(١) قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال عبد القادر الأرناؤوط: وهو كما قال. وقال الألباني: صحيح. وأخرجه الحاكم مختصراً، وسكت عليه، وقال الذهبي: صحيح.

● ● وأخرج البخاري عن عَلْقَمَةَ قال: (قدمتُ الشَّامَ، فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَأَتَيْتُ قَوْماً فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُيسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَيَسِّرْكَ لِي، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قَالَ: أَوْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ، صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوَسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ! وَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ! أَوْ لَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ!!

وفي رواية له: (قال: أَلَيْسَ فِيكُمْ - أَوْ مِنْكُمْ - صَاحِبُ السَّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، يَعْنِي حَذِيفَةَ! قَالَ: قُلْتُ: بَلَى).

مع النبي ﷺ:

لزم حذيفة رسول الله ﷺ، وصلى خلفه، وأخذ عنه، وأقتدى به، وخدمته في الحضر والسفر، وكان صاحب سره؛ لقربه منه، وثقته به، وعلو منزلته عنده.

● ● عن أبي وائل، عن حذيفة قال: (رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيَّ ﷺ نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَّاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ، فَقَمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَّغَ^(١)).

قال الحافظ في «الفتح» عند شرحه هذا الحديث: (وَأَسْتَدْنِي حَذِيفَةَ لِيَسْتَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ مِنْ رُؤْيَةِ مَنْ لَعَلَّهُ يَمُرُّ بِهِ، وَكَانَ قُدَّامَهُ مُسْتَوِراً بِالْحَائِطِ، أَوْ لَعَلَّهُ فَعَلَهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ... وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عِصْمَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَانْتَهَى إِلَى سُبَّاطَةَ قَوْمٍ، فَقَالَ: «يَا حَذِيفَةُ، اسْتُرْنِي») فَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَظَهَرَ مِنْهُ الْحِكْمَةُ فِي إِدْنَائِهِ حَذِيفَةَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ،

(١) أخرجه الستة، واللفظ للبخاري. قوله (سباطة): موضع يلقي فيه الكناسه وغيرها.

وكان حذيفة لما وقف خلفه عند عقبه استدبره، وظهر - أيضاً - أن ذلك كان في الحضر لا في السفر).

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال: (صَلَّيْتُ لَيْلَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَمَضَانَ، فِقَامَ يَغْتَسِلُ، وَسَتَرْتُهُ، فَفَضَّلْتُ مِنْهُ فَضْلَةً فِي الْإِنَاءِ، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَأَرْقُهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَصَبِّ عَلَيْهِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ الْفَضْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا أَصَبَّ عَلَيْهِ. قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ بِهِ، وَسَتَرْتَنِي. قَالَ: قُلْتُ: لَا تَسْتَرْنِي. قَالَ: «بَلَى، لِأَسْتَرْتِكَ كَمَا سَتَرْتَنِي»).

● ● عن أبي البَحْرِيِّ، عن حذيفة بن اليمان قال: (كُنْتُ آخِذًا بِخِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَقْوَدُ بِهِ، وَعَمَّارٌ يَسُوقُ النَّاقَةَ - أَوْ: أَنَا أَسُوقُ، وَعَمَّارٌ يَقْوَدُ بِهِ - حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْعَقَبَةِ^(١))، إِذَا بَاطَنِي عَشْرَ رَجُلًا قَدْ اعْتَرَضُوهُ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَصَرَخَ بِهِمْ، فَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ عَرَفْتُمْ الْقَوْمَ؟؟» قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كَانُوا مِثْلَ مِثْمِينِ، وَلَكِنَّا قَدْ عَرَفْنَا الرَّكَابَ. قَالَ: «هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَهَلْ تَدْرُونَ مَا أَرَادُوا؟» قُلْنَا: لَا. قَالَ: «أَرَادُوا أَنْ يَزْحَمُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْعَقَبَةِ، فَيُلْقُوهُ مِنْهَا!» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَا تَبِعْتَ إِلَى عَشَائِرِهِمْ، حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْكَ كُلُّ قَوْمٍ بِرَأْسِ صَاحِبِهِمْ؟ قَالَ: «لَا، أَكْرَهُ أَنْ تَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ بَيْنَهَا أَنْ مُحَمَّدًا قَاتَلَ بِقَوْمِهِ، حَتَّى إِذَا أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِمْ، أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَقْتُلُهُمْ». ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ ازْمِمْهُم بِالذُّبَيْلَةِ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الذُّبَيْلَةُ؟ قَالَ: «هِيَ شِهَابٌ مِنْ نَارٍ، يَقَعُ عَلَى نِيَابِ قَلْبِ أَحَدِهِمْ فَيَهْلِكُ»^(٢)).

● ● وعن حذيفة قال: (كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، لَمْ نَضْعُ أَيْدِيَنَا، حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ. وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ

(١) هذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمثى، التي كانت بها بيعة الأنصار رضي الله عنهم، وإنما هذه عقبة على طريق تبوك، اجتمع المنافقون فيها للغدر بالنبي ﷺ في غزوة تبوك، فعصمه الله منهم.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»، وعند مسلم بعضه.

جارية كأنها تُدْفَعُ، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها. ثم جاء أعرابيٌّ كأنما يُدْفَعُ، فأخذ بيده. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةَ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ يَدَهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ يَدَهُ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا».

زاد في رواية: (ثم ذكر اسم الله، وأكل) (١).

● ● وعن مُسْلِمِ بْنِ نُذَيْرٍ، عَنْ حَازِمَةَ قَالَتْ: (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَسْفَلِ عِضَّةِ سَاقِي - أَوْ سَاقِهِ - فَقَالَ: (هَذَا مَوْضِعُ الْإِزَارِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ، فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ)» (٢).

● ● وتتجلى طاعةُ حذيفة للنبي ﷺ في أعظم صورها، عندما بعثه لياتيه بخبر الأحزاب، فيجد أبا سفيان يدفء ظهره بالنار، ويهمم بقتله، لكنه يتذكر أمر النبي ﷺ أن لا يُخَدِّثَ فِي الْقَوْمِ شَيْئاً؛ فيقلع عن ذلك! يقول حذيفة: (فانتزعتُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي أَبِيضَ الرِّيشِ، فَأَضَعُهُ فِي كَبِدِ قَوْسِي، لِأَرْمِيَهُ بِهِ فِي ضَوْءِ النَّارِ؛ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْدِثَنَّ فِيهِمْ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي»؛ فَأَمْسَكْتُ، وَرَدَدْتُ سَهْمِي إِلَى كِنَانَتِي).

سيرته وشمائله:

علمه بالمنافقين:

كان رسول الله ﷺ قد أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وهو معروف في الصحابة بصاحب سِرِّ النبي ﷺ، ووصفه بذلك كل من ترجم له.

(١) أخرجه مسلم - واللفظ له - وأبو داود.

(٢) أخرجه أحمد، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه - وهذا لفظه - وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال عبد القادر الأرناؤوط: وهو كما قال، وقوى شعيب إسناده، وصححه الألباني.

● ● أخرج مسلم عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: «في أصحابي اثنا عشر مُتَافِقًا^(١)، فيهم ثمانية لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ^(٢) الْخِيَاطِ، ثمانية مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةَ».

وفي رواية أخرى له: «في أُمَّتِي اثنا عشر منافقاً، لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثمانية مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةَ؛ سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتافِهِمْ، حَتَّى يَنْجُمَ^(٣) مِنْ صُدُورِهِمْ».

وفي رواية ثالثة: عن أبي الطفيل قال: (كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ^(٤) وَبَيْنَ حَذِيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَتَشُدُّكَ بِاللَّهِ، كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ. قَالَ: كُنَّا نُخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشْرًا وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، وَعَدَرَ ثَلَاثَةَ، قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مَنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ، فَمَشَى، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ، فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ». فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ).

وذكر الإمام ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان، فجمعهم له، فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم، وبما تمالؤوا عليه، ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم، قال: وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿وَهُمْ أُولُو بِمَا لَمْ يَتَّالَوْا﴾^(٥).

وأخرج الإمام البخاري في (تفسير سورة التوبة)، باب ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾

(١) معناه: الذي يُنسبون إلى صحبتي، كما قال في الرواية الثانية: (في أمتي).

(٢) هو ثقب الإبرة.

(٣) يظهر ويعلو.

(٤) هي عقبة على طريق تبوك، وقد سبق شرحها.

(٥) سورة التوبة: الآية ٧٤.

إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ»^(١) عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ حَظِيْفَةَ فَقَالَ: (مَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ آيَةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وَلَا مِنْ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ. فَقَالَ أَعْرَابِي: إِنَّكُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَخْبِرُونَنَا فَلَا نَذْرِي، فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْتَقِرُونَ بِيَوْتِنَا، وَيَسْرِقُونَ أَعْلَاقَنَا؟ قَالَ: أَوْلَئِكَ الْفُسَّاقُ، أَجَلٌ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ، أَحَدُهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ، لَوْ شَرِبَ الْمَاءَ الْبَارِدَ لَمَّا وَجَدَ بَرْدَهُ)^(٢)!

وأخرج البخاري في «الفتن»، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: (إنَّ المنافقين اليومَ شرُّ منهُم على عهدِ النبي ﷺ، كانوا يومئذٍ يُسْرُونَ، واليومَ يَجْهَرُونَ)!

وفي رواية البزار عن أبي وائل: (قلتُ لحذيفة: التَّفَاقُ اليومَ شرُّ أم على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: فضربَ بيده على جبهته وقال: أوه! هو اليومَ ظاهرٌ، إنهم كانوا يَسْتَخْفُونَ على عهد رسول الله ﷺ).

وأخرج البخاري في «الفتن» - أيضاً - عن أبي الشعثاء، عن حذيفة قال: (إنما كان النفاقُ على عهدِ النبي ﷺ، فأما اليومَ: فإنما هو الكفرُ بعدَ الإيمانِ).

قال الحافظ: (والذي يظهرُ أنَّ حذيفة لم يردْ نفيَ الوقوعِ، وإنما أرادَ نفيَ اتفاقِ الحُكْمِ؛ لأنَّ النفاقَ: إظهارُ الإيمانِ وإخفاءُ الكفرِ، ووجود ذلك ممكن في كل عصرٍ، وإنما اختلفَ الحُكْمُ لأنَّ النبي ﷺ كان يتألفُهُم، ويقبل ما أظهره من الإسلام، ولو ظهر منهم احتمالُ خلافه، وأما بعده فمن أظهرَ شيئاً فإنه يُؤاخذ به، ولا يُتركُ لمصلحةِ التألفِ، لعدم الاحتياجِ إلى ذلك).

● ● وكان عمر بن الخطاب إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه، صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه، لم يحضر عمر.

(١) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٢) معنى (أعلاقنا): نفائس أموالنا. (أولئك الفساق): أي الذين يبقرون ويسرقون، لا الكفار ولا المنافقون. (لما وجد برده): أي لا يحسنُ ببرودته، لذهابِ شهوته وفسادِ معدته، فلا يفرقُ بين الألوان ولا الطعوم.

أخرج ابن عساكر عن حذيفة قال: (مرَّ بي عمرُ بن الخطاب، وأنا جالسٌ في المسجد، فقال لي: يا حذيفة، إنَّ فلاناً قد مات، فاشهدهُ. قال: ثم مضى، حتى إذا كاد أن يخرجَ من المسجدِ، التفتَ إليَّ فرآني وأنا جالس، فعرف! فرجعَ إلي فقال: يا حذيفة، أنشدك الله، أمِنَ القومُ أنا؟! قال: قلتُ: اللهم لا، ولن أبرئَ أحداً بعدك. قال: فرأيتُ عيني عمرَ جاءتا).

قوله (ولن أبرئَ أحداً بعدك). قال الحافظ ابن كثير: (يعني حتى لا يكون مُفْشِياً سرَّ النبي ﷺ).

وذكر بعض من ترجم لحذيفة أن أمير المؤمنين عمر سأله: (أفي عمالي أحدٌ من المنافقين؟ قال: نعم، واحدٌ. قال: مَنْ هو؟ قال: لا أذكره. قال حذيفة: فَعَرَلَهُ، كأنما دُلَّ عليه).

قلت: هذا مردود، فقد كان عمر يتخيَّر ولاته، وهو الرجل المُحدِّث، ولم تذكر كتب التاريخ أن فراسته قد خابث في واحدٍ منهم، ثم إن عماله معروفون مشهورون، وشمائِلهم من أركى شمائل الناس، وسيرهم من أظهر سير البشر، وجلهم من خيار الصحابة، وكان يعزل الواحد منهم عن غير عجز ولا خيانة؛ فمن أين لأحد المنافقين أن يندس في عمال عمر، ويخفي عليه أمره؟!

ضبطه عن النبي ﷺ الفتن الكائنة في الأمة:

● ● حفظ حذيفة عن رسول الله ﷺ الفتن التي تكون بين يدي الساعة، فقد كان كثير السؤال له ﷺ عن أحاديث الفتن والشر ليجتنبها.

عن ابن شهاب، أن أبا إدريسَ الخولاني كان يقول: قال حذيفة بن اليمان: (والله، إني لأعلمُ الناسَ بكلِّ فتنةٍ هي كائنةٌ، فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري؛ ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدثُ مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ، وهو

يَعُدُّ الْفِتْنَ: «مِنْهُمْ ثَلَاثٌ لَا يَكْذِبُ يَدْرُونَ شَيْئاً، وَمِنْهُمْ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صَغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ». قَالَ حَدِيثُهُ: فَذَهَبَ أَوْلَيْكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي»^(١)

● ● وعن أبي إدريس الخولاني: أَنَّهُ سَمِعَ حَدِيثَ بَنِ الْيَمَانِ يَقُولُ: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسْتِنَا». قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَرَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَصَّ بِأَضَلِّ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

● ● وعن شقيق، عن حذيفة قال: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَاماً، مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ. قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتَهُ، فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ»^(٣).

وعن عبد الله بن يزيد، عن حذيفة أَنَّهُ قَالَ: (أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلُهُ؛ مَا يُخْرِجُ

(١) أخرجه أحمد، ومسلم واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم، وأبو داود نحوه وفيه قصة، وأخرجه ابن ماجه مختصراً جداً.

(٣) أخرجه الشيخان، وأبو داود، وأحمد، وهذا لفظ مسلم.

أهل المدينة من المدينة^(١).

وعن زيد بن وهب، عن حذيفة قال: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ؛ حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثْرَهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثْرَهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَفَقَطَّ، فَتَرَاهُ مُتَّيَّرًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيَصِيحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدُهُ! مَا أَظْرَفُهُ! مَا أَغْفَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ». وَلَقَدْ آتَى عَلِيٌّ زَمَانًا وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ، لَيْتَنَ كَانَ مُسْلِمًا لَيُرِدَّنِي عَلِيٌّ دِينَهُ، وَلَيْتَنَ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيُرِدَّنِي عَلِيٌّ سَاعِيهِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ، فَمَا كُنْتُ لِأَبَايَعِ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا^(٢).

● ● وعن شقيق، عن حذيفة قال: (كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيْكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ؛ يَكْفُرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أَرِيدُ، إِنَّمَا أَرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ! قَالَ: أَفَيْكَسْرُ

(١) أخرجه مسلم - واللفظ له - وأحمد.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم - واللفظ له -، والترمذي، وابن ماجه. قوله (جذر): جذر الشيء أصله. (الوقت): النقطة في الشيء من غير لونه. (المجل): هو التنظف الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها، ويصير كالثقة فيه ماء قليل. (متتيراً): مرتفعاً. (وما أبالي أَيْكُمْ بَايَعْتُ): مراده المبايعة في السَّلْع ونحوها، لا المبايعة بالخلافة ولا الإمارة. (ساعيه): الساعي: واحد السعاة، وهم الولاة على القوم.

الباب أم يُفتح؟ قال: قلت: لا، بل يُكسر! قال: ذلك أحرى أن لا يُغلق أبداً. قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمرُ يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سلّه. فسأله، فقال: عمّر^(١).

● ● وأخرج ابن عساکر عن زيد بن وهب، عن حذيفة قال: (أولُ الفتن قتلُ عثمان، وآخرُ الفتن خروجُ الدجال، والذي نفسِي بيده؛ لا يموتُ رجلٌ وفي قلبه مثقالُ حبةٍ من حُبِّ قتلِ عثمان إلا تبعَ الدجالُ إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره)!

وأخرج ابن سعد عن أبي عاصم الغطفاني قال: (كان حذيفة لا يزال يحدث الحديث، يستفظعونه! فقيل له: يوشك أن تحدثنا: أنه يكون فينا مسخٌ! قال: نعم، ليكونن فيكم مسخٌ: قردة وخنزير).

ومن أخباره وشمائله:

أنه كان نبيهاً متيقظاً، حريصاً على كتاب الله، شديد التمسك بالسنة، يدعو الناس إليها، ويحملهم على التزامها، يقوم الليل، ويكثر من البكاء، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، ذكياً المعياً، لبيباً فطناً، أخوذيّاً، رضي الله عنه.

● ● فهو الذي أشار على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في أن يجمع الناس على مصحف واحد:

عن الزهري، أن أنس بن مالك حدثه: (أن حذيفة بن اليمان قدّم على عثمان، وكان يُغازي أهل الشام في فتح إزمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم - واللفظ له - والترمذي، وابن ماجه. قوله (الأغاليط): جمع أغلوطة، وهي التي يغالط بها، فمعناه: حدثه حديثاً صدقاً محققاً، من حديث النبي ﷺ.

الامة قبل أن يختلِفوا في الكتاب، اختلَفَ اليهود والنصارى! فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصُّحُفِ تَنسَخُهَا في المصاحف، ثم نَرُدُّهَا إِلَيْكَ، فأرسلتُ بها حفصةُ إلى عثمانَ، فأمرَ زيدَ بنَ ثابت، وعبد الله بنَ الرُّبَيْر، وسعيد بن العاصِ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ فنسخوها في المصاحف. وقال عثمانُ لِلرَّهْطِ القرشِيِّينَ الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيء من القرآنِ فاكْتُبُوهُ بلسانِ قريش، فإنما نزلَ بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصُّحُفَ في المصاحفِ، ردَّ عثمانُ الصُّحُفَ إلى حفصة، وأرسلَ إلى كلِّ أَقْوَ بمصحفٍ ممَّا نَسَخُوا، وأمرَ بما سواه من القرآنِ في كلِّ صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يُحْرَقَ^(١).

● ● عن عبد الرحمن بن أبي لَيْلى قال: (كان حذيفة بالمدائن، فاستسقى، فاتاه دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّة، فرماه به، فقال: إني لم أزمه إلا أني نهيتُه فلم ينته، وإن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج، والشُّرْبِ في آنية الذهب والفضة، وقال: «هنَّ لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة»^(٢)).

وعن زيد بن وهب قال: (أنكرَ الناسُ على أميرٍ في زمن حذيفة شيئاً، فأقبلَ رجل في المسجد - المسجد الأعظم - يتخلَّلُ الناسَ، حتى انتهى إلى حذيفة وهو قاعد في حَلْقَةٍ، فقام على رأسه، فقال: يا صاحبَ رسول الله ﷺ، ألا تأمرُ بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟! فرفعَ حذيفة رأسه، فعرف ما أراد، فقال له حذيفة: إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لِحَسَنٌ، وليس من السُّنَّةِ أن تشهر السلاحَ على أميرك^(٣)).

● ● عن صِلَةَ بنِ زُفَرَ، عن حذيفة قال: (صليتُ مع النبي ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فافتتحَ البقرة، فقلتُ يركعُ عند المِئَةِ، ثم مَضَى، فقلتُ: يصلِّي بها في رَكْعَةٍ،

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - والترمذي، وابن أبي داود في «المصاحف».

(٢) أخرجه الستة، واللفظ للبخاري.

(٣) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه البزار، وفيه حبيب بن خالد: وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.

فمضى، فقلت: يركعُ بها، ثم افتتح النساءَ فقرأها، ثم افتتح آلَ عمرانَ فقرأها! يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوذٍ تعوذ. ثم ركع، فجعل يقول: «سبحانَ ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمعَ اللهُ لمن حمده»، ثم قامَ طويلاً، قريباً مما ركع، ثم سجدَ فقال: «سبحانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»، فكان سجوده قريباً من قيامه^(١).

هكذا كانت عبادة إمام المتقين سيدنا محمد ﷺ، ورضي الله عن حذيفة الذي صبر معه على مثل هذا القيام!

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال حذيفة بن اليمان: (لأقومنَّ الليلة، فلأمجدنَّ ربي عز وجل. قال: فسمعتُ صوتاً ورائي، لم أسمع صوتاً قطُّ أحسنَ منه؛ قال: اللهم لك الحمدُ كله، ولك المُلْكُ كله، وإليك يُرجع الأمرُ كله، علانيتهُ وسره، اغفرْ لي ما سلفَ مني، واغصِمني فيما بقيَ من أجلي).

● ● أخرج أبو نعيم عن ربيعي بن حراش قال: قال حذيفة عند الموت: (رُبَّ يومٍ لو أتاني الموتُ لم أشك، فأما اليوم فقد خالطتُ أشياء، لا أدري غلامَ أنا فيها).

وأخرج ابن عساكر، أن حذيفة قال لأبي هريرة: (إني أراك إذا دخلتَ الكنيفَ أبطأتَ في مشيك، وإذا خرجتَ أسرعتَ؟ قال: إني أدخلُ وأنا على وُضوء، وأخرجُ وأنا على غير وُضوء؛ فأخاف أن يدركني الموتُ قبل أن أتوضأ! قال له حذيفة: إنك لطويلُ الأمل، لكنني أرفعُ قدمي، فأخافُ ألا أضعَ الأخرى حتى أموت!!)

● ● ومن الأدلة على ذكاء حذيفة والمعيتة، ونباهته وفضانته؛ حسنُ تصرُّفه لما أرسله النبي ﷺ يوم الخندق، ليأتيه بخبر العدو؛ قال حذيفة: (فلما جلستُ

(١) أخرجه أحمد، ومسلم، وأهل السنن الأربعة، وهذا لفظ مسلم.

فيهم أَحَسَّ أبو سفيان أن قد دخلَ فيهم غيرُهم، فقال: ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيدَ جليسه. فضربتُ بيدي على يدِ الذي عن يميني، فأخذتُ بيده، فقلتُ: مَنْ أنت؟ قال: معاويةُ بن أبي سفيان. ثم ضربتُ بيدي على يدِ الذي عن شمالي، فقلتُ: مَنْ أنت؟ قال: عمرو بن العاص. فَعَلْتُ ذلك خشيةً أن يُفْطَنَ بي، فَبَدَرْتُهم بالمسألة).

والي المدائن:

قال البخاري في «تاريخه الصغير»: (حدثنا عبد الله بن يزيد المُقَرِّي، عن حيوة، عن أبي صخر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عُمر بن الخطاب، قال لأصحابه: تَمَنَّوْا، فقال أحدهم: أَتَمَنَّى أن يكونَ مِلاً هذا البيتِ ذَرَاهِمَ، فَأُتِفِقُها في سبيلِ الله. فقال: تَمَنَّوْا، قال آخَرُ: أَتَمَنَّى أن يكونَ مِلاً هذا البيتِ ذَهَباً، فَأُتِفِقُها في سبيلِ الله. قال: تَمَنَّوْا، قال آخَرُ: أَتَمَنَّى أن يكونَ مِلاً هذا البيتِ جَوْهَراً، أو نَحْوَهُ، فَأُتِفِقُها في سبيلِ الله، فقال عمر: تَمَنَّوْا، فقالوا: ما تَمَنَّيْنَا بَعْدَ هذا. قال عُمر: لكني أَتَمَنَّى أن يكونَ مِلاً هذا البيتِ رجالاً، مثلَ أبي عُبيدة بن الجراح، ومُعَاذِ بن جَبَل، وحُدَيْفَةَ بن اليمان، فَأَسْتَعْمِلُهُمْ في طَاعَةِ الله. قال: ثم بعث بمال إلى حُدَيْفَةَ، قال: انظُرْ ما يَصْنَعُ، قال: فلَمَّا أَنَاهُ، قَسَمَهُ. ثم بَعَثَ بمال إلى مُعَاذِ بن جَبَل، فَقَسَمَهُ، ثم بَعَثَ بِمَالٍ - يَعْنِي إلى أبي عُبيدة - قال: انظُرْ ما يَصْنَعُ، فقال عُمر: قد قلتُ لكم، أو كما قال^(١)).

ولي حذيفة بعض أمور الكوفة لعمر، وولي إمرة المدائن، فكان عاملاً عليها في خلافة الفاروق، ثم عثمان، إلى أن مات بعد استشهاده عثمان رضي الله عنه.

● ● عن ابن سيرين قال: (كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميراً كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، فلما

(١) قال الأستاذ المحدث شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات، غير أبي صخر - وهو حميد بن زياد الخراط - فإنه مقبول الحديث حيث يتابع.

بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه، فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليلتلقوه، فلقوه على بغل تحته إكاف، وهو معترض عليه، رجلاه من جانب واحد، فلم يعرفوه فأجازوه، فلقبهم الناس فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذي لقيتم. قال: فركضوا في أثره، فأدركوه وفي يده رغيف وفي الأخرى عَزَقٌ وهو يأكل، فسلموا عليه، فنظر إلى عظيم منهم فناوله العَزَق والرغيف. قال: فلما غفل ألقاه. أو قال: أعطاه خادمه^(١).

قال أبو بكر بن عَيَّاش: (سمعتُ أبا إسحاق يقول: كان حذيفةُ يَجِيءُ كُلَّ جمعةٍ من المدائن إلى الكوفة. قال أبو بكر: فقلتُ له: يُمكنُ هذا؟ قال: كانت له بغلةٌ فارهة).

● ● ومكث حذيفة في المدائن زمناً طويلاً، يعلم أهلها، ويفقههم، ويجاهد بهم عدوهم، ويوزع عليهم الأرزاق والأعطيات.

أخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي، عن الحسن قال: (كتب عمرُ إلى حذيفة أن أعطِ الناسَ أَعْطِيَتَهُمْ وأرزاقَهُمْ. فكتب إليه: إنَّا قد فعلنا، وبقي شيءٌ كثير. فكتب إليه عمر: إنه فيئتهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسِمْهُ بَيْنَهُمْ).

وبعث عمر إليه ليقدم المدينة، ليطمئنَّ عليه، وأنه بَقِيَ على العَهْد، لم تغيَّره الإمارة، وليقفَ على أخبار أهل المدائن؛ فرأى ما سرَّه.

أخرج ابن سعد وابن عساکر، عن محمد بن سيرين قال: (كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا ما عدل فيكم. قال: فلما استعمل حذيفة على المدائن، كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا،

(١) أخرجه ابن سعد، وأبو نعيم، والخطيب وابن عساکر في «تاريخيهما»، وابن الأثير في «أسد الغابة». و«المدائن»: بلد عظيم على دجلة، كانت مسكن ملوك الفرس، وبها إيوان كسرى المشهور، وكان فتحها على يد سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر.

وأعطوه ما سألكم! قال: فخرجَ حذيفة من عند عمر على حمار موكف^(١)، وعلى الحمار زاده. فلما قدم المدائن، استقبله أهل الأرض والدّهاقين^(٢)، وبيده رغيف وعزق^(٣) من لحم، على حمار على إكاف. قال: فقرأَ عهده عليهم، فقالوا: سَلْنَا مَا شِئْتَ. قال: أسألكم طعاماً أَكُلُهُ، وعلفَ حماري هذا - ما دمتُ فيكم - من تَيْن. قال: فَأَقَامَ فِيهِمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثم كَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُ؛ أَنْ اقْدَمْ. فلما بَلَغَ عَمْرُ قُدُومَهُ، كَمَنَ لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ فِي مَكَانٍ لَا يَرَاهُ! فلما رَأَهُ عَمْرُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ عَلَيْهَا، أَتَاهُ فَالْتَزَمَهُ، وَقَالَ: أَنْتَ أَخِي، وَأَنَا أَخُوكَ).

وعاد حذيفة إلى عمله، وبقي فيه حتى مات.

قال العجلي: (استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان، وبعد بيعة علي بأربعين يوماً).

وهكذا فقد كان حذيفة أميراً للخلفاء الثلاثة، رضي الله عنهم أجمعين.

جهاده وفتوحاته:

شهد حذيفة فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة، وكانت له فتوحات في الدَّيْنُور، وَمَاسَبْدَانَ، وَهَمْدَانَ، وَالرَّيِّ، وغيرها.

وكان بطلاً مغواراً، وقائداً شجاعاً، خبيراً مجرباً، حاذق الرأي، سريع البادرة، ثابت اليقين، راسخ الإيمان، فطن الفطرة، زكي الفؤاد، متماسك الشخصية، صحيح القرار سريعه، نافذ الإرادة، خارق الذكاء، من أقران النعمان بن مقرن، والقعقاع، وسعد بن أبي وقاص.

وهذه هي الصفات التي يجب أن تتوافر في الأفراد الذين يكونون موضع الثقة

(١) أي قد وضع عليه الإكاف، وهو بمنزلة السرج للحصان.

(٢) جمع دُهَقَان: وهو رئيس القرية.

(٣) العزق: العظم الذي أخذ عنه معظم اللحم.

الخاصة للقيادة؛ عند اشتداد الأزمات، واستحكام الأخطار.

لأجل هذا كان جديراً بأن يبعثه النبي ﷺ سريةً وحده في (غزوة الخندق).
ثم كان موضع ثقة عمر، حيث عهد إليه بقيادة جيش المسلمين في (نهاوند) إذا
استشهد النعمان بن مقرن!

● ● ففي سنة (٢١هـ) كانت وقعة (نهاوند)، حيث قدم أهل فارس من كل
فج، واجتمعوا بها.

وزحف للمسلمين زحف لم يُر مثله قط، رجف له أهل ماه، وأهل أصبهان،
وأهل همدان، والرّي، وقومس، ونهاوند، وأذربيجان.

واستشار عمر الصحابة بمن يوليه أمر الحرب، فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين
أبصر بجندك. فولى النعمان بن مقرن، وكتب إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود
منها، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة، وكتب إلى النعمان - وكان
بالبصرة - أن يسير بمن هناك من الجنود إلى (نهاوند)، وإذا اجتمع فكل أمير على
جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن، فإذا قتل حذيفة بن اليمان،
فإن قتل فجرير بن عبد الله، فإن قتل فقيس بن مكشوح، فإن قتل قيس ففلان ثم
فلان، حتى عد سبعة.

وعبأ النعمان كتابه، وخطب الناس فقال: إن أصبتم فعليكم حذيفة، فإن
أصيب فعليكم جرير الجلي، فإن أصيب فعليكم قيس بن مكشوح. وخرجت
الأعاجم، وقد شدوا أنفسهم في السلاسل لثلاثاً يفرّوا، وحمل عليهم المسلمون،
فرمى النعمان بسهم فقتل، ولغاه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه، وكتب قتله حتى فتح
الله تعالى عليهم، ودفع الراية إلى حذيفة.

قال الذهبي في «العيبر» في أحداث سنة (٢١هـ): (وفيها وقعة نهاوند،
وكانت ملحمة عظيمة، بقي المصاف ثلاثة أيام، ثم نزل النصر. واستشهد أمير
المسلمين النعمان بن مقرن المُرَني، وكان من سادة الصحابة، فتعاه عمر للناس

على المنبر، وبكى! ولما قُتل أخذَ الرايةَ حذيفةُ بن اليمان، ففتحَ الله على يده).

● ● وفي سنة (٢٢هـ): افتتح حذيفة مدينة الدِّينَوْر عَنوةً، وقد كانت فتحت لسعد بن أبي وقاص، ثم انتقضت.

ثم غَزَا ماسَبَدَان فافتتحها، وغزا هَمْدَانَ فافتتحها عَنوةً، ولم تكن فُتحت، وإليها انتهى فتوح حذيفة رضي الله عنه.

وفي أوائل سنة (٢٥هـ): فُتحت إِزْمِينِيَّة، في خلافة عثمان، وكان أميرَ العسكر من أهل العراق سلمانُ بن ربيعة الباهلي، وكان عثمان أمرَ أهلَ الشام وأهلَ العراق أن يجتمعوا على ذلك، وكان أميرَ أهل الشام على ذلك العسكر حبيبُ بن مَسْلَمَةَ الفهري، وكان حذيفةُ من جملة مَنْ غزا معهم، وكان هو على أهل المدائن، وهي من جملة أعمال العراق.

وقد مرَّ ذلك في حديث البخاري الذي قدَّمناه في قصة جمع القرآن في عهد عثمان، بإشارة حذيفة.

● ● وفي سنة (٣٠هـ): افتتح سعيد بن العاص طَبْرِسْتَانَ، وركب في جيش فيه الحَسَن والحُسَيْن، والعبادلة الأربعة، وحذيفة بن اليمان. علمه ومروياته:

حذيفة واحد من كبار الصحابة، وأعيانهم، وأفاضلهم، صحب النبي ﷺ طويلاً، وأخذ عنه علماً جماً، وتميز عن غيره من الأصحاب بأشياء، فضبط عنه ﷺ أحاديث الفتن والشورر، التي ستقع إلى قيام الساعة، وجلس للناس يحدثهم بذلك، ويحذرهم، ويعلمهم ويرشدهم؛ ليكونوا منها على حذر.

روى عن النبي ﷺ الكثير، وعن عمر.

وروى عنه: جابر بن عبد الله، وجُنْدُب بن عبد الله البَجَلِي، وأبو الطَّفَيْل عامر بن وائِلة اللَّيْثِي، وعبد الله بن يزيد الحَطْمِي، وعمَّار بن ياسر، وغيرهم من الصحابة.

ومن التابعين: الأسود بن يزيد النَّخَعِيُّ، وربيعي بن حراش، وزرُّ بن حُبَيْش الأَسَدِيُّ، وزيد بن وَهْب الجُهَنِيُّ، وأبو وائل شقيق بن سَلْمَةَ الأَسَدِيِّ، وصِلَةَ بن زُفَر العَبْسِيِّ، وأبو إدريس الخَوْلَانِيُّ، وعَبْدُ اللهِ بن عَكِيم الجُهَنِي، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أَبِي لَيْلَى، وعبد العزيز أخو حذيفة - ويُقال: ابن أخيه - وَعَلْقَمَةُ بن قَيْس، ومحمد بن سيرين، ومُرَّةُ الطَّيِّب، وأبو مِجَلَزَ لَاحِقَ بن حُمَيْد، ويَزِيدُ بن شَرِيك التَّيْمِيُّ، وابنه أبو عُبَيْدَةَ بن حُذَيْفَةَ بن اليمان، وآخرون.

● ● له في كتب الحديث مئتان وخمسة وعشرون حديثاً، اتفق الشيخان منها على اثني عشر حديثاً، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بسبعة عشر. وخرَّجَ له الجماعة.

● ● وكان حذيفة واحداً من الفقهاء، ولكن لم ينقل عنه كبير شيء من مسائل الفقه، وقد استدرِك على بعض فقهاء الصحابة.

عن أبي وائل قال: (كان أبو موسى يُشَدِّدُ في البول، ويبولُ في قارورة، ويقول: إنَّ بني إسرائيلَ كان إذا أصابَ جلدَ أحدهم بولٌ قرَضَهُ بالمقارِيضِ! فقال حذيفةُ: لو دَدْتُ أن صاحبكم لا يشدُّ هذا التشديدَ؛ فلقد رأيتني أنا ورسولُ اللهِ ﷺ نتماشَى، فأتى سُبَّاطَةَ خَلْفَ حَائِطٍ، فقامَ كما يقومُ أحدكم، فبالَ، فانتبذتُ منه، فأشارَ إليَّ، فجنثتُ، فقمْتُ، عندَ عَقِبِهِ حتى قرَعَ^(١)).

وأخرج عبد الرزاق عن أبي قتادة رضي الله عنه: (أن أبا سعيد^(٢) مولى أبي أسيد الساعدي صنع طعاماً، ثم دعا أبا ذرٍّ وحذيفةَ وابنَ مسعود - رضي الله عنهم - فحضرت الصلاة، فتقدَّم أبو ذرٍّ ليصلي بهم، فقال له حذيفة: وراءك؛ ربُّ البيت أحقُّ بالإمامة. فقال أبو ذر: كذلك يا بن مسعود؟ قال: نعم. فتأخَّر أبو ذر.

(١) أخرجه الستة، واللفظ لمسلم.

(٢) أبو سعيد: ترجم له الحافظ في الكنى من «الإصابة» في القسم الثالث من حرف السين، وذكر أنه لا يوجد ما يدل على صحته. وهو مولى أبي أسيد الساعدي.

قال أبو سعيد: فقدّموني وأنا مملوك، فأَمَمْتُهُمْ).

تعليمه الناس:

بَثَّ حذيفة في الناس علماً غزيراً، وقام في مساجد الكوفة والمدائن يحدث الناس ويُفقههم، وكان يكثر من التحدث عن الفتن، وهذا يتفق مع ما في خزانه علمه من ذخائر حول هذا الأمر الجليل.

أخرج أبو داود عن سُبَيْع بن خالد قال: (أَتَيْتُ الكوفةَ في زَمَنِ فُتِحَتْ تُسْتَرُ، أَجْلَبُ مِنْهَا بِغَالاً، فَدْخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا صَدَعٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ تَعْرِفُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الحِجَازِ. قال: قلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَتَجَهَّمَنِي القَوْمُ، وَقَالُوا: أَمَا تَعْرِفُ هَذَا؟! هَذَا حذيفةُ بن اليمان، صاحب رسولِ الله ﷺ، فقال حذيفةُ: إِنْ الناسَ كانوا يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنْتُ أسألهُ عن الشرِّ، فَأَحَدَقَهُ القومُ بأبصارهم! فقال: إني قد أرى الذي تنكرون، إني قلتُ: يا رسولَ الله، أَرَأَيْتَ هَذَا الخير الذي أعطانا الله، أَيْكون بعده شرٌّ كما كان قبله؟ قال: «نعم». قلتُ: فما العِصْمَةُ من ذلك؟ قال: «السيفُ». قلتُ: يا رسولَ الله، ثم ماذا يكون؟ قال: «إِنْ كان لِلَّهِ خليفَةٌ في الأرض، فضرِبَ ظهْرُكَ، وأخذ مالك؛ فأطْعَمَهُ، وإلَّا فَمُتَّ عاضّاً بِجِذْلِ شجرةٍ». قلتُ: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرجُ الدَّجَّالُ معه نَهْرٌ ونازٌّ: فمن وقعَ في نارِهِ، وجبَ أَجرُهُ، وحُطَّ وِزْرُهُ. ومن وقعَ في نَهْرِهِ، وجبَ وِزْرُهُ، وحُطَّ أَجرُهُ». قال: قلتُ: ثم ماذا؟ قال: «ثم هي قيامُ الساعةِ»^(١).

وأخرج الشيخان وأبو داود، عن رِئِيعِ بنِ حِرَاشٍ، عن عَقبَةَ بنِ عمرو أبي مسعود الأنصاريِّ، قال: (انطلقتُ معه إلى حذيفةَ بنِ اليمان، فقال له عقبه:

(١) هذه رواية أبي داود، والحديث في الصحيحين بألفاظ أخرى. قوله (صدع من الرجال): الصدع: الخفيف من الرجال الدقيق. (فتجهمني القوم): أي لقوني بالغلظة والوجه الكريه، (فأحدقه القوم بأبصارهم): حققوا النظر إليه، وجعلوا أبصارهم محيطه به. (بجذل شجرة): أي بأصلها.

حَدَّثَنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَالِ. قَالَ: «إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءٌ وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَتَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ. فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقْعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّ مَاءَ عَذْبٍ طَيِّبٌ». فَقَالَ عَقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. تَصَدِّيقًا لِحَدِيثِهِ. لَفْظُ مُسْلِمٍ.

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَيُّ الْفِتَنِ أَشَدُّ؟) قَالَ: أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، فَلَا تَدْرِي أَيُّهُمَا تَرْكَبُ).

وَعَنْ رَبِيعِ بْنِ جِرَاشٍ، عَنْ حَدِيثَةِ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُذْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا!» فَقَالَ لَهُ صِلَّةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَذْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَدِيثُهُ. ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَنْهُ حَدِيثُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَّةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا^(١)).

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حَدِيثَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقِيلَ لِحَدِيثَةَ: إِنَّ هَذَا يَزْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ! فَقَالَ حَدِيثَةُ - إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٢)).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ»، عَنْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَالْحَاكِمُ، وَابِيهَقِي فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَالضَّيَاءُ فِي «الْمُخْتَارَةِ»، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي «الزَّوَائِدِ». وَصِلَّةٌ: هُوَ ابْنُ زُفَرٍ، مِنْ تَلَامِيذِ حَدِيثَةَ، ثِقَّةٌ فَاضِلٌ. قَوْلُهُ (يَدْرُسُ الْإِسْلَامَ): مِنْ دَرَسِ الرَّسْمِ دَرُوسًا، إِذَا عَفَا وَهَلَكَ. (وَشْيِ الثَّوْبِ): نَقَشَهُ. (لَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ): أَيُّ يَذْهَبُ بِاللَّيْلِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ. وَالْقَتَاتُ: هُوَ النَّمَامُ.

مسلم بن نُذَيْر قال: (سَأَلَ رَجُلٌ حَذِيفَةَ، فَقَالَ: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: إِنْ لَمْ تَسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، رَأَيْتَ مَا تَكْرَهُ).
من أقواله وخطبه:

قال رضي الله عنه: (لا تقومُ الساعةُ حتى يسودَ كلُّ قبيلةٍ منافقوها).

وعن أبي الطفيل، عن حذيفة قال: «ثلاثُ فتنٍ، والرابعةُ تسوقُهم إلى الدَّجَالِ: التي تَرمِي بالرَّضْفِ، والتي ترمي بالثَّشْفِ^(١)، والسوداءُ المظلمة التي تموج كموج البحر، والرابعةُ تسوقُهم إلى الدَّجَالِ».

وقال: (إياكم والفتنَ لا يشخص إليها أحدٌ، فواللَّهِ ما شخصَ فيها أحدٌ إلا نَسَفَتْهُ كما ينسف السيلُ الدَّمَنَ. إنها مُشَبَّهَةٌ مقبلةٌ، حتى يقول الجاهل، هذه تشبهُه، وُبَيِّنَ مدبرةً، فإذا رأيتُموها؛ فاجتموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم).

وقال: (إياكم ومواقفَ الفتن: قيل: وما مواقفُ الفتن يا أبا عبد الله؟ قال أبوابُ الأمراء، يدخلُ أحدكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه)!

وقال: (إنَّ الفتنَةَ تُعرض على القلوب، فأَيُّ قلبٍ أُشربها نُكثت فيه نكتةٌ سوداءٌ، فإن أنكرها نُكثت فيه نكتةٌ بيضاء، فمن أحبَّ منكم أن يعلمَ أصابتهُ الفتنَةُ أم لا؛ فليُنظر فإن كان يرى حراماً ما كان يراه حلالاً، أو يرى حلالاً ما كان يراه حراماً؛ فقد أصابتهُ الفتنَةُ).

وعن أبي البخترى، عن حذيفة قال: (القلوبُ أربعة: قلبٌ أغلف، فذلك قلب الكافر. وقلْبٌ مُصْفَحٌ^(٢) فذلك قلب المنافق. وقلبٌ أجرد، فيه سراج يزهر،

(١) (الرَّضْفُ): الحجارة المُخمَّاة على النار، أي هي في شدَّتِها وحَرِّها كأنها ترمي بالرَّضْفِ.
(الثَّشْفُ): حجارةٌ سودٌ، كأنها أُخرِقت بالنار.

(٢) مصفح: له وجهان، يلقي أهل الكفر بوجهه، وأهل الإيمان بوجهه.

فذاك قلب المؤمن . وقلب فيه نفاق وإيمان، فَمَثَلُ الإِيمَانِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَمُدُّهَا مَاءٌ طَيِّبٌ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ مِثْلُ القَرْحَةِ يَمُدُّهَا قَيْحٌ وَدَمٌ، فَأَيُّهُمَا مَا غَلَبَ عَلَيْهِ غَلَبَ).

وعن همام، عن حذيفة قال: (لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ كِدْعَاءِ الغَرِيقِ)^(١)!

وأخرج ابن عساکر عن حذيفة قال: (إِنَّ الحَقَّ ثَقِيلٌ، وَهُوَ مَعَ ثِقَلِهِ مَرِيءٌ. وَإِنَّ البَاطِلَ خَفِيفٌ، وَهُوَ مَعَ خِفَّتِهِ وَبِئْسَ. وَتَرَكَ الخَطِيئَةَ خَيْرٌ مِّنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ، وَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حَزْناً طَوِيلًا).

ومن خطبه:

عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ قال: (انطَلَقْتُ إِلَى الجُمُعَةِ مَعَ أَبِي المَدَائِنِ، وَبَيْنَمَا وَبَيْنَهَا فَرَسَخٌ، وَحَذِيفَةُ بِنُ اليَمَانِ عَلَى المَدَائِنِ، فَصَعِدَ المَنِيرَ، فَحَمَدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ القَمَرُ﴾، أَلَا وَإِنَّ القَمَرَ قَدْ انشَقَّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِفِرَاقِ، أَلَا وَإِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقَ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا يَعْني بِالسَّبَاقِ؟ فَقَالَ: مَنْ سَبَقَ إِلَى الجَنَّةِ)^(٢).

مكاته وثناؤهم عليه:

● قال عمر: (أَتَمْنَى أَنْ يَكُونَ مِْلُهُ هَذَا البَيْتَ رِجَالًا، مِثْلَ أَبِي عَيْدَةَ بِنِ الجِرَاحِ، وَمُعَاذِ بِنِ جَبَلِ، وَحَذِيفَةَ بِنِ اليَمَانِ)^(٣).

وسئِلَ عَلِيٌّ عَن حَذِيفَةَ فَقَالَ: (ذَاكَ امْرُؤٌ عَلِمَ المَعْضَلَاتِ وَالمُقَصَّلَاتِ، وَعَلِمَ أَسْمَاءَ المِنَافِقِينَ؛ إِنْ تَسَأَلُوهُ عَنهَا تَجِدُوهُ بِهَا عَالِمًا)^(٤).

(١) أخرج جميع هذه الآثار أبو نعيم في «الحلية»، خلا الأثر الأول ففي «الاستيعاب» لابن عبد البر.

(٢) أخرجه ابن جرير، وأبو زرعة الرازي في «دلائل النبوة»، وأبو نعيم في «الحلية» و«الدلائل»، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) مرّ مطولاً ص ٤٥٥.

(٤) أخرجه ابن عساکر، وهذا لفظه، وابن سعد بأطول من هذا، والحاكم، وذكر الذهبي في =

● ● ونَعْتَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيرِ» بِقَوْلِهِ: (مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ صَاحِبُ السَّرِّ... مِنْ أَعْيَانِ الْمُهَاجِرِينَ).

وقال الحافظ في «التقريب»: (صحابي جليل، من السابقين).

وقال المحدث يحيى بن أبي بكر اليماني في ترجمته من «الرياض المستطابة»: (كان حذيفة رضي الله عنه أحدَ الرُّفَقَاءِ النَّجَبَاءِ، وَأَحَدَ الْفُقَهَاءِ أَهْلِ الْفِتْوَى، وَصَاحِبَ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَالْمَخْتَصَّ بِأَخْبَارِ الْفِتَنِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ).

من أخباره الشخصية:

أبوه اليمان: اسمه حُسَيْنُ بْنُ جَابِرٍ، أَسْلَمَ وَهَاجَرَ مَعَ ابْنِهِ حَذِيفَةَ، وَشَهِدَ أُحُدًا، وَاسْتَشْهِدَ بِهَا، قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ خَطَأً، فَتَصَدَّقَ حَذِيفَةَ عَلَيْهِمْ بِدَيْتِهِ.

أمه: هي الرباب بنت كعب الأنصارية.

ترجم لها ابن سعد فقال: (الرَّبَابُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، تَزَوَّجَتْ الْيَمَانَ بْنَ جَابِرِ الْعَبْسِيِّ، حَلِيفَهُمْ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَذِيفَةَ، وَسَعْدًا، وَصَفْوَانَ، وَمُدَلْجًا، وَلَيْلَى، بَنِي الْيَمَانَ. أَسْلَمَتْ الرَّبَابُ بِنْتُ كَعْبٍ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ).

إخوته وأخواته:

أخوه صفوان: شهد أُحُدًا مَعَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ.

أخته فاطمة: أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وروث عنه. قال الحافظ في «التقريب»: (فاطمة بنت اليمان العَبْسِيَّةُ، أُخْتُ حَذِيفَةَ، صَحَابِيَّةٌ، لَهَا حَدِيثٌ، وَيُقَالُ: اسْمُهَا حَوَّلَةٌ).

= «السِّيرِ» نحوه، وقال شعيب: رجاله ثقات.

أخوه سعد، وأخوه مدلج، وأخته ليلي: ذكرهم ابن سعد في ترجمة أمهم (الرباب).

عبد العزيز ابن أخي حذيفة: قال بعضهم: هو عبد العزيز بن اليمان، صحابي، والذي رجَّحه الحافظ أنه ابن أخي حذيفة، وأنه تابعي، وقد ترجم له في «الإصابة» في القسم الرابع من حرف العين^(١).

زوجناه:

جُمَانَة بنت المسيَّب بن نجبة الفزاري: قال ابن سعد: (تزوَّجها حُذَيْفَة بن اليمان، وروث عنه).

أخت رُبَيْعِي بن حِرَاش: ذكرها المِزِّي في ترجمة رُبَيْعِي من «تهذيب الكمال»، فيمن روى عنهم، فقال: (وعن أخته، وكانت تحت حذيفة).

كذلك لها ذكر في ترجمة حذيفة عند ابن عساكر. ولم أقف على اسمها.

أولاده:

وقفت في المصادر التي ترجمت لحذيفة، على خمسة أولاد له، هم: سعيد، وصفوان، وبلال، وأبو عبيدة، وأم سلمة.

وفاته:

● ● ذكر الإمام المؤرخ الصادق محمد بن عائذ الدمشقي بسنده: (أنَّ حذيفةَ بن اليمان في مرضه الذي هَلَكَ فيه، كان عنده رجلٌ من إخوانه، وهو يُناجِي امرأته، ففتَحَ عينيه فسألَهما، فقالا: خيراً. فقال: شيئاً تسرَّانه دوني ما هو بخير! قال: قُتِلَ الرجلُ - يعني عثمانَ - . قال: فاسترجعَ ثم قال: اللهمَّ إني كنتُ من هذا الأمرِ بمعزل، فإنَّ كان خيراً فهو لمن حَضَرَهُ وأنا منه بريءٌ، وإنَّ كان شراً فهو لمن

(١) الإصابة: ١٥٧/٣ ت ٦٧٢٢.

خضره وأنا منه بريء، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان! الحمد لله الذي سبق بي
الفتن، قادتها وعلوجها^(١).

وعن خالد بن الربيع العبسي قال: (سمِعنا توجَّعَ حذيفة، فركب إليه أبو
مسعود الأنصاري في نَفَرٍ أنا فيهم إلى المدائن، قال: فأتيناه في بعض الليل،
فقال: أيُّ الليل ساعة هذه؟ قلنا: بعض الليل؛ لوجود الليل. قال: هل جئتم
بأكفاني؟ قلنا: نعم. قال: فلا تُغالوا بكفني، فإن يكن لصاحبكم عند الله خير،
يبدل خيراً من كسوتكم، وإلا يُسلب سلباً سريعاً)^(٢).

وأخرج ابن عساكر عن ربيعي بن حراش: (أن أختَه - وهي امرأة حذيفة -
قالت: لما كان ليلة توفي حذيفة، جعل يسألنا: أيُّ الليل هو؟ فنخبره، حتى كان
السحر. قالت: فقال: أجلسوني، فأجلسناه. قال: وجهوني، فوجهناه. قال:
اللهم إني أعوذ بك من صباح النار ومن مساؤها).

وعن صِلَّة بن زُفر: (أن حذيفة بعثني وأبا مسعود، فابتعنا له كفنًا حُلَّة عَصَب
بثلاث مئة درهم، فقال: أرياني ما ابتعثا لي؛ فأريناه، فقال: ما هذا لي بكفن،
إنما يكفي رِيظتان بيضاوان ليس معهما قميص، فإني لا أترك إلا قليلاً، حتى أبدل
خيراً منهما، أو شراً منهما، فابتعنا له رِيظتين بيضاوين)^(٣).

وأخرج ابن عساكر عن صالح بن حسان: (أنَّ حذيفة لما نزلَ به الموتُ قال:
هذه آخرُ ساعةٍ من الدنيا، اللهمَّ إنك تعلم أنني أُحِبُّكَ، فبارك لي في لقاءك. ثم
مات).

(١) وأخرج ابن عساكر نحوه مختصراً عن ربيعي بن حراش، ولعله هو الذي كان يناجي امرأة
حذيفة، وهي أخته.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر وهذا لفظه.

(٣) أخرجه أبو نعيم، وعند الحاكم عن قيس بن أبي حازم نحوه. قوله (حلة عصب):
العصب: برود يمنية. (ريظتان): الرِيظَة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفقين.

وأخرج الحاكم عن بلال بن يحيى العبسي قال: (لما حضرَ حذيفةَ الموتُ - وكان قد عاشَ بعدَ عثمانَ أربعين ليلةً - قال لنا: أوصيكم بتقوى الله، والطاعةَ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

● ● أجمعت المصادر على أنه توفي بالمدائن، سنة ست وثلاثين للهجرة، بعد قتل عثمان بن عفان بأربعين يوماً، وفي أول خلافة علي رضي الله عنهم أجمعين. وكان مقتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة (٣٥هـ)؛ فتكون وفاة حذيفة في آخر المحرم من سنة (٣٦هـ)، ولم يدرك (وقعة الجمل) لأنها كانت في جمادى الأولى من هذه السنة.

* * *

(١٢) ١٢ / سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ^(١)

... - ٣٦ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ١٤٣٥/٣، صحيح مسلم ١٩٤٧/٤، سنن الترمذي ٦٦٧/٥، ٦٧٤، سنن ابن ماجه ٥٣/١، مسند أحمد ٤٣٧/٥ - ٤٤٤، المعجم الكبير للطبراني ٢٦٠/٦ - ٣٠٥، المستدرک ٥٩٨/٣ - ٦٠٤، جامع الأصول ٥٦٥/٨، ٥٧١ - ٥٧٢، ٥٧٩، ٥٨٠ - ٥٨١، ٧٨/٩ - ٧٩، المشكاة ١٧٥٠/٣، ١٧٥١، ١٧٥٥ - ١٧٥٦، ١٧٥٧، ١٧٥٩ - ١٧٦٠، ١٧٦١، تحفة الأشراف ٢٦/٤ - ٣٥، مجمع الزوائد ٣٣٢/٩ - ٣٤٤، المطالب العالية ٨١/٤، ٩٠، الفتح ٢٧٧/٧، كز العمال ٤٢١/١٣، سيرة ابن هشام ٢١٤/١ - ٢٢٢، ٥٠٦، طبقات ابن سعد ٧٥/٤ - ٩٣، ١٦/٦ - ١٧، ٣١٨/٧ - ٣١٩، طبقات خليفة ٧، ١٤٠، ١٨٩، تاريخ خليفة ١٩١، التاريخ الكبير للبخاري ١٣٥/٤ - ١٣٦ ت ٢٢٣٥، التاريخ الصغير له ٩٦/١ - ٩٩، المعرفة والتاريخ للفسوي ٣٢٠/١، ٤٦٨، ٥٤٠/٢، ٥٥١، ٥٥٢، ٦٧٧، ١٥٤/٣، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٧٨، ٥٣٦، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١٢٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٤٠٣، ٤٥٨، ٦٤٨، ٦٤٩، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٢٩٦/٤ - ٢٩٧ ت ١٢٨٩، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٧٦ ت ٢٧٤، تاريخ الصحابة له ١١٦ - ١١٧ ت ٥٣٣، الثقات له ١٥٧/٣ - ١٥٨، طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ ٢٠٣/١ - ٢٣٦، رجال البخاري للكلابادي ٣٢٦/١ ت ٤٥٦، الحلية ١٨٥/١ - ٢٠٨، ذكر أخبار أصبهان ٧٥/١ - ٨٢، الاستيعاب ٥٣/٢ - ٥٩، تاريخ بغداد ١٦٣/١ - ١٧١، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١٩٣/١ ت ٧٢٣، صفة الصفوة ٥٢٣/١ - ٥٥٦، أسد الغابة ٣٢٨/٢ - ٣٣٢، الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٦/١ - ٢٢٨ ت ٢١٩، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٢٨/١٠ - ٥٦، تهذيب الكمال ٢٤٥/١١ - ٢٥٦ ت ٢٤٣٨، تاريخ الإسلام - السيرة النبوية ٩٥ - ١١٥، عهد الخلفاء الراشدين ٥١٠ - ٥٢١، دول الإسلام ٢٣، المعين في طبقات المحدثين ٢١ ت ٤٩، الكاشف ٣٠٤/١ - ٢٠٣٨، سير أعلام النبلاء ٥٠٥/١ - ٥٥٨، الوافي بالوفيات ٣٠٩/١٥ - ٣١٠، البداية =

اسمه ونسبه ونسبته :

هو سلمان ابنُ الإسلام، أبو عبد الله الفَارِسِيُّ الأَصْبَهَانِيُّ، وقيل:
الرَّامَهُزْمِيُّ.

كنيته ولقبه :

يُكنى أبا عبد الله، ويُعرف بسلمان الخير.

أصله من (أصبهان)، من قرية يقال لها: جَيِّ^(١)، وقيل: من رامَهُزْمُ^(٢).
أخرج ابن سعد عن سلمان قال: (كنت رجلاً من أهل أصبهان، من قرية
يقال لها: جَيِّ).

وأخرج البخاري وابن سعد - واللفظ له - عن أبي عثمان التَّهْدِيّ قال: (قال
لي سلمانُ أتعلمُ مكانَ رامَ هُزْمُزْ؟ قلتُ: نعم. قال: فإني من أهلها).

ويجمع بين الروایتين ما أخرجه ابن عساکر عن سلمان قال: (كنتُ ممَّن وُلد
برامَهُزْمَ وبها نشأتُ، وأمَّا أبي فمِنُ أصْبَهَانَ).

فأصله من أصبهان - بلد أبيه - ومولده برامهرمز.

قال الحافظ ابن حِبَّان في ترجمة سلمان من «تاريخ الصحابة»: (سَلْمَانُ
الفارسيّ: أبو عبد الله، أصله من جَيِّ - قرية بأصبهان - وهو الذي يُقال له: سلمان
الخَيْر، ومَنْ زعمَ أنهما اثنان فقد وَهَم).

والنهاية ٢/٣١١ - ٣١٦، ٤/٩٩ - ١٠١، ٥/٣١٦ - ٣١٧، ٧/٣٧، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٧٠،

١٦٠، الإصابة ٢/٦٠ - ٦١ ت ٣٣٥٧، تهذيب التهذيب ٤/١٢١ - ١٢٢، تقريب التهذيب

١/٣١٥، الرياض المستطابة ١٠٣ - ١٠٦، خلاصة تذهيب التهذيب ١٤٧، شذرات الذهب

١/٤٤، ٦٢، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام».

(١) جي: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، بينهما نحو ميلين، وأصبح اسمها فيما بعد:
شهرستان.

(٢) رامهرمز: بلدة من بلاد فارس، قرية من العراق.

صَفْتُهُ وَحَلِيَّتُهُ:

كان سلمان رجلاً طويلاً، قوي الجسم، متين البنيان، كثير الشعر، يلبس العباءة، والقميص، وجبة الصوف.

أخرج ابن سعد عن هُرَيْمٍ قَالَ: (رَأَيْتُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ عَلَى حِمَارٍ عُرْزِيٍّ، وَعَلِيَّةٍ قَمِيصٌ سُنْبُلَانِيٍّ قَصِيرٌ ضَيْقُ الْأَسْفَلِ، وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ السَّاقَيْنِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَقَدْ ارْتَفَعَ الْقَمِيصُ حَتَّى بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ رُكْبَتَيْهِ، قَالَ: وَرَأَيْتُ الصَّبِيَانَ يُخْضِرُونَ خَلْفَهُ، فَقُلْتُ: أَلَا تَنْحَوْنَ عَنِ الْأَمِيرِ؟ فَقَالَ: دَعَّهُمْ، فَإِنَّمَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِيمَا بَعْدَ الْيَوْمِ)^(١).

وعنده عند سَلَامِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ ثَابِتٍ: (أَنَّ سَلْمَانَ كَانَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدَائِنِ، وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ فِي أَنْدَزُوزِدٍ^(٢) وَعَبَاءة).

وفي تاريخ ابن عساکر: (لَيْسَ سَلْمَانُ جُبَّةَ صُوفٍ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ لَيْسَتْ أَلْيَنَ مِنْ هَذَا! فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَلْبَسَ مَا يَلْبَسُ الْعَبِيدُ، فَإِذَا مَثَلْتُ لَيْسْتُ جُبَّةً لَا تَبْلَى حَوَاشِيهَا).

إسلامه:

قال ابن إسحاق: حدثني عاصمُ بنُ عُمرِ بنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَأَنَا أَسْمَعُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: (كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا جَيْ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرِيْنَتَهُ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَّةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقَدُهَا، لَا

(١) قوله (عُرْزِيٍّ): ليس عليه جلال. (سُنْبُلَانِيٍّ): منسوب إلى بلد بالروم يُعمل به. (يُخْضِرُونَ): يركضون.

(٢) نوع من السراويل مُشَمَّرٌ فَوْقَ الثُّبَانِ، يُغَطِّي الرُّكْبَةَ، وَاللَّفْظَةُ أَعْجَمِيَّةٌ.

يتركها تَخْبُو سَاعَةً. قال: وكانت لأبي ضيعةً عظيمة، فشُغل في بُنيانٍ له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شُغلت في بُنياني هذا اليومَ عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطَّلِعْهَا. وأمرني فيها ببعض ما يُريد، ثم قال لي: ولا تحبَس عني فإنك إن احتبست عني كنتَ أهمَّ إليّ من ضيعتي، وشغلتني عن كلِّ شيء من أمري. قال: فخرجت أريد ضيعةً التي بعثني إليها، فمررتُ بكنيسة من كنائس النَّصارى، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يصلُّون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس، لِحَبْس أبي إياي في بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظر ما يَصْنَعُونَ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبُ في أمرهم وقلتُ: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحْتُهم حتى غرَبَت الشمسُ، وتركتُ ضيعة أبي فلم آتِها؛ ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جثته قال: أي بني أين كنت؟ أو لم أكنْ عَهْدْتُ إليك ما عهدتُ؟ قال: قلت له: يا أبتِ، مررتُ بأناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غرَبَت الشمس. قال: أي بُني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك ودينُ آبائك خيرٌ منه. قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثتُ إلى النَّصارى فقلت لهم: إذا قَدِم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فَقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجهم، وأرادوا الرَّجعة إلى بلادهم، فأذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجتُ معهم حتى قَدِمْتُ الشام. فلما قَدِمْتُهَا، قلتُ: مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقفُ في الكنيسة.

قال فجثته فقلت له: إني قد رَغِبْتُ في هذا الدين، فأحببتُ أن أكونَ معك،

وأخذُك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك؛ قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجلٌ سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزها لنفسه، ولم يُعْطِ المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق. فأبغضته بغضاً شديداً لِمَا رَأَيْتُهُ يَضَعُ؛ ثم مات، فاجتمعت إليه النَّصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يُعْطِ الْمَسَاكِينَ منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كثره؛ قالوا: فدلنا عليه؛ قال: فأرَيْتُمْ مَوْضِعَهُ، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاؤوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمس، أرى أنه كان أفضل منه وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه. قال: فأحبيته حباً لم أحبه شيئاً قبله. قال: فأقمتُ معه زماناً طويلاً، ثم حضرته الوفاة، فقلتُ له: يا فلان، إني قد كنت معك وأحبيتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حَضَرَكَ ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: أي بُنْي. والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه، فقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالمَوْصِل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه فالحقُّ به.

قال: فلما مات وعُيِّبَ لحققتُ بصاحب المَوْصِل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره؛ فقال لي: أقم عندي، فأقمتُ عنده، فوجدته خيراً رجلاً على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضركَ من أمر الله ما ترى، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا

بنيّ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه، إلا رجلاً بنصيبين، وهو فلان،
فالحق به .

فلما مات وعُيِّبَ لحقّتُ بصاحبِ نصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به
صاحبه، فقال: أقيمُ عندي، فأقمْتُ عنده، فوجدته على أمرِ صاحبيه . فأقمْتُ مع
خيرِ رجلٍ، فوالله ما ليث أن نزل به الموتُ، فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان، إن فلاناً
كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك؛ قال: فإلى مَنْ تُوصي بي؟
وَبِمَ تأمرني؟ قال: يا بنيّ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا
رجلاً بعمُوريّة من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببتَ فاته، فإنه
على أمرنا .

فلما مات وعُيِّبَ لحقّتُ بصاحبِ عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقيمُ
عندي، فأقمْتُ عند خيرِ رجلٍ، على هذِي أصحابه وأمرهم . قال: واكتسبتُ حتى
كانت لي بقرات وعُغَيمة . قال: ثم نزل به أمرُ الله تعالى، فلما حُضِرَ قلت له: يا
فلان، إني كنتُ مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان،
ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وَبِمَ تأمرني؟ قال: أي بنيّ، والله
ما أعلمه أصبح اليوم أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس أمرك به أن تأتيه، ولكنه
قد أظَلَّ زمانِ نبيّ، وهو مبعوثُ بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب،
مهاجره إلى أرض بين حرّتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا
يأكل الصدقة، وبين كَتِفَيْهِ خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل .

قال: ثم مات وعُيِّبَ، ومكثتُ بعمُوريّة ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفرٌ
من كَلْبِ تجّار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكُم بقراتي هذه
وعُغَيمتي هذه؛ قالوا: نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي
القرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنتُ عنده، ورأيت النخلَ،
فرجوت أن يكون البلد الذي وصّف لي صاحبي، ولم يَحِقْ في نفسي، فبينما أنا

عنده، إذ قَدِمَ عليه ابنُ عمِّ له من بني قُرَيْظَةَ من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي. فأقمتُ بها، وبعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنني لفي رأس عَدُقٍ لسيدي أعمل له فيه بعضَ العمل، وسَيِّدي جالس تحتي، إذ أقبل ابنُ عمِّ له حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلَةَ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء على رجل قَدِمَ عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي!

قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرَواء، حتى ظننتُ سأسقط على سيدي، فنزلتُ عن النخلة، فجعلتُ أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلَكَمَنِي لكمةً شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء، إنما أردتُ أن أستثبته عما قال.

قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيتُ أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح، ومعك أصحاب لك غُرباء ذوو حاجة، وهذا شيءٌ قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقربته إليه؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا»، وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفتُ عنه، فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له: إنني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسولُ الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

ثم جئت رسولَ الله ﷺ وهو ببقيع الغرزد، قد تبع جنازة رجلٍ من أصحابه، وعلَيَّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسألت عليه، ثم استدرتُ أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتمَ الذي وصف لي صاحبي؛ فلما رأني رسول الله ﷺ استدبرته، عَرَفَ أنني أستثبُ في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت

إلى الخاتم فعرفته، فأكبت عليه أقبله وأبكي! فقال لي رسول الله ﷺ: «تحول» فتحوّلت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتكم يا ابن عباس، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرّ وأُخذ.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان». فكاتبته صاحبي على ثلاث مئة نخلة أحيانها له بالفقير، وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أحاكم». فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وديّة، والرجل بعشرين وديّة، والرجل بخمس عشرة وديّة، والرجل بعشر، يُعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة وديّة؛ فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأنتي أكن أنا أضعها بيدي». قال: ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئت فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرّب إليه الودّي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، حتى فرغنا. فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها وديّة واحدة. قال: فأديت النخل وبقي عليّ المال. فأنتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، من بعض المعادن، فقال: «ما فعل الفارسيّ المكاتب؟» قال: فدعيت له، فقال: «خذ هذه، فأدّها ممّا عليك يا سلمان». قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا عليّ؟ فقال: «خذها فإن الله سيؤدّي بها عنك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها، وعتق سلمان. فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرّاً، ثم لم يقنني معه مشهد^(١).

(١) أخرجه ابن إسحاق - واللفظ له - وابن سعد، وأحمد، والطبراني في «الكبير»، والخطيب في «تاريخ بغداد»، وابن الأثير في «أسد الغابة»، والذهبي في «السيرة» بإسناده إلى ابن إسحاق ونسبه الهيثمي في «المجمع» لأحمد والطبراني في «الكبير» وقال: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وقال شعيب: رجاله ثقات، وإسناده قوي. قوله (دهقان): كلمة فارسية، أصلها: ده خان، أي رئيس القرية. (قطن النار): خادمها =

عن أبي عثمان التَّهْدِي، عن سلمانَ الفارسيِّ: (أَنَّهُ تَدَاوَلَهُ بَضْعَةٌ عَشْرًا، مِنْ رَبِّ إِلَى رَبِّ) (١).

● ● وكان وقت إسلامه في السنة الأولى من الهجرة، مَقْدَمَ النَّبِيِّ ﷺ المدينة.

قال ابن سعد: (أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان قبل ذلك يقرأ الكتب، ويطلب الدِّين).

وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: (وكان سلمان يطلبُ دِينَ الله تعالى، ويتبع مَنْ يرجو ذلك عنده، فَذَاكَ بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبرَ في ذلك على مشقَّاتِ نالته، وذلك كلُّه مذكورٌ في خبرِ إسلامه).

المؤاخاة:

أخى رسول الله ﷺ بين سلمان وبين أبي الدرداء، فكان سلمان إذا نزل الشام نزل على أبي الدرداء.

أخرج البخاري عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عن أَبِيهِ قَالَ: (أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً). الحديث.

قال الحافظ في «الفتح»: (وقد جاء ذِكْرُ المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء

الذي يخدمها ويمنعها أن تخبو، لتعظيمهم إياها. (نصيبين): هي اليوم بُلَيْدَة في تركيا عند الحدود السورية تجاه مدينة القامشلي. (بني قَيْلَة): يُرِيدُ الأوسَ والخَزْرَجَ، قَيْلَتِي الأنصار، وَقَيْلَة: اسمُ أُمِّ لَهْمٍ قَدِيمَة، وَهِيَ قَيْلَة بنت كاهل. (المُرَوَاء): الرُّعْدَة من البرد والانفاس. (بالفَقِير): قَعِير النَّحْلَة: حُفْرَة تُحْفَرُ لِلْفَسِيلَة إِذَا حُولَتْ لِتُغْرَسَ فِيهَا. (وَدِيَّة) واحدة الوَدْي، وَهِيَ صِغَار النَّحْلِ. (فَقَّر): احفر.

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - وأبو نعيم في «الحلية» و «أخبار أصبهان»، والخطيب وابن عساكر في «تاريخيهما».

من طرقٍ صحيحة غير هذه، وذكر البَعَوِيُّ في «معجم الصحابة» من طريق جعفر بن سُلَيْمَانَ عن ثابت عن أنس قال: (أخى النبي ﷺ بين أبي الدرداء وسلمان) فذكر قصةً لهما غير المذكورة هنا. وروى ابن سعد من طريق حُمَيْد بن هلال قال: (أخى بين سلمان وأبي الدرداء، فنزل سلمان الكوفة، ونزل أبو الدرداء الشام). ورجاله ثقات).

مشاهده:

منع الرقُّ سلمانَ من شهود بدرٍ وأُحد، وأول مشاهدته مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعدها.

وقد جاء في قصة إسلامه قوله: (وكان الرق قد حبسني، حتى فاتني مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد، ثم عتقت، فشهدت الخندق، ثم لم يفتني عنه مشهد).

وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، فلما رآه أبو سفيان وأصحابه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وشهد هنالك المعجزة النبوية، عندما ضرب رسول الله ﷺ الصخرة ثلاث مرار، وفي كل مرة يُضَاء ما بين لابتي المدينة، وسمع بشرى النبي ﷺ بفتح مدائن كسرى، والقصور الحمراء من أرض الروم، وقصور صنعاء.

مناقبه:

● ● أخرج ابن سعد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «سلمان سابق الفرس»^(١).

وعن شريك، عن أبي ربيعة الإيادي، عن ابن بُريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ». قيل: يا رسول الله، سَمِّهِمْ لَنَا. قال: «عليٌّ منهم - يقول ذلك ثلاثاً - وأبو ذرٍّ، والمقداد،

(١) قال الذهبي: هذا مرسل، ومعناه صحيح. وضَعَفَهُ الألباني.

وسلمان؛ أَمَرَنِي بِحُبِّهِمْ، وَأَخْبِرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ»^(١).

وعن كثير بن بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَّ الخندقَ عامَ الأحزاب، فاحتجَّ المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسيّ، وكان رجلاً قوياً؛ فقال المهاجرون: سلمان منا. وقالت الأنصار: سلمان منا. فقال النبيّ ﷺ: «سلمانٌ مِنَّا أهلَ البَيْتِ»^(٢)).

قلت: إنما ذكرنا هذه الأحاديث لنتبينه على ضعفها.

● ● أخرج أحمد ومسلم عن عائِدِ بْنِ عَمْرٍو: (أَنَّ أبا سفيانَ أتى^(٣) على سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سَيْوْفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخِذَهَا! قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟! فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ: «يَا أبا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبِّيَّ!» فَاتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاةَ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِيَّ). هذا لفظ مسلم.

وعن خَيْثَمَةَ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ قَالَ: (أَتَيْتُ المَدِينَةَ، فَسَأَلْتُ اللّهَ أَنْ يُيسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَيَسِّرَ لِي أبا هريرة، فجلستُ إليه، فقلتُ له: إنني سألتُ الله أن ييسرَ لي جليساً صالحاً؛ فَوَفَّقْتَنِي لِي. فقال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من أهل الكوفة،

(١) أخرجه أحمد، والترمذي - واللفظ له - وابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم في المستدرک. قال الترمذي: حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث شريك، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وتعقبه الذهبي بقوله: ما خرج مسلم لأبي ربيعة. وَضَعَّفَ الألباني الحديث، وذكره في «الضعيفة» و«الضعيف الجامع» وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن سعد، والطبراني في «الكبير»، والحاكم وسكت عليه، وقال الذهبي: سنده ضعيف. وَضَعَّفَهُ شعيب في «تخريج أحاديث تهذيب الكمال»، وذكره الألباني في «ضعيف الجامع» وقال: ضعيف جداً، وقد صحَّ موقوفاً على عليّ. و (كثير بن عبد الله): نسبة أبو داود للكذب، وقال الذهبي في «السير»: متروك. قلت: ومع كل هذا يقول الدكتور محمد رواس قلعه جي في تخريج أحاديث «صفة الصفوة» - ١/ ٥٣٥: الحديث صحيح!

(٣) هذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر، في الهدنة بعد صلح الحديبية.

جئتُ ألتمسُ الخيرَ وأطلبه. فقال: أليسَ فيكم سعدُ بن مالِكٍ مجابُ الدعوة، وابنُ مسعودِ صاحبُ طهورِ رسولِ الله ﷺ ونَعْلَيْهِ، وحذيفةُ صاحبُ سرِّ رسولِ الله ﷺ، وعمَّارُ الذي أجاره اللهُ من الشيطانِ على لسانِ نبيِّه، وسلْمانُ صاحبُ الكتابينِ؟ قال قتادة: والكتابان: الإنجيلُ والقرآنُ^(١).

وأخرج الشيخان والترمذي عن أبي هريرة قال: (كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». لفظ مسلم.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: (تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ يَوْمًا: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^(٢)، قَالُوا: وَمَنْ يُسْتَبَدَلُ بِنَا؟ قَالَ: فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَنْكِبِ سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ».

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أنه قال: (قال ناسٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ: يا رسولَ الله، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ: إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتَبَدَّلُوا بِنَا ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا؟ قَالَ: وَكَانَ سَلْمَانُ بَجَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَدَّ سَلْمَانَ وَقَالَ: «هَذَا وَأَصْحَابُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطاً بِالْثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ»^(٣)).

مع النبي ﷺ:

صحب سلمان رسول الله ﷺ، وخدمه، فكان من ذوي القرب منه، وحرص

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، وحسنه عبد القادر الأرناؤوط.

(٢) سورة محمد: الآية ٣٨.

(٣) صحَّهما الألباني في «صحيح الترمذي».

على الجلوس بين يديه، والتأدب بأدبه، واستماع كلمه، فحمل عنه علماً طيباً،
وحدث عنه ﷺ.

قال ابن عبد البر: (روينا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لسلمان
مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ).

عن علي بن زيد، عن أبي عثمان قال: (كنتُ مع سلمان تحت شجرة،
فأخذَ غصناً منها يابساً فهزّه، فتحات ورقه، فقال: ألا تسألني لِمَ أفعلُ هذا؟ قلتُ:
ولمَ تفعله؟ قال: هكذا فعَلَهُ رسول الله ﷺ، ثم قال: «يا سلمان، ألا تسألني لِمَ
أفعلُ هذا؟» قلتُ: ولمَ تفعلُ هذا يا رسول الله؟ قال: «إنَّ المسلمَ إذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ
الْوُضُوءَ، ثم صَلَّى الصَّلَاةَ الْخَمْسَةَ - قال: أحسبه قال: في جماعة - تَحَاثَّتْ
خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاثُّ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ». وتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي
النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(١).

وأخرج الحاكم عن سلمان رضي الله عنه قال: (عادني رسولُ الله ﷺ وأنا
عليل، فقال: «يا سلمان، شَقَى اللَّهُ سَقَمَكَ، وَعَفَّرَ ذُنُوبَكَ. وعافاك في دينك
وجسمك إلى مَدَّةِ أَجَلِكَ»^(٢)).

سيرته وشمائله:

أخذ سلمان عن النبي ﷺ العلم والعمل، فاقتدى به، ونهج على سنّته،
واقْتَفَى أثره؛ فكان واحداً من نجباء مدرسة النبوة، كريم الخصال، جميل الفعّال،
طيب الشمائل، جمّ الفضائل، مستقيم الهدى، حسن السمّت، يقوم من الليل
ويرقُد، ويصوم ويفطر، يكثر من ذكر الله تعالى، مبسوط الكف بالصدقة، عظيم

(١) أخرجه الطيالسي - واللفظ له - وأحمد، والنسائي، والطبراني، وقال المنذري في
«الترغيب»: ورواه أحمد محتج بهم في الصحيح، إلا علي بن زيد. والآية من سورة هود:

.. ١١٤

(٢) سكت عليه الحاكم، وقال الذهبي: إسناده كوفي جيد.

الأمانة، شديداً التواضع، بطلاً شجاعاً، زاهداً متفرداً، لمّاح الذكاء، يأكل من عمل يده، طيب العشرة، حسن المعاملة، يكرم ضيفه، ويعطف على من تحت يده.

● ● عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَرَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا سُأَلْتِ؟. قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١).

وعن طارق بن شهاب، عن سلمان قال: (إذا كان الليل، كان الناس منه على ثلاث منازل: فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم من لا عليه ولا له! فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أما من له ولا عليه، فرجل اغتتم غفلة الناس وظلمة الليل، فتوضأ وصلى، فذاك له ولا عليه، ورجل اغتتم غفلة الناس، وظلمة الليل، فمشى في معاصي الله، فذاك عليه ولا له، ورجل نام حتى أصبح، فذاك لا له ولا عليه.

قال طارق: فقلت: لأصحابين هذا. فضرب على الناس بعث، فخرج فيهم، فصحبته وكنت لا أفضله في عمل، إن أنا عجنت خبز وإن خبزت طبخ، فنزلنا منزلاً فبتنا فيه، وكانت لطارق ساعة من الليل يقومها، فكنت أتيقظ لها فأجده نائماً، فأقول: صاحب رسول الله خير مني نائم، فأنام ثم أقوم فأجده نائماً فأنام، إلا أنه

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - والترمذي، وأبو يعلى، والبزار، وابن خزيمة، والدارقطني، والطبراني، وابن حبان، وغيرهم.

كان إذا تعاز من الليل قال وهو مضطجع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. حتى إذا كان قبيل الصبح قام فتوضأ ثم ركع أربع ركعات. فلما صلينا الفجر قلت: يا أبا عبد الله! كانت لي ساعة من الليل أقومها وكنت أتيقظ لها فأجدك نائماً، قال: يا بن أخي! فإيش كنت تسمعي أقول؟ فأخبرته، فقال: يا بن أخي تلك الصلاة، إن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن، ما اجتنبت المقتلة، يا بن أخي عليك بالقصد فإنه أبلغ^(١).

● ● عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان الفارسي: (أنه كان في عصابة يذكرون الله، فمر بهم رسول الله ﷺ، فجاءهم قاصداً حتى دنا منهم، فكفوا عن الحديث إعظاماً لرسول الله ﷺ، فقال: «ما كنتم تقولون؛ فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم، فأحببت أن أشارككم فيها»^(٢)!!

وعن شعبة، عن سيمك بن حذب قال: سمعت النعمان بن حميد يقول: (دخلت مع خالي على سلمان بالمدائن، وهو يعمل الخوص، فسمعتة يقول: اشتري خوصاً بدرهم، فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهماً فيه، وأتفق درهماً على عيالي، وأتصدق بدرهم؛ ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت)^(٣).

وعن هشام بن حسان، عن الحسن البصري قال: (كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان على ثلاثين ألفاً من الناس، يخطب في عباءة يفترش نصفها، ويلبس نصفها، وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يده)^(٤).

(١) أخرجه عبد الرزاق، وأبو نعيم في «الحلية»، ونسبه الهيثمي في «المجمع» للطبراني في «الكبير»، وقال: رجاله موثقون.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن سعد، وابن عساكر. والخوص: ورق النخل.

(٤) أخرجه ابن سعد، وأبو نعيم، وابن عساكر، و (سفيف يده): ما تصنعه يده من السفيف، وهو المنشوج من الخوص.

● ● ومما يدل على أمانته العظيمة، ونزاهة نفسه، وترفعه عن الشُّحْتِ؛ ما فعله مع النصارى حينما دلَّهم على الكنز الذي اكتنزه أول أسقفٍ اجتمع سلمان به، وكان سبع قِلَالٍ من ذَهَبٍ وفضَّة! فأخبرهم بذلك، ولم تسمح له نفسه الزكية أن ينال منها شيئاً، فعل هذا وهو لم يزل على دين النصرانية؛ فكيف ستكون سيرته بعد أن أكرمه الله بالدين الحق؟! .

● ● وأما شجاعته وجرأته في الحق، فقد ذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن العُتَيْبِيِّ قال: (بُعث إلى عمر بحللي، فقسَّمها، فأصاب كلَّ رجلٍ ثوبٌ. ثم صعد المنبر وعليه حُلَّةٌ - والحُلَّةُ ثوبان - فقال: أيها الناسُ ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع! فقال عمر: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً، وعليك حُلَّةٌ! فقال: لا تعجلْ يا أبا عبد الله، ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحدٌ، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: نشدُّك الله، الثوبُ الذي اتزرتُ به أهو ثوبُك؟ قال: اللهمَّ نعم! قال سلمان: فقلْ الآن نسمع).

● ● وقد كان سلمان على جانب كبير من التواضع:

أخرج ابن عساکر عن عمرو بن قيس قال: (قيل لسلمان: ما حسبتُك؟ قال: كرمي ديني، وحسبي التراب، ومن التراب خلقت، وإلى التراب أصير، ثم أبعث وأصير إلى الموازين؛ فإن ثقلت موازيني؛ فما أكرم حسبي، وما أكرمني على ربي يُدخلني الجنة، وإن خفت موازيني؛ فما ألام حسبي، وما أهونني على ربي، ويعذبني، إلا أن يعود بالمغفرة والرحمة على ذنوبي).

وعن علي بن أبي طلحة قال: (اشترى رجل علفاً لفرسه، وقال لسلمان: يا فارسي، تعال فاحمل. فحمل وأتبعه، فجعل الناس يسلمون على سلمان، فقال: من هذا! قالوا: سلمان الفارسي، فقال: والله ما عرفتك، أعطني. فقال سلمان: لا، إني أحسبُ بما صنعتُ خِصالاً ثلاثاً: أمّا إحداهن: فإني أقيتُ عني الكِبْرَ،

وأما الثانية: فإني أعين رجلاً من المسلمين على حاجته. وأما الثالثة: فلو لم تسخرني لسخرت من هو أضعف مني، فوقيته بنفسه^(١).

● ● ومن أخبار زهده ما ذكره مالك بن أنس: (أنَّ سلمان الفارسيَّ كان يستظلُّ بالفَيء حيثُ ما دار، ولم يكنْ له بيتٌ، فقال له رجلٌ: ألا أبنِي لك بيتاً، تستظلُّ به من الحرِّ، وتَسْكُنُ فيه من البرِّد؟ فقال له سلمان: نعم. فلما أدبر، صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؟ فقال: أبنيه إن قمتَ فيه أصابَ رأسك، وإن اضطجعتَ فيه أصابَ رِجْلَكَ! فقال سلمان: نعم)^(٢).

وعن جرير بن عبد الله قال: (نزلتُ الصَّفاح في يوم صائف شديد الحرِّ، فإذا رجل نائم في حر الشمس، مستظل بشجرة، معه شيء من الطعام ومزود له تحت رأسه، ملتف بعباءة. قال جرير: فأمرت أن يظلل عليه، ونزلنا فإذا قد انتبه الرجل وإذا هو سلمان الفارسي. قال: فقلت له: ظللنا عليك وما نعرفك. فقال: يا جرير، تواضع في الدنيا، فإن من تواضع في الدنيا يرفعه الله يوم القيامة، ومن يتعظم في الدنيا يضعه الله يوم القيامة، يا جرير، لو حرصت على أن تجد عوداً يابساً في الجنة لم تجده. قال: قلت: وكيف يا سلمان وفيها الثمار؟ قال: فقال: أصول الشجر الذهب والفضة وأعلاها الثمار، يا جرير، تدري ما ظلمة النار؟ قال: لا. قال: فإنه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الأرض)^(٣).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن سالم مولى زيد بن صُوحان قال: (كنتُ مع مولاي زيد بن صوحان في السوق، فمرَّ علينا سلمان الفارسي رضي الله عنه وقد

(١) أخرجه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان»، وابن عساكر في «تاريخه». وأخرج ابن سعد عن جرير بن حازم نحوه.

(٢) أخرجه ابن سعد، وعبد الرزاق، وأبو نعيم، وابن عبد البر، وابن عساكر. ووقع عند أبي نعيم أن الرجل الذي قال لسلمان ذلك هو حذيفة.

(٣) أخرجه ابن عساكر، وأخرج أبو نعيم نحوه. و(الصَّفاح): موضع بين حنين وأنصاب الحرم.

اشترى وَسَقَا من طعام، فقال له زيد: يا أبا عبد الله، تفعلُ هذا وأنتَ صاحب رسول الله ﷺ؟! فقال: إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت، وتفرغت للعبادة، وأيسَ منها الوسواس).

● ● وكان رضي الله عنه يأكل من عمل يده، ويقول: (إني لأحبُّ أن آكلَ من كدِّ يدي) ^(١).

وعن عبد الله بن سلمة قال: (كان سلمان إذا أصاب شاة من الغنم، ذُبِحت أو ذُبِحوها؛ عَمَدَ إلى جلدِها فيعمل منه جِرَابًا، وإلى شعرها فيعمل منه حَبْلًا، وإلى لحمها فيقدِّده، ويستنفع بجلدها. ويعمد إلى الحبل فينظر رجلاً معه قوس قد صدع به فيعطيه، ويعمد إلى اللحم فيأكله في الأيام. وإذا سُئل عن ذلك، يقول: أن أستغني بالله في الأيام، أحبُّ إليَّ من أن أفسده ثم أحتاج إلى ما في أيدي الناس) ^(٢).

● ● عن الأعمش، عن أبي وائل قال: (ذهبتُ أنا وصاحبٌ لي إلى سلمان، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلُّف؛ لتكلَّفتُ لكم. فجاءنا بخبزٍ وملح! فقال صاحبي: لو كان في مِلْحنا صَعْتَر. فبعثَ سلمان بِمِطْهَرَتِهِ، فرهنها، فجاء بصعتر، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعتَ بما رزقك، لم تكن مِطْهَرَتِي مرهونة) ^(٣)!

وأخرج ابن سعد عن أبي جعفر الفراء، عن أبي ليلى ^(٤) الكِنْدِيِّ قال: (قال غلامُ سلمان: كاتِبِنِي. قال: أَلَكْ شيء؟ قال: لا. قال: فَمِنْ أين؟ قال: أسألُ الناسَ. قال: تريد أن تُطْعِمَنِي غَسَالَةَ الناس) ^(٥)!.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية».

(٢) أخرجه ابن عساکر.

(٣) أخرجه الطبراني، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الطوسي، وهو ثقة. وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أبو جعفر، وأبو ليلى: ثقتان: راجع «تقريب التهذيب - الكنى»

وأخرج - أيضاً - عن أبي جعفر قال: (سمعتُ أبا ليلى قال: قال غلامٌ لسلمانَ: كاتِنِي. قال: ألكَ مال؟ قال: لا. قال أتاَمرنِي أن أكلَ عُسَّالَةَ أيدي الناس؟ قال: وسُرِقَ عَلْفُ دَائِبَتِهِ، فقال لجاريته - أو لغلّامه -: ولولا أني أخاف القِصاصَ لضربتُكَ).

وعن أيوب، عن أبي قِلَابَةَ: (أَنَّ رجلاً دخلَ على سلمانَ وهو يعجن، قال: فقال: أين الخادِمُ؟ قال: بعشناها لحاجة، فَكَرِهْنَا أن نجمعَ عليها عَمَلَيْنِ. قال: إن فُلاناً يُفَرِّتُكَ السّلامَ. فقال له سلمان: منذُ كم قدمت؟ قال: منذ ثلاثة أيام. قال: أَمَا إنك لو لم تُؤدّها لكانتُ أمانةً لم تُؤدّها)^(١).

وعن سعيد بن وهب قال: (دخلتُ مع سلمان على صديق له من كِنْدَةَ يعوذه، فقال له سلمان: إن اللّهَ تعالى يَبْتَلِي عبده المؤمنَ بالبلاء ثم يُعافيه، فيكون كَفَّارَةً لما مَضَى، فَيَسْتَعْتَب فيما بقي. وإن الله - عَزَّ اسمُه - يبتلي عبده الفاجرَ بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كالبعيرِ عَقَلَهُ أهله ثم أَطْلَقُوهُ، فلا يدري فيمَ عَقَلُوهُ حين عَقَلُوهُ، ولا فيمَ أَطْلَقُوهُ حين أَطْلَقُوهُ)^(٢).

● ● عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، عن سلمان: (أنه تزوّج امرأة من كِنْدَةَ، فبنى بها في بيتها، فلما كان ليلة البناء، مشى معه أصحابُه، حتى أتى بيت امرأته، فلما بلغ البيت قال: ازجِعوا آجِرْكم الله، ولم يدخلهم كما فعل السفهاء. فلما نظر إلى البيت - والبيت منجّد - قال: أمحموم بيتكم، أم تحولت الكعبة في كِنْدَةَ؟ قالوا: ما بيتنا بمحموم، ولا تحولت الكعبة في كِنْدَةَ، فلم يدخل البيت حتى نُزِعَ كل ستر في البيت غير ستر الباب، فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك، قال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ!! أوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزادِ الراكب. ورأى خدماً فقال: لمن هذا

(١) أخرجه أحمد، وابن سعد - وهذا لفظه - وأبو نعيم، وابن عساکر.

(٢) أخرجه أبو نعيم - واللفظ له - وابن عساکر، والبخاري في «الأدب المفرد» نحوه.

الخدم؟ فقالوا: خدمك وخدم امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي! أوصاني خليلي ﷺ أن لا أمسك إلا ما أنكح أو أنكح، فإن فعلت فبغين كان عليّ أوزارهن من غير أن يتقص من أوزارهنّ شيء. ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتن مخرجات عني مخليات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم، فخرجن. فذهب إلى الباب حتى أجافه، وأرخى الستر، ثم جاء حتى جلس عند امرأته، فمسح بناصيتها ودعا بالبركة، فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء أمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يُطاع، قال: فإن خليلي ﷺ أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجمع على طاعة الله عز وجل، فقام وقامت إلى المسجد، فصلّيا ما بدا لهما، ثم خرجا فقصي منها ما يقضي الرجل من امرأته. فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم! ثم قال: إنما جعل الله تعالى الستور والخدور والأبواب لتواري ما فيها؛ حسب امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحدّث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق»^(١).

وعن الأعمش، عن أبي البختري قال: (جاء الأشعث بن قيس وجري بن عبد الله البجلي إلى سلمان، فدخلا عليه في خصّ في ناحية المدائن، فأتياه فسلمّا عليه، وحيّاه، ثم قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري. فارتابا، وقالا: لعله ليس الذي نريد، فقال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، قد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، وإنما صاحبه من دخل معه الجنة، فما جاء بكما؟ قالوا: جئناك من عند أخ لك بالشام، قال: من هو؟ قالوا: أبو الدرداء. قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالوا: ما أرسل معنا بهدية. قال: اتقيا الله، وأديا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء معه بهدية! قالوا: لا ترفع علينا هذا، إن لنا أموالاً

(١) أخرجه أبو نعيم، وابن عساکر. ومعنى (منجد): مزین. (أحموم بيتكم): قال ذلك لكثرة ما فيه من الأمتعة، وشبّهه بالحموم الذي تُوضع عليه اللحف. (تحولت الكعبة في كندة): المراد أنهم كسوا البيت حتى صار كالكعبة.

فاحتكم فيها، قال: ما أريد أموالكما، ولكن أريد الهدية التي بعث بها معكما. قالوا: والله، ما بعث معنا بشيء إلا أنه قال: إن فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به لم يبيع أحداً غيره، فإذا أتيتماه فأقرئاه مني السلام. قال: فأتي هدية كنتُ أريد منكما غير هذه؟ وأي هدية أفضل من السلام، تحية من عند الله مباركة طيبة^(١)!؟

والي المدائن:

كان سلمان لا يحب الإمارة، وقد ولّاه عُمر المدائن، فقبِلَ كارهاً، وسار في الناس على هدي النبوة، يلبس من أدنى ما تلبسه الرعية، ويركب الحمار، ويأكل من عمل يده، ويتقاضى عطاءه فيبذله في وجوه الخير، ولربما حمل لبعض الناس متاعاً بالأجرة، لا يرى في ذلك غصاصة، وهم لا يعرفونه لرياسة حاله.

● ● عن ميمون بن مهران، عن رجل من عبد القيس قال: (كنتُ مع سلمانَ الفارسيِّ وهو أميرٌ على سريةٍ، فمرَّ بفتيان من فتيان الجند، فضحكوا وقالوا: هذا أميركم؟! فقلتُ: يا أبا عبد الله، ألا ترى هؤلاء ما يقولون؟ قال: دَعُهُمْ، فإنَّما الخيرُ والشُّرُّ فيما بعد اليوم، إن استطعتَ أن تأكلَ من الترابِ فكلُّ منه ولا تكوننَّ أميراً على اثنين، واثق دعوة المظلوم والمضطَرَّ فإنها لا تُحجب).

وعن جعفر بن بُزقان قال: (بلغني أنه قيل لسلمانَ الفارسي: ما يُكرهُكَ الإمارة؟ قال: حلاوة رضاعتها، ومرارة فطامها)!

● ● وعن سلام بن مسكين، عن ثابت: (أن سلمانَ كان أميراً على المدائن، وكان يخرج إلى الناس في أندروزد وعباءة، فإذا رأوه قالوا: كُركَ أمَد، كُركَ أمَد، فيقول سلمان: ما يقولون؟ قالوا: يشبهونك بلُعبةٍ لهم! فيقول سلمان: لا عليهم، فإنَّما الخير فيما بعد اليوم).

(١) أخرجه الطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رجاله رجال الصحيح، غير يحيى بن إبراهيم المسعودي، وهو ثقة.

وعن عبادة بن نُسيّ: (أنّ سلمانَ كان له حُبيّ من عباءٍ، وهو أمير الناس)^(١).

● ● وعن ابن سيرين: حدثنا عبيدة السلماني: (أن سلمانَ مرَّ بحجر المدائن غازياً وهو أميرُ الجيش، وهو ردّف رجل من كِنْدَة على بغلٍ مَوْكُوفٍ. فقال أصحابُه: أَعْطِنَا اللّوَاءَ أَيُّهَا الأَمِيرُ نَحْمِلُهُ، فَيَأْبَى حَتَّى قَضَى غَزَاتِهِ، وَرَجَعَ وَهُوَ رَدْفُ الرَّجُلِ)^(٢).

وأخرج ابن سعد عن سلام بن مسكين قال: حدثنا ثابت قال: (كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجلٌ من أهل الشام، من بني تميم الله، معه حمل تين، وعلى سلمان أنذر وُزْدٌ وعباءة، فقال لسلمان: تعالِ اخمِلْ، وهو لا يَعْرِفُ سلمان، فحملَ سلمان، فرآه الناس، فعرفوه فقالوا: هذا الأمير! قال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا، حتى أُبْلَغَ منزلك).

وكان يأخذ عطاءه - وهو خمسة آلاف درهم - فينفقه كلّه في سبيل الله، ويقوت نفسه وأهله من عمل يده، فينسخ الخوص ويبيعه بثلاثة دراهم، ثم يشتري خصوصاً بدرهم، وينفق آخر على عياله، ويتصدق بالثالث!

جهاده:

قال الحافظ الخطيب البغدادي في ترجمة سلمان من «تاريخ بغداد»: (ولم يزل بالمدينة حتى غزا المسلمون العراق، فخرج معهم، وحضر فتح المدائن، ونزلها حتى مات بها).

وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمته من «تاريخ دمشق»: (قدم دمشق غازياً ومرابطاً).

(١) أخرجها جميعها ابن سعد.

(٢) قال شعيب: رجاله ثقات.

عن أبي البُخْتَرِيِّ: (أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي، فحاصروا قصرأ من قصور فارس، فقالوا: يا أبا عبد الله، ألا ننهّد إليهم؟ فقال: دَعُونِي أَدْعُهُمْ^(١) كما سمعتُ رسول الله ﷺ يدعوهم. فقال لهم: إنما أنا رجلٌ منكم فارسيٌّ، أَتَرَوْنَ العرب تطيعني؟ فَإِنْ أسلمتم فلَكُمْ مثل الذي لنا، وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه، وأعطيتُمونا الجزية عن يَدِ وأنتم صاغِرون - قال: وَرَظَنَ إليهم بالفارسية: وأنتم غير محمودين - وإن أبيتم نأبذناكُمْ على سَوَاء. فقالوا: ما نحن بالذي نؤمن، وما نحن بالذي نعطي الجزية، ولكننا نقاتلكم. قالوا: يا أبا عبد الله، ألا ننهّد إليهم؟ قال: لا. فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا، ثم قال: انْهَدُوا إليهم، فَهَدُوا إليهم. قال: ففتحوا ذلك الحصن)^(٢).

● ● وشهد سلمان معركة القادسية، وجعله عُمر داعيةَ الناس وقاصِّهم. وفي سنة (١٦هـ) حاصر المسلمون «بَهْرَسِير»^(٣) بقيادة سعد بن أبي وقاص، وبعث إليهم سلمانَ فدعاهم إلى الله عز وجل، أو الجزية، أو المقاتلة، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان، فحاصرهم المسلمون، وشددوا الحصار، وفتحوا هذه المدينة.

وشارك في فتح المدائن، وعندما عبر الجيش الإسلامي نهر دجلة كان سلمان يسير سعداً ويحادثه، فعن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: (أقحم سعدُ الناسَ - وكان الذي يسير سعداً في الماء سلمان الفارسي - فَعَامَتْ بهم الخيل، وسعدٌ

(١) في «الحلية» و«أخبار أصبهان»: أدعوهم، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو نعيم في «الحلية» - وهذا لفظه - وفي «أخبار أصبهان»، والحاكم بمعناه، وابن أبي شيبة، والطبري في «تاريخه» نحوه. قوله «رطن»: الرطانة، والترأطن: كلامٌ لا يفهمه الجمهور، وإنما هو مُواضعةٌ بين اثنين أو جماعة، والعربُ تُخَصُّ به - غالباً - كلامَ العجم.

(٣) موضع من نواحي سواد بغداد قرب المدائن.

يقول: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَاللَّهُ لِيَنْصُرَنَّا اللَّهُ وَلِيَّهِ، وليظهرنَّ اللَّهُ دينه، وليهزمَنَّ اللهُ عدوّه؛ إن لم يكنْ في الجيشِ بَغْيٌ أو ذنوبٌ تغلب الحسنات. فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلَّلتْ لهم والله البحور كما ذُلَّلتْ لهم البرا أما والذي نفس سلمان بيده لَيُخْرِجُنَّ منه أفواجاً كما دَخَلُوهُ أفواجاً. فَطَبَّقُوا المَاءَ حتى ما يُرى المَاءَ من الشاطئ، وَلَهُمْ فيه أكثر حديثاً منهم في البرِّ لو كانوا فيه! فخرجوا منه - كما قال سلمان - لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد^(١)!

وشهد فتح «جَلُولَاءَ»، وولي قسم الغنائم بين المسلمين. كما شارك في غزو «بَلَنْجَر»^(٢) سنة (٣٢هـ).

علمه ومروياته:

كان سلمان بحرَ عِلْمٍ، قرأ كتبَ النصارى وَعَلِمَ ما فيها، ثم أَعْنَاهُ اللهُ عن ذلك بالقرآن العظيم والسنة المطهرة، فأخذَ عن النبي ﷺ عِلْماً طيباً مباركاً فيه. وحَدَّثَ الناسَ - مِنْ نَمٍّ - وَعَلَّمَهُمْ، وَفَقَّهَهُمْ، وَأَجَابَ عن سؤالاتهم.

ولقد أثنى رسولُ الله ﷺ على عِلْمِ سلمان وفقهه؛ إذ صدَّقَ قولَه الذي قاله لأخيه أبي الدرداء، كما أشادَ بعلمه الصحابةُ فمن بعدهم.

● ● أخرج ابن سعد عن أبي صالح قال: (نزلَ سلمانُ على أبي الدرداء، وكان أبو الدرداء إذا أراد أن يصليَ مَنَعَهُ سلمانُ، وإذا أراد أن يصومَ مَنَعَهُ، فقال: أتمنئني أن أصومَ لرَبِّي، وأصليَ لرَبِّي؟ فقال: إنَّ لَعَيْنِكَ عليك حقاً، وإنَّ لأهلك عليك حقاً، فَصُمْ وَأُطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ. فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ؛ فقال: «لقد أُشْبِعَ سلمانُ عِلْماً»^(٣)).

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه»، وأبو نعيم في «الدلائل».

(٢) مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب.

(٣) ذكره الألباني في «الأحاديث الضعيفة»، وقال: سنده إلى أبي صالح صحيح، لكنه مرسل.

٣٢٨/٤ حديث ١٨٤٩.

وقد مرّ نحوه عند البخاري وغيره، وأن النبي ﷺ قال: «صَدَقَ سلمان».

● ● وعن أبي البَخْرِيِّ قال: (أَتَيْنَا عَلِيًّا فَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فقال: عن أيِّهم؟ قال: قلنا: حَدَّثْنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ؟ قال: عَلِمَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، ثُمَّ انْتَهَى، وَكَفَى بِذَلِكَ عِلْمًا. قال: قلنا: حَدَّثْنَا عَنْ أَبِي مُوسَى؟ قال: صُبِغَ فِي الْعِلْمِ صَبْغَةً، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ. قال: قلنا: حَدَّثْنَا عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ؟ فقال: مؤمن نَسِيٍّ، وَإِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ. قال: قلنا: حَدَّثْنَا عَنْ حُذَيْفَةَ؟ فقال: أَعْلَمُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بِالْمُنَافِقِينَ. قال: قلنا: حَدَّثْنَا عَنْ أَبِي ذَرٍّ؟ قال: وَعَى عِلْمًا ثُمَّ عَجَزَ فِيهِ. قال: قلنا: أَخْبَرْنَا عَنْ سَلْمَانَ؟ قال: أَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ، وَالْعِلْمَ الْآخِرَ، بَحْرًا لَا يُتْرَحُ قَعْرُهُ، مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ. قال: قلنا: فَأَخْبَرْنَا عَنْ نَفْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال: إِيَّاهَا أَرَدْتُمْ! كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ، وَإِذَا سَكْتُ ابْتَدِئْتُ^(١).

وفي رواية أخرى عن زَادَانَ قال: (سُئِلَ عَلِيٌُّّ عَنِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، فَقَالَ: ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَّا وَإِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، مَنْ لَكُمْ بِمَثَلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ، عَلِمَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْآخِرَ، وَكَانَ بَحْرًا لَا يُتْرَفُ)^(٢).

وعن يزيد بن عَمِيرَةَ قال: (لَمَّا حَضَرَ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ الْمَوْتَ، قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْصِنَا. قال: أَجْلِسُونِي. فقال: إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتِغَاهُمَا وَجَدَهُمَا - يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَالتَّمَسُّوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ: عِنْدَ عُوَيْمِرِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةِ فِي الْجَنَّةِ»)^(٣).

(١) أخرجه ابن سعد - واللفظ له - والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن عساكر في «تاريخه»، وقال شعيب: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن سعد - وهذا لفظه - وأبو نعيم، وابن عبد البر، وذكره الحافظ في «المطالب العالية» مطوّلًا.

(٣) أخرجه الترمذي - واللفظ له - وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن سعد، والبخاري =

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» عن كعب الأخبار قال: (سلمانٌ حُشِيَّ عِلْمًا وَحِكْمَةً).

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١)؛ قال: (سلمان، وعبد الله بن سلام)^(٢).

● ● روى سلمان عن النبي ﷺ.

وحدث عنه: عبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخُدْرِي، وكعب بن عُجْرَةَ، وأبو الطَّفِيلِ عامِر بن واثِلَةَ اللَّيْثِي، وطارق بن شهاب، وأبو عثمان التَّهْدِي، وأبو قُرَّة سَلَمَةَ بن معاوية الكِنْدِي، وأبو ظَبْيَانَ حُصَيْن بن جُنْدَب الجَنْبِي، وأبو لَيْلَى الكِنْدِي، وشُرْحَيْل بن السَّمْط، وعَبْد الرحمن بن يَزِيد النَّخَعِي، وعبد الله بن وَدِيعَةَ، وعَلْقَمَةَ بن قَيْس، وقَرْتَعِ الضَّبِّي، وأمُّ الدرداء الصُّغْرَى، وامرأته بَقِيرَةَ، وآخرون.

● ● روي له عن رسول الله ﷺ ستون حديثاً، في البخاري منها أربعة أحدها مرفوع، وفي مسلم أربعة: ثلاثة مرفوعة، وواحد موقوف^(٣).
وقول النووي رحمه الله تعالى في ترجمة سلمان من «تهذيب الأسماء»: (اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة)؛ وَهَمْ، فلم يتفقا ولا على حديث واحد.
وخرج حديثه الستة، وغيرهم.

= في تاريخه «الكبير والصغير»، والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، وابن خزيمة، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وذكره الحافظ في ترجمة ابن سلام من «الإصابة» وقال: سنده جيد.

(١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره»، وابن عساكر في «تاريخه».

(٣) انظر أحاديثه عند البخاري في: كتاب الجمعة - باب الدهن للجمعة، حديث ٨٨٣. وهو الحديث المرفوع، وكتاب مناقب الأنصار - باب إسلام سلمان، وفيه ثلاثة أحاديث موقوفة.
وعند مسلم: الأحاديث ٢٦٢، ١٩١٣، ٢٤٥١ وهو موقوف، ٢٧٥٣.

● ● عن عروة بن رُويم، عن القاسم أبي عبد الرحمن حدّثه قال: (زارنا سلمانَ الفارسيّ، فصلّى الإمامَ الظهرَ، ثم خرجَ وخرجَ الناسُ، يتلقونه كما يتلقى الخليفة، فلقيناه وقد صلّى بأصحابه العصرَ، وهو يمشي، فوقفنا نُسلم عليه، فلم يبقَ فينا شريفٌ إلا عَرَضَ عليه أن يَنْزَلَ به، فقال: جعلتُ على نفسي مرّتي هذه أن أنزَلَ على بشير بن سعد. فلما قدم سأَلَ عن أبي الدرداء، فقالوا: هو مرابطٌ. فقال: أين مُرَابَطُكُمْ؟ قالوا: بيروت. فتوجّه قِبَله، قال: فقال سلمان: يا أهلَ بيروت، ألا أُحدّثُكم حديثاً يُذهب اللهُ به عنكم عرضَ الرِّباط؛ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كصِيَامِ شَهْرٍ وَقيامِهِ، وَمَنْ ماتَ مرابطاً أُجِرَ مِنْ فتنَةِ القَبْرِ، وَجَرى لَهُ صالحُ عَمَلِهِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ». هذا مرسل^(١).

وأخرج الترمذي نحوه، عن محمد بن المنكدر قال: (مرَّ سلمانُ الفارسيُّ بِشُرْحَبِيلِ بنِ السَّمْطِ، وهو في مُرَابَطٍ له، وقد شَقَّ عليه وعلى أصحابِهِ، فقال: أَلَا أُحدّثُكَ يا ابنَ السَّمْطِ بحديثٍ سمعتهُ من رسولِ الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ في سبيلِ اللَّهِ أَفضلُ - وَرَبِّمَا قال: خَيْرٌ - من صِيَامِ شَهْرٍ وَقيامِهِ، وَمَنْ ماتَ فيه وَوَقِيَ فتنَةَ القَبْرِ، وَنَمِيَ لَهُ عَمَلُهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ»^(٢).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أوس بن صَمْعَج^(٣) - بوزن جعفر - قال: سأَلنا سلمانَ عن عملٍ نعملُه، فقال: (تُفْشِي السَّلامَ، وَتُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتصَلِّي والناسُ نيام).

● ● ولسلمانَ فِقْهُ وفتاوى، وقد ذَكَره الإمامُ ابنُ حزم في الصحابة المتوسّطين فيما حُفِظ عنهم من الفُتيا، وقال: (يُمكن أن يُجمع من فُتيا كل امرئٍ منهم جزءٌ صغير جداً).

(١) قال شعيب: إسناده حسن، لكنه مرسل.

(٢) قال الترمذي: حديث حسن. وصحّحه الألباني. وأخرج مسلم والنسائي المرفوعَ فقط نحوه.

(٣) قال الحافظ: ثقة مخضرم، من الثانية.

وترجم له الحافظ الذهبي في كتابه: (المعین في طبقات المحدثین).

من أقواله وحكمه ووصایاه:

عن حمید بن هلال قال: (أُوخِيَ بين سلمان وبين أبي الدرداء، فسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان الكوفة. قال: فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: سلام عليك، أمّا بعد: فإنّ الله رزقني بعدك مالاً وولداً، ونزلت في الأرض المقدّسة. قال: فكتب إليه سلمان: سلام عليك، أما بعد: فإنك كتبت إليّ أن الله عزّ وجلّ رزقك مالاً وولداً، واعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكنّ الخير أن يعظّم حِلْمك، وأن ينفَعك عِلْمك. وكتبت إليّ أنك نزلت الأرض المقدّسة، وإن الأرض لا تعمل لأحدٍ، اعمل كأنك ترى، واعذ نفسك من الموتى)^(١).

وعند ابن عساکر: (كتب سلمان إلى أبي الدرداء: إنّ العِلْم كالينابيع يغشاهنّ الناس، فيختلجُه هذا وهذا، فينفع الله به غير واحدٍ، وإنّ حكمة لا يتكلّم بها كجسد لا روح فيه، وإنّ علماً لا يخرج ككنز لا يُنفق منه، وإنما مثل العالم كمثل رجل حمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مرّ به، وكلّ يدعو له بالخير).

وأخرج ابن سعد في (الطبقات) عن رجاء بن حيوة قال: (قال أصحاب سلمان لسلمان: أوصنا. فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجاً أو مُعْتَمِراً أو غازياً أو في نقل القراءة؛ فليمت، ولا يموتنّ أحدكم فاجراً ولا خائناً).

وأخرج ابن عساکر عن ميمون بن مهران قال: (جاء رجل إلى سلمان فقال: يا أبا عبد الله أوصني. قال: لا تتكلّم، قال: ما يستطيع منّ عاش بين الناس أن لا يتكلّم! قال: فإن تكلمت؛ فتكلّم بحقّ أو اسكُت. قال: زدني. قال: لا تعصب. قال: أمرتني أن لا أغضب، وإنه ليغشاني ما لا أملك. قال: فإن غضبت؛ فاملك

(١) أخرجه ابن عساکر، قال شعيب: رجاله ثقات، لكنه منقطع.

لسانك ويدك. قال: زذني. قال: لا تلبس الناس. قال: ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يلبسهم! قال: فإن لابسهم فاضدق الحديث، وأدّ الأمانة).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن أبي البختري، عن سلمان قال: (لكل امرئ جوائني وبراني، فمن يصلح جوائيه يصلح الله برانيه، ومن يفسد جوائيه يفسد الله برانيه)^(١).

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن جعفر بن بزقان قال: (بلغنا أن سلمان الفارسي كان يقول: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث، ضحكك من مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أمسخط ربه أم مرضيه. وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين، حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة).

مكانته وثناؤهم عليه:

قد مرّ طرف صالح من الثناء عليه، ومن ذلك أيضاً:

● ● عن قتادة وعلي بن زيد بن جُدعان قالوا: (كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي شيء، فقال سعد - وهم في مجلس - انتسب يا فلان، فانتسب. ثم قال للآخر: انتسب، ثم قال للآخر، حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب يا سلمان، فقال: ما أعرف لي أباً في الإسلام، ولكني سلمان ابن الإسلام! فئمي ذلك إلى عمر، فقال عمر لسعد - ولقيه - انتسب يا سعد فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، قال: وكأنه عرف، فأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال للآخر، حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب يا سلمان، فقال: أنعم الله عليّ بالإسلام، فأنا سلمان ابن الإسلام. فقال عمر: لقد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية،

(١) أي لكل امرئ باطنٌ وظاهرٌ، وسرٌّ وعلانيةٌ، وهو منسوبٌ إلى جَوِّ النبتِ وهو داخله، وزيادة الألف والنون للتوكيد.

وأنا عمرُ ابنُ الإسلام أخو سلمان ابن الإسلام أمَّا واللَّه لولا شيء لعاقبتك عقوبةً
يسمع بها أهل الأمصار؛ أمَّا علمت، أو ما سمعت أن رجلاً انتمى إلى تسعة آباء في
الجاهلية، فكان عاشرهم في النار، وانتمى رجلٌ إلى رجلٍ في الإسلام، وترك ما
فوق ذلك؛ فكان معه في الجنة^(١)!؟

● ● قال ابن عبد البر في ترجمة سلمان من «الاستيعاب»: (وكان خيراً
فاضلاً، خبيراً عالماً، زاهداً متقشفاً).

وأثنى عليه ابن الأثير بقوله: (كان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم
وقضلائهم، وذوي القرب من رسول الله ﷺ).

وحلَّاه الذهبي بقوله: (كان لبيباً حازماً، من عقلاء الرجال، وعبَّادهم
ونبلائهم).

ووصفه في «دول الإسلام» بأنه (من سادة الصحابة، حصر غزوة الأحزاب،
وأشار بحفر الخندق على المدينة، وكان من نجباء أصحاب محمد ﷺ).
من أخباره الشخصية:

● ● أبواه: كان أبوه دُهقان قريته، وأمه كانت امرأة غنية، وهما على دين
المجوس. قيل: كان له أخ اسمه بشير.

● ● ولسلمان أكثر من زوجة:

امرأة من كِنْدَة، وقد مرَّت قصةُ زواجه بها.

وبُقيرة: وهي التي شهدت وفاته، وقد روت عنه:

● ● وله ابن اسمه عبد الله، وبه كان يُكنى.

وثلاث بنات: واحدة بأصبهان لها نسل، واثنان بمصر.

(١) أخرجه عبد الرزاق، وابن عساكر وهذا لفظه، قال شعيب: منقطع.

وحفيده عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ الْحَافِظُ فِي «لِسَانِ الْمِيزَانِ»: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، بِقِصَّةِ إِسْلَامِهِ مُخْتَصِرَةً، وَعَنْهُ وَلَدُهُ كَثِيرٌ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. أوردته ابن مَرْدُويه في «تاريخ أصبهان»، قال العَلَّائِيُّ فِي «الوشى»: لا أعرفه).

وفاته:

● ● عن ثابتٍ عن أنسٍ قال: (اشْتَكَى سَلْمَانُ، فَعَادَهُ سَعْدٌ، فَرَأَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ يَا أُخِي! أَلَيْسَ قَدْ صَحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ، أَلَيْسَ؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين، ما أبكي ضيقاً للدين ولا كراهيةً للأخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً، فما أراني إلا قد تعدّيتُ. قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إليّ أنه يكفي أحدكم مثلُ زادِ الرّايب، ولا أراني إلا قد تعدّيتُ! وأمّا أنت يا سعد، فأنتِ اللهُ عند حُكْمِكَ إذا حكمت، وعند قَسْمِكَ إذا قَسَمْتَ، وعند هَمِّكَ إذا هَمَمْتَ.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعَةً وعشرين درهماً، من نفقةٍ كانت عنده^(١).

وعن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أشياخه قالوا: (دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، قال: فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، وتلقى أصحابك، وترد عليه الحوض! قال سلمان: والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا جزعاً على الدنيا،

(١) أخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ، وصححه شعيب، والألباني فذكره في «صحيح ابن ماجه» و«الصحيحة» و«صحيح الجامع الصغير» وأخرجه أبو نعيم والطبراني عن سعيد بن المسيب وحميد بن موريق العجلي، أن سعد بن مالك وابن مسعود دخلا على سلمان يعودانه، فبكى... وذكر نحوه، وأحمد عن الحسن قال: لما احتضر سلمان بكى، فذكر نحوه، وابن حبان عن عامر بن عبد الله أن سلمان الخير، فذكره.

ولكن رسول الله ﷺ عهدَ إلينا عهداً؛ فقال: «لَتَكُنَّ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِثْلَ زَادِ الرَّكَّابِ»، وحولي هذه الأَسَاوِدُ - قال: وإنما حوله جَفَنَةٌ أو مِطْهَرَةٌ أو إِجَانَةٌ! قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهدْ إلينا بعهده نأخذه بعدك. فقال: يا سعدُ، اذكرِ اللهَ عندَ هَمِّكَ إذا هممتَ، وعندَ حُكْمِكَ إذا حكمتَ، وعندَ يَدِكَ إذا قَسَمْتَ^(١).

● ● وأخرج ابن سعد عن الشَّعْبِيِّ قال: (أصابَ سلمانُ صُرَّةَ مِسْكِ يومِ فُتِحَتْ جُلُولَاءُ، فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاةُ قال: هاتي هذه المِسْكَةَ، فَمَرَسَهَا في ماء، ثم قال: انضحها حولي؛ فإنه يأتيني زَوَاوِرُ الآن! قال: ففَعَلْتُ، فلم يمكثْ بعد ذلك إلا قليلاً حتى قُبِضَ).

وعن الشعبيِّ قال: حَدَّثَنِي الجَزَلُ، عن امرأةِ سلمانِ بُقَيْرَةَ: (أنه لما حضرته الوفاةُ - يعني سلمانَ - دعاني وهو في عُجْلِيَّةٍ له لها أربعةُ أبواب، فقال: افتحي هذه الأبواب يا بُقَيْرَةَ؛ فإنَّ لي اليومَ زَوَاراً لا أدري من أيِّ هذه الأبواب يدخلون عليَّ. ثم دعا بِمِسْكِ له، فقال: أديفيه في تَوْر. ففعلت. ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامسكي، فسوف تطلعين فتريني على فراشي. فاطلعتُ فإذا هو قد أخذَ روحه، فكأنما هو نائم على فراشه)^(٢).

● ● توفي سلمان بالمدائن في أول سنة ست وثلاثين للهجرة، قبل وقعة الجَمَل. قاله أبو عبيد، وابن زُنْجويه، وخليفة بن خياط، وابن حبان، والخطيب البغدادي، وذكره الذهبي في «دول الإسلام» و«الإعلام بوقيات الأعلام» في وفيات هذه السنة.

(١) أخرجه ابن سعد - وهذا لفظه - والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم، وأخرجه أبو نعيم - أيضاً - عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر نحوه. قوله (الأساود): يريدُ الشُّخُوصَ مِنَ المَتَاعِ الذي كان عنده.. وكلَّ شخصٍ من إنسانٍ أو مَتَاعٍ، أو غيره: سواد.

(٢) أخرجه ابن سعد، وأبو نعيم، وابن عساکر، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه الطبراني من طريق الجزل عن بقيرة، ولم أعرفهما، وبقية رجاله رجال الصحيح. قوله (أديفيه): أي اخلطيه بماء. (تور): إناء.

وقال خليفة في رواية أخرى: مات سنة سبع وثلاثين. قال الذهبي: وهو وَهَمٌ، فما أَدْرَكَ سلمانُ «الجَمَل»، ولا «صِفِّين». وذهب ابن سعد وشيخه الواقدي إلى أنه توفي في خلافة عثمان.

ومالَ المِرِّيُّ في «تهذيب الكمال» إلى أنه توفي سنة (٣٣هـ)، وتبعه الحافظ في «التهذيب» و«الإصابة» فرَجَّح أنه مات سنة (٣٣) أو (٣٢هـ). واعتمدا على أن ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص (دَخَلَا على سلمان يعودانه، فبكى). الحديث. وابنُ مسعود توفي سنة (٣٢هـ).

قلت: وقع عند عبد الرزاق والطبراني ذكر «ابن مسعود»، ولم يسمياه بعبد الله، وسماه أبو نعيم في «الحلية»، وذكر ابن سعد في «الطبقات» عن سعيد بن المسيب: (أن سعد بن مسعود^(١)، وسعد بن مالك، دخلا على سلمان يعودانه، فبكى) الحديث.

فلعله لشهرة عبد الله بن مسعود، ظن الراوي أنه هو فسماه عبد الله؟.

ويؤيد تأخرَ وفاةِ سلمان إلى أول خلافة عليٍّ، ما جاء في «تاريخ ابن عساكر»، عن عبد الله بن فيروز قال: (ماتت امرأة سلمان الفارسي بالمدائن، فحزنَ عليها، فبلغَ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب - عليه السلام - فكتبَ إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، قد بَلَّغني يا أبا عبد الله سلمان مصيبتك بأهلك، وأوجعني بعضُ ما أوجعك، ولعمري لمصيبةٌ تقدّم أجرها خيرٌ من نعمةٍ تُسأل عن شكرها، ولعلك لا تقوم بها، والسلام عليك).

● ● قال الخطيب في ترجمة سلمان من «تاريخ بغداد»: (حضر فتح المدائن، ونزلها حتى مات بها، وقبره الآن ظاهر معروف، بقرب إيوان كسرى، عليه بناء).

(١) وفي الصحابة أكثر من واحد بهذا الاسم، ترجم لهم الحافظ في «الإصابة» في القسم الأول من حرف السين.

قلت: وجاء في «دليل خارطة بغداد» أن البلدة المسماة اليوم: (سلمان باك) في جوار المدائن بالعراق، منسوبة إلى سلمان رضي الله عنه. وكلمة (باك) - بالياء المثلثة - فارسية معناها: (الطاهر). ومدفنه بها في مشهد ضخم.

● ● وأكثر مَنْ ترجمَ لسلمانَ ذَهَبَ إلى أنه عُمَرَّ طويلاً، فذكروا أنه عاش مئتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاث مئة وخمسين سنة!

قال العباس بن يزيد البَحْرَانِيّ: (يقول أهلُ العلم: عاش سلمان ثلاث مئة وخمسين سنة، فأما مئتان وخمسون؛ فلا يشكُّون فيه).

وقد رَدَّ الحافظُ الذهبيُّ ذلك بكلامٍ سديد، فقال في «السِّير»: (وقد فتشْتُ، فما ظفرتُ في سنِّه بشيءٍ سوى قول البَحْرَانِيّ، وذلك منقطع لا إسناد له. ومجموعُ أمره وأحواله، وغزوه، وهِمَّتِه، وتصرُّفه، وسفِّه للجريد، وأشياء مما تقدم؛ يُنبئُ بأنه ليس بمعمَّر ولا هَرِم. فقد فارقَ وطنه وهو حَدَثٌ، ولعلَّه قدم الحجازَ وله أربعون سنة أو أقلّ، فلم يَنسَبْ أن سمعَ بمبعث النبي ﷺ، ثم هاجر. فلعلَّه عاش بضعا وسبعين سنة، وما أراه بلغ المئة، فَمَنْ كان عنده علم فليُفِدنا. وقد نقل طول عمره أبو الفرج ابن الجوزي وغيره، وما علمتُ في ذلك شيئا يُركن إليه).

ثم ذكر قصة عيادة سعدٍ لسلمان من «العلل» لابن أبي حاتم، عن ثابت البُنَّاني، وفيها أن سعداً قال لسلمان: (فما يُيكيك بعد ثمانين)؟!

قال الذهبي: (وهذا يوضِّح لك أنه من أبناء الثمانين. وقد ذكرتُ في «تاريخي الكبير» أنه عاش مئتين وخمسين سنة، وأنا الساعة لا أرتضي ذلك، ولا أصحِّحه).

وقد ذكر الحافظ في ترجمة سلمان من «التهذيب» و «الإصابة» أن الذهبي لم يذكر مستنده من أن سلمان ما جاوز الثمانين.

قلت: مستند الذهبي واضح، ورأيه قوي. والله أعلم.

● قُوِّمَتْ تَرْكَةُ سَلْمَانَ بِبِضْعَةِ وَعِشْرِينَ دَرْهَمًا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَتَقَاضَى عَطَاءَ مَقْدَارِهِ خَمْسَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ! فَفَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ إِخْوَانِهِ الصَّحَابَةِ الْأَمَّاجِدِ الْعِظَامِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، أَنَّ سَلْمَانَ قَالَ لَهُ: (أَيُّ أَخِي، أَيُّنَا مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ فَلْيَتَرَّأَ لَهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ مَخْلَاطٌ تَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَنَسَمَةُ الْكَافِرِ فِي سِجْنٍ. فَمَاتَ سَلْمَانُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلٌ بِنِصْفِ النَّهَارِ عَلَى سَرِيرِ لِي، فَأَغْفَيْتُ إِغْفَاءً إِذْ جَاءَ سَلْمَانُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزَلَكَ؟ قَالَ: خَيْرًا، وَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ فَنِعْمَ الشَّيْءُ التَّوَكُّلُ، وَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ فَنِعْمَ الشَّيْءُ التَّوَكُّلُ، وَعَلَيْكَ بِالتَّوَكُّلِ فَنِعْمَ الشَّيْءُ التَّوَكُّلُ) (١).

* * *

(١) أخرجه ابن سعد، وأبو نعيم، وابن عساکر.

(١٣) $\frac{١٣}{١}$ أبو مسعود البدرى^(١)

... - بعد ٤٠ هـ

- (١) مصادر ترجمته: مسند أحمد ٤/١١٨ - ١٢٢، ٢٧٢/٥ - ٢٧٥، المعجم الكبير للطبراني ١٧/١٩٤، تحفة الأشراف ٧/٣٢٥ - ٣٤٢، فتح الباري ٢/٣ - ٥، ٢٨٢/٣ - ٢٨٤، ٧/٣١٧ - ٣١٩، سيرة ابن هشام ١/٤٥٩، طبقات ابن سعد ٥/١٧٢، ٢٦٩، ٣١٨، ٦/١٦، ٨/٣٦٢، ٣٦٦، تاريخ ابن معين ٢/٤١٠، طبقات خليفة ٩٦، ٩٦، ١٣٦، تاريخ خليفة ٢٠٢، التاريخ الكبير للبخاري ٦/٤٢٩ ت ٢٨٨٤، التاريخ الصغير له ١/١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، المعرفة والتاريخ للفسوي ١/٢٢٠، ٢٢٤، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥٣٩، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٥٧٦، تاريخ الطبري ٤/١٢٩، ٣٣٥، ٣٥٢، ٤٢٢، ٣٨/٥، ٩٣، الجرح والتعديل ٦/٣١٣ ت ١٧٤٠، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٧٥ ت ٢٧٠، تاريخ الصحابة له ١٧٩ ت ٩٢٢، الثقات له ٣/٢٧٩، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/٥٦٢ - ٥٦٣ ت ٨٨٥، جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٦٢، جوامع السيرة له ٨١، ٢٧٨، ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/١٥٧ - ١٥٩، الاستيعاب ٣/١٠٥، ١٧١/٤ - ١٧٢، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٣٨٠ ت ١٤٥٢، الأنساب للسمعاني ١/٢٩٥ «البدرى»، ٢٨/٢ - ٢٩ «الجدارى»، أسد الغابة ٣/٤١٩، ٢٩٦/٥ - ٢٩٧، مختصر ابن عساکر لابن منظور ١٧/١٠٢ - ١٠٦، تهذيب الكمال ٢٠/٢١٥ - ٢١٨ ت ٣٩٨٤، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين ٦٥٧ - ٦٥٩، العبر ١/٣٣، المعين في طبقات المحذنين ٢٤ ت ٩١، الكاشف ٢/٢٣٨ ت ٣٩٠٢، سير أعلام النبلاء ٢/٤٩٣ - ٤٩٦، البداية والنهاية ٧/٣٢٢، الإصابة ٢/٤٨٣ - ٤٨٤ ت ٥٦٠٨، تهذيب التهذيب ٧/٢٢٠ - ٢٢١، تقريب التهذيب ٢/٢٧، الرياض المستطابة ٢٢٠، خلاصة تهذيب التهذيب ٢٦٩، شذرات الذهب ١/٤٨، ٦٣، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام».

اسمه ونسبه ونسبته :

عُقْبَةُ بن عَمْرُو بن ثُعْلَبَةَ بن أُسَيْرَةَ بن عُسَيْرَةَ بن عَطِيَّةَ بن جِدَارَةَ^(١) بن عَوْفِ بن الحَارِثِ بن الخَزْرَجِ، الأنصاريُّ، الخَزْرَجِيُّ، الجِدَارِيُّ، البَدْرِيُّ، الكوفيُّ. والجِدَارِيُّ: نسبةٌ إلى جِدَارَةَ.

قال الحافظ السمعاني: (وجِدَارَةَ: بطنٌ من الخَزْرَجِ، وهو جِدَارَةَ بن عَوْفِ بن الحَارِثِ بن الخَزْرَجِ، من ولده أبو مسعود عُقْبَةُ بن عَمْرُو بن ثُعْلَبَةَ بن أُسَيْرَةَ بن عَطِيَّةَ بن جِدَارَةَ الأنصاريُّ البدرِيُّ، هو جِدَارِيُّ، أحدُ الصحابة).

وقال الحافظ ابن عساكر: (وَوَلَدَ عَوْفُ بن الحَارِثِ بن الخَزْرَجِ: خُدْرَةَ وهو الأَبْجَرُ، وجِدَارَةَ، بطنان. فمن جِدَارَةَ أبو مسعود البَدْرِيُّ، واسمه عُقْبَةُ بن عَمْرُو).

وإلى خُدْرَةَ يُنسب أبو سعيد الخُدْرِيُّ، الصحابي الجليل رضي الله عنه.

وأما نسبته «البَدْرِيُّ»:

فالأكثر على أنه كان يَسْكُنُ ماءَ بيدر، فَنُسِبَ إليه، وشُهِرَ بذلك.

والصحيح أنه حضر غزوة بدر الكبرى، فعُرِفَ - لذلك - بالبدرِيِّ، كغيره ممن حضر هذه الواقعة وسيأتي تحقيق ذلك.

وكنيته: أبو مسعود، وهو مشهور بها.

صَفْتُهُ وَجَلْبِئَتُهُ:

كان أبو مسعود يشبه في شخصه وجسمه عمرَ بن الخطاب، فقد ذكر ابن

(١) كذا عند ابن إسحاق، وابن سعد في «الطبقات» ٥/١٧٢، ٢٦٩، ٣١٨، ٣٦٢/٨، ٣٦٦، وقال في ١٦/٦: عقبة بن عمرو من بني خدارة، فلعل هذا تصحيف؟ ووقع (جِدَارَةَ) أيضاً عند الخطيب في «تاريخه»، والسمعاني في «الأنساب» - الجداري، وابن عساكر في «تاريخه»، والمزي في «تهذيب الكمال»، والحافظ في «تهذيب التهذيب»، وجاء في «جمهرة ابن حزم»، و «أسد الغابة» و «الإصابة»: خُدَارَةَ، بالخاء المعجمة المضمومة.

عساكر في «تاريخه»، وابن الأثير في «النهاية»^(١) عن ابن سيرين قال: (كان أبو مسعود تُشَبَّهُ بِتَجَالِيدِهِ بِتَجَالِيدِ عُمَرَ). أي: جسمه بجسمه.

وعمر رضي الله عنه كان رجلاً آدم، أصلح، ضخماً جسيماً، طويلاً، قد فَرَغَ النَّاسَ طَوَّالاً.

إسلامه وشهوده العقبة الثانية:

أسلم أبو مسعود في مقتبل الشباب، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أصغرهم. ذكره ابن إسحاق فيمن شهد «العقبة الثانية»، وقال: (وكان أخذتَ مَنْ شَهِدَ الْعُقْبَةَ سِنًا).

وقال ابن سعد: (شهد العقبة وهو صغير).

وفي «السِّير» للذهبي: (كان ممن شهد بيعة العقبة، وكان شاباً من أقران جابر في السن).

قلت: قد حضر جابر العقبة مع أبيه، وكان سنُّه إذ ذاك زهاءَ خمس عشرة سنة.

مشاهده:

شهد مع رسول الله ﷺ أُحْدَاً وما بعدها من المشاهد. واختلفوا في شهوده بدرًا:

فجمهور أهل العلم بالسِّير أنه لم يشهد وقعة بدر، قاله موسى بن عُقبة عن الزهري، وهو قول ابن إسحاق، والواقدي، وتلميذه ابن سعد، ويحيى بن معين، وابن حبان، والإسماعيلي، واختاره الخطيب البغدادي، وابن عبد البر وصححه، وتابعهم ابن عساكر، والذهبي وابن كثير وقالوا إنه الصحيح.

(١) مادة «جلد» ٢٨٥/١.

وقال شعبة عن الحكم بن عُتَيْبَةَ: كان أبو مسعود بدرياً. وبذلك قال ابن الكلبي، ومسلم، وجزم به البخاري واستدل بأحاديث أخرجهما في «صحيحه» في بعضها التصريح بأنه شهدها، واختاره أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَام، وابن البرقي، ورجَّحه الحافظ في «تهذيب التهذيب» و«الفتح».

واستدل ابن حجر بما في «البخاري» من حديث عُرْوَةَ بن الزبير قال: (أَخْرَ الْمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ العَصْرَ، وهو أميرُ الكوفةِ، فدخلَ أبو مسعودِ عُقْبَةَ بن عَمْرُو الأنصاريُّ، جدُّ زيدِ بنِ حَسَنِ، شهدَ بدرًا) الحديث. فقال معقَّباً على قوله في الحديث «شهد بدرًا»: (الظاهر أنه من كلام عروة بن الزبير، وهو حُجَّةٌ في ذلك لكونه أدرك أبا مسعود، وإن كان روى عنه هذا الحديث بواسطة). ثم قال: (والقاعدة أن المُثَبِّتِ مقدَّم على النافي).

وقال العلامة المحدث أحمد شاكر: (والمخالفون إنما يحتجُّون بقول ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وغيرهم، وهذا إثباتٌ يقدِّم على النفي، وهو بإسنادٍ صحيح متصل، والنَّفْيُ إنما جاء عن متأخِّرين عن المَثْبُوتِ)^(١).

قلت: وقد وقفت على حديث آخر فيه التصريح بأنه شهدها، نص على ذلك التابعي عامر بن سعد البجلي، وهو ممن يروي عن أبي مسعود:

عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد قال: (دخلتُ على قَرظَةَ بنِ كَعْبِ وأبي مسعود الأنصاريِّ في عُرْسٍ، وإذا جوارٍ يُغَنِّينَ، فقلتُ: أنتما صاجِبَا رسولِ اللهِ ﷺ، ومن أهلِ بَدْرٍ؛ يُفعلُ هذا عندكم! فقالا: اجلسْ إن شئتَ فاسمَعْ مَعَنَا، وإن شئتَ اذهبْ، قد رُحِّصَ لنا في اللُّهُوِ عندَ العُرْسِ)^(٢).

فالصحيح أن أبا مسعود شهد بدرًا، ونسبته «البدري» لأنه حضر الواقعة.

(١) الباعث الحثيث: ٢٢٩ - ٢٣٠، النوع الثامن والخمسون.

(٢) أخرجه النسائي - واللفظ له - والحاكم، وحسنه الألباني وعبد القادر الأرناؤوط.

مع النبي ﷺ:

صحب أبو مسعود رسول الله ﷺ، وصلى خلفه، وشهد مشاهدته، وسمع منه، ونقل بعضاً من وقائع أيامه، والمواقف التي حدثت في زمن الدعوة المباركة.

● ● عن أبي معمر، عن أبي مسعود قال: (كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «اسْتَوْوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلَفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلْبِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشدَّ اختلافاً)^(١).

وعن قيس بن أبي حازم، عن أبي مسعود الأنصاري قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة، من أجل فلان مما يطيل بنا فيها. قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشدَّ غضباً في موعظة منه يومئذ، ثم قال: «أيها الناس، إن منكم مُتَفَرِّينَ، فأيكم ما صلى بالناس فليؤجر، فإن فيهم الكبير والضعيف وذو الحاجة»)^(٢).

وعن أبي مسعود قال: (أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلّي عليك، يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمئنا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد؛ كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد، وعلى آل محمد؛ كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ. والسلام كما قد علمتم»)^(٣).

(١) أخرجه أحمد والطيالسي في «مسنديهما»، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وهذا لفظ مسلم.

(٢) أخرجه أحمد، والطيالسي، والشيخان، وابن ماجه، والدارمي، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه مالك، ومسلم - واللفظ له - والنسائي، وأبو داود، والترمذي، والدارمي. و«بشير بن سعد»: هو والد الثعمان بن بشير، رضي الله عنهما.

● ● عن عمرو بن ميمون الأودي، عن أبي مسعود البدري: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّغَلْبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يقرأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ كُلِّ لَيْلَةٍ! قُلْنَا: وَمَنْ يَطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «قُلُّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثَلَاثُ الْقُرْآنِ»^(١)).

وعن أبي الجهم، عن أبي مسعود الأنصاري قال: (بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ سَاعِيًا، ثُمَّ قَالَ: «انْطَلِقْ أَبَا مَسْعُودٍ، وَلَا أَلْفَيْتَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَجِيءُ وَعَلَى ظَهْرِكَ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ لَهُ رُغَاءٌ قَدْ غَلَّتَتْهُ»! قَالَ: إِذَا لَا أَنْطَلِقُ. قَالَ: «إِذَا لَا أُكْرِهُكَ»^(٢)).

● ● عن أبي عمرو الشَّيْبَانِي، عن أبي مسعود الأنصاري قال: (جاء رجلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»^(٣)).

وعن قيس بن أبي حازم، عن أبي مسعود قال: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعِدُ فَرَائِضُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هُوَ عَلَىكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»^(٤)).

سيرته وشمائله:

كان أبو مسعود رضي الله عنه واحداً من سادات الصحابة، سيِّداً جليلاً، ملتزماً بكتاب الله، متبعاً هدي النبوة، قوياً شجاعاً، قوياً بالحق، أماراً بالمعروف،

(١) أخرجه الطيالسي - واللفظ له - وأحمد، وابن ماجه نحوه. قال في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود، وحسنه المنذري، وعبد القادر الأرناؤوط، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم - واللفظ له - والنسائي، والدارمي، واستدركه الحاكم. وقوله (مخطومة): أي فيها خطام، وهو قريب من الزمام.

(٤) أخرجه ابن ماجه، وقال في «الزوائد» هذا إسناد صحيح. وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وعنده: (أَنَّ رَجُلًا كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ) فذكره. و (الْفَرَائِصُ): واحدها فَرِيصَةٌ، لحمه بين الكَيْفِ وَالصُّدْرِ تَرْتَعِدُ عِنْدَ الْفَرْعِ. و «الْقَدِيدُ»: اللحم المملح المجفف في الشمس.

نَهَاءَ عَنِ الْمُنْكَرِ، جَرِيئاً فِي ذَلِكَ، حَمِيَّ الْأَنْفِ، عَزِيْزَ النَّفْسِ، يَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ.

● ● عن أبي وانل، عن أبي مسعود قال: (لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِثَاءً! فَتَلَّتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (الآية) (١). لفظ البخاري (٢).

وفي رواية النسائي: عن شقيق عن أبي مسعود قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالصَّدَقَةِ، فَمَا يَجِدُ أَحَدُنَا شَيْئاً يَتَصَدَّقُ بِهِ، حَتَّى يَنْتَلِقَ إِلَى السُّوقِ، فَيَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَجِيءَ بِالْمُدِّ، فَيُعْطِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِنِّي لَأَعْرِفُ الْيَوْمَ رَجُلًا لَهُ مِئَةٌ أَلْفٍ، مَا كَانَ لَهُ يَوْمئِذٍ دَرَاهِمٌ)!

وفي رواية أخرى للبخاري عن شقيق، عن أبي مسعود قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ، فَيَخْتَالُ أَحَدُنَا حَتَّى يَجِيءَ بِالْمُدِّ، وَإِنَّ لِأَحَدِهِمُ الْيَوْمَ مِئَةَ أَلْفٍ! كَأَنَّهُ يُعْرَضُ بِنَفْسِهِ).

قال الحافظ في «الفتح»: (قوله: (كَأَنَّهُ يُعْرَضُ بِنَفْسِهِ): هُوَ كَلَامُ شَقِيقِ الرَّاوِي عَنِ أَبِي مَسْعُودٍ، يَبْنِيهِ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ إِسْحَاقِ، فَقَالَ فِي آخِرِهِ: (وَإِنَّ لِأَحَدِهِمُ الْيَوْمَ لِمِئَةِ أَلْفٍ. قَالَ شَقِيقُ: كَأَنَّهُ يُعْرَضُ بِنَفْسِهِ). وَكَذَا أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَزَادَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: (قَالَ الْأَعْمَشُ: وَكَانَ أَبُو مَسْعُودٍ قَدْ كَثُرَ مَالُهُ). قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: يَرِيدُ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي زَمَنِ الرَّسُولِ يَتَصَدَّقُونَ بِمَا يَجِدُونَ، وَهَؤُلَاءِ مُكْتَبِرُونَ وَلَا يَتَصَدَّقُونَ. كَذَا قَالَ، وَهُوَ بَعِيدٌ. وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ

(١) سورة التوبة: الآية ٧٩.

(٢) أخرجه الشيخان، والنسائي، وابن ماجه، والطيالسي.

المنير: مراده أنهم كانوا يتصدَّقون مع قلَّة الشيء، ويتكلَّفون ذلك، ثم وسَّع الله عليهم فصاروا يتصدَّقون من يُسرِّ ومع عَدَم خشية عُسر. قلتُ: ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على الصدقة الآن - لسهولة مأخذها بالتوشع الذي وسَّع عليهم - أولى من الحرص عليها مع تكلفهم. أو أراد الإشارة إلى ضيق العيش في زمن الرسول، وذلك لقلَّة ما وقَّع من الفُتوح والغنائم في زمانه، وإلى سعة عيشهم بعده لكثرة الفُتوح والغنائم). انتهى.

● ● عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: قال أبو مسعود البدري: (كنتُ أُضربُ غلاماً لي بالسَّوطِ، فسمعتُ صوتاً من خلفي: «اعلم أبا مسعود! فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مِنِّي، إذا هو رسولُ الله ﷺ، فإذا هو يقولُ: «اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود!» قال: فألقيتُ السَّوطَ من يدي. فقال: «اعلم أبا مسعود، أنَّ اللهَ أقدَرُ عليكِ مِنكَ على هذا الغُلامِ». قال: فقلتُ: لا أُضربُ مملوكاً بعده أبداً).

وفي رواية أخرى عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي مسعود الأنصاري قال: (كنتُ أُضربُ غلاماً لي، فسمعتُ من خلفي صوتاً: «اعلم أبا مسعود! لله أقدَرُ عليكِ مِنكَ عليه». فالتفتُ فإذا هو رسولُ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، هو حُرٌّ لوجهِ الله. فقال: «أما لو لم تفعلْ؛ لَلْفَحْتِكَ النارُ، أو لَمَسَّتِكَ النارُ»^(١)).

● ● وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: (كنتُ رجلاً عزيزَ النفس، حميَّ الأنف، لا يَسْتَقِلُّ مِنِّي أحدٌ شيئاً، سلطانٌ ولا غيره، فأصبح أمرائي يُخَيِّرُونِي بين أن أقيمَ على ما أرغَمَ أنفي وقبَحَ وجهي، وبين أن آخذَ سيفي فأضربَ به، فأدخلَ النار! وأنا أختارُ أن أقيمَ على ما أرغَمَ أنفي وقبَحَ وجهي، ولا آخذَ سيفي فأضربَ به، فأدخلَ النار)^(٢).

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، ولفظ الروایتين لمسلم.

(٢) أخرجه ابن عساکر، وذكره الذهبي في «السِّيَر»، وقال شعيب: رجاله ثقات. ووقع في =

والي الكوفة، وموقفه من الفتنة:

قال ابن سعد في ترجمة أبي مسعود من «الطبقات»: (نزل الكوفة، فلما خرج عليّ إلى صفين استخلفه على الكوفة، ثم عزله عنها).

وقال خليفة: (استعمل عليّ - لما حارب معاوية - على الكوفة أبا مسعود).

وقال الخطيب في «تاريخه»: (ابتنى بالكوفة داراً في سوق المراضيع).

فهو رضي الله عنه لم يحضر تلك الحروب، وقد مرّ قوله: (وأنا أختار أن أقيم على ما أزعّم أنفي وقبح وجهي، ولا آخذ سنيي فأضرب به، فأدخل النار).

● ● وقد كان يتمنى أن يكون هناك صلح بين المسلمين، وتُحقن دماء

الطرفين:

أخرج ابن عساكر عن الشَّعْبِيِّ قال: (لما خرج عليّ إلى صفين، استخلف أبا مسعود على الكوفة، وكان رجال من أهل الكوفة استخفوا، فلما خرج ظهروا، فكان ناسٌ يأتون أبا مسعود فيقولون: قد والله أهلك الله أعداءه، وأظهر أمير المؤمنين! فيقول أبو مسعود: إني والله ما أعدّه ظفراً ولا عافية أن تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى. قالوا: فَمَه؟ قال: يكون بين القوم صلح. فلما قدم عليّ ذكروا ذلك له، فقال له عليّ: اعتزل عملنا. قال: وذلك مِمَّ؟ قال: إنا وجدناك لا تعقل عقلة. قال: أمّا أنا فقد بقي من عقلي أن الآخر شر).

● ● وعن حَيْثَمَةَ بن عبد الرحمن قال: (لما خرج عليّ إلى صفين استخلف عقبة بن عمرو أبا مسعود على الكوفة، قال: وقد تحبباً رجالاً لم يخرجوا مع عليّ. قال: فقام على المنبر فقال: يا أيُّها الناس، مَنْ كان تحبباً فليظهر، فَلَعَمْرِي لئن كان إلى الكثرة، إن أصحابنا لكثير، وما نعدّه فتحاً أن يلتقي هذان الخيلان غداً من المسلمين، فيقتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، حتى إذا لم يبق إلا رجرجة من هؤلاء وهؤلاء ظهرت إحدى الطائفتين غداً على الأخرى؛ ولكن نعدّه فتحاً أن

يَأْتِي اللَّهَ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ يَحْقِنُ دِمَاءَهُمْ، وَيُصْلِحُ بِهِ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَيُصَلِّحُ بِهِ
كَلِمَتَهُمْ^(١).

● ● عن أَبِي الشَّعْثَاءِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، فَقُلْنَا لَهُ: اعْهَدْ إِلَيْنَا. فَقَالَ: (عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَلُزُومِ جَمَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يَجْمَعَ جَمَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ. وَإِيَّاكُمْ
وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاخَ مِنْ
فَاجِرٍ)^(٢).

وعن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ يُسَيْرٍ^(٣) بْنِ عَمْرٍو: (أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي مَسْعُودٍ:
إِنَّهُ كَانَ لِي صَاحِبَانِ، كَانَ مَفْرَعِي إِلَيْهِمَا: حَذِيفَةُ وَأَبُو مُوسَى، وَإِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهَ إِنْ
كُنْتَ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً فِي الْفِتْنِ؛ إِلَّا حَدَّثْتَنِي، وَإِلَّا اجْتَهَدْتَ لِي
رَأْيَكَ. قَالَ: فَحَمَدَ اللَّهَ أَبُو مَسْعُودٍ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ بِعُظْمِ أُمَّةِ
مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَجْمَعَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا، وَاصْبِرُوا حَتَّى
يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ)^(٤).

علمه ومروياته:

قال الذهبي في ترجمته من «السير»: (روى أحاديث كثيرة، وهو معدود في
علماء الصحابة).

(١) أخرجه ابن عساكر، وذكره الذهبي في «السير» و«تاريخ الإسلام». ووقعت كلمة (فتحا) في السير: (قبحاً)؛ وهو تحريف يقرب المعنى! وكلمة (الخيلا): جاءت في السير (الجيلان)، وفي التاريخ: (الحيان). ومعنى (رجرجة): رذالة الناس ورعاعهم الذين لا عقول لهم.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) في «المستدرک» و«سير أعلام النبلاء»: «بشير بن عمرو»، وهو تصحيف.

(٤) أخرجه الحاكم - واللفظ له - وصححه ووافقه الذهبي، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» ١/ ٤٥٠، وابن عساكر.

وقال في «تاريخه»: (كان من الفقهاء).

عن ابن سيرين قال: قال عمر لأبي مسعود: (نُبِئْتُ أَنَّكَ تُفْتِي النَّاسَ، وَلَسْتَ بِأَمِيرٍ! فَوَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا)^(١).

● ● وقد أفنى الناس، وعلمهم، وحدثهم، وسألوه وأجابهم، وكانت له حلقة، وكان متحرِّياً في الفتوى، متتداً فيها، ويكره التسرع إلى الحكم والقضاء.

عن عبد الرحمن بن بشر الأنصاري الأزرق قال: (دخل رجلان من أبواب كِنْدَةَ، وأبو مسعود الأنصاري جالسٌ في حَلَقَةٍ، فقالا: أَلَا رَجُلٌ يُنْقِذُ بَيْنَنَا؟ فقال رجلٌ مِنَ الحَلَقَةِ: أنا. فأخذ أبو مسعود كَفًّا من حَصَى فَرَمَاهُ بِهِ، وقال: مَهْ؛ إنه كان يُكْرَهُ التسرعُ إلى الحكم)^(٢).

وعن سالم البرّاد قال: (أَتَيْنَا عَقَبَةَ بنِ عَمْرِو الأنصاري أبا مسعود، فقلنا له: حَدِّثْنَا عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ. فقامَ بين أيدينا في المسجد، فكَبَّرَ، فلما رَكَعَ وضعَ يديه على رُكْبتيه وجعلَ أصابعه أسفلَ من ذلك، وجافى بين مِرْفَقَيْهِ، حتى استقرَّ كلُّ شيءٍ منه، ثم قال: سمعَ الله لمن حمده، فقامَ حتى استقرَّ كلُّ شيءٍ منه، ثم كَبَّرَ وسجدَ ووضعَ كَفَيْهِ على الأرض ثم جافى بين مِرْفَقَيْهِ حتى استقرَّ كلُّ شيءٍ منه، ثم رفعَ رأسه فجلسَ حتى استقرَّ كلُّ شيءٍ منه، ففعلَ مثلَ ذلك أيضاً، ثم صلى أربعَ رَكَعاتٍ مثلَ هذه الرُّكْعَةِ، فصلَّى صلاتَهُ، ثم قال: هَكَذَا رأينا رسولَ الله ﷺ يصلي)^(٣).

- (١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم»، وابن عساكر في «تاريخه». وقوله (وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا) من تولى قارَّها): قال ابن الأثير: جعل الحرَّ كناية عن الشرِّ والشدة، والبرِّد كناية عن الخير والهين. أراد: ولِّ شرَّها مَنْ تَوَلَّى خَيْرَها، وَوَلِّ شَدِيدَها مَنْ تَوَلَّى هَيْئَها.
- (٢) أخرجه أبو داود، قال عبد القادر الأرناؤوط والألباني: إسناده ضعيف.
- (٣) أخرجه الطيالسي في «مسنده»، وأبو داود - وهذا لفظه - والنسائي. قال عبد القادر الأرناؤوط: حديث حسن. وقال الألباني: صحيح.

وعن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة، عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ». قال عبدُ الرحمن: فَلَقِيتُ أبا مسعودٍ وهو يَطُوفُ بالبَيْتِ، فسألته فحدَّثنيهِ^(١).

● ● روى أبو مسعود حديثاً كثيراً، ونشر علمه في الكوفة.

قال الخطيب: (سكن الكوفة، وحُفِطَ عنه الحديثُ بها).

روى عن النبي ﷺ.

وحدَّث عنه: ابنه بشير، وعبد الله بن يزيد الخَطْمِيُّ الصحابي، وأوس بن صَمْعَج، وثعلبة بن زهدم، وربيعي بن جِراش، وسالم البرّاد، وشقيق بن سلمة، وعامر بن سعد البجلي، وعبد الرحمن بن يزيد النَّخَعِيُّ، وعلقمة بن قيس النَّخَعِيُّ، وعمرو بن ميمون الأودي، وقيس بن أبي حازم، وي زيد بن شريك التيمي، وأبو الأخوص الجُشمي، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وآخرون.

● ● روت له كتب السنة عن النبي ﷺ مئة حديث وحديثين، اتفق الشيخان منها على تسعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بسبعة.

من أخباره الشخصية:

● ● أمه: سلمى بنت عامر بن عوف بن عبد الله، من قضاة. وقيل: سلمى بنت عازب.

● ● زوجه هزيمة بنت ثابت بن ثعلبة الخزرجية الأنصارية: تزوجها الحارث بن ثابت بن حارثة بن ثعلبة، ثم خلفَ عليها أبو مسعود، ثم خلفَ عليها عبد الرحمن بن ساعدة بن الأشيم.

(١) أخرجه الستة إلا النسائي، واللفظ للبخاري.

قال ابن سعد: (أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ).

زوجه أم الحَكَم - وقيل: أم حَكِيم - بنتُ عبد الرحمن بن مسعود بن ثعلبة الأنصارية: قال ابن سعد: (أسلمت أمُّ الحَكَم وبايعت رسول الله ﷺ).

● ● ابنه بشير: قال الحافظ في «التقريب»: (له رؤية). وقال في «الفتح»: (تابعي جليل، ذكر في الصحابة لكونه ولد في عهد النبي ﷺ ورآه).

وترجم له في «الإصابة» في (القسم الثاني من حرف الباء - ذُكر من له رؤية)، فقال: (جزم البخاريُّ والعجليُّ ومسلمٌ وأبو حاتم وغيرهم بأنه تابعي. وقيل: إنه وُلِدَ في حياة النبي ﷺ، وقيل: بل وُلِدَ بعده، ذكر ذلك ابن خَلْفُون. وقد جزم ابنُ عبد البر في «التمهيد» بأنه وُلِدَ على عهد النبي ﷺ).

ابنته أم بشير:

تزوَّجها سَعِيد بن زيد، ثم كانت عند الحَسَن بن عليّ بن أبي طالب، ثم بعد الحسن عند عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة.

وقد انقرضَ عَقْبُ أبي مسعود، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ. قاله ابن سعد.

وفاته:

● ● اختلف في وقت وفاته على أقوال:

فقال خليفة: مات أبو مسعود قبل الأربعين. وقال ابن قانع: سنة تسع وثلاثين. وقال المدائني وغيره: سنة أربعين. وإليه نحا الذهبي في «العبر» و«الإعلام بوفيات الأعلام».

وقيل: سنة إحدى وأربعين، أو اثنتين وأربعين، في أول خلافة معاوية.

وقال الواقدي والهيثم بن عدي: توفي في آخر خلافة معاوية.

والذي رجحه الحافظ في «الإصابة» أنه مات بعد سنة أربعين، قال: (فقد

ثبت أنه أدرك إمارة المُغيرة على الكوفة، وذلك بعد سنة أربعين قطعاً).

وأشار ابن حجر بذلك إلى ما وقع لأبي مسعود مع المُغيرة، وإنكاره عليه تأخير صلاة العصر، وكان المغيرة إذ ذاك أميراً على الكوفة من قِبَل معاوية بن أبي سفيان.

قلت: ويؤيد ما ذهب إليه الحافظ، ما أخرجه ابن سعد في (ترجمة سعيد بن جبيرة)؛ قال ابن سعد: (أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا همام بن يحيى، عن محمد بن جُحادة، عن أبي مَعْشَر، عن سعيد بن جبيرة قال: رأني أبو مسعود البدرئي في يوم عيد ولي ذؤابة، فقال: يا غلام - أو: يا عَلِيْم - إنه لا صلاة في مثل هذا اليوم قبل صلاة الإمام، فَصَلَّ بعدها ركعتين وأطل القراءة).

وسعيد بن جبيرة استشهد سنة (٩٥هـ)، عن سبع وخمسين سنة؛ فيكون مولده سنة (٣٨هـ) على وجه التقريب.

وأبو مسعود قد رأى سعيداً وهو غلام يفهم الخطاب، فيكون ذلك بعد سنة أربعين قطعاً.

● ● وكانت وفاته رضي الله عنه بالمدينة، قال ابن سعد: (فلما خرج عليٌّ إلى صِفِّين، استخلفه على الكوفة، ثم عزله عنها، فَرَجَعَ أبو مسعود إلى المدينة، فمات بها).

وقيل: مات بالكوفة.

* * *

(١٤) ١٤ عبد الله بن سلام^(١)

... - ٤٣ هـ

(١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٨٧ - ١٣٨٨، ١٤٢٣ - ١٤٢٤، ١٤٣٣، صحيح مسلم ٤/١٩٣٠ - ١٩٣٢، سنن الترمذي ٥/٦٧٠ - ٦٧١، مسند أحمد ٥/٤٥٠، مسند أبي يعلى ١٣/٤٨٠ - ٤٨٨، المستدرك ٣/٤١٣ - ٤١٦، جامع الأصول ٩/٨١ - ٨٥، المشكاة ٣/١٧٤٩ - ١٧٥٠، ١٧٥٧، تحفة الأشراف ٤/٣٥٢ - ٣٥٨، مجمع الزوائد ٩/٣٢٦ - ٣٢٧، فتح الباري ٧/١٢٨ - ١٣١، ٢٤٩ - ٢٥٣، ٢٧٢ - ٢٧٤، ٣٩٧/١٢ - ٣٩٩، سيرة ابن هشام ١/٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥٥٧، طبقات ابن سعد ٢/٣٥٢ - ٣٥٣، تاريخ يحيى بن معين ٢/٣١١، طبقات خليفة ٨، تاريخ خليفة ٥٦، ٢٠٦، التاريخ الكبير للبخاري ٥/١٨ - ١٩ ت ٢٩، التاريخ الصغير له ١/٩٨، ٩٩، ١١٩، ٢٣١، المعرفة والتاريخ للقسوي ١/٢٦٤، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٦٨، ٥٥١، ٦٢١، ٣/١٧٠، ٣٣٨، ٤٠٠، ٤٧٦، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٤٠٣، ٤٤٨، ٦٤٩، الجرح والتعديل ٥/٦٢ - ٦٣ ت ٢٨٨، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٣٦ ت ٥٢، تاريخ الصحابة له ١٥٦ - ١٥٧ ت ٧٤٩، الثقات له ٣/٢٢٨، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير ٢٧، ٥٧، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/٣٩٠ ت ٥٥٠، جوامع السيرة لابن حزم ٩٧، ١٥٤، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٢١، الاستيعاب ٢/٣٧٤ - ٣٧٥، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/٢٤١ ت ٨٨٤، صفة الصفوة ١/٧١٨ - ٧٢١، أسد الغابة ٣/١٧٦ - ١٧٧، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٧٠ - ٢٧١ ت ٣٠٤، مختصر ابن عساكر لابن منظور ١٢/٢٤٦ - ٢٥٣، تهذيب الكمال ١٥/٧٤ - ٧٥ ت ٣٣٢٧، تاريخ الإسلام - المغازي ٣٢ - ٣٤، عهد معاوية ٧٤ - ٧٦، العبر ١/٣٧، دول الإسلام ٣٠، الكاشف ٢/٨٥ ت ٢٨٠، تذكرة الحفاظ ١/٢٦ - ٢٧، المعين في طبقات المحدثين ٢٣ ت ٧٦، سير أعلام النبلاء ٢/٤١٣ - ٤٢٦، البداية والنهاية ٣/٢١٠ - ٢١٢، ٦/٢٢٤ - ٢٢٥، ٨/٢٧، الإصابة ٢/٣١٢ - ٣١٣، تهذيب التهذيب ٥/٢١٩ - ٢٢٠، تقريب التهذيب ١/٤٢٢، الرياض المستطابة ١٩٣ - ١٩٤، خلاصة تهذيب التهذيب ٢٠٠، شذرات الذهب ١/٤٠ - ٤١، ٥٣، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام».

اسمه ونسبه ونسبته، وكنيته:

عبد الله بن سَلَام بن الحارث، الإسرائيلي نسباً، الأنصاريُّ الخَزْرَجِيّ حِلْفاً.
يُكْتَبَى أبا يوسف، كُنِيَ بابنه يوسف.

كان اسمه في الجاهلية: الحُصَيْن، فسماه النبي ﷺ عبد الله.

أخرج ابن ماجه عن ابن أخي عبد الله بن سَلَام، عن عبد الله بن سَلَام قال:
(قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، وليس اسمي عبدَ الله بن سَلَام فسَماني رسولُ الله ﷺ
عبدَ الله بنَ سَلَام)^(١).

وفي «سنن الترمذي» عن ابن أخي عبد الله بن سَلَام، عن عبد الله بن سَلَام
قال: (إنَّهُ كان اسمي في الجاهلية فلان، فسَماني رسولُ الله ﷺ عبدَ الله)^(٢).
وقد ذكر ذلك غير واحد ممن ترجم له.

وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ، من بني
قَيْنُقَاع، وكان حَبْرَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ.

وكان من حلفاء القَوَاقِلَةِ^(٣) من بني عَوْف بن الخَزْرَج من الأنصار.

إسلامه:

له إسلام قديم، أسلم أول ما دخل النبي ﷺ المدينة، وغَلِطَ من قال: إنه
أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بعامين.

عن زُرَّارَةَ بنِ أَوْفَى، عن عبد الله بن سَلَام قال: (لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ

(١) قال الألباني في «ضعيف ابن ماجه»: منكر ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي في حديث طويل، وقال: حديث غريب.

(٣) قيل لهم: القَوَاقِلَةُ، لأنَّهم كانوا إذا استجارَ بهمُ الرجلُ، دَفَعُوا له سَهْمًا، وقالوا له: قَوْلُ
به يثربُ حيثُ شئتَ. أي: اذهب حيثُ شئتَ، وقُلْ ما شئتَ، فإنَّ لك الأمانَ، لأنَّك في
ذمَّتِي.

المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قديم رسول الله ﷺ. فجتت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء تكلم به، أن قال: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(١).

أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مُردفُ أبا بكرٍ... فقيل في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، جاء نبي الله، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام، وهو في نخل لأهله يخترِف لهم، فعجل أن يضع الذي يخترِف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله ﷺ، ثم رجع إلى أهله. فقال نبي الله ﷺ: «أي بيوت أهلنا أقرب». فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي، قال: «فأنطلق فهبيء لنا مقبلاً». قال: فوما على بركة الله، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنتك جئت بحق، وقد علمت يهود أنني سيدهم وأبن سيدهم، وأعلمهم وأبن أعلمهم، فادعهم فأسألهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا في ما ليس في. فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقًا، وأني جئتكم بحق، فأسلموا». قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار، قال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام». قالوا: ذلك سيدنا وأبن سيدنا، وأعلمنا وأبن أعلمنا قال: «أفرأيتم إن أسلم». قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: «أفرأيتم إن أسلم». قالوا حاشى لله ما كان ليسلم، قال: «أفرأيتم إن

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه - واللفظ له - والدارمي، والحاكم، وقال الترمذي: حديث صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الذهبي - أيضاً - في تاريخ الإسلام.

أَسْلَمَ». قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «يَا بَنَ سَلَامٍ أَخْرِجْ عَلَيْهِمَ». فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ. فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ).

وفي رواية أخرى للبخاري، عن أنس:

«أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَسْيَاءَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ أَنْفَاءً». قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ: فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ». قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتُوا، فَسَأَلْتُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ». قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرُّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ).

وثمة رواية شاذة تذكر أنه أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بعامين:

قال الذهبي في «السير»: (وروى قيس بن الربيع - وهو ضعيف - عن عاصم، عن الشعبي قال: أسلم عبد الله بن سلام قبل وفاة رسول الله ﷺ بعامين. فهذا قول شاذ مردود بما في «الصحیح»، من أنه أسلم وقت هجرة النبي ﷺ وقدمه).

وقال الحافظ في «الإصابة»: (وقيل: تأخر إسلامه إلى سنة ثمان، قال

قيسُ بن الربيع: عن الشَّعْبِيِّ قال: أسلمَ عبد الله بن سَلَامٍ قبل وفاة النبي ﷺ بعامين. أخرجه ابن البرقي، وهذا مرسلٌ وقيس ضعيف).

إسلام أهل بيته:

جاء في رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن سَلَامٍ قال: (لما سمعتُ برسول الله ﷺ، عرفتُ صِفَتَهُ واسمَهُ، وزمانَهُ الذي كُنَّا نتوَكَّفُ له، فكنتُ مُسِرًّا لذلك، صامتاً عليه، حتى قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، فلما نزلَ بِقُبَاءِ، في بني عَمْرٍو بن عَوْفٍ، أقبلَ رجلٌ حتى أخبرَ بِقُدُومِهِ، وأنا في رأسِ نخلةٍ لي أعملُ فيها، وَعَمَّتِي خالدةُ بنت الحارثِ تحتي جالسة. فلما سمعتُ الخبرَ بِقُدُومِ رسولِ الله ﷺ كَبَّرْتُ، فقالتُ لي عَمَّتِي، حين سمعتُ تكبيرِي: خَيِّكَ اللَّهُ، واللَّهِ لو كنتُ سمعتُ بموسى بن عِمْرانِ قادمًا ما زِدْتُ! قال: فقلتُ لها: أي عَمَّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعِثَ بما بُعِثَ به. قال: فقالت: أي ابنِ أَخِي، أهُوَ النبيُّ الذي كُنَّا نُخْبِرُ أنه يُبعثُ مع نَفْسِ الساعة؟ قال: فقلتُ لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذا. قال ثم خرجتُ إلى رسولِ الله ﷺ؛ فأسلمتُ، ثم رجعتُ إلى أهلِ بَيْتِي، فأمرتهمُ فَأَسْلَمُوا).

وذكر قصته مع قومه في كذبهم وفجورهم، ثم قال: (فأظهرتُ إسلامي وإسلامَ أهلِ بَيْتِي، وأسلمتُ عَمَّتِي خالدةُ بنتُ الحارثِ، فَحَسُنَ إسلامُها^(١)).

مناقبه

كان عبدُ الله عالمَ أهلِ الكتابِ، وفاضلَهُم في زمانه بالمدينة، من ساداتِ اليهود وأخبارِهِم، مُعَظَمًا عندهم، فلما أسلمَ آسفهم ذلك، فشنؤوه وبهتوه! فأكرمه

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة»، وابن عساکر في «تاريخه». قوله (نتوَكَّفُ): أي نترقَّب ونَتَوَقَّع. وقوله (يُبْعَثُ مع نَفْسِ الساعة): أي يُبْعَثُ ﷺ وقد حَانَ قيامُها وقُرْبُ، إلا أنَّ الله أَّخَّرَها قليلاً، فَبَعَثَهُ في ذلك النَّفْسِ، فأطلق النَّفْسَ على القُرْبِ.

الله سبحانه، ورفع منزلته؛ فكان من خواص أصحاب النبي ﷺ، له فضائل ماثورة، ومناقب جمّة مشهورة.

● ● أخرج الإمام الطبري في «تفسيره» عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، عن ابن عباس: (أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ابْنِ سَلَامٍ، وَتَعْلَبَةَ بِنْتِ سَعْيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ عَيْدٍ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾... الْآيَتَيْنِ)^(١).

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: (انطلق النبي ﷺ وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود، فقال: «يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، يحطُّ الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم»! قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحدٌ. ثم ردّ عليهم، فلم يجبه منهم أحد. فقال: «أبيتم! فوالله لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم». ثم انصرف وأنا معه، حتى كذنا أن نخرج، فإذا رجلٌ من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، فأقبل فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجلٌ أعلم بكتاب الله منك، ولا أفاقه منك، ولا من أهلك قبلك، ولا من جدك قبل أهلك. قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة. فقالوا: كذبت! ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً. فقال رسول الله ﷺ: «كذبتُم، لن يُقبل قولكم؛ أمّا أنفأ فتئتون عليه من الخير ما أنئيتُم، وأمّا إذا آمنَ فكذبتُموه، وقتلتم فيه ما قتلتم، فلن يُقبل قولكم»! قال: فخرَجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وعبد الله بن سلام. وأنزل الله تعالى فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤. وهذا السبب هو المشهور عند كثير من المفسرين.

ومحمد مولى زيد بن ثابت: قال الحافظ في «التقريب»: مجهول.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. والآية من سورة الأحقاف: ١٠.

وأخرج ابن سعد عن عمرو بن قيس، عن عطية في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١)؛ قال: كانوا خمسة منهم: عبد الله بن سلام، وابن يامين،
وثعلبة بن قيس، وأسد، وأسيد).

● ● وجاء من غير وجه أنه رأى رؤيا، فقصّها على النبي ﷺ، فقال له:
«يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى».

عن قيس بن عباد قال: (كنت بالمدينة في ناسٍ فيهم بعض أصحاب
النبي ﷺ، فجاء رجلٌ في وجهه أثرٌ من خُشوعٍ، فقال بعضُ القوم: هذا رجلٌ من
أهل الجنة، هذا رجلٌ من أهل الجنة. فصلّى ركعتين يتجوّز فيهما، ثم خرج،
فاتبّعته، فدخل منزله، ودخلت. فتحدّثنا، فلما استأنس قلت له: إنك لما دخلت
قبل، قال رجلٌ كذا وكذا. قال: سبحان الله! ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم،
وسأحدثك لِمَ ذلك: رأيتُ رؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فقصصتها عليه، رأيتني
في روضةٍ - ذكرَ سعتها وعُشبتها وخضرتها^(٢) - ووسطَ الروضةِ عمودٌ من حديد،
أسفله في الأرضِ وأغلاه في السماء، في أغلاه عُرْوَةٌ. فقيل لي: ازقه. فقلت له:
لا أستطيع. فجاءني منصفٌ - قال ابن عَوْنٍ: والمنصفُ الخادمُ - فقال بشيبي من
خلفي - وصفَ أنه رفعه من خلفه بيده - فرقيتُ، حتى كنتُ في أعلى العمودِ،
فأخذتُ بالعُرْوَةِ، فقيل لي: استمسك. فلقد استيقظتُ وإنها لفي يدي! فقصصتها
على النبي ﷺ فقال: «تلك الروضة الإسلام، وذلك العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك
العروة عروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت».

قال: والرجلُ عبدُ الله بن سلام^(٣).

(١) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

(٢) أي عبد الله بن سلام، الرائي.

(٣) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم واللفظ له. قوله (فقال بشيبي من خلفي): أي فأخذ
بشيبي ورفع. وهذا تعبير عن الفعل بالقول.

وفي رواية للشيخين، عن قيس بن عباد قال: (كنت في حلقة فيها سعد بن مالك، وابن عمر، فمرَّ عبد الله بن سلام، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة)، الحديث. وفي آخره: (فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»).

وَعَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلْقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ. قَالَ: فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا. قَالَ: فَلَمَّا قَامَ قَالَ الْقَوْمُ: مَنْ سَرُّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لَأَتَّبِعَهُ فَلَا أَعْلَمَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ. قَالَ: فَتَبِعْتُهُ. فَانْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ. قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي. فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ يَا بَنَ أَخِي! قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ، لَمَّا قُمْتَ: مَنْ سَرُّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ. قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِنْ قَالُوا ذَلِكَ. إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِجَوَادٍ عَنْ شِمَالِي. قَالَ: فَأَخَذْتُ لِأَخُذُ فِيهَا. فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا، فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ. قَالَ فَإِذَا جَوَادٌ مِنْهُجٌ عَلَى يَمِينِي. فَقَالَ لِي: خُذْ هَهُنَا. فَاتَى بِي جَبَلًا، فَقَالَ لِي: اصْعَدْ. قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ حَرَزْتُ عَلَى اسْتِي. قَالَ: حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا! قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عُمُودًا، رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلْقَةٌ. فَقَالَ لِي: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَلَ بِي، قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ. قَالَ: ثُمَّ صَرَبَ الْعُمُودَ فَحَزَّ. قَالَ: وَبَقِيْتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ حَتَّى أَصْبَحْتُ. قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: «أَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي رَأَيْتُ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طَّرِيقُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ. قَالَ: وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طَّرِيقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَأَمَّا الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ، وَلَنْ تَنَالَهُ. وَأَمَّا الْعُمُودُ فَهُوَ

عَمُودُ الْإِسْلَامِ. وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ. وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ»^(١).

قال الحافظ في «الفتح» في الجمع بين روايتي قيس بن عباد وخرشة بن الحر: (يُجمع بينهما بأنهما قَصَّتَانِ اتَّفَقَتَا لِرَجُلَيْنِ، فكأنه كان في مجلسٍ يتحدَّث - كما في رواية خَرَشَةَ - فلما قام ذاهباً مرَّ على الحَلْقَةِ التي فيها سَعْدُ بن أبي وقاص وابن عُمر، فحَضَرَ ذلك قيسُ بن عباد - كما في روايته -، وكلُّ من خَرَشَةَ وقيسٍ اتَّبَعَ عبدَ الله بن سَلام، ودخلَ عليه منزله، وسأله فأجابَه، ومن ثمَّ اختلفَ الجوابُ بالزيادة والنقص - كما سأبينه - سواء كان زمن اجتماعهما بعبدِ الله بن سلام اتَّحد أم تعدد).

المبشر بالجنة:

شهد رسول الله ﷺ لابن سلام بالجنة، وهو ممن يُقطع له بدخولها، فهنيئاً له! عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: (ما سمعتُ النبي ﷺ يقول لأحدٍ يَمشي على الأرضِ: إِنَّهُ مِن أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لعبدِ الله بن سَلام)^(٢).

وعن عاصم بن بهدلة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِقِصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ، فَأَكَلَ، فَفَضَلَ مِنْهُ فَضْلَةً، فَقَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، يَأْكُلُ هَذِهِ الْفَضْلَةَ». قال سعد: وقد كنتُ تركتُ أخي عُمَيْرَ بنَ أَبِي وَقَاصٍ يَتَهَيَّأُ لِأَن يَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَطَمَعْتُ أَن يَكُونَ هُوَ، فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ سَلام، فَأَكَلَهَا)^(٣).

(١) أخرجه مسلم - واللفظ له - وأحمد، وابن ماجه، واستدرکه الحاكم وصححه وقال: لم يخرجاه! قوله (بجواد): الجواد: جمع جادة، وهي الطريق البيئة المسلوكة. (جواد منتهج): أي طرق واضحة بيئة مستقيمة. (فزجل بي): أي رمى بي.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) أخرجه أحمد - واللفظ له - والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ونسبه الهيثمي في «المجمع» لأحمد وأبي يعلى والبخاري، وقال: فيه عاصم بن بهدلة، وفيه خلاف، وبقية =

وعن يزيد بن عَمِيرَةَ قَالَ: (لما حضرَ معاذُ بنَ جبلَ الموتِ قيلَ له: يا أبا عبد الرحمن، أوْصنا. قال: أَجْلِسُونِي، فقال: إِنَّ العِلْمَ والإيمانَ مكانَهُما، مَنْ ابْتِغَاهُما وَجَدَهُما - يَقولُ ذلكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ - وَالتَّمَسُّوا العِلْمَ عندَ أربعَةِ رَهْطٍ: عندَ عُويمِرِ أبي الدرداءِ، وعندَ سَلْمانِ الفارسيِّ، وعندَ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، وعندَ عبدِ اللهِ بنِ سَلامِ الذي كانَ يهودياً فأسْلَمَ؛ فَإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «إِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةِ فِي الجَنَّةِ»^(١)).

جهاده:

عن أيوب، عن محمد بن سيرين قال: (بُنْتُ أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ سَلامِ قالَ: إن أدركني القتال، وليس لي رَكوبٌ، فأحْمِلُونِي، حتى تَضَعُونِي بينَ الصَّفِّينِ. يعني: قُبالِ الأعماقِ).

وهذا يدل على قوة نفسه، ورباطة جأشه، وشجاعته وحبه للجهاد رضي الله عنه.

لم يشهد أبو يوسف بَدْرًا، ولا أُحُدًا، وشهد الخندقَ وما بعدها.

قال الحافظ في ترجمته من «تهذيب التهذيب»: (ذكره أبو عَرُوبَةَ في البَدْرِيِّينَ، وانفردَ بذلك، وأما ابن سعد فذكره في الطبقة الثالثة ممَّن شهد الخندق وما بعدها).

وقال في «الفتح»: (وزعمَ الدَّوْدِيُّ أَنه كانَ من أهل بدر، وسبَّقه إلى ذلك أبو عَرُوبَةَ، وتفرَّدَ بذلك، ولا يَثْبِت).

= رجالهم رجال الصحيح. ونسبه الحافظ في «الإصابة» - ترجمة عمير - لأحمد وإسحاق، وحسَّن إسناده.

(١) أخرجه الترمذي - واللفظ له - وقال: حسن صحيح غريب، وابن سعد، والبخاري في تاريخه «الكبير والصغير»، والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن عبد البر: حسن الإسناد صحيح، وقال الحافظ: سنده جيد.

وشهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس ، والجابية .
وروى بشر بن شَغاف عن عبد الله بن سلام أنه شهد فتح نَهَاوَنْد .

طرف من سيرته وشمائله :

● ● عن الأوزاعيِّ، عن يحيى بن أبي كثير، حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : (اجْتَمَعْنَا فِتْدَاكِرْنَا، فَقُلْنَا: أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَسْأَلَهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ ثُمَّ تَفَرَّقْنَا، وَهَبْنَا أَنْ يَأْتِيَنَا مِنَّا أَحَدٌ. فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَمَعَنَا، فَجَعَلَ يَوْمِيءٌ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، فَقَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. قَالَ أَبُو سَلْمَةَ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، قَالَ: يَحْيَى: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا أَبُو سَلْمَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا).

وفي رواية: عن الأوزاعيِّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال : (قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِتْدَاكِرْنَا فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ لَعَمَلْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ أَبُو سَلْمَةَ: فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا ابْنُ سَلَامٍ... .) الحديث^(٢).

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: (أَنَّهُ مَرَّ فِي السُّوقِ وَعَلَيْهِ حِزْمَةٌ مِنْ

(١) سورة الصف: الآيتان ١، ٢ .

(٢) أخرجه أحمد، والترمذي، والدارمي، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي . والرواية الأولى للحاكم، والثانية للترمذي . وصَحَّحَ شُعَيْبٌ حَدِيثَ أَحْمَدَ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ .

حَطَب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أَعَنَّكَ اللهُ عن هذا؟ قال: أردتُ أن أَدْمَعَ الكِبْر؛ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنةَ مَنْ في قلبه خردلةٌ من كِبْر»^(١).

وأخرج البخاري عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري: (أتيتُ المدينة، فلقيتُ عبدَ اللهِ بن سلام رضي اللهُ عنه، فقال: أَلَا تجيءُ فأطعمك سويقاً وتمراً وتدخلُ في بيتي! ثم قال: إنك بأرضِ الرِّبَا بها فاش، إذا كان لك على رجلٍ حقٌ، فأهدى إليك حِمْلَ تَيْنٍ، أو حِمْلَ شَعِيرٍ، أو حِمْلَ قَتٍّ؛ فلا تأخذهُ فإنه رِبَا).

وفي رواية أخرى له عن أبي بُرْدَةَ قال: (قدمتُ المدينة، فلقيتني عبدُ اللهِ بن سلام، فقال لي: انطلقْ إلى المنزل، فأسقيك في قَدَحٍ شربَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وتصلني في مسجدٍ صلى فيه النبيُّ ﷺ. فانطلقتُ معه، فأسقاني سويقاً، وأطعمني تمراً، واصلتُ في مسجده).

قال الحافظ في «الفتح»: (قوله «في بيتي». التنوينُ للتعظيم، ووجه تعظيمه أن النبيَّ ﷺ دخلَ فيه. (إنك بأرضي): يعني أرضَ العراق. (الربا بها فاش): أي شائع. (حِمْلَ قَتٍّ): هو عَلفُ الدواب. (فإنه رِبَا): يحتمل أن يكون ذلك رأيَ عبدِ اللهِ بن سلام، وإلا فالفقهَاء على أنه إنما يكون رِبَاً إذا شَرَطَه، نعم الورعُ تركه). انتهى باختصار.

● ● وقد ناصرَ عثمانُ يومَ الدار، ودخلَ عليه ليقاتلَ دونه، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئتُ في نَصْرِكَ. قال: اخرجْ إلى الناسِ فاطرُدْهُمْ عَنِّي؛ فإنك خارجاً خيراً لي منك داخلياً - فخرجَ إلى الفجار الذين حَصَرُوا عثمانَ، فوعظهم، وجدَّهم، فلم ينجحَ فيهم^(٢).

(١) قال المنذري في «الترغيب»: أخرجه الطبراني بإسناد حسن. وقوله (أدمغ): أي أقهر.
(٢) الحديث أخرجه بطوله الترمذي في «مناقب عبد الله بن سلام»، وقال: هذا حديث غريب. وضعفه عبد القادر الأرناؤوط.

وأخرج ابن سعد عن الأعمش، عن أبي صالح قال: سمعتُ عبدَ الله بن سلام يوم قُتل عثمان يقول: (والله لا تُهْرَقون مِخْجَماً من دم؛ إلا أزدَدْتُم من الله بُعداً).

وأخرج عن طاووس قال: (سُئِلَ عبدُ الله بن سلام حين قُتل عثمان: كيف يجدون صفَةَ عثمان في كُتُبهم؟ قال: نَجِدُه أميراً يومَ القيامة على القاتِلِ والخاذِلِ).

● ● وفي خلافة عليّ رضي الله عنه كان ابن سلام يقدم له المشورة والنصيحة، ولما عزم علي على الخروج إلى العراق لمنع أصحاب الجمل من دخول البصرة، عزم ابن سلام عليه أن لا يفعل.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: (وخرج عليّ من المدينة في نحو من تسع مئة مقاتل، وقد لقي عبد الله بن سلام علياً وهو بالربذة، فأخذ يعنان فرسه، وقال: يا أمير المؤمنين، لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً! فسبّه بعض الناس، فقال عليّ: دَعُوهُ، فَنِعَمَ الرجلُ من أصحابِ النبي ﷺ).

وعن عبد الله بن مَعْقَل: أَنَّ عبدَ الله بن سلام قال لعليّ: (لا تأتِ العراق، وعليك بمنبرِ رسولِ الله ﷺ فالزَمْهُ، ولا أدري هل ينجيك، فإن تركته لا تراه أبداً! فقال من حوله: دَعْنَا فَلْنَقْتُلْهُ. فقال عليّ: دَعُوا عبدَ الله بن سلام؛ فَإِنَّهُ مِنَّا رجلٌ صالح) (١).

وعن عليّ رضي الله عنه قال: (أتاني عبدُ الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق. فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها دُبابُ السيف! قال عليّ: وإيمُ الله، لقد سمعتُ النبي ﷺ قبله يقوله) (٢).

(١) أخرجه البيهقي في «المعجم»، وابن عساکر، وقال الحافظ في «الإصابة»: سنده جيد.

(٢) أخرجه الحميدي، والبزار، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم. ونسبه الهيثمي في «المجمع» لأبي يعلى والبزار، وقال: رجال أبي يعلى رجال الصحيح، غير إسحاق بن =

● ● ومن أقواله ما أخرجه الحاكم، عن سعيد بن المسيّب، عن عبد الله بن سلام قال: (إنَّ للمساجد أوتاداً هم أوتادُها، لهم جلساءٌ من الملائكة، فإن غابوا سألوا عنهم، وإن كانوا مرضى عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانواهم)^(١).
علمه ومروياته:

● ● كان عبد الله عالم أهل الكتاب، ومن كبار أبحارهم، كذلك كان من علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

لذا ترى معاذ بن جبل قد أوصى تلامذته بأن يلتمسوا العلم عن أربعة، فذكر ابن سلام منهم.

وأرسل أبو موسى الأشعري ابنه ليتعلم منه، فأخرج عبد الرزاق عن أبي بُرْدَةَ قال: (أرسلني أبي إلى عبد الله بن سلام لأتعلّم منه، فسألني: مَنْ أنت؟ فأخبرته، فرحّب بي).

وقال الحافظ في «الإصابة»: (أخرج ابن عساكر بسند جيد عن أبي بردة بن أبي موسى: أتيتُ المدينة، فإذا عبد الله بن سلام جالس في حلقة متخشعاً، عليه سِيما الخير).

قال ابن حبان في ترجمته من «مشاهير علماء الأمصار»: (كان من فقهاء الصحابة، وعلمائهم بالكُتُب).

وحلّاه الذهبي في «السِّيَر» بقوله: (الإمام الحَبْر). وترجم له في «تذكرة الحفاظ».

● ● روى عن النبي ﷺ.

وروى عنه: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وعبد الله بن حَنْظَلَةَ بن أبي عامر

= أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون. قوله (ذباب السيف): طرف السيف الذي يضرب به.
(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الراهب، وعبد الله بن مُعَقَّل^(١)، وَعُبَادَةُ الرَّزَقِيُّ، وابناه: يوسُف ومحمَّد ابنا عبد الله بن سلام، وابن ابنه حمزة بن يوسف بن عبد الله، وخرشة بن الحر، وعوف بن مالك الأشجعي، وقيس بن عباد الصُّبَعي البصري، وأبو بُرْدَة بن أبي موسى، وعطاء بن يسار، وزرارة بن أوفى، وأبو سعيد المَقْبِري^(٢)، وأبو سلَّمة بن عبد الرحمن، وآخرون.

● ● له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثاً، اتفق الشيخان على حديث، وانفرد البخاري بآخر.
وأخرج حديثه الجماعة.

من أخباره الشخصية:

● ● عمته خالدة بنت الحارث: أسلمت، وحسن إسلامها.

● ● ابنه يوسف: صحابي صغير، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمَّاه يوسف، وأجلَّسه في حضنه.

عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: (سمَّاني النبي ﷺ يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح علي رأسي)^(٣).

قال الحافظ في «التقريب»: (يوسف بن عبد الله بن سلام الإسرائيلي، المدني، أبو يعقوب، صحابي صغير، وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين).

(١) هكذا في تهذيب الكمال، ووقع في «سير أعلام النبلاء» ٤١٣/٢: «عبد الله بن مُعَقَّل»، وقد ذكر المزي في ترجمة «عبد الله بن مُعَقَّل» الصحابي أن له رواية عن ابن سلام، ولم يذكر في ترجمة «عبد الله بن معقل» التابعي أن له رواية عنه؛ فالذي في «السير» تصحيف. انظر تهذيب الكمال ١٦٦٩/١٦، ١٧٤.

(٢) في «سير أعلام النبلاء»: «المُقريء»، وهو تحريف.

(٣) أخرجه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي في «الشمائل»، قال الحافظ في «الفتح»: سنده صحيح.

وقال في ترجمته من «الإصابة»: (ونقل ابنُ أبي حاتم أنه قال لأبيه: ذَكَرَ البخاريُّ أن ليوسف صحبةً؟ فقال أبي: لا، له رؤية. انتهى وكلامُ البخاري أصح، وقد قال البَغَوِيُّ: روى عن النبي ﷺ، وذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من الصحابة).

ابنه محمد بن عبد الله بن سلام.
حفيدة حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام.

وفاته:

اتفقوا على أنه توفي سنة ثلاث وأربعين للهجرة.
قال الحاكم: (توفي عبد الله بن سلام بالمدينة في أقاويل جميعهم، سنة ثلاث وأربعين، في خلافة معاوية).
وقد مات رضي الله عنه على فراشه، وفي هذا تصديقٌ لقوله ﷺ في تعبيره رؤيا ابن سلام: «وأما الجبل: فهو منزلُ الشهداء، ولنُ تنالَه». وهذا من أعلام النبوة.

* * *

(١٥) $\frac{١٥}{١}$ أبو موسى الأشعري^(١)

١٩ق.هـ - ٤٤٤ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ١١٤٢/٣، ١٤٠٧، ١٥٤٦/٤ - ١٥٤٧، ١٥٧١، ١٥٧٣، ١٥٧٨ - ١٥٨٠، ١٩٢٥، صحيح مسلم ٥٤٦/١، ١٣٥٩/٣، ١٩٤٣/٤ - ١٩٤٤، ١٩٤٦ - ١٩٤٧، سنن الترمذي ٦٩٣/٥، سنن النسائي ١٨٠/٢ - ١٨١، مسند أحمد ٣٩١/٤ - ٤١٩، مسند أبي يعلى ١٨٥/١٣ - ٣١٩، المستدرک ٤٦٤/٣ - ٤٦٧، جامع الأصول ٧٩/٩ - ٨١، تحفة الأشراف ٤٠٥/٦ - ٤٧٤، مجمع الزوائد ٣٥٨/٩ - ٣٦٠، فتح الباري ٤٨٤/٧، ٤٨٧، ٤١/٨ - ٤٣، ٤٦ - ٤٧، ٦٠ - ٦٤، ٩٢/٩ - ٩٣، المطالب العالیة ٨٧/٤ - ٨٨، كنز العمال ٦٠٦/١٣، سيرة ابن هشام ٣٢٤/١، ٣٦١/٢، ٤٥٤، ٤٥٧، طبقات ابن سعد ٣٤٤/٢ - ٣٤٥، ٣٥١، ١٠٥/٤ - ١١٦، ١٦/٦، تاريخ يحيى بن معين ٣٢٦/٢، طبقات خليفة ٦٨، ١٣٢، ١٨٢، ٣١٨، تاريخ خليفة «انظر فهرس الأعلام»، التاريخ الكبير للبخاري ٢٢/٥ - ٢٣ ت ٣٥، التاريخ الصغير له ٥٠/١، ٧٦، ١٠٩، ١١٧، ١١٨، ١٢٥، ١٣٤، ١٤٠، المعرفة والتاريخ للفوسوي «انظر فهرس الأعلام»، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١٨٣، ٢٣١، ٦٥٠، ٦٧٠، أخبار القضاة لوكيع ٥٠/١، ٥٠، ٦٥ - ٦٧، ٧٠، ٧٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٥، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٣/٢، ٢٤، ٢٦، ٣٨، ٦٨، ٢٠٦/٣، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ١٣٨/٥ ت ٦٤٢، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٦٥ ت ٢١٦، تاريخ الصحابة له ١٥٤ ت ٧٤١، الثقات له ٢٢١/٣ - ٢٢٢، طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ ٢٣٧/١ - ٢٥٠، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبير ٥٨، ٦٠، ٦٢، رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٣٩٠/١ - ٣٩١ ت ٥٥١، حلية الأولياء ٢٥٦/١ - ٢٦٤، ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ٨٣/١ - ٨٧، جمهرة الأنساب لابن حزم ١٨، ١٢٩، ٣١٨، ٣٩٧ - ٣٩٨، ٤١٢، ٤٣٥، جوامع السيرة له ١٩، ٢٣، ٢٧، ٥٨، ٢٤١، ٢٧٦، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، الاستيعاب ٣٦٣/٢ - ٣٦٥، ١٧٢/٤ - ١٧٤، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢٤١/١ ت ٨٨٥، الأنساب للسمعاني =

اسمه ونسبه ونسبته :

عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن عتار بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر - وهو نبت - بن أدد، أبو موسى الأشعري، اليماني. ويمتد نسبه إلى قحطان.

والأشعري: نسبة إلى أشعر، وهي قبيلة مشهورة من اليمن. والأشعر: هو نبت بن أدد، وإنما لُقّب بالأشعر لأن أمه ولدته وعليه شعر.

كنيته: يكنى بأبي موسى، وموسى أحد أولاده ومن الرواة عنه. وهو مشهور بكنيته واسمه جميعاً، لكن كنيته أكثر.

قومه الأشعريون:

قبيلة الأشعر من قبائل اليمن الكبيرة، كانت تسكن في مأرب، نزحت عندما تهدم سد مأرب إلى السهول الساحلية على البحر الأحمر، والتي تسمى بسهول تهامة، واختلطت مع قبائل مذحج، وديارها في زبيد والمخا.

= ١٦٦/١، صفة الصفوة ١/٥٥٦ - ٥٦٢، أسد الغابة ٣/٢٤٥ - ٢٤٦، ٣٠٨/٥ - ٣٠٩،
الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٦٨ - ٢٦٩
ت ٤٣٠، مختصر ابن عساكر لابن منظور ١٣/٢٣٣ - ٢٥٤، تهذيب الكمال ١٥/٤٤٦ -
٤٥٣ ت ٣٤٩١، تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء «انظر فهرس الأعلام»، عهد معاوية ١٣٩ -
١٤٦، العبر ١/٣٧، دول الإسلام ٣١، معرفة القراء الكبار ١/٣٩ - ٤٠، الكاشف
٢/١٠٦ ت ٢٩٥٤، تذكرة الحفاظ ١/٢٣ - ٢٤، سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠ - ٤٠٢،
الوافي بالوفيات ١٧/٤٠٧ - ٤٠٨، البداية والنهاية ٣/٦٩ - ٧١، ٤/٣٣٨ - ٣٣٩، ٦/٥،
٩٩ - ١٠٠، ٧/٧٦، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٩٣، ١٠٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٣،
٢٣٦، ٢٣٧، ٢٧٧ - ٢٧٨، ٢٨٢ - ٢٨٥، ٤٥٨/٨، ٥٩ - ٦٠، فضائل القرآن لابن كثير
٥٧ - ٥٨، ٧٦، ٧٧ - ٨٧، غاية النهاية ١/٤٤٢ - ٤٤٣، الإصابة ٢/٣٥١ - ٣٥٢، تهذيب
التهذيب ٥/٣١٧ - ٣١٨، تقريب التهذيب ١/٤٤١، الرياض المستطابة ١٨٨ - ١٩١،
شذرات الذهب ١/٢٩، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٦٢، ٦٣، حياة الصحابة
«انظر فهرس الأعلام».

وعندما أسلم الأشعريون، وهاجروا إلى المدينة المنورة، نزلوا في بقيع بَطْحَانَ في جنوب المدينة.

وقد امتدحهم رسول الله ﷺ في أكثر من مناسبة، وصحَّ ذلك في غير ما حديث.

عن حُميد، عن أنس قال: (قال رسول الله ﷺ: «يَفْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدَاً قَوْمٌ هُم أَرْقُ قُلُوبًا لِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ» فقدم الأشعريون، فيهم أبو موسى، فلما دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَزْتَجِرُونَ يَقُولُونَ:

غَدَاً نَلْقَى الْأَجْبَةَ مَحَمَّداً وَحِزْبَهُ

فلما أن قَدِمُوا تصافحوا، فكانوا أَوَّلَ مَنْ أَحَدَثَ الْمَصَافِحَةَ^(١).

وأخرج الشيخان - ولفظهما واحد - عن أبي موسى: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لِأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفَقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ، إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ - أَوْ قَالَ: الْعَدُوَّ -، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي بِأَمْرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ»^(٢).

وأخرجا - أيضاً - عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ افْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». لفظهما متفق.

وعن أبي موسى قال: (كنتُ أنا وأصحابي الذين قَدِمُوا مَعِيَ فِي السَّفِينَةِ

(١) أخرجه أحمد، وعبد بن حُميد، والنسائي في «فضائل الصحابة»، وابن سعد، وابن عساکر. قال شعيب: إسناده صحيح.

(٢) قوله (لم أَرَ مَنَازِلَهُمْ): وذلك حين الغزو، فكان ﷺ يعرف منازلهم من أصواتهم. (تنظروهم): أي تنظروهم.

تُزولاً في بَقِيعِ بُطْحَانَ، والنَّبِيُّ ﷺ بالمدينة، فكانَ يتناوبُ النَّبِيَّ ﷺ عندَ صلاةِ العشاءِ كُلَّ لَيْلَةٍ نَفَرٌ مِنْهُمْ، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَا وَأَصْحَابِي، وَلَهُ بَعْضُ الشُّغْلِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، فَأَعْتَمَمَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى ابْتَهَارَ اللَّيْلُ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ: «عَلَى رِسَالِكُمْ، أَبَشِرُوا، إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ». أَوْ قَالَ: «مَا صَلَّيْتُ هَذِهِ السَّاعَةَ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ» - لَا يَذْرَى أَيُّ الْكَلِمَتَيْنِ قَالَ - قَالَ أَبُو مُوسَى: فَرَجَعْنَا، فَفَرَحْنَا بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١). أَخْرَجَاهُ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

وعن شعبة، عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، سَمِعْتُ عِيَاضَ الْأَشْعَرِيَّ يَقُولُ: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَى». وَأَوْماً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ^(٢).

صِفَتُهُ وَجِلِّيَّتُهُ:

عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ أَنَّهُ وَصَفَ أَبَا مُوسَى فَقَالَ: (رَجُلٌ خَفِيفُ الْجِسْمِ، قَصِيرٌ، أَنْطٌ)^(٣).

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: (رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى دَاخِلاً مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَعَلَيْهِ مَقْطَعَةٌ وَمِظْرَفٌ حِيرِي).

وَأَخْرَجَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَزْمِيِّ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ قَالَ: (أَتَى أَبُو مُوسَى

(١) قوله (ابهار الليل): أي انْتَصَفَ، وَبُهْرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ وَسَطُهُ. (على رسلكم): أمرٌ بِالرَّفْقِ وَالتَّأَنِّي، أَي: تَأَنَّنَا.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَالحَاكِمُ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيرِ»: (الْأَظْهَرُ أَنَّ لِعِيَاضَ بْنَ عَمْرٍو صَحْبَةً، وَلَكِنْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ شُعْبَةَ أَيْضاً (ح)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، كِلَاهِمَا عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِيَاضَ، عَنْ أَبِي مُوسَى). وَقَالَ شُعَيْبٌ: رَجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَالآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ٥٤.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَالحَاكِمُ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ. وَ (الْأَنْطُ): هُوَ الْقَلِيلُ شَعْرَ اللَّحْيَةِ. وَقِيلَ: هُوَ الْخَفِيفُ اللَّحْيَةِ مِنَ الْعَارِضِينَ.

معاوية - وهو بالثُّخَيْلَة^(١) -، وعليه عِمَامَة سَوْدَاء، وَجَبَّة سَوْدَاء، وَمَعَهُ عَصَا سَوْدَاء.

وعن أَبِي بُرْدَةَ بن أَبِي مُوسَى الأشعريّ قال: قال لي أَبِي: (يا بُنَيَّ، لو رأيتنا ونحنُ مع نبيِّنا ﷺ، وقد أصابتنا السماءُ، حَسِبْتَ أَنَّ رِيحَنَا رِيحُ الضَّانِ)^(٢).

قال الترمذي: (ومعنى هذا الحديث: أنهم كانَ ثيابَهُمُ الصوفُ، فإذا أصابهم المطرُ يَجِيءُ من ثيابِهِم رِيحُ الضَّانِ).

وأخرج ابن سعد عن أنس بن مالك قال: (كان أبو موسى الأشعري إذا نام، لَيْسَ تُبَانًا^(٣) عندَ النومِ؛ مَخَافَةَ أن تَنكشَفَ عورتُهُ).

وعنده أن أبا موسى كان يتختمُ بخاتمٍ من حديد.

إسلامه وهجرته:

أجمع كتاب السِّيرِ على أن أبا موسى أسلم بمكة قبل الهجرة النبوية، واختلفوا في كونه من مهاجرة الحبشة أم لا؟

فذكره ابن إسحاق فيهم، ونقل ابن سعد رواية عن شيخه الواقدي أن أبا موسى أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين، ورسول الله ﷺ بخيبر.

وأما موسى بن عقبة، وأبو معشر، وفي رواية عن الواقدي؛ فذكروا أنه ليس ممن هاجر إلى الحبشة.

(١) موضع قرب الكوفة.

(٢) أخرجه أحمد، وابن سعد، وأبو داود - واللفظ له - والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: حديث صحيح. وصححه الألباني وشعيب وعبد القادر الأرنؤوط. ونسبه الهيثمي في «المجمع» للطبراني في «الأوسط»، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الثُّبان: سراويلٌ قصيرةٌ إلى الرُّكبة أو ما فوقها تستر العورة. ووقع في الطبقات: (ثياباً)، تصحيف.

قال ابنُ سعد: أخبرنا محمد بنُ عمر قال: أخبرنا خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: (ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة، وليس له حلفٌ في قريش، وقد كان أسلمَ بمكة قديماً، ثم رجَعَ إلى بلادِ قومه، فلم يزلْ بها حتى قَدِمَ هو وناسٌ من الأشعريين على رسولِ الله ﷺ، فوافقَ قدومهم قدومَ أهلِ السَّفِينَتَيْنِ جعفر وأصحابه من أرضِ الحبشة، ووافقوا رسولَ الله ﷺ بخَيْرٍ، فقالوا: قَدِمَ أبو موسى مع أهلِ السفينتين. وكان الأمرُ على ما ذكرنا أَنَّهُ وافقَ قدومَهُ قدومهم).

قال ابن عبد البر: (والصحيحُ أَنَّ أبا موسى رجَعَ بعد قدومه مئةً، ومُخَالَفَتَهُ مَنْ حالفَ مِنْ بني عَبْدِ شمس، إلى بلادِ قومه، فأقام بها، حتى قَدِمَ مع الأشعريين نحو خمسين رجلاً في سفينة، فألقنَهُمُ الرِّيحُ إلى النَّجَاشِيِّ بأرضِ الحبشة، فوافقوا خروجَ جعفر وأصحابِهِ منها، فأتوا معهم، وقدمتِ السفينتان معاً: سفينة الأشعريين، وسفينة جعفر وأصحابه، على النبي ﷺ في حين فتح خيبر. وقد قيل: إن الأشعريين إذ رَمَتْهُمُ الرِّيحُ إلى النَّجَاشِيِّ أقاموا بها مدةً، ثم خرجوا في حين خروج جعفر، فلهذا ذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرضِ الحبشة. والله أعلم).

أخرج الشيخان عن أبي بريدة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحنُ باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أضغرهم، أحدهما أبو بريدة والآخر أبو رهم، إمَّا قال: في بضع، وإمَّا قال: في ثلاثة وخمسين، أو: أثنى وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينةً، فألقننا سفينتنا إلى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فوافقنا جعفر بنَ أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين أفتتح خيبر، وكان أناسٌ من الناس يقولون لنا، يعني لأهلِ السفينة: سبقتكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنتُ عميس، وهي ممن قَدِمَ معنا، على حفصة زوجِ النبي ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجرت إلى النَّجَاشِيِّ فيمن هاجر، فدخل

عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءَ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ، الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَفَضِّبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْطِي جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضٍ - الْبُعْدَاءِ الْبُغْضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمِ اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا، حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤَدِي وَنُخَافُ، وَسَادَّكَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «فَمَا قُلْتَ لَهُ». قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلَ السَّفِينَةِ - هِجْرَتَانِ». قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونَنِي أَرْسَالًا، يَسْأَلُونَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَغْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي). لفظ البخاري.

وروى أحمد عن ابن مسعود قال: (بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى النِّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْقُطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى^(١))، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ مَطْوَلًا، وَفِيهِ قِصَّةُ جَعْفَرِ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَ النِّجَاشِيِّ.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (فيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مُدْرَجًا من بعض الرواة، والله أعلم).

وقال الحافظ في «الفتح»: (وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم، لأن

(١) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: هذا إسناد جيد قوي وسياق حسن. وقال الحافظ في «الفتح»: إسناده حسن.

المذكور في «الصحيح» أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة، فألقتهُم السفينة بأرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخير. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعته النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحققت استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة، هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فألقتهم السفينة - لأجل هيجان الريح - إلى الحبشة، فهذا مُحتمل، وفيه جمع بين الأخبار، فليُعمد، والله أعلم. وعلى هذا فقول أبي موسى: (بلَغْنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ) أي إلى المدينة، وليس المراد: بلغنا مبعثه، ويؤيده أنه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه إلى مضي نحو عشرين سنة! ومع الحمل على مخرجه إلى المدينة، فلا بد فيه من زيادة استقراره بها، وانتصافه ممن عاداه، ونحو ذلك؛ وإلا فبعيد - أيضاً - أن يخفى عنهم خبر خروجه إلى المدينة ست سنين! ويحتمل أن إقامة أبي موسى بأرض الحبشة طالت، لأجل تأخر جعفر عن الحضور إلى المدينة، حتى يأتيه الإذن من النبي ﷺ بالقدوم).

● ● وبالجملة: فأبو موسى كان قدم مكة مع عمه أبي عامر، فأسلما ورجعا إلى قومهما باليمن، يدعوان إلى الله، فأسلم من أسلم، حتى علموا بمخرج النبي ﷺ إلى المدينة، واستقراره بها؛ فركبوا السفينة مهاجرين إليه، فألقتهم الريح إلى ساحل الحبشة، فكان من أمرهم ما ذكرته رواية الصحيحين.

مشاهده:

لم يشهد أبو موسى فتح خيبر، ففي «صحيح البخاري» عن أبي موسى قال: (فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ). وفي رواية (قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَفَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَنَا).

وحضر مع رسول الله ﷺ ما بعدها من مشاهد، فشهد غزوة ذات الرقاع، والفتح، وحنين، وأوطاس، وتبوك.

أخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَحْنُ سِتَةٌ نَفَرٌ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَتَقَبَّضْتُ أَقْدَامَنَا، وَتَقَبَّضْتُ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ؛ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا. وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ! كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاءً^(١).

وأخرجنا عن بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَمَّا فَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أُوطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ، فَقَتَلَ دُرَيْدًا وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرَمِي أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتَيْهِ، رَمَاهُ جُشْمِي بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمُّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: ذَلِكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَصَدْتُ لَهُ فَلِحِقَّتُهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَلِيَّ، فَأَثْبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي، أَلَا تَتَّبِعْتُ، فَكَفَّ، فَأَخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَفَتَكْتَهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَأَنْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَتَرَعْتُهُ فَتَرَا مِنْهُ الْمَاءَ، قَالَ يَا بَنَ أَخِي: أَقْرَىءَ النَّبِيِّ ﷺ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَأَسْتَخْلِفْنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَتُ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَرُ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبِرْتُهُ بِخَبْرِنَا وَخَبْرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ». وَرَأَيْتُ بِيَاضَ إِبْطِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ». فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ ذَنْبِهِ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا». قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى). لفظ البخاري.

(١) قوله (نَعْتَقِبُهُ): أي يركبه كل واحد منا نوبة. (فَتَقَبَّضْتُ): أي رَفَعْتُ جُلُودَهَا، وَتَنَقَّطْتُ مِنَ الْمَسِي.

وأخرجنا - أيضاً - عن بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عن أَبِي بُرْدَةَ^(١)، عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (أُرْسِلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَصْحَابِي أُرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ». وَوَأَفَقْتُهُ وَهُوَ غَضَبَانٌ وَلَا أَشْعُرُ، وَرَجَعْتُ حَزِيناً مِنْ مَنَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَأَخْبَرْتُهُمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً إِذْ سَمِعْتُ بِلَالاً يُنَادِي: أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: «خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِيبَيْنِ، وَهَذَيْنِ الْقَرِيبَيْنِ - لِسِتَّةِ أَبْعَرَةٍ أَبْتَاعَهُنَّ حَيْتِيذٌ مِنْ سَعْدٍ - فَأَنْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ، أَوْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ». فَأَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِمْ بِهِنَّ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالََةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا تَنْطُؤْا أُنِي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدِّقٌ، وَلَنْفَعَلَنَّا مَا أَحْبَبْتَ، فَأَنْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ، حَتَّى أَتَوْا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنَعَهُ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدُ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ مَا حَدَّثْتُهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى) لفظ البخاري.

● ● وقد وجهه النبي ﷺ في سَرِيَّةٍ بحرية مع نفر من الصحابة، وجعله أميراً عليهم:

أخرج أبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر في «تاريخه»، عن واصل مولى أبي عُبَيْتَةَ، عن لَقِيْطِ، عن أَبِي بُرْدَةَ، عن أَبِي مُوسَى قَالَ: (خَرَجْنَا غَازِينَ فِي الْبَحْرِ، فَيِنَّمَا نَحْنُ وَالرِّيحُ لَنَا طَيِّبَةٌ، وَالشَّرَاحُ لَنَا مَرْفُوعٌ؛ فَسَمِعْنَا مَنَادِيًّا يُنَادِي: يَا

(١) سقطت عبارة «عن أبي بردة» من «صحيح البخاري» - الطبعة التي اعنتى بها الدكتور مصطفى البغا، ٤/١٦٠٢ حديث ٤١٥٣، وهو خطأ فاحش! ..

أهل السفينة، قَفُوا أَخْبِرْكُمْ - حتى وَآلِي بَيْن سبعة أصوات - قال أبو موسى: فقمْتُ على صدر السفينة، فقلتُ: مَنْ أنت؟ وَمِنْ أَيْن أنت؟ أَوْ مَا تَرَى أَيْن نحن، وهل نستطيع وقوفاً؟! قال: فأجابني الصوتُ: أَلَا أَخْبِرْكُمْ بقضاءِ قضاءِ اللَّهِ عز وجل على نفسه؟ قال: قلت: بلى، أَخْبِرْنَا! قال: فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قَضَى على نفسه أنه من عَطَّشَ نَفْسَهُ لله عز وجل في يومِ حَارٍّ، كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة. قال: فكان أبو موسى يتوَسَّخَى ذلك اليوم الحار الشديد الحر، الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان؛ فيصومه^(١). لفظ أبي نعيم.

مناقبه:

أخرج الشيخان عن أبي موسى: أن النبي ﷺ دَعَا له فقال: «اللهم اغفرْ لعبد الله بن قيسِ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا». وقد مرَّ الحديث مطوَّلاً.

وعن عبد الله بن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، عن أبيه قال: «خرج بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَ النبي ﷺ، فأخذ بيده، فأدخله المسجدَ، فإذا صوتُ رجلٍ يقرأ، فقال النبي ﷺ: «تُرَاهُ يُرَائِي!» فأسكَّتْ بريدةُ، قال: فلما كان من القابلةِ، خرجَ بريدة عِشَاءً، ولقيه النبي ﷺ، فأخذ بيده، فأدخله المسجدَ، فإذا صوتُ الرجلِ يقرأ، فقال النبي ﷺ: «تُرَاهُ يُرَائِي!» فقال بريدة: أتقول: هو مرءٍ يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مَنِيْبٌ. لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مَنِيْبٌ». فإذا الأشعريُّ يقرأ بصوتٍ له في جانب المسجد، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ الأشعريَّ - أو: إِنَّ عبدَ الله بن قيسٍ - أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ». فقلتُ: أَلَا أَخْبِرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «بلى،

(١) قال شعيب: رجاله ثقات، خلا لَقِيَط - وهو أبو المغيرة - فإنه لا يُعرف بجرح ولا تعديل، ولم يرو عنه غير واصل كما في «الجرح والتعديل» ١٧٧/٧. وأخرجه الحاكم عن عبد الله بن المؤمل، عن عطاء عن ابن عباس: (أن النبي ﷺ استعمل أبا موسى على سرية البحر... فذكر نحوه، وقال الحاكم صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: ابن المؤمل ضعيف.

فَأَخْبِرُهُ». فَأَخْبِرْتُهُ، فَقَالَ: أَنْتَ لِي صَدِيقٌ، أَخْبِرْتَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بِحَدِيثٍ^(١).

وعن مالك بن مَعُولٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِلَى الْمَسْجِدِ، وَأَنَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَأَدْخَلَنِي الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ
يَصَلِّي يَدْعُو، يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَالَ: «وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجَابَ». وَإِذَا رَجُلٌ يَقْرَأُ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُعْطِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَأَخْبِرْتُهُ. فَقَالَ لِي: لَا تَزَالُ لِي صَدِيقًا.
وَإِذَا هُوَ أَبُو مُوسَى^(٢)).

وفي الصحيحين عن أَبِي بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،
وهو نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلَالٌ. فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ
أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَا تُنْجِزُ لِي يَا مُحَمَّدُ مَا وَعَدْتَنِي؟! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَبَشِرْ». فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ «أَبَشِرْ»! فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى
أَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ، كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى، فَأَقْبِلَا أَنْتُمَا».
فَقَالَا: قَبِلْنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ
فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَيَّ وَجُوهَكُمَا وَنُحُورَكُمَا، وَأَبَشِرَا».
فَأَخَذَا الْقَدَحَ، فَفَعَلَا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَنَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ:
أَفْضِلَا لَأُمُّكُمْ مِمَّا فِي إِيَّاكُمَا! فَأَفْضَلَا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً). لفظ مسلم.

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد، وفي «الصحيح» منه: (إن عبد الله بن قيس أعطي مزماراً من
مزامير آل داود)، وهناك؛ (من مزامير داود)، ورجال أحمد رجال الصحيح.
(٢) أخرجه أحمد، وابن عساکر، قال شعيب: إسناده صحيح. وأخرجه مختصراً دون ذكر
أبي موسى: أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، وصححه ابن حبان، والحاكم ووافقه الذهبي.

مع النبي ﷺ:

لزم أبو موسى رسول الله ﷺ، فكان يخدمه ويحرسه، ويحرص على الصلاة خلفه، وتلاوة القرآن عليه، وسماع حديثه، والجهد معه، يحدوه على ذلك اجتهاد عظيم، وشغف كبير، وقلب واع، وفؤاد ذكي، وهمة باهرة، وحب غامر؛ فانضم إلى ثلثة من أعيان تلاميذ النبوة، كأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي، وغيرهم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ بوضوء، فتوضأ وصلّى، ثم قال: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسّع لي في داري، وبارك لي في رزقي»^(١)).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي موسى قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فعرّس بنا رسول الله ﷺ، فانتبهتُ بعضَ الليل إلى مُناخ رسول الله ﷺ أطلبه، فلم أجده، فخرجتُ بارزاً أطلبه، وإذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يطلب ما أطلب، فبينما نحن كذلك إذ اتجّه إلينا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، أنت بأرضٍ حربٍ ولا نأمنُ عليك، فلولا إذ بدتُ لك حاجةٌ قلتُ لبعض أصحابك فقامَ معك. فقال رسول الله ﷺ: «إني سمعتُ هزيراً كهزير الرّحى - أو حنيناً كحنين النّخل - وأتاني آتٍ من ربّي عز وجلّ، فخيّرني أن يُدخَلَ شطرَ أمّتي الجنّة وبين شفّاعتي لهم، فاخترتُ شفّاعتي لهم، وعلمتُ أنها أوسعُ لهم. فخيّرني بأن يُدخَلَ ثلثي أمّتي الجنّة وبين الشفّاعة، فاخترتُ لهم شفّاعتي، وعلمتُ أنها أوسعُ لهم». فقالا: يا رسول الله، ادعُ الله تعالى أن يجعلنا من أهل شفّاعتك. قال: فدعا لهما)^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد وابنه عبد الله، والطبراني في «الأوسط»، وأبو يعلى، وابن السني. قال الألباني: حديث حسن.

(٢) وللحديث بقية، وأخرجه الطبراني. قوله (فعرّس): أي نزل آخر الليل للراحة. (هزيراً كهزير الرّحى): هو صوت دَوْرانها.

وفي «حديث القُفِّ» الذي رواه الشيخان عن سعيد بن مسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري: (أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقلت: لألزمَن رسول الله ﷺ، ولأكوننَّ معه يَوْمِي هذا. قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ، فقالوا: خرج وَوَجَّهَ هَاهُنَا، فخرجتُ على إثره، أسألُ عنه، حتى دخلَ بئرَ أريس، فجلستُ عندَ الباب، وبأبها من جَرِيدٍ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ، فقمْتُ إليه، فإذا هو جالسٌ على بئرِ أريسٍ وتوسطَ قُفِّها، وكشَفَ عن ساقيه ودلَّاهُما في البئرِ، فسَلَّمْتُ عليه، ثم انصرفتُ فجلستُ عندَ الباب؛ فقلتُ: لأكوننَّ بوابَ رسولِ الله ﷺ اليومَ. فجاءَ أبو بكرٍ فدَفَعَ البابَ) (١). الحديث.

وأخرج مسلم عن أبي بُزْدَةَ، عن أبيه قال: (صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نَصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَجَلَسْنَا. فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا!» قَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلِّنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قَلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نَصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، فَقَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ: أَصَبْتُمْ». قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ - وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ - فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»).

● ● وفي السنة العاشرة للهجرة عَلِمَ أن النبي ﷺ قد عزمَ الحجَّ، فتهيأ أبو موسى - وكان عامل رسول الله ﷺ على اليمن - للحج معه:

عن طارق بن شهاب، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ، وَهُوَ مُنِيخٌ، فَقَالَ: «أَحْجَجْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بِمَا أَهْلَكْتَ؟» قُلْتُ: لَبِيكَ يَا هَلَالٍ كَاهِلَالِ النَّبِيِّ ﷺ! قَالَ: «أَحْسَنْتَ، طُفَّ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرُوءَةِ ثُمَّ أَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ

(١) هذا لفظ البخاري. قوله (أريس): هو بستان في المدينة قريب من قُبَاء. (قُفِّها): حافَتُها.

قَيْسٍ فَقَلَّتْ رَأْسِي، ثُمَّ أَهَلَّتْ بِالْحَجِّ»^(١).

● ● وكان حريصاً على الاعتراف من معين الحديث النبوي، فسمع منه الكثير الطيب، ولربما سمع الحديث الواحد أكثر من مرة.

عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال: سمعتُ النبي ﷺ غيرَ مرة ولا مرتين يقول: «إذا كان العبدُ يعملُ عملاً صالحاً، فشغله عن ذلك مرضٌ أو سفرٌ؛ كُتِبَ له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم»^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْكَبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ». وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ». قُلْتُ لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَثْرٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي! قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٣).

قال الحافظ في «الفتح»: (هذا السياق يوهم أن ذلك وقع وهم ذاهبون إلى خيبر، وليس كذلك، بل إنما وقع ذلك حال رجوعهم؛ لأن أبا موسى إنما قديم بعد فتح خيبر مع جعفر، وعلى هذا ففي السياق حذف تقديره: لما توجه النبي ﷺ إلى خيبر، فحاصرهما، ففتحها، ففرغ فرجع، أشرف الناس، إلخ).

وقد فرح أبو موسى بصحبته رسول الله ﷺ، وبما قام به من أعمال صالحة، وما حضره من مشاهد فاصلة؛ ورجا بذلك ثواب الله تعالى وأجره ومغفرته.

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم، والنسائي.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد، والستة إلا النسائي، وهذا لفظ البخاري.

عن أبي بُرْدَةَ بن أَبِي مُوسَى الأشعري قال: (قال لي عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: هلْ تَدْرِي ما قالَ أَبِي لِأبيكَ؟ قال: قُلْتُ: لا، قال: فَإِنَّ أَبِي قالَ لِأبيكَ: يا أبا مُوسَى، هلْ يَسُرُّكَ إِسلامُنا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِجْرَتُنا مَعَهُ، وَجِهادُنا مَعَهُ، وَعَمَلُنا كُلُّهُ مَعَهُ، بَرَدَ لَنا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمَلُناهُ بَعْدَهُ نَجَوُنا مِنْهُ كَفاً رَأْساً بِرَأْسٍ؟ فَقالَ أَبِي: لا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهدَنا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّينا، وَصُمَّنا، وَعَمَلِنا خَيراً كَثيراً، وَأَسَلَمَ عَلَيَّ أَيْدِينا بِشَرِّ كَثيرٍ، وَإِنَّا لَنَرُجُو ذَلِكَ. فَقالَ أَبِي: لِكِني أَنَا، وَالَّذي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنا، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمَلُناهُ بَعْدَ نَجَوُنا مِنْهُ كَفاً رَأْساً بِرَأْسٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَبِي) (١).

سيرته وشمائله:

تمتع أبو موسى بصفات حميدة، وخلال كريمة، فكان ربانياً زاهداً، عابداً مئيباً، صواماً قواماً، حياً كريماً، متواضعاً حليماً، عالماً عاملاً، جياشاً العاطفة، صادقاً اللهجة، صافياً السريرة، شديد التمسك بهدي النبوة، كبير القدر، مديماً للذكر، محافظاً على ذلك حتى آخر العمر، لم تغيره الإمارة، ولا اغتر بالدينا.

● ● أخرج الإمام أحمد في «مسنده»: (أنَّ أبا موسى صَلَّى بأصحابه وهو مرتحلٌ من مكة إلى المدينة، فصلَّى العشاء ركعتين^(٢) وسلَّم، ثم قام فقرأ مئة آية من سورة النساء في ركعة. فأنكر ذلك عليه! فقال: ما ألوتُ أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدمه، وأن أصنع مثل ما صنع رسول الله ﷺ).

وعن أبي بُرْدَةَ قال: (دخلتُ على أبي موسى، وهو في بيتِ بنتِ الفضلِ بنِ عَبَّاسٍ، فعطستُ فلم يُشمتني، وعطستُ فشمتها! فرجعتُ إلى أمي فأخبرتها. فلما

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - واستدركه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي! انظر: الفتح

٢٥٤/٧، المستدرک ٣/٤٦٦ - ٤٦٧. قوله (برد لنا): أي ثبت وسلم.

(٢) قَصَرَ الصلَاةَ لِأَنَّهُ مَسَافِرٌ.

جاءها قالت: عطسَ عندك ابني فلم تُشَمِّئْهُ، وعطستُ فشمَّئْتَهَا؟ فقال: إن ابناكَ عطسَ، فلم يَحْمِدِ اللَّهَ، فلم أشمِّئْهُ، وعطستُ فحمدتِ اللَّهَ، فشمَّئْتَهَا سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إذا عطسَ أحدُكم فحمدَ اللَّهَ، فشمِّئْوه، فإنَّ لم يَحْمِدِ اللَّهَ، فلا تَشَمِّئُوهُ»^(١).

● ● عن أنس بن مالك قال: قال الأشعريُّ وهو على البصرة: (جَهَّزْنِي، فإني خارجٌ يوم كذا وكذا. فجعلتُ أجهِّزه، فجاء ذلك اليوم وقد بقيَ من جهَّازِهِ شيءٌ لم أفرِّغْ منه، فقال: يا أنس، إني خارجٌ، فقلتُ: لو أقيمتَ حتى أفرِّغَ من بقيَّةِ جهَّازِكَ، فقال: إني قد قلتُ لأهلي: إني خارجٌ يوم كذا وكذا، وإني إن كذَّبتُ أهلي كذَّبوني، وإن خنَّتهمْ خانوني، وإن أخلفتهمْ أخلفوني! فخرجَ وقد بقيَ من حوائجِهِ بعضُ شيءٍ لم يُفرِّغْ منه)^(٢).

● ● عن قتادة، عن أبي مجليزٍ لاجئٍ بن حميد: (أن أبا موسى قال: إني لأغتسلُ في البيتِ المُظلمِ، فأخني ظهري حياءً من ربي).

وعن قتادة قال: (كان أبو موسى إذا اغتسلَ في بيتٍ مُظلمٍ، تجاذبَ وحنَى ظهْرَهُ حتى يأخذ ثوبه، ولا ينتصب قائماً).

وعن ابن سيرين قال: قال أبو موسى: (إني لأغتسلُ في البيتِ الخالي، فيمنعني الحياءُ من ربِّي أن أقيمَ صُلبي).

وعن عبادة بن نسي قال: (رأى أبو موسى قوماً يقفون في الماء بغير أزرٍ،

(١) أخرجه مسلم، والبخاري في «الأدب المفرد». وبنيت الفضل: هي إحدى نساء أبي موسى، وسيأتي التعريف بها، في آخر الترجمة.

(٢) أخرجه ابن سعد، وابن عساکر.

فقال: لأن أموت ثم أنشَر، ثم أموت، ثم أنشَر، ثم أموت ثم أنشَر؛ أحب إلي من أن أفعل مثل هذا^(١).

● ● وأخرج ابن سعد عن أبي عمرو الشَّيباني قال: قال أبو موسى: (لأن يمتليء مَنْخَرِي من رِيح جيفة، أحب إلي من أن يمتليء من رِيح امرأة)^(٢).

وأخرج عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك، عن أبي موسى الأشعري قال: (رأيتُ كأني أخذتُ جَوَادًا كثيرة، فاضمحلَّت حتى بقيتُ جادَّةً واحدة، فسلكتها حتى انتهيتُ إلى جبل، فإذا رسولُ الله ﷺ فوقه، وإلى جنبه أبو بكر، وإذا هو يُوميء إلى عُمر أن تعال! فقلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ مات والله أميرُ المؤمنين! فقلتُ: ألا تكُتُب بهذا إلى عمر؟ فقال: ما كنتُ لأتعي له نفسه)^(٣).

وأما عبادته:

فقد اشتهر عنه كثرة تهجده بالليل في الحضر والسفر، وتحري صيام النهار الشديد الحر، ومداومة تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وكان من الذاكرين الله كثيراً، ثخين الورع، أوهاً مُنبياً.

● ● عن ثابت، عن أنس: (أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواجَ النبي ﷺ صوته - وكان حُلُو الصوت - ففمنَّ يستمعن. فلما أصبح قيل له: إن النساء كُنَّ يستمعن! فقال: لو علمتُ لَحَبْرَتُكُنَّ تَحْبِيرًا، وَلَشَوْقَتُكُنَّ تَشْوِيقًا)^(٤).

وعن مسروق قال: (كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في سفر،

(١) أخرجها أربعها ابن سعد.

(٢) قال شعيب: رجاله ثقات.

(٣) رجاله ثقات.

(٤) أخرجه ابن سعد. قال الحافظ في «الفتح»: إسناده على شرط مسلم. قوله (لحبرتكُنَّ تحبيراً): يريد تحسين الصوت وتخبينه.

فَأَوَانَا اللَّيْلُ إِلَى بَسْتَانِ حَرْثٍ، فَتَزَلْنَا فِيهِ، فَقَامَ أَبُو مُوسَى مِنَ اللَّيْلِ يَصَلِّي - فَذَكَرَ مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ، وَمِنْ حُسْنِ قِرَاءَتِهِ - وَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا قَالَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمَنْكَ السَّلَامُ، وَأَنْتَ الْمُؤْمِنُ تَحِبُّ الْمُؤْمِنَ، وَأَنْتَ الْمُهَيْمِنُ تَحِبُّ الْمُهَيْمِنَ، وَأَنْتَ الصَّادِقُ تَحِبُّ الصَّادِقَ^(١).

وعن أبي يوسف - حاجب معاوية -: (أن أبا موسى الأشعري قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَتَزَلَّ فِي بَعْضِ الدُّوَرِ بِدِمَشْقَ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ اللَّيْلِ لِيَسْتَمِعَ قِرَاءَتَهُ)^(٢).

وجاء في حديث بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن: (قال معاذ لأبي موسى: كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رِجْلَيْي، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَنَا مٌ وَأَقَوْمٌ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي)^(٣).

● ● وقد مرَّ ما جرى معه في سرية البحر، قال أبو بردة: (كان أبو موسى لا تكاد تلقاه في يوم حارٍّ إلا صائماً).

وأخرج ابنُ عساکر عن أبي إدريس قال: (صامَ أبو موسى حتى عاد كأنه خلال، فقيل له: لو أَجَمَمْتَ نَفْسَكَ؟ فقال: هيهات، إنما يسبق من الخيل المضمرّة).

● ● وأخرج أبو نعيم عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: (كنا مع أبي موسى في مسير له، فسمع الناس يتحدثون، فسمع فصاحة، فقال: ما لي يا أنس! هلمَّ فلنذكر ربنا، فإن هؤلاء يكاد أحدهم أن يفري الأديم بلسانه. ثم قال: يا

(١) أخرجه أبو نعيم، وابن عساکر، قوله (حرث): أي زرع. و(المهيمن): من معانيها: المؤمن، والأمين، والمؤمن، والشاهد. كذا في القاموس.

(٢) أخرجه أبو زرعة في «تاريخ دمشق»، وابن عساکر.

(٣) أخرجه الشيخان، والنسائي، وأبو داود. قوله (أتفوقه تفوقاً): أي الأزم قراءته ليلاً ونهاراً، شيئاً بعد شيء، وحيناً بعد حين، مأخوذ من فَوَاقِ الناقَة، وهو أن تُحلب ثم تُترك ساعة حتى تدرّ ثم تُحلب، هكذا دائماً.

انس، ما أبطأ بالناس عن الآخرة وما تَبَرَّهُمْ عنها؟ قال: قلت: الشهوات والشیطان. قال: لا والله! ولكن عَجَّلْتُ لَهُمُ الدنیا، وَأَخَّرْتُ الآخرة، ولو عَايَنُوا ما عدلوا وما مَيَّلُوا).

● ● ومضت أحواله رضي الله عنه من أولها إلى آخرها على السداد والاستقامة، ولما قرب موته زاد اجتهاده.

أخرج ابن عساکر عن صالح بن موسى الطلحي، عن أبيه قال: (اجتهد الأشعري قبل موته اجتهاداً شديداً، فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك؟ قال: إن الخيل إذا أُرْسِلَتْ فقَارَبَتْ رأسَ مجراها، أَخْرَجَتْ جميع ما عندها؛ والذي بقي من أجلي أقل من ذلك)!

الوالي الكبير:

● ● بعد غزوة تبوك بعث النبي ﷺ أبا موسى إلى اليمن والياً وداعياً ومعلماً، فكان عاملاً للرسول ﷺ على زبيد وعدن وساحل اليمن.

أخرج الشيخان، والنسائي، وأبو داود، عن أبي موسى قال: (أقبلت إلى النبي ﷺ ومعني رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ ساكت! فقال: «ما تقول يا أبا موسى، أو: يا عبد الله بن قيس؟» قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت! قال: «لن نستعمل - أو: لا نستعمل - على عملنا من أرادته، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى، أو: يا عبد الله بن قيس». فبعثه على اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل... الحديث. لفظ أبي داود.

وفي رواية البخاري: (بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخالف، قال: واليمن مخالفان، ثم

قَالَ: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِّرَا». فَأَنْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَخَذَتْ بِهِ عَهْدًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرٌ عَلَى بَعْلَتِهِ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَيْمٌ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَأَنْزِلْ، قَالَ مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا، قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذٌ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَصَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي).

● ● وَلَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَبِّهِ، وَأَبُو مُوسَى فِي الْيَمَنِ وَالِإِ عَلَيْهِا، وَاسْتُخْلِفَ الصَّدِيقُ أَبُو بَكْرٍ، وَبَعَثَ بِكِتَابٍ إِلَى أَبِي مُوسَى، بِأَمْرِهِ فِيهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي عَمَلِهِ، وَيَسْتَمِرَّ وَالْيَأَى عَلَى الْيَمَنِ.

ويبدو أن أبا موسى استمر في ولايته على اليمن طيلة عهد أبي بكر، لكنه رَغِبَ الِاتِّحَاقَ بِكِتَابِ الْجِهَادِ فِي بِلَادِ الشَّامِ، فَاسْتَأْذَنَ عُمَرَ فِي تَرْكِ عَمَلِهِ وَأَنْ يَخْرُجَ مُجَاهِدًا، فَأَجَابَهُ لِذَلِكَ. فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «أَسَدِ الْغَابَةِ»، وَالنُّوَيْ فِي «تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ»، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ»، وَالْحَافِظُ فِي «الْإِصَابَةِ»: أَنَّهُ شَهِدَ وَفَاةَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ بَطَاعُونَ عَمَّاسٍ.

وَبَقِيَ فِي بِلَادِ الشَّامِ، حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْهِ عُمَرُ، فَبَعَثَهُ وَالْيَأَى عَلَى الْبَصْرَةِ.

عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: (قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: بِالشَّامِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ كَانَ يَلِي أَمْرَ الْأُمَّةِ إِلَّا أُجْرَاهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمْ. فَجَاءَ رَهْطٌ مِنْهُمْ، فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، فَقَالَ: إِنِّي أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ، لِأُرْسِلَكَ إِلَى قَوْمِ عَسْكَرِ الشَّيْطَانِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؟ قَالَ: فَلَا تُرْسِلْنِي. فَقَالَ: إِنَّ بِهَا جِهَادًا، وَإِنْ

بها رباطاً! قال: فأرسله إلى البصرة^(١).

وجاء في رواية مطولة للطبري في «تاريخه»: فقال أبو موسى: (يا أمير المؤمنين، أعني بعدة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار؛ فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالمِلح لا يصلح الطعام إلا به. قال: فاستعن بمن أحببت. فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس بن مالك، وعمران بن حصين، وهشام بن عامر).

قال خليفة بن خياط: ولي أبو موسى البصرة سنة سبع عشرة بعد المغيرة.

قال الطبري: (وكتب عمر إلى أهل البصرة: أما بعد، فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، ليأخذَ لضعيفكم من قوئكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم، وليحصي لكم فيتكم ثم يقسمه بينكم، ولينقي لكم طرقكم).

وعن الحسن، عن أبي موسى قال: (إن أمير المؤمنين عُمَرُ بعثني إليكم، أعلمكم كتاب ربيكم عز وجل، وسنة نبيكم ﷺ، وأنظف لكم طرقكم)^(٢).

وأخرج ابن عساکر عن الشعبي قال: (كتب عُمَرُ في وصيته: ألا يَقَرَّ لي عاملٌ أكثر من سنة، وأقِرُّوا الأشعريَّ أربع سنين)!

● ● ولما بويع عثمان بالخلافة أقرَّ أبا موسى والياً على البصرة، فبقي على إمرتها ست سنين، فاستمرت ولايته عليها زهاء ثنتي عشرة سنة، من سنة (١٧هـ) حتى سنة (٢٩هـ)، حيث عُزل عنها عن أمر عثمان^(٣)، وولاها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز.

(١) أخرجه ابن سعد، وابن عساکر. قال شعيب: رجاله ثقات. ومعنى (أجزأه): قام به خير قيام.
(٢) أخرجه الطبراني، وأبو نعيم، وابن عساکر. قال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.
(٣) وقول ابن سعد في «الطبقات» ١٦/٦: (ولاه عُمَرُ بن الخطاب البصرة، ثم عزله عنها، فنزل الكوفة)، خطأ، فعمر لم يعزله.

وكتب عثمان إلى أبي موسى: (إني لم أعزلك عن عجز ولا خيانة، وإني لأحفظ قيد استعمال رسول الله وأبي بكر وعمر إياك، وإني لأعرف فضلك، وأنت من المهاجرين الأولين، وقد أمرته أن يعطيك ثلاثين ألف درهم).

وتلقى أبو موسى كتاب الخليفة بالرضا التام، والقبول الذي لا يخالطه أي حرج في صدره، وأخبر أهل البصرة بذلك، وامتدح أميرهم الجديد، فقال: (قد أتاكم فتى من قريش، كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا).

● ● وتوجه أبو موسى إلى الكوفة، فسكن بها، وقام بتفقيه أهلها، وإقراءهم القرآن، وتعليمهم، وبقي على ذلك نحواً من خمس سنين، حتى استعمله عثمان عليهم بعد عزل سعيد بن العاص.

فقد شغَبَ أهل الكوفة على واليهم المقرئ الفقيه الفاتح سعيد بن العاص، وأخرجوه من الكوفة، فخرج ولحق بعثمان، وخلت الكوفة للفتنة! ثم رده عثمان إلى عمله، فتلقوه خارج الكوفة في موضع يقال له: «الجرعة»، وردوه إلى عثمان، وطلبوا أن يؤمر عليهم أبا موسى، ففعل، وذلك سنة (٣٤هـ).

وبقي والياً على الكوفة حتى استشهد عثمان رضي الله عنه. وبويع علي بالخلافة، وسيّر ولاته وعماله إلى الأمصار، وأقرَّ أبا موسى على الكوفة.

فلما سار علي رضي الله عنه إلى البصرة، ليمنع «أصحاب الجمل» عنها، أرسل إلى أهل الكوفة يدعوهم لينصروه، فمَنَعَهُم أبو موسى، وأمرهم بالعودة في الفتنة، فعزله علي عنها، فاستجاب أبو موسى متمسكاً برأيه، مصراً على موقفه، وأوى إلى بيته، واعتزل الفريقين.

● ● وقد كانت سيرته في ولايته من خيار سير الولاة الفاتحين، والعلماء العاملين، من أصحاب رسول الله ﷺ.

فبابه مفتوح للرعية عامة، ولا يُحجب دونه أحد، وكان حليماً عليهم، متواضعاً فيهم، يلبس مما يلبس أديانهم، يرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، عفيفاً كريماً، أميناً زاهداً، يجلس لهم فيقرئهم، ويعلمهم ويفقههم، حتى نال - بحق - ثناء عمر، ورضاه عن سيرته، بل ووصاته أن يقرّ على البصرة بعد وفاته!

أخرج الدينوري عن الحسن قال: (كتبَ عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - أنه بلّغني أنك تأذّن للناس جمّاً غفيراً، فإذا جاءك كتابي هذا فابدأ بأهل الفضل والشرف والوجوه، فإذا أخذوا مجالسهم فأذّن للناس).

وأخرج ابن سعد، وابن عساکر، عن السّمَيْط بن عبد الله السّدوسيّ قال: (قال أبو موسى وهو يخطب: إن باهلةً كانت كُرَاعاً فجعلناها ذِرَاعاً. قال: فقام رجل فقال: أَلَا أُبَيُّكَ بِالْأَمِّ مِنْهُمْ؟ قال: مَنْ؟ قال: عَكَ وَالْأَشْعَرِيّون! قال: أولئك - وأبيك - آبائي، يا سَابَّ أميره، تَعَالَ! قال: فَضْرَبَ عَلَيْهِ فَسَطَاطاً، فَرَاخَتْ عَلَيْهِ قِصْعَةٌ، وَغَدَّتْ أُخْرَى، فَكَانَ ذَلِكَ سِجْنَةً!).

وأخرج البيهقي عن حُرَيْر: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَغَنِمُوا مَغْنَمًا، فَأَعْطَاهُ أَبُو مُوسَى نَصِيْبَهُ وَلَمْ يُؤَفِّهِ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ إِلَّا جَمِيعَةً، فَضْرَبَهُ أَبُو مُوسَى عَشْرِينَ سَوْطًا، وَحَلَقَ رَأْسَهُ. فَجَمَعَ شَعْرَهُ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَخْرَجَ شَعْرًا مِنْ جَيْبِهِ، فَضْرَبَ بِهِ صَدْرَ عُمَرَ! قال: مَا لَكَ؟ فَذَكَرَ قِصَّتَهُ. فَكَتَبَ عُمَرَ إِلَى أَبِي مُوسَى: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَا بَعْدُ: فَإِنْ فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ أَخْبَرَنِي بِكَذَا وَكَذَا، وَإِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا جَلَسْتُ لَهُ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ فَاقْتَصَصْتُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ فِي خَلَاءٍ، فَاقْعُدْ لَهُ فِي خَلَاءٍ، فَلْيَقْتَصَصْ مِنْكَ! فَلَمَّا دُفِعَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ، قَعَدَ لِلْقِصَاصِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ (لِللَّهِ)!!).

وعن قتادة قال: (بلغ أبا موسى أن قوماً يمنعهم من الجمعة أن ليس لهم

ثياب، قال: فخرج على الناس في عَبَاءَةٍ^(١).

وعن ابن شَوْذَب قال: (كَانَ - أَبُو مُوسَى - إِذَا صَلَّى الصَّبْحَ أَمَرَ النَّاسَ فَتَبَتُّوا فِي مَجَالِسِهِمْ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الصَّفُوفَ رَجُلًا رَجُلًا يُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى الصَّفُوفِ. وَدَخَلَ عَلَى جَمَلِ أَوْزَقَ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ حِينَ عَزَلَ)^(٢).

وعن قتادة، عن أنس بن مالك قال: (بَعَثَنِي الْأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تَرَكْتَ الْأَشْعَرِيَّ؟ فَقُلْتُ لَهُ: تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْقُرْآنَ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ كَبِيرٌ، وَلَا تُسْمِعْهَا إِيَّاهُ)^(٣).

● ● وبلغ به زهده وورعه، وتحريه وتوقيه، أنه خرج من البصرة كما دخل، وقد مكث أميراً عليها اثني عشر عاماً، ينال عطاءه، ويأخذ نصيبه من الغنائم، وذلك شيء كثير، ومع كل هذا فإنه دخل البصرة على جمل أوزق، وعليه خرج لما عَزَلَ؛ وذلك مسلك في طهارة السيرة ليس عليه مزيداً.

أخرج ابن سعد عن حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي بُزْدَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أُمِّي قَالَتْ: (خَرَجَ أَبُو مُوسَى حِينَ نَزَعَ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَمَا مَعَهُ إِلَّا سِتٌّ مِئَةَ دِرْهَمٍ عَطَاءَ عِيَالِهِ).

وكان عثمان لما عَزَلَ أبا موسى أمر ابنَ عامر أن يدفع له ثلاثين ألف درهم، فاعتذر أبو موسى عن أخذها، وانتظر عطاء عياله من المدينة، فأدَّى ما عليه من حقوق لأهل البصرة، ثم خرج إلى الكوفة.

جهاده وفتوحاته:

● ● شارك أبو موسى في فتوح الشام، وقرَّبه أمير الأمراء أبو عبيدة منه، فكان يستعين به، ويستشيره ويستنصحه.

(١) أخرجه ابن سعد، وأبو نعيم، وابن عساكر.

(٢) أخرجه ابن عساكر. قوله (دخل): أي البصرة. (أوزق): الأوزق من الإبل ما في لونه بياض إلى سواد.

(٣) أخرجه ابن سعد، وابن عساكر. قال شعيب: رجاله ثقات.

ولما ذهب إلى البصرة والياً، كان أحد أبرز القواد الذين جاهدوا في سبيل الله، وعرفته ساحات الوغى مجاهداً بطلاً، وقائداً حكيماً، ورائداً خبيراً. قاد جحفل الفتوحات على الجبهة الفارسية، وزحف بالجيوش من صقع إلى صقع، وفتح الإقليم إثر الإقليم، ووجه ضربات موجعة إلى المجوس. وقد أبانت المعارك الهائلة التي خاضها، والصدمات الكثيرة التي قادها؛ عن عبقريته وذكائه، وحنكته ودهائه، وحُسن تخطيطه، وسرعة فهمه، ويُعد نظرتَه، و صواب تصرفه.

وحقق الله سبحانه على يديه انتصارات كبيرة، ففتح بلاداً كثيرة، وأمصاراً كبيرة، وحصوناً منيعة، وتمكن من التغلب على واحد من كبار قواد الفرس، وهو الهرمزان، الذي اشتهر بشجاعته ودهائه، فقَهَرَهُ أبو موسى وأسرَه بعد حصار طويل، ومصابرة مريرة في قلعة «تُسْتَر»، وسَيَّرَه إلى الفاروق صاغراً ذليلاً.

● ● ومن دلائل حنكته وحكمته وعبقرية قيادته العسكرية؛ ما أوقعه بجند

أصبهان، لما لمح منهم نية الغدر:

أخرج ابن سعد عن بشير بن أبي أمية، عن أبيه: (أن الأشعريّ نزل بأصبهان، فعرض عليهم الإسلام، فأبوا، فعرض عليهم الجزية، فصالحوه على ذلك، فباتوا على صلح، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر، فبارزهم القتال، فلم يكن أسرع من أن أظهره الله عليهم).

● ● وكان يحضض المجاهدين على القتال، ويحثهم على النزال،

ويخبرهم بما ينتظرهم من جزيل الأجر والثواب؛ فيروي لهم حديث رسول الله ﷺ عند التحام الصفين، ليثبتهم ويدفعهم إلى الاستبسال والشهادة:

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: سمعتُ أبي وهو يحضرة العَدُوَّ يقول: (قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»). فقام رجل رثُ الهيئة، فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. قال: فرجع إلى أصحابه، فقال: اقرأ عليكم السلام، ثم كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ،

فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتِلَ^(١).

● ● وفتحت على يدي أبي موسى أمصار عديدة: فافتتح إقليم الأهواز، وهو إقليم عظيم في بلاد فارس، ويتألف من سبعة أقاليم فيها مدن كثيرة، ولها عند الفرس مكانة عظيمة، سيما «تُسْتَر»^(٢). عاصمة الأهواز، وإقليم الفرس الأيمن في الجنوب الغربي من سهل إيران.

وظل أبو موسى يصول ويجول في جنبات هذا الإقليم من سنة (١٧هـ) إلى (٢٠هـ) حيث سقطت تُسْتَر في هذه السنة، بعد أن نازلها وحاصرها زهاء سنتين.

قال أنس: (حَضَرْتُ عِنْدَ مَنَاهِضَةِ حِصْنِ تُسْتَرٍ عِنْدَ إِضَاءَةِ الْفَجْرِ، وَاشْتَدَّ اشْتِعَالُ الْقِتَالِ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الصَّلَاةِ، فَلَمْ نُصَلِّ إِلَّا بَعْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ، فَصَلَّيْنَاهَا وَنَحْنُ مَعَ أَبِي مُوسَى، فَفُتِحَ لَنَا. وَقَالَ أَنْسٌ: وَمَا يَسُرُّنِي بِتِلْكَ الصَّلَاةِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)^(٣).

وفي سنة (١٨هـ) افتتح الرُّها وسُمَيْسَاط وما والاهما، وجُنْدَيْسَابُور، والشُّوس، ورَامَهْرُومُز، ونهرتيرى.

ومضى مع عياض بن غنم الفهري، فافتتحا حرَّان، ونَصِيْبِيْن، وطوائف الجزيرة.

وشارك في معركة «نَهاوَنْد»، وكان قائدَ جيش البصرة، وعلى المسلمين جميعاً النعمان بن مقرن، وفتحت نهاوند سنة (٢١هـ).

وافتح قُم، وقاشان، وأصْبَهان، والرِّي، وكانت قد فتحت على يدي حذيفة وسويد بن مقرن، فانقضوا.

(١) أخرجه أحمد، ومسلم - واللفظ له - والترمذي.

(٢) يقال لها الآن: شوستر، وشستر.

(٣) أخرجه البخاري مُعَلَّقاً، وقال الحافظ: «وصله ابن سعد، وابن أبي شيبة، من طريق قتادة عنه، وذكره خليفة في «تاريخه»، وعمر بن شبة في «أخبار البصرة» من وجهين آخرين عن قتادة». الفتح ٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥.

واشترك مع عثمان بن أبي العاص الثقفي في فتح أَرْجَان، وشيراز،
وَدْرَابْجَرْد.

أخرج ابن عساكر عن الحسن البَصْرِيِّ قال: (بعث عمرُ بن الخطاب إلى
أبي موسى الأشعري وهو بالشام، فَقَدِمَ عليه، فلَمَّا قَدِمَ عليه قال له: إني إِنَّمَا
بعثتُ إليك لخيرٍ، لَتُؤَثِّرَ حاجتي على حاجتك؛ أما حاجتك فالجهادُ في سبيل الله،
وأما حاجتي فأبعثك إلى البصرة، فتعلمهم كتابَ ربِّهم، وسُنَّةَ نبيِّهم، وتجاهد بهم
عدوَّهم، وتقسِم بينهم فيئهم.

قال الحسن: ففعل والله، لقد علمهم كتابَ ربهم، وسُنَّةَ نبيِّهم، وجاهد بهم
عدوَّهم، وقَسَمَ بينهم فيئهم. فوالله ما قدم عليهم البصرةَ راکبٌ كان خيراً لهم من
أبي موسى)!

في الفتنة:

● ● استشهد عثمان وأبو موسى أمير الكوفة، واستُخلف علي فأقره عليها.
ولما كانت فتنة الجمل، أرسل علي إلى أبي موسى ثلاث سفارات يأمره فيها أن
ينضم إليه بأهل الكوفة، ويسيروا إلى البصرة لنصرته، فامتنع أبو موسى من ذلك،
وكان من رأيه الفراغ من قتلة عثمان أولاً، وإغمداد السيف في وجه المسلم، ورأى
أنها فتنة قد يحترب فيها المسلمون!

وخطب في أهل الكوفة، فكان مما قاله: (إنها فتنة صمَّاء، النائم فيها خيرٌ
من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خيرٌ من القائم، والقائم خير
من الراكب، فكونوا جُرْثومة^(١)) من جرائيم العرب، فاغمدوا السيوف، وأنصلوا
الأسنة، واقطعوا الأوتار، وأبوا المظلوم والمضطهد، حتى يلتئم هذا الأمر،
وتنجلي هذه الفتنة).

(١) الجرثومة: الأصل.

ولمَّا عَاتَبَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَائِلًا: (يا أبا موسى، لِمَ تَنْبِطُ النَّاسَ عَنَّا! فواللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِصْلَاحَ، وَلَا مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخَافُ عَلَى شَيْءٍ)!

رد أبو موسى بقوله: (صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَلَكِنِ الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّكَّابِ». قَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ إِخْوَانًا، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَمْوَالَنَا وَدِمَاءَنَا، وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»^(١)، «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا»^(٢)، وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ»^(٣)).

وبقي أبو موسى مصرًّا على رأيه، متمسكًا به لا يريم، مما اضطر عليًّا أن يعزله عن إمرة الكوفة، فاستجاب أبو موسى، وترك دار الإمارة، ولزم بيته، واعتزل الفريقين، واجتهد في اختيار هذا الموقف، ورأى أنه أرضى لربه. وكان ممن اعتزل صحابة أجلاء كبار: كسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبِي مَسْعُودِ الْبَدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنَ عُمَرَ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَبِي بَكْرَةَ الثَّقَفِيَّ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، وَعِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، وَغَيْرِهِمْ.

أخرج البخاري في «كتاب الفتن - باب الفتنة التي تموج كموج البحر»، عن أبي وائل قال: (دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّارٍ، حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيٌّ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، فَقَالَا: مَا رَأَيْنَاكَ أَتَيْتَ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدَنَا مِنْ إِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، مِنْذُ أَسْلَمْتَ! فَقَالَ عَمَّارٌ: مَا رَأَيْتُ مِنْكُمْ مِنْذُ أَسْلَمْتُمَا أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمَا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ. وَكَسَاهُمَا^(٣) حُلَّةً حُلَّةً، ثُمَّ رَاحُوا إِلَى الْمَسْجِدِ).

(١) سورة النساء: الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٣) أي أعطاهما، والمُعطي هو أبو مسعود البدري، جاء بحلَّتين فأعطى أبا موسى إحداهما، وعمارًا الأخرى.

● ● وقد حاول معاوية رضي الله عنه استمالة أبي موسى رضي الله عنه إلى جانبه؛ فتأبى عليه، وبقي مُتَّصِلًا في رأيه، لا يَحِيدُ عنه.

عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه: (أَنَّ معاوية كتب إليه: سلامٌ عليك، أمَّا بعدُ: فَإِنَّ عَمْرُو بن العاص قد بايعني على ما أريد، وأقسمُ بالله لئن بايعتني على الذي بايعني عليه؛ لأستعملنَّ ابْنَيْكَ: أحدهما على الكوفة، والآخرَ على البصرة، ولا يُغلقُ دونك بابٌ، ولا تُفْضَى دونك حاجة، وقد كتبتُ إليك بخطِّي يدي، فاكتبْ إليَّ بخطِّ يدِكَ. قال: فقال لي أبي: يا بني، إنما تعلَّمْتُ المُعْجَم بعد وفاة رسول الله ﷺ. قال: فكتبَ إليه كتاباً مثل العقارب؛ فكتب: سلامٌ عليك، أمَّا بعدُ: فَإِنَّكَ كتبتَ إليَّ في جسيمِ أمرِ أُمَّةِ محمد ﷺ، فماذا أقول لربِّي - عزَّ وجلَّ - إذا قَدِمْتُ عليه؟ ليس لي فيما عرضتَ من حاجة، والسلام عليك).

قال أبو بردة: (فلما وَلِيَ أَمْرَهُ، فلم يُغلقْ دوني باب، ولم تكن لي حاجة إلا فُضِّيتُ)^(١).

وعن حُمَيد بن هلال، عن أبي بُرْدَةَ قال: (دخلتُ على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحة، فقال: هَلُمَّ يا ابنَ أخي تحوّلْ فانظُرْ. قال: فتحولتُ فنظرتُ، فإذا هي قد سُبِرَتْ - يعني قرحته - فقلتُ: ليس عليك بأسٌ يا أمير المؤمنين. قال: إذ دخل يزيدُ بن معاوية، فقال له معاوية: إن وليتَ من أمر الناس شيئاً، فاستوصِ بهذا، فإنَّ أباه كان أخاً لي، أو خليلاً أو نحو هذا من القول، غير أنني قد رأيتُ في القتال ما لم يَرَ)^(٢).

● ● وفي الفتنة الثانية حيث وقعت «معركة صِفِّين» بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقُتِلَ بين الفريقين مقتلة عظيمة، ووضعت الحرب أوزارها،

(١) أخرجه ابن سعد، وابن عساکر، وصححه شعيب. قوله (فلما ولي): يعني معاوية.

(٢) أخرجه ابن سعد، قال شعيب: رجاله ثقات.

وتراضى الفريقان على تحكيم القرآن الحكيم، فاختر أبو موسى وعمرو بن العاص ليكونا حَكَمين في هذا الموقف الصعب العصيب.

وذهبت الرسل إلى أبي موسى فقالوا له: إن الناس قد اصطَلحوا. فقال: الحمد لله. فقبل له: وقد جُعِلت حَكَمًا! فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه.

أخرج ابن عساكر عن أبي صالح السمان قال: قال علي: (يا أبا موسى، احكم ولو على حَزِّ عنقي).

وقد جاءت روايات تفيد أن علياً أُجبر على اختيار أبي موسى، وأن ابن عباس نصح علياً أن لا يحكّم أبا موسى لأنه دون عمرو، وأشار بالأحنف ومدارها على الواقدي، وهو متروك - كما قال ابن حجر - فلا تُقبل روايته في هذا الأمر الجَلَل.

وكلمة علي لأبي موسى: (احكم ولو على حز عنقي)، لا يمكن أن يقولها جزافاً، وهو - قبل غيره - يعلم أهلية أبي موسى الإمام الفقيه، العالم القاضي، المجاهد الفاتح، الوالي المجرب، القائد المحنك، الذي عَجَمَتُهُ العَاجِمَاتُ، وحنكته التجارب الكثيرة في السنوات الطوال، ويكفيه تزكية أنه كان عاملاً للنبي ﷺ، ثم لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي نفسه! فماذا بعد هذا؟!.

● ● والتقى الحكمان: أبو موسى وعمرو في رمضان من سنة (٣٧هـ)، بدومة الجندل بأذُوح^(١) - وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام - فتراوَصَا على المصلحة للمسلمين، ونظَرَا في تقدير أمور، ثم اتَّفَقَا على أن يعزلا علياً ومعاوية، ثم يجعللا الأمر شورى بين الناس، لِيَتَّفِقُوا على الأصلح لهم، منهما أو من غيرهما. وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال له عمرو:

(١) قرية تقع في الأطراف الجنوبية من بادية الشام.

قولاً ابني عبد الله، فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد؟ فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنتك في الفتن معك، وهو مع ذلك رجلٌ صدق!

لقد نظر أبو موسى في حال الأمة، فرأى أن أمير المؤمنين علياً قد اضطربت عليه الأمور، ولم تعد البلاد منقادة له، ومعاوية قد خرج عن طاعة أمير المؤمنين، ولن تصلح أحوال الأمة إلا بتولية خليفة جديد، يختاره أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الحل والعقد، فتجتمع عليه كلمة الأمة من جديد.

فتوصل من خلال ذلك إلى أن يُعزل علي عن الخلافة، ومعاوية عن إمرة الشام، وأشار بالصحابي الأجلّ عبد الله بن عمر بن الخطاب، لما له من مؤهلات كبيرة، وسوابق مشهورة، وفضائل ماثورة؛ تجعله بمنزلة يكاد يُجمع الصحابة عليه، ولا يختلفون في اختياره.

ووافق عمرو أبو موسى على مبدأ عزل علي ومعاوية، وأن يُرجع إلى الصحابة في تعيين الخليفة، وخالفه في ترشيحه عبد الله بن عمر.

وقال عمرو لأبي موسى: (ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في التفرّد الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعنّ بكما ففيكما معونة، وإن يستغنّ عنكما فطالما استغنّى أمر الله عنكما)!!^(١).

واصطلحا أخيراً على أن إمامة المسلمين يُترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة. وقد كثرت الروايات في هذا المهيّج، وأغلبها عن أبي مخنف لوط بن يحيى، الذي قال فيه الذهبي: (أخباري تالف لا يوثق به). وقال ابن عدي: (شيعي محترق، صاحب أخبارهم).

وتنصُّ هذه الروايات على أن عمراً خدعَ أبا موسى، ومكّر به فقدمه للكلام،

(١) هذا ما قاله الإمام المحقق أبو بكر بن العربي في كتابه «العواصم من القواصم».

فتقدّم أبو موسى فخلع علياً، ثم تنحّى. وأقبل عمرو فقام مقامه، -فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية؛ فإنه وليّ عثمانَ والطالب بدميه، وأحقّ الناس بمقامه! فقال أبو موسى: مَالِكَ لَا وَقَفَكَ اللَّهُ، غدرتَ وفجرتَ، إنما مثلكَ كَمَثَلِ الكلب: إنْ تَحْمَلَ عليه يَلْهَثُ، أو تتركه يلهثُ!.

ومع الأسف فإن كبار المؤرخين استسلموا لهذه الأكاذيب، ووقع فيها الكبار!.

أخرج ابن سعد عن الحسن البصري قال: (كان الحكّمان أبو موسى وعمرو بن العاص، وكان أحدهما يبتغي الدنيا، والآخر يبتغي الآخرة)!

وقال ابن عبد البر في ترجمة أبي موسى من «الاستيعاب»: (فلما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص، ولّوا أبا موسى، وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه، فأقرّه عثمان على الكوفة إلى أن مات، وعزله عليّ رضي الله عنه عنها، فلم يزل واجداً منها على عليّ)!

وقال الذهبي في ترجمته من «معرفه القراء»: (وحكّمه عليّ رضي الله عنه على نفسه في شأن الخلافة، لجلالته وفضله، فمكّر به عمرو وخدعه)!

وقال في أحداث سنة (٣٧هـ) من «العبر»: (وفي رمضان: اجتمع أبو موسى الأشعريّ ومن معه من الوجوه، وعمرو بن العاص ومن معه من الوجوه، بدومة الجندل للتحكيم، فلم ينفقا لأن عمراً خلاً بأبي موسى، وخدعه)!

وتابعه ابن كثير فقال في ترجمة أبي موسى من «البداية والنهاية»: (وكان أحد الحكّمين بين عليّ ومعاوية، فلما اجتمعا خدع عمرو أبا موسى)!

● ● ولست أدري كيف رضي هؤلاء الأئمة أن يركنوا إلى أبي مخنف - لا رعاه الله - فيصدّقوا قوله ويتهموا عمراً بالمكر والخديعة، ويلصقوا بأبي موسى

صفة الغفلة والسذاجة؟! وهل اطلع الحسن البصري - غفر الله له - على قلب عمرو، حتى عَلِمَ أنه يريد الدنيا؟! .

كيف نقبل هذا ونحن نقف أمام قول رسول الله ﷺ: «أَسْلَمَ النَّاسُ، وَأَمَّنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»^(١)! وهذه الشهادة النبوية لن تكون إلا لرجل قد عمَّرَ الإيمانُ قلبه، وُخِّمَ له بالحسنى والعمل الصادق الصالح. فأين من هذا قول مَنْ يَشْكُكُ في نية عمرو وصدق مسعاه! .

ولا يمكن لعمرو أن يقامر بمصلحة المسلمين، وينكأ جراحهم من جديد، للوصول إلى عرض دنيوي! وهل مثله في مكانته وشرفه، ورجاحة عقله، يرضى بأن يظهر أمام الناس بمظهر المخادع المخاتل، للحصول على إمرة مزعومة؟! .

والعجيب - أيضاً - في هذه الروايات اتَّهَمَها أبا موسى بالسذاجة والغفلة، وهو الرجل الذي احتاز ثناء النبي ﷺ ورضاه، فكان واحداً من عماله، ومات ﷺ وهو أمير على اليمن، فهل يؤمر رسول الله ﷺ ساذجاً مغفلاً؟! ثم هل خفيت هذه الصفة - إن كانت - على الخلفاء الراشدين الأربعة الذين رضوا به والياً على البصرة والكوفة؟ وكيف يغفل عنها عمر الذي كان كثير التنقيب والتفتيش على ولاته، وقد عزل الكثيرين ولم يعزل أبا موسى، بل أوصى بأن يقرَّ أربع سنين بعده، لا بل امتدحه وأثنى عليه بقوله: (إنه كبير)، وفي رواية: (إنه كَيْس)! حتى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال فيه: (صُبِغَ في العلم صبغة)، فهل يتفق العلم مع الغفلة، أم يجتمع مع السذاجة؟! .

قال أبو بكر بن العربي في «العواصم من القواصم»: (وكان أبو موسى رجلاً تَقِيًّا، ثَقْفًا، فقيهاً، عالماً - حسبما بيَّناه في كتاب «سراج المريدين» - أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقَدَّمه عُمر وأثنى عليه بالفهم. وَرَعَمَتِ الطائفةُ التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وأن ابن العاص

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وقال الألباني: حديث حسن.

كان ذا دهاء وأرب، حتى ضُربت الأمثال بدهائه؛ تأكيداً لما أرادت من الفساد، وتبع في ذلك بعضُ الجهال بعضاً، وصنّفوا فيه حكايات).

وقال الحافظ في «الفتح»: (كان بعثُ أبي موسى إلى اليمن بعد الرجوع من غزوة تبوك، لأنه شهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ . . . واستدل به على أن أبا موسى كان عالماً فطناً حاذقاً، ولولا ذلك لم يؤلّه النبي ﷺ الإمارة، ولو كان فوّض الحكمَ لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصّاه به، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي. وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه، ونسّبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة؛ لِمَا صدر منه في التحكيم بصفتين. قال ابنُ العربي وغيره: والحقُّ أنه لم يصدُر منه ما يقتضي وصفه بذلك، وغاية ما وقع منه أنّ اجتهاده أدّاه إلى أن يجعل الأمر شورى بين مَنْ بَقِيَ مِنَ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَنَحْوِهِمْ؛ لِمَا شَاهَدَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ الشَّدِيدِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ بِصَفْتَيْنِ، وَآلِ الْأَمْرِ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ).

علمه ومروياته:

كان أبو موسى من نجباء الصحابة، عالماً عاملاً صالحاً، حفظ القرآن وأقرأه الناس، وحمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً، وهو أحد كبار المحدثين الفقهاء القضاة.

عن الزُّبَيْرِ بْنِ الْخُرَيْتِ، عَنْ أَبِي لَيْدٍ لِمَا زَبَرَ قَالَ: (مَا كَانَ يُشَبَّهُهُ كَلَامَ أَبِي مُوسَى إِلَّا بِالْجَزَارِ الَّذِي لَا يُحْطَىءُ الْمَفْصِلُ)^(١).

القارىء:

حفظ أبو موسى القرآن، وعرضه على النبي ﷺ، وأقرأه الناس عندما أصبح والياً.

قال الذهبي: (وهو معدودٌ فيمن قرأ على النبي ﷺ. أقرأ أهل البصرة،

(١) أخرجه ابن سعد، وابن عساكر. قال شعيب: إسناده صحيح.

وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّينِ . قَرَأَ عَلَيْهِ حِطَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيُّ ، وَأَبُو رَجَاءِ الْعَطَّارِيُّ .

● ● وكان طيب الصوت، ليس في الصحابة أجمل منه صوتاً، استمع لتلاوته الرسول ﷺ، وأزواجه، والصحابة والتابعون، وأعجبوا بصوته، وأثنوا عليه.

عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^(١).

وعن خالد بن نافع: حدثنا سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى: (أن النبي ﷺ مرَّ عليه ذات ليلة، وأبو موسى يقرأ في بيته، ومع النبي ﷺ عائشة رضي الله تعالى عنها، فقاما فاستمعا لقراءته، ثم إنهما مضيا. فلما أصبح لقي أبو موسى النبي ﷺ، فقال له: «يا أبا موسى، مررت بك البارحة، ومعني عائشة، وأنت تقرأ في بيتك، فقمنا فاستمعنا لقراءتك!» فقال أبو موسى: يا نبي الله، أما إني لو علمتُ بمكانك؛ لَحَبَّرْتُ لَكَ الْقُرْآنَ تَخْيِيراً)^(٢).

وعن الزهري، عن أبي سلمة: (أن عُمرَ كان إذا رأى أبا موسى قال: ذَكَّرْنَا يَا أبا موسى . فيقرأ عنده)^(٣).

وأخرج ابن سعد بسنده عن أبي نضرة قال: (قال عُمر لأبي موسى: شَوْقُنَا إِلَى رَبَّنَا . فقرأ . فقالوا: الصلاة . فقال عمر: أَوْ لَسْنَا فِي صَلَاةٍ)^(٤).

وعن أنس قال: (قعد أبو موسى في بيته، واجتمع إليه ناسٌ، فأنشأ يقرأ

(١) أخرجه البخاري، ومسلم - واللفظ له - والترمذي، وابن سعد عن أبي موسى.

(٢) أخرجه أبو نعيم - وهذا لفظه - وابن عساكر، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه الطبراني، ورجاله على شرط الصحيح، غير خالد بن نافع الأشعري، ووثقه ابن حبان وضعفه جماعة. وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي هناك، وأعله في «السير» بقوله: خالد ضَعَّفَ.

(٣) أخرجه ابن سعد، وأبو عبيد، وأبو نعيم، وابن عساكر. قال شعيب: رجاله ثقات.

(٤) قال شعيب: إسناده صحيح.

عليهم القرآن. قال: فأتى رسول الله ﷺ رجلاً، فقال: يا رسول الله، ألا أعجبك من أبي موسى! قعد في بيتٍ واجتمع إليه ناس، فأنشأ يقرأ عليهم القرآن. فقال رسول الله ﷺ: «أتستطيع أن تُقعدني حيث لا يراني أحدٌ منهم؟». قال: نعم. فخرج رسول الله ﷺ، قال: فأقعدته الرجل حيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبي موسى، فقال: «إنه يقرأ على مِزمارٍ من مزامير آل داود»^(١).

وقال أبو عثمان التُّهَيْدِيُّ: (ما سمعتُ مِزماراً ولا طُنْبوراً ولا صَنْجاً أحسنَ من صوتِ أبي موسى الأشعري؛ إن كان ليُصلي بنا فتَوَدُّ أَنَّهُ قرأ البقرة، من حُسنِ صوته)^(٢)!

● ● وفي البصرة والكوفة جلس للناس يقرئهم القرآن، فكان إذا فرغ من صلاته التفت إلى الناس، ودعاهم واحداً واحداً، فيُقرئ كلَّ رجل آيات من الكتاب العزيز، حتى تخرَّج به جمٌ غفير من القراء، فعندئذ قسم الناس حلقات، وجعل لكل حلقة عريفاً، وكان هو يطوف على الحلقات، فيردُّ أخطاءهم، ويثني على محسنهم.

أخرج ابن عساكر عن ابن شوذب: أن أبا موسى (كان إذا صلى الصبح أمر الناس فثبُّوا في مجالسهم، ثم استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئه القرآن، حتى يأتي على الصفوف).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: (كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد، مسجد البصرة، نقعد حلقاتاً، فكأنني أنظر إليه بين بُردين أبيضين يُقرئني القرآن، ومنه أخذتُ هذه السورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. قال أبو رجاء: فكانت أول سورة أنزلت على محمد رسول الله ﷺ)^(٣).

(١) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه أبو يعلى، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن سعد، وابن أبي داود، وأبو عبيد، وأبو نعيم، وصحَّحه الحافظ في «الفتح».

(٣) أخرجه أبو نعيم - واللفظ له - والحاكم وصحَّحه ووافق الذهبي. ولفظة (نقعد): وقعت في =

وأخرج ابن زنجويه عن كِنانة العدوي قال: (كتبَ عُمَرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى أمراء الأجناد: أن ازفَعُوا إِلَيَّ كُلَّ مَنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ، حَتَّى أَلْحَقَهُمْ فِي الشَّرَفِ مِنَ الْعَطَاءِ، وَأَرْسَلَهُمْ فِي الْآفَاقِ يَعْلَمُونَ النَّاسَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْأَشْعَرِيُّ - رضي الله عنه - أنه بَلَغَ مَنْ قَبْلِي مَمَّنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ رِجَالٍ).

المحدث:

● ● سمع أبو موسى الكثير من رسول الله ﷺ، وأخذ عن كبار الصحابة، واستفاد كثيراً من عمر وابن مسعود.

عن أبي بكر بن أبي موسى: (أن أبا موسى أتى عُمَرَ بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عُمَرُ: ما جاء بك؟ قال: جئتُ أتحدّثُ إليك. قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر، فتحدّثنا طويلاً ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين. قال: إنا في صلاة^(١)).

وعن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيْدة قال: سمعتُ أبا موسى يقول: (مجلسُ كنتُ أُجالِسُهُ ابنَ مسعودٍ أوثقُ في نفسي من عمل سنة)^(٢).

● ● وكان يحث تلامذته على العناية بحديث رسول الله ﷺ، والاهتمام بالحفظ أكثر من الكتابة.

أخرج ابن عساكر عن أبي بُرْدَةَ قال: (كتبْتُ حديثَ أَبِي، فقال: أَلَا أَرَأَيْكَ تَكْتُبُ حَدِيثِي؟ قلتُ: أَجَلٌ. قال: فَاتِّبِنِي بِهِ، قال: فَاتَيْتُهُ بِهِ، فَمَحَاهُ، وقال: احفظْ كما حفظتُ)!

= الحلية (يقعد)، فلعلها مصحفة، ففي المستدرک: (كنا نجلس حلقاً حلقاً).

(١) أخرجه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ».

وعند ابن سعد عن أبي بردة أنه كان يكتب حديث أبيه، قال أبو بردة: (فَحَدَّثْتُ حَدِيثًا، فَذَهَبْتُ أَكْتُبُهُ كَمَا كُنْتُ أَكْتُبُ، فَارْتَابَ بِي وَقَالَ: لَعَلَّكَ تَكْتُبُ حَدِيثِي؟! قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَاتَّيَّنِي بِكُلِّ شَيْءٍ كَتَبْتُهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَمَحَاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَحْفَظْ كَمَا حَفَظْتُ) (١).

● ● روى أبو موسى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وعائشة أم المؤمنين.

وحدث عنه: أولاده: إبراهيم، وأبو بكر، وأبو بردة، وموسى، وامرأته أم عبدالله، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، والأسود بن يزيد النخعي، وثابت بن قيس النخعي، والحسن البصري، وربيع بن جراح، وزيد بن وهب الجهني، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وشقيق بن سلمة، وطارق بن شهاب، وعامر الشعمي، وأبو عبد الرحمن السلمى، وأبو عثمان عبد الرحمن بن ممل النهدي، وعلقمة بن قيس، وغنيم بن قيس المازني، ومرة بن سراحيل الهمداني الطيب، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو مجلز لاحق بن حميد، وأبو عبدة بن عبد الله بن مسعود، وخلق سواهم.

● ● مسند أبي موسى ثلاث مئة وستون حديثاً، اتفق الشيخان منها على تسعة وأربعين حديثاً، وتفرد البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بخمسة عشر حديثاً. وخرج حديثه جميع أهل المسانيد والسنن.

الفقيه:

أخرج ابن سعد عن مسروق قال: (كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ: عمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري).

(١) قال شعيب: رجاله ثقات.

وأخرج الحاكم عن مسروق قال: (انتهى علم أصحاب النبي ﷺ إلى هؤلاء النفر: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأبي موسى الأشعري).

وأخرج ابن عساكر عن صفوان بن سليم قال: (لم يكن يُفتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ، غير هؤلاء: عمر، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى).
وقد كان مثبتاً في الفتيا، رجاعاً إلى الحق إذا تبين له خطأ اجتهاده.

عن هُزَيْلِ بْنِ شُرْحَيْبِيلٍ قَالَ: (سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ عَنْ امْرَأَةٍ تَرَكَتْ ابْنَتَهَا، وَابْنَةَ ابْنِهَا، وَأَخْتَهَا؟ فَقَالَ: النِّصْفُ لِلابْنَةِ، وَاللَّأخْتِ النِّصْفُ، وَقَالَ: أَتَيْتَ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَإِنَّهُ سَيَتَابِعُنِي. قَالَ: فَأَتَوْا ابْنَ مَسْعُودٍ، فَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمَهْتَدِينَ! لِأَقْضِيَنَّ فِيهَا بِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ الْإِبْنِ السُّدُسُ تَكْمَلَةَ الثَّلَاثِينَ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأَخْتِ. فَأَتَوْا أَبَا مُوسَى، فَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ)^(١)

القاضي:

ومن الجوانب العلمية عند أبي موسى رضي الله عنه، أنه واحد من كبار قضاة الصحابة، ولقد كان من أنجب تلاميذ عمر في هذا الباب، جلس إليه، وأخذ عنه، وتلقى كثيراً من كتبه ووصاياه عندما كان عاملاً على البصرة، كما كان يرجع إليه ويستشيره - أحياناً - إذا اعتاصت عليه بعض القضايا.

قال مسروق: (كان القضاء في الصحابة إلى ستة: عمر، وعلي، وابن

(١) أخرجه أحمد - واللفظ له - والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي، والطيالسي.

مسعود، وأبيّ، وزيد، وأبي موسى^(١).

وعن الشعبي قال: (قُضَاةُ هذه الأمة أربعة: عُمر، وَعَلِي، وزيد، وأبو موسى الأشعري)^(٢).

وأخرج ابن سعد عن قتادة: أن أبا موسى قال: (لا يَنْبَغِي للقاضي أن يقضي حتى يتبيّن له الحقُّ، كما يتبيّن الليلُ من النهار! فبلغ ذلك عمرَ فقال: صدّقَ أبو موسى).

المعلم:

جلس أبو موسى للناس ينشر علمه الغزير فيهم، فَبَثَّ في البصرة والكوفة علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه: فأقرأ الناسَ القرآنَ، وروى لهم حديثَ النبي ﷺ، وعلمهم وفقَّهَهُمْ، وتَنَقَّلَ في مساجدهم يرشدهم ويعظهم، ويعلمهم أمور دينهم، ويجيب على سؤالاتهم، ويفتيهم. فأفاد الناس منه كثيراً، وانقطع إليه عدد كثير من شدة العلم، ومحبي السنة، فنهلوا من بحره، واغترفوا من فيض علمه؛ فتمكن خلال سني بقائه في دُنْيَاكَ المصريين العظيمين، من تكوين جيل من قراء القرآن، وحملة السنة، والفقهاء.

قال الحسن البصري: (ما قدم البصرة راكب خير لأهلها من أبي موسى الأشعري)^(٣).

أخرج ابن سعد عن أبي المهلب قال: (سمعتُ أبا موسى على منبره وهو يقول: مَنْ عَلمَهُ اللهُ عِلْماً فَلْيُعَلِّمْهُ، ولا يقولنَّ ما ليس له به عِلْمٌ، فيكونَ من المتكلمين، ويَمْرُقَ من الدين).

(١) أخرجه أبو زرعة في «تاريخ دمشق». قال شعيب: سنده صحيح. وهو في «تاريخ ابن عساكر».

(٢) أخرجه ابن سعد، وابن عساكر.

(٣) أخرجه الحاكم وسكت عليه، وصححه الذهبي على شرط مسلم.

مكانته وثناؤهم عليه :

أثنى على أبي موسى رسول الله ﷺ، والصحابة، والتابعون، والأئمة المهديون، وكفاه تزكية أنه عاملٌ رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدين الأربعة .

● ● قال فيه عمر : (أما إنه كبير).

وعن أبي البختريّ قال : (أتينا عليًا فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ، فقال : عن أيهم؟ قال : قلنا : حدثنا عن عبد الله بن مسعود؟ قال : عَلِمَ القرآنَ والسنةَ ثم انتهى، وكفى بذلك علمًا. قال : قلنا : حدثنا عن أبي موسى؟ قال : صُيغ في العلم صبغةً ثم خرج منه). الحديث^(١).

وأخرج ابن عساكر عن الأسود بن يزيد قال : (لم أرَ بالكوفة من أصحاب محمد ﷺ أعلمَ من عليّ بن أبي طالب والأشعريّ).

وأخرج ابن سعد عن عامر الشَّعْبِيِّ قال : (كان علماء هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ستة : عُمر وعبد الله وزيد بن ثابت، فإذا قال عمرٌ قولاً، وقال هذان قولاً؛ كان قولهما لقوله تبعاً. وعليّ وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري، فإذا قال عليّ قولاً، وقال هذان قولاً؛ كان قولهما لقوله تبعاً).

وقد مرَّ قول مسروق، والحسن، وصفوان بن سُليم.

● ● وحلاه أبو نعيم في (ذكر أخبار أصبهان) ب (ذي الحلم الرصين، والرأي المتين، العالم العامل الأمين).

وأطاب الذهبي الثناء عليه في مواضع كثيرة من كتبه، ومن ذلك قوله في

(١) أخرجه ابن سعد مطولاً، والفسوي في «المعرفة والتاريخ»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن عساكر في «تاريخه»، قال شعيب: رجاله ثقات. وقد ذكرناه مطولاً في «ترجمة سلمان» ص ٤٩٣.

«السَّيْر»: (الإمام الكبير، صاحبُ رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي، الفقيه المُقرئ).
.

وقال ابن كثير في ترجمته من «البداية والنهاية»: (كان من قراء الصحابة وفقهائهم).

من أخباره الشخصية:

أمه: قال ابن سعد وأبو عبيد: أم أبي موسى هي: ظَبْيَةُ بنتُ وهب، من عَكَّ، كانت قد أسلمت وماتت بالمدينة.

عمه: هو أبو عامر عُبَيْد بن سُلَيْم بن حَضَار الأشعري، وقد جاء التصريح باسمه في قوله ﷺ: «اللهم اغفر لعُبَيْدِ أبي عامر».

استشهد - رضي الله عنه - في غزوة أوطاس، وكان أميرها.

وذكر الإمام ابن إسحاق أن أبا عامر ابنُ عم أبي موسى، وعدّه الحافظ ابن حِبَّان في «تاريخ الصحابة» أخاً لأبي موسى، والصحيح المشهور ما قدَّمناه.

إخوته:

ذكرت بعض الروايات أخوين لأبي موسى، جاء التصريح باسميهما في قصة هجرة الأشعريين من حديث أبي موسى قال: (بَلَّغْنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ ونحن باليمن؛ فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بُرْدَة، والآخر أبو رُهم). الحديث، وقد مرَّ بطوله.

وقد ترجم لهما الحافظ في «الإصابة» قسم «الكنى»، وترجم لهما غير واحد ممن كتب في «تاريخ الصحابة».

أزواجه:

لأبي موسى أكثر من زوجة، وقفت على ذكر ثلاث هن:

الأولى: لم تسمَّ، توفيت في طاعون عمّواس، فقد ذكر الطبري في «تاريخه» من حديث أبي موسى الأشعري، أن عمر أراد استخراج أبي عبيدة وجنده من الطاعون، فكان مما كتب إليه: (سلامٌ عليك، أما بعد: فإنك أنزلت الناس أرضاً عميقة^(١))، فازفَعهم إلى أرض مرتفعة نزهة. فلما أتاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم. فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل، فوجدتُ صاحبتني قد أصيبتُ).

الثانية: أم عبد الله بنت أبي دومة.

لها صحبة وحديث، وأخرج لها مسلم وأبو داود والنسائي. ترجم لها الحافظ في «الإصابة»، ولها ترجمة في (تهذيب الكمال) وفروعه.

قال الحافظ في «الفتح»: (وأفادَ عمر بن شبة في «تاريخ البصرة» أن اسمها: صفية بنت دمون، وأنها والدة أبي بردة بن أبي موسى).

وقال ابن سعد: (إنَّ أبا موسى لما أُعْمِيَ عليه، بكث عليه ابنة الدؤمي، أمُّ أبي بُزْدَة).

وهي التي شهدتُ أبا موسى في مرض موته، وقد أُعْمِيَ عليه، فصاحت، فنهاها عن ذلك.

الثالثة: هي أم كلثوم بنت الفضل بن العباس.

تزوجها أبو موسى بعد فراق الحسن بن علي لها، وولدت لأبي موسى ابنة موسى. مات عنها فتزوجها بعده عمران بن طلحة، ففارقها، فرجعتُ إلى دار أبي موسى، فماتتُ بها، ودُفنت بظاهر الكوفة.

(١) عميقة: من الغمق؛ وهو فساد الريح وحمومها.

أولاده:

ذكرت المصادر - فيما وقفت عليه - خمسة أولاد لأبي موسى:

إبراهيم:

عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: (وُلِدَ لي غلامٌ، فأُتيتُ به النبي ﷺ، فسَمَّاهُ إبراهيمَ، فَحَنَكُهُ بتمرَّة، ودَعَا له بالبركة، ودَفَعَهُ إليَّ. وكانَ أكبرَ ولدِ أبي موسى)^(١).

ترجم له الحافظ في «الإصابة» في (القسم الثاني من حرف الألف، ذكر من له رؤية)، وفي «التهديب»، وفي «التقريب» فقال هنا: (له رؤية، ولم يثبت له سماعٌ إلا من بعض الصحابة، ووثقه العجلي، مات في حدود السبعين). أخرج حديثه مسلم، والنسائي، وابن ماجه.

أبو بكر:

قال ابن سعد: (روى عن أبيه وغيره، وكان قليل الحديث يُسْتَضْعَف، ومات في ولاية خالد بن عبد الله، وكان أكبر من أبي بردة).

وقال الحافظ في «التقريب»: (ثقة، من الثالثة، مات سنة ست ومئة. وكان أسنَّ من أخيه أبي بردة). أخرج حديثه الستة.

أبو بُرْدَةَ:

قيل: اسمه عامر، وقيل: الحارث. وكان إماماً فقيهاً ثبتاً، كثير الحديث، وسنفرد له ترجمة إن شاء الله.

موسى:

روى عن أبيه وابن عباس، وأخرج حديثه الترمذي وابن ماجه. قال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

(١) أخرجه الشيخان، واللفظ للبخاري.

خرج مع أبيه لفتح أصبهان، واستشهد هناك.

أخرج أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» بسنده عن مزداس بن نُمير، عن أبيه قال: (كنتُ من حَرَسِ عبدِ الله بنِ قيسِ حينَ قَدِمَ أصبهانَ، فقامَ علي شرفِ الحصنِ عِلْجٌ، فرمى ابنَه بِسِهمٍ، فغرَزَ السهمَ في عَجْزِهِ، فاستُشهد وهو ساجدٌ!) ودفن هناك.

محمد:

وهو الابن الخامس لأبي موسى، ذكره أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان».

● ● وله أحفاد رووا الحديث، منهم: سعيد ويوسف وبلال أبناء أبي بردة بن أبي موسى.

ومن ذريته العلامة الكبير إمام المتكلمين أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، المتوفى سنة (٣٢٤هـ) ببغداد.

وفاته:

● ● لما شعر أبو موسى بدنوّ أجله، أوصى أهله وبنيه بوصايا، وتبرأ مما يخالف سنة النبي ﷺ.

أخرج ابن سعد عن سيار بن سلامة قال: (لما حضرَ أبا موسى الأشعريّ الموتُ، دعا بنيه فقال: انظروا إذا أنا ميتٌ؛ فلا تُؤذِنَنَّ بي أحداً، ولا يُتبعنِّي صوتٌ ولا نارٌ).

وعنده عن قَسامةِ بنِ زُهَيْرٍ، عن أبي موسى الأشعري أنه قال: (أعمقوا لي قَبْرِي).

وأخرج أبو نعيم، وابن عساكر، عن الضحاک بن عبد الرحمن بن عَزْرَب^(١)

(١) قال الحافظ في التريب: «ثقة، من الثالثة».

قال: (دعا أبو موسى الأشعري فتيانه حين حضرته الوفاة، فقال: اذهبوا فاحفروا، وأوسعوا وأعمقوا. فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا، وأوسعنا وأعمقنا. فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين: إما لِيُوسَعَنَّ عليَّ قبري، حتى تكونَ كلُّ زاويةٍ منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحنَّ لي بابٌ إلى الجنة، فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي، وما أعدَّ الله لي من الكرامة، ثم لأكوننَّ أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي! ثم لِيُصَيِّبني من ريحها ورَّوحها حتى أبعث. ولئن كانت الأخرى - ونعوذُ بالله منها - لِيُصَيِّقَنَّ عليَّ قبري، حتى يكونَ أضيَّقَ من القنَّاة في الرُّج^(١)، ثم لِيُفْتَحَنَّ لي باب من أبواب جهنم فلأنظرنَّ إلى سَلَّاسِلي وأَغْلالي وقُرْنائي، ثم لأكونن إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي! ثم لِيُصَيِّبني من سَمومها وحَمِيمها حتى أبعث).

عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بُرْدَةَ بن أبي موسى قالوا: (أُعْجِبني على أبي موسى، وأقبلتِ امرأته أمُّ عبد الله تُصَيِّحُ بِرَيْئَةٍ، قالوا: ثم أفاق. قال: أَلَمْ تَعْلَمِي - وكان يحدثُها - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ، وَسَلَقَ، وَخَرَقَ»).

وفي رواية عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى قال: (وَجِجَ أبو موسى وَجِعاً، فَغُشِي عليه، ورأسُه في حَجَرِ امرأةٍ من أهلِه، فصاحتِ امرأةٌ من أهلِه، فلم يستطع أن يردَّ عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بَرِيءٌ مما بَرِيءَ منه رسولُ الله ﷺ؛ فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ بَرِيءٌ من الصَّالِقَةِ، والحَالِقَةِ، والشَّاقِقَةِ^(٢)!).

● ● اختلف في سنة وفاته: فقيل: سنة اثنتين وأربعين. وقيل: ثلاث وأربعين. وقال أبو نعيم، وابن نمير، وقعب بن المحرر، وأبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة، وعبد الله بن براد الأشعري: مات سنة أربع وأربعين.

(١) القنَّاة: الرمح. الرُّج: الحديدية التي تركب في أسفل الرمح.
(٢) أخرجه البخاري تعليقاً، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، ولفظ الروایتين لمسلم. قوله (برنة): الرنة: صوت مع البكاء. (الصالقة): التي ترفع صوتها عند المصيبة. (الحالقة): التي تحلق شعرها عند المصيبة. (الشاققة): التي تشق ثوبها عند المصيبة.

وقيل: سنة خمسين، وإحدى وخمسين، واثنين وخمسين، وثلاث وخمسين! وذكره ابن كثير في وفيات سنة خمسين من الهجرة، وقال: (الصحيح سنة ثنتين وخمسين).

وقال الذهبي في «السِّيَر»: (توفي أبو موسى في ذي الحجة سنة أربع وأربعين، على الصحيح).

قلت: الذي صححه الذهبي، وذهب إليه عدد من الأئمة؛ أدنى إلى الصواب، إذ يبعد أن يعيش أبو موسى إلى سنة (٥٢هـ)، ولا يُسمع له ذِكر في ميدان العلم والجهاد، طيلة ثمانية أعوام.

وأما سَنُهُ: فذكر أبو بكر بن أبي شيبة أنه مات وهو ابن ثلاث وستين سنة. ونقل ذلك كثير ممن ترجم لأبي موسى. فعلى هذا يكون مولده سنة (١٩) قبل الهجرة النبوية.

وُدْفِنَ بِمَكَّةَ، وقيل: بالثَّوِيَّةَ، على ميلين من الكوفة. رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

(١٦) - زيد بن ثابت^(١)

١١ ق. هـ - ٤٥ هـ

- (١) مصادر ترجمته: صحيح البخاري ٣/١٣٨٦، ٤/١٩٠٧ - ١٩٠٨، ١٩١٣، صحيح مسلم ٤/١٩١٤ - ١٩١٥، سنن الترمذي ٥/٦٦٤ - ٦٦٦، سنن ابن ماجه ١/٥٥، مسند أحمد ٥/١٨١ - ١٩٢، المعجم الكبير للطبراني ٥/١١١ - ١٨٢، المستدرک ٣/٤٢١ - ٤٢٣، ٤٢٧ - ٤٢٨، جامع الأصول ٢/٥٠١ - ٥٠٧، ٨/٥٦٧، المشكاة ٣/١٧٢٧، تحفة الأشراف ٣/٢٠٥ - ٢٢٧، مجمع الزوائد ٩/٣٤٥، الفتح ٧/١٢٧ - ١٢٨، ٩/١٠ - ٢٣، ٤٧، ٥١ - ٥٣، ١٣/١٨٥ - ١٨٧، كنز العمال ١٣/٣٩٣، طبقات ابن سعد ٢/٣٥٠ - ٣٥١، ٣٥٥ - ٣٥٦، ٣٥٨ - ٣٦٢، طبقات خليفة ٨٩، تاريخ خليفة ٩٩، ٢٠٧، ٢٢٣، التاريخ الكبير للبخاري ٣/٣٨٠ - ٣٨١، ١٢٧٨، التاريخ الصغير له ١/١٠٦ - ١٢٨، ١٤٦، ٢٠٣، المعرفة والتاريخ للفسوي «انظر فهرس الأعلام» تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١٨٩ - ١٩٠، ٣٠٩، ٤٠٣، ٤٤٣، ٤٤٤، ٦٣٣، ٦٤٥، ٦٤٧، ٦٤٨، أخبار القضاة لوكيع ١/٥٣، ١٠٥، ١٠٧ - ١٠٩، ٣٠٠، ٢/٢٠٤، ٢٥٩، تاريخ الطبري «انظر فهرس الأعلام»، الجرح والتعديل ٣/٥٥٨ ت ٢٥٢٤، مشاهير علماء الأمصار لابن خبان ٢٩ ت ٢٢، تاريخ الصحابة له ١٠٥ ت ٤٦٩، الثقات له ٣/١٣٥ - ١٣٦، رجال البخاري للكلاباذي ١/٢٥٦ ت ٣٤٣، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٤٨، ٣٤٩، جوامع السيرة له ٢٦، ٢٧، ١٥٩، ٢١٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣١٩، الاستيعاب ١/٥٣٢ - ٥٣٥، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/١٤٢ ت ٥٥٦، صفة الصفوة ١/٧٠٤ - ٧٠٧، أسد الغابة ٢/٢٢١ - ٢٢٣، الكامل في التاريخ «انظر فهرس الأعلام»، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٠٠ - ٢٠٢ ت ١٨٦، مختصر ابن عساكر لابن منظور ٩/١١٤ - ١٢٢، تهذيب الكمال ١٠/٢٤ - ٣٢ ت ٢٠٩١، تاريخ الإسلام - المغازي وعهد الخلفاء الراشدين «انظر فهرس الأعلام»، عهد معاوية ٥٣ - ٥٨، العبر ١/٣٨، دول الإسلام ٣١، تذكرة الحفاظ ١/٣٠ - ٣٢، الكاشف ١/٢٦٤ ت ١٧٤٢، معرفة القراء الكبار ١/٣٦ - ٣٨، سير أعلام النبلاء ٢/٤٢٦ - ٤٤١، الوافي بالوفيات ١٥/٢٤ - ٢٥، البداية والنهاية ٣/٢٠٢، ٤/٩١ =

اسمه ونسبه ونسبته، وكنيته:

زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد بن لُوذان بن عَمْرُو بن عَبْدِ عَوْفِ بن غَنَمِ بن مالك بن النَّجَّار، الأنصاري، الخَزْرَجِي، النَّجَّارِي، المَدَنِي.

يُكْنَى: أبا سعيد، وأبا خارجة.

بنو النَّجَّار:

زيد بن ثابت ذو نسب فخم، وشرف ضخم، فهو من بني النجار من الخزرج، وقد أثنى النبي ﷺ عليهم، وامتدحهم في غير ما حديث.

عن أنس بن مالك، (عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خيرُ دُورِ الأنصارِ بنو النَّجَّار، ثم بنو عَبْدِ الأشْهَلِ، ثم بنو الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ، ثم بنو سَاعِدَةَ، وفي كلِّ دورِ الأنصارِ خيرٌ»). فقال سَعْدٌ: ما أَرَى النبي ﷺ إِلَّا قد فَضَّلَ عَلَيْنَا. فقيل: قد فَضَّلَكُم على كثيرٍ^(١).

إسلامه:

قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، وعُمُرُ زيدٍ إحدى عشرة سنة، وكان أسلم قبل ذلك.

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: (أُتِيَ بي النبي ﷺ مَقْدَمُهُ المدينة، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلامٌ من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك

= ٣٤٦/٥ - ٣٤٧، ٤٢/٦، ٣٥٣، ١٧٦/٧، ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٩/٨ - ٣٠، فضائل القرآن لابن كثير ١٤ - ٢٠، ٢٧، ٤٦ - ٤٧، غاية النهاية ١/٢٩٦ ت ١٣٠٥، الإصابة ١/٥٤٣ - ٥٤٤، تهذيب التهذيب ٣/٣٤٤ - ٣٤٥، تقريب التهذيب ١/٢٧٢، الرياض المستطابة ٨٤ - ٨٥، خلاصة تذهيب التهذيب ١٢٧، شذرات الذهب ١/٥٤، ٦٢، حياة الصحابة «انظر فهرس الأعلام». وغير ذلك من كتب السير والتواريخ.

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم، والترمذي. قوله (فقال سعد): هو سعد بن عبادة، وهو من بني ساعدة.

سَبْعَ عَشْرَةَ سُورَةً. فَقَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودٍ، فَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا آمَنْتُهُمْ عَلَى كِتَابِي». قَالَ: فَتَعَلَّمْتُهُ. فَمَا مَضَى لِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَذَفْتُهُ، وَكُنْتُ أَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ^(١).

فهذا يدل على أن زيدا أسلم قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فقد حفظ سبع عشرة سورة من القرآن، قبل مقدمه ﷺ.

مشاهدته:

● ● أكثر مَنْ ترجموا له ذكروا أن أول مشاهدته: الخندق، فلم يحضر بدرًا ولا أحدًا. وقال بعضهم شهد أحدًا، ولعل هذا هو الصواب.

روى الواقدي عن زيد بن ثابت قال: (لم أجز في بدر ولا أحد، وأجزت في الخندق).

وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ رَدَّ يَوْمَ أُحُدٍ عَدَدًا مِنْ فِتْيَانِ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ.

وأما ابن عبد البر فقال: (شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد. وقيل: إن أول مشاهدته الخندق).

وثمة ما ينصر رأي أبي عمر:

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: (بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ لَطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَقَالَ لِي: «إِنَّ رَأْيَتَهُ فَأَقْرَبُهُ مِنْي السَّلَامَ»، وَقُلْتُ لَهُ: يَقُولُ لَكَ

(١) علقه البخاري في «صحيحه»، ووصله في «التاريخ الكبير»، وابن سعد، وأحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، والطبراني، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. (تنبيه): وقع في «تاريخ الإسلام - عهد معاوية - ص ٥٤»: (ولما قدم أبي بي إليه، فقالوا: هذا غلام... إلخ، فكلمة (أبي) محرفة صوابها (أبي)، لأن أبا زيد قُتِلَ يَوْمَ بُعَاثِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ وَبِالسُّطْرِ الْأَوَّلِ، وَلَكِنْ!!).

رسول الله: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطرف بين القتلى، فأصبتُه وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم! فقلت له: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «خبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجدني أجد ریح الجنة. وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف! قال: وفاضت نفسه، رحمه الله»^(١).

وشهد زيد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وكان يوم الخندق فيمن ينقل التراب مع المسلمين، وغلبته عيناه يومئذ فرقد، فجاء عمارة بن حزم، فأخذ سلاحه وهو لا يشعر، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا رقاد! ويومئذ نهى النبي ﷺ أن يروغ المؤمن، ولا يؤخذ متاعه جاداً ولا لاعباً.

مناقبه:

مناقب زيد كثيرة، وفضائله غزيرة، فقد كان كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، وأحد من حفظ القرآن في حياته ﷺ، وأعلم الأمة بالمواريث، وتولى جمع الكتاب العزيز في عهد الخليفين أبي بكر وعثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

عن قتادة قال: سمعت أنساً يقول: (جمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال قتادة: قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي)^(٢).

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. والشفر: حرف جفن العين الذي يثبت عليه الشعر.

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي، واللفظ لمسلم. وهذا الحصر بالأربعة المذكورين إضافي وليس بحقيقي، وانظر ما كتبناه في «ترجمة أبي» ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أزحمتُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمرِ الله عُمَرُ، وأصدقُهم حياةَ عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأقرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإنَّ لكلِّ أمةٍ أميناً، وإنَّ أمينَ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»^(١).

مع النبي ﷺ:

لزم زيد رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة، فكان أحد أبرز كتّاب الوحي، وترجمان النبي ﷺ، والذي يكتب له الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء وغيرهم. وانضاف إلى ذلك أن زيدا كان جاراً للرسول ﷺ، فازداد قرباً منه، وملازمة له، فسمع منه القرآن، وعرضه عليه، وأخذ عنه السنَّة القولية والفعلية، وصحبه في صلواته، وزهابه ومجيئه، وطعامه؛ فكانت تلك المدة المباركة غراساً طيباً أتى أكله في حياة زيد بعد أن لحق النبي ﷺ برَّبِّه، حيث أصبح واحداً من كبار مُقرِّي الصحابة، ومحدِّثيهم، وفقهائهم، وقُضَّاتهم.

روي عن زيد أنه قال: (أول هدية أُهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئتُ بها، قصعة فيها خبز مَثْرُود بلبين وسمن، فقلتُ: أرسلتُ بهذه القصعة أمتي. فقال: «بارك اللهُ فيك». ودعا أصحابه فأكلوا).

عن خارجة بن زيد: (أَنَّ نَفَرًا دخلوا على أبيه زيد بن ثابت، فقالوا: حَدِّثْنَا عن بعضِ أخلاق النبي ﷺ. فقال: كنتُ جَارَهُ، فكان إذا نزلَ عليه الوحيُ بعثَ إليَّ فَاتِيَهُ، فأكتب الوحي، فكان إذا ذَكَرنا الدنيا ذَكَرَها معنا، وإذا ذَكَرنا الآخرةَ ذَكَرَها معنا، وإذا ذَكَرنا الطعامَ ذكره معنا، فكل هذا أحدثكم عنه)^(٢).

(١) أخرجه أحمد، والنسائي، والترمذي - واللفظ له - وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، والبيهقي في «سننه»، وغيرهم. وصححه عبد القادر وشعيب والألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل»، وابن سعد، وابن أبي داود في «المصاحف»، وأبو =

● ● عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: (أُرْسِلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنَآ لِي قُبُضَ فَائْتِنَا. فَارْسَلْ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَارْسَلْتُ إِلَيْهِ تُفْسِمُ عَلَيْهِ لِأَتَيْنَهَا! فِقَامَ وَمَعَهُ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقُ - قَالَ: حَسْبُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَيْءٌ - ففَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟! فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عْبَادِهِ الرَّحْمَاءُ»^(١).

وعن أَنَسٍ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ. قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسُّحُورِ؟ قَالَ: قَدَّرُ خَمْسِينَ آيَةً)^(٢).

● ● عن خَارِجَةَ بِنْتُ زَيْدٍ، عن زيد بن ثابت قال: (كُنْتُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ، فَوَقَعْتُ فِخْذُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فِخْذِي، فَمَا وَجَدْتُ ثِقَلَ شَيْءٍ أَثْقَلَ مِنْ فِخْذِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: «اكْتُبْ»، فَكُتِبَتْ فِي كِتَابِي: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فِقَامَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى - لَمَّا سَمِعَ فَضِيلَةَ الْمُجَاهِدِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ، غَشِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ السَّكِينَةُ، فَوَقَعْتُ فِخْذَهُ عَلَى فِخْذِي، وَوَجَدْتُ مِنْ ثِقَلِهَا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ كَمَا وَجَدْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا زَيْدُ»، فَقَرَأْتُ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ» الْآيَةَ كُلَّهَا. قَالَ زَيْدٌ:

= نعيم في «الدلائل»، والبيهقي، ونسبه الهيثمي في «المجمع» للطبراني وقال: إسناده حسن.
 (١) أخرجه أحمد، والستة إلا الترمذي، وهذا لفظ البخاري. وابنة النبي ﷺ هذه: هي زينب رضوان الله عليها.
 (٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - ومسلم، والنسائي، والترمذي. قوله (قلت كم): هو مقول أنس، والمقول له هو زيد بن ثابت.

فأثرلها الله وخذها، فألحقثها، والذلي نفسي بيده لكأني أنظرُ إلى ملحقها عند صدع
في كتف) (١).

وعن عطاء بن يسار، عن زيد بن ثابت قال: (قرأتُ على النبي ﷺ:
﴿والتَّجْمُ﴾، فلم يسجد فيها) (٢).

وعن عبد الرحمن بن شماس، عن زيد بن ثابت قال: (كنا عند
رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع، فقال رسول الله ﷺ: «طوبى للشام». فقلنا: لأبي ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها
عليها») (٣).

سيرته وشمائله:

● ● أخرج الإمام مالك في «الموطأ»: (عن يحيى بن سعيد أنه قال: كنتُ
أنا ومحمد بن يحيى بن حبان جالسَيْن، فدعا محمد رجلاً، فقال: أخبرني بالذي
سمعت من أبيك. فقال الرجل: أخبرني أبي أنه أتى زيد بن ثابت، فقال له: كيف
ترى في قراءة القرآن في سبع؟ فقال زيد: حسن، ولأن أقرأه في نصف (٤)، أو
عشر؛ أحب إلي، وسألني: لم ذلك؟ قال: فإني أسألك؟ قال زيد: لكي أتدبره،
وأقف عليه).

وأخرج الطبراني عن زيد بن ثابت أنه كان يقول حين يضطجع: (اللهم إني
أسألك غنى الأهل والمولى، وأعوذ بك أن تدعو عليّ رجم قطعها) (٥).

(١) أخرجه أبو داود بهذا اللفظ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه - مختصراً -

البخاري، والنسائي، والترمذي عن مروان بن الحكم عن زيد. والآية: رقم ٩٥ من سورة النساء.

(٢) أخرجه الستة إلا ابن ماجه، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أحمد، والترمذي - واللفظ له - وقال: حديث حسن غريب، والحاكم وصححه

ووافقه الذهبي. وقال شعيب: سنده جيد، وصححه الألباني.

(٤) أي في نصف شهر.

(٥) قال الهيثمي: إسناده جيد.

وروى ابن أبي شيبة من طريق أنس قال: (مشيتُ مع زيد بن ثابت إلى المسجد، فقارب بين الخطأ، وقال: أردتُ أن تكثر خطاناً إلى المسجد).

وعن ثابت بن عبيد الأنصاري - مولى زيد - قال: (دخلتُ على زيد بن ثابت أعوده، وهو مريض وعنده ابناه، فأقيمت الصلاة، فقال: اذهبا إلى الصلاة، فإن صلاة الرجل في الجماعة تفضلُ على صلاته وحده خمساً وعشرين درجة)^(١).

● ● وأخرج ابن عساكر عن ثابت بن عبيد قال: (كان زيد بن ثابت من أفكّه الناس في أهله، وأزمتيه^(٢) عند القوم).

وعن ثابت - أيضاً - قال: (ما رأيتُ أحداً كان أفكّه في بيته، ولا أحلم في مجلسه إذا جلس مع القوم؛ من زيد بن ثابت).

● ● أخرج أحمد، والبخاري، والنسائي، وأبو داود، عن مروان بن الحكم قال: (قال لي زيد بن ثابت: مالك تقرأ في المغرب بقصار، وقد سمعتُ النبي ﷺ يقرأ بطولى الطوليتين)^(٣)؟! لفظ البخاري.

وفي رواية أبي داود عن مروان بن الحكم قال: (قال لي زيد بن ثابت: مالك تقرأ في المغرب بقصار المفضل، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بطولى الطوليتين؟ قال: قلتُ: ما طولى الطوليتين؟ قال: الأعراف، والأخرى الأنعام).

وفي رواية النسائي، عن زيد بن ثابت: (أنه قال لمروان: يا أبا عبد الملك، أتقرأ في المغرب بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾؟! قال: نعم. قال: فمخلوفاً^(٤)؛ لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ فيها بأطول الطوليتين: ﴿الْمَصَّ﴾).

(١) قال البوصيري: رواه مُسَدَّدٌ بإسناد صحيح.

(٢) أي: من أزرنيهم وأوقروهم.

(٣) أي بأطول السورتين الطوليتين.

(٤) أراد بالمخلوف: الله الذي لا يستحق الحذف إلا به، والخبر محذوف، أي: الله قسماً.

● ● وكان زيد ذكياً المعياً، لبيباً حصيفاً، بارع الفِرَاسة، ومن ذلك ما حدّث به أنسُ بن سيرين، قال: (دخلَ علينا زيد بن ثابت، ونحن سنّة إخوة فيهم محمد، فقال: إن شئتم أخبرتكم من أخو كلِّ واحدٍ لأمّه! هذا وهذا لأمّ، وهذا وهذا لأمّ، وهذا وهذا لأمّ. فما أخطأ شيئاً)^(١)!

جهاده:

شهد زيد معركة اليمامة، وأصابه سهم فلم يضرّه. كما شهد وقعة اليرموك، وتولى قسمة الغنائم يومذاك.

ولم يشارك في فتوحات الشام والعراق؛ لأن عمر احتسبه في المدينة ليفقه أهلها، ويفتيهم، ويقضي بينهم.

مع الخلفاء الراشدين:

كان زيد أحد أعيان الصحابة، وتبوأ مكاناً عليّاً خلال عهد الراشدين، فهو من أصحاب الفتوى، ومن أهل الشورى، واستخلفه عمر وعثمان على المدينة، وجمع القرآن في عهد الصديق، وفي أيام عثمان - أيضاً - ونسخ المصاحف، وكان مفتي المدينة وقاضيها.

مع أبي بكر:

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: (لما توفي رسول الله ﷺ، قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرّن معه رجلاً منا؛ فترى أن يلي هذا الأمر رجلاً من أحدكما منكم، والآخر منا. فتتابع خطباء الأنصار على ذلك. فقام زيد بن ثابت - رضي الله عنه - فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من

(١) أخرجه ابن سعد - واللفظ له - والفسوي والخطيب في «تاريخيهما»، قال شعيب: رجاله ثقات.

المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصارَ رسول الله ﷺ. فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فقال: جزاكم الله يا معشرَ الأنصار خيراً، وثبتت قائلكم، ثم قال: أما - والله - لو قلتُم غيرَ ذلك لَمَا صالحناكم. ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم، فبايعوه^(١).

وأخرج ابن سعد عن الواقدي، أخبرنا جارية بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه: (أنَّ أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمرٌ يريد فيه مشاورة أهل الرأي، وأهل الفقه، ودَعَا رجلاً من المهاجرين والأنصار؛ دَعَا: عمرَ وعثمانَ وعلياً وعبدَ الرحمن بن عوف ومعاذَ بن جبل وأبيَّ بن كعب وزيدَ بن ثابت، وكلَّ هؤلاء كان يُفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصيرُ فتوى الناس إلى هؤلاء، فمضى أبو بكر على ذلك. ثم وليَ عمرُ، فكان يدعو هؤلاء النَّفر، وكانت الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان وأبيَّ وزيد).

مع عمر:

عن خارجة بن زيد: (أنَّ عمرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يَسْتَخْلَفُ زيدَ بن ثابت إذا خرجَ إلى بعض أسفاره. فقلماً رجَعَ إلا أَقْطَعَ زيداً حديقةً من نَخْل)^(٢).

قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر: (استخلف عمرُ بن الخطاب زيدَ بن ثابت على المدينة ثلاث مرات: في حجتين، وفي خروجه إلى الشام).

وقال مثله الحافظ ابن كثير.

(١) أخرجه الطيالسي وأحمد في «مسنديهما»، وابن سعد، وابن أبي شيبة، والطبراني، والبيهقي في «سننه»، وابن عساكر في «تاريخه». وقال الذهبي في «السير»: إسناده صحيح. ونسبه الهيثمي في «المجمع» لأحمد والطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.
(٢) أخرجه ابن عساكر، وذكره الحافظ في الإصابة ونسبه للبخاري، وصحَّح إسناده.

مع عثمان:

أخرج ابن عبد البر عن وهيب - عَبْدُ كَانَ لزيد بن ثابت -: (كان زيد على بيت المال في خلافة عثمان، فدخل عثمان، فأبصر وهيباً يعينهم في بيت المال، فقال: مَنْ هذا؟ فقال زيدٌ: مملوك لي. فقال عثمان: أراه يعين المسلمين، وله حق، وأنا نفرض له، ففرض له ألفين. فقال زيد: والله لا تفرض لعبدِ ألفين. ففرض له ألفاً).

وكان عثمان يستخلف زيدا على المدينة، إذا حج.

ودافع زيد عن أمير المؤمنين عثمان يوم الدار، وجاء في ثلاث مئة من الأنصار، فدخل عليه فقال: هذه الأنصار بالباب. فقال عثمان: أما القتال فلا. وقال له: أنت خارج أنفع لي منك هاهنا؛ فذُبَّ عني. فخرج فكان يذُبُّ الناس.

ولما حَصَبَ الخارجون الفجرة عثمان حتى صُرِعَ على المنبر مغشياً عليه، واحتمل إلى داره؛ استَقْتَلَ جماعة من الأصحاب، منهم أبو هريرة وابن عمر وزيد بن ثابت، في المحاربة عن عثمان، فَبَعَثَ إليهم يقسمُ عليهم لَمَّا كَفَّوْا أيديهم وسَكَنُوا، حتى يقضي الله ما شاء.

مع علي:

اعتزل زيد الفتنة، ولم يشهد مع علي رضي الله عنه شيئاً من حروبه، ومع ذلك فقد كان يفضل علياً، ويعظمه، ويعرف له قدره، ويظهر حبه.

علمه ومروياته:

تميز زيد بتعدد ملكاته، وتنوع مواهبه، وكثرة علومه، وغزارة معارفه، حتى برع كثيراً من أفاضل الصحابة وأعيانهم؛ فكان قارئاً، محدثاً، فقيهاً، فَرَضِيّاً، قاضياً، مُفْتِيّاً.

عن سليمان بن يسار قال: (ما كان عُمر ولا عُثمان يقدمان على زيد بن ثابت

أحداً، في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة^(١).

وعن قبيصة بن ذؤيب بن حَلْحَلَةَ الْخَزَاعِيّ قَالَ: (كان زيد بن ثابت مترسماً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، في عهد عمر وعثمان وعلي، في مقامه بالمدينة، وبعد ذلك خمس سنين، حتى ولي معاوية سنة أربعين، فكان كذلك - أيضاً - حتى توفي زيد سنة خمس وأربعين)^(٢).

تعلمه لغة يهود والسريانية:

عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: قال زيد بن ثابت: (أمرني رسول الله ﷺ فتعلّم له كتاب اليهود، وقال: «والله ما آمن يهود على كتابي». فتعلّمته، فلم يمر بي نصف شهر حتى حدّثته، قال: إني كنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتّب إليه)^(٣).

قال الحافظ ابن كثير: (وهذا ذكاء مفرط جداً).

وعن الأعمش، عن ثابت بن عبيد، عن زيد بن ثابت قال: (قال رسول الله ﷺ: «إني أكتب إلى قوم، فأخاف أن يزيدوا عليّ وينقصوا، فتعلّم السريانية». فتعلّمها في سبعة عشر يوماً)^(٤)!

قال الحافظ في «الفتح»: (وقصة ثابت يمكن أن تتحد مع قصة خارجة؛ بأن من لازم تعلّم كتابة اليهودية تعلّم لسانهم، ولسانهم السريانية. لكن المعروف أن

(١) أخرجه ابن سعد من طريق شيخه الواقدي.

(٢) أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي.

(٣) أخرجه الحاكم بهذا اللفظ وصحّحه ووافق الذهبي. وأخرجه غير الحاكم، وقد مرّ تخريجه ص ٥٨٥.

(٤) أخرجه إسحاق وأحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى في «مسانيدهم» وابن أبي داود في «المصاحف»، وابن سعد، والفسوي، والطبراني، والحاكم، وغيرهم. وقد ساق الحافظ تلك الطرق في تغليق التعليق ٣٠٦/٥ - ٣٠٨، والفتح ١٨٦/١٣. وقال شعيب: إسناده صحيح.

لسانهم العبرانية، فيُحتمل أن زيدا تعلّم اللسانين، لاحتياجه إلى ذلك).

القارىء، و كاتب الوحي، وجامع القرآن، وناسخ المصحف الشريف:

القارىء:

حفظ زيد قبل قدوم النبي ﷺ المدينة مهاجراً سَبْعَ عَشْرَةَ سورة، ثم قرأ عليه القرآن كله، وعرضه عليه.

وقراه عليه من الصحابة: أبو هريرة، وابن عباس. ومن التابعين: أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ ورُفَيْع بن مِهْران أبو العالية الرِّيَاحِي.

وهو أحد مَنْ جمعَ القرآنَ حفظاً في عهد النبي ﷺ.

كاتب الوحي:

كان زيد يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ويكتب له - أيضاً - المراسلات إلى الناس. وكان يكتب لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال النبي ﷺ: «اذْعُ لِي زَيْدًا، وَلِيَجِيءْ بِاللُّوحِ وَالذَّوَاةِ وَالْكَتِفِ، أَوْ: الْكَتِفِ وَالذَّوَاةَ». ثم قال: «اكتب: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾». وَخَلَفَ ظَهْرَ النَّبِيِّ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنِي؟ فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرٌ الْبَصَرُ؟ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(١).

وقد ترجم البخاري في «صحيحه» في (كتاب فضائل القرآن) فقال: (باب

(١) أخرجه البخاري - وهذا لفظه - ومسلم، والنسائي، والترمذي، وابن حبان، من حديث البراء. وقد مرَّ بنحوه من حديث زيد نفسه. والآية: رقم ٩٥ من سورة النساء. وقد وَقَعَ هنا عند البخاري بتأخير لفظ ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾، والذي في التلاوة ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ قبل ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ووقع في مواضع أخرى عنده على الصواب.

كاتب النبي ﷺ)، فذكر حديثين: الأول حديث زيد في قصته مع أبي بكر في جمع القرآن، والثاني حديث البراء السابق.

قال الحافظ: (قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ جماعة غير زيد بن ثابت، أما بمكة فلجميع ما نزل لأن زيد بن ثابت إنما أسلم بعد الهجرة^(١)). وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد، ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه: الكاتب، بلام العهد، كما في حديث البراء بن عازب ثاني حديثي الباب؛ ولهذا قال له أبو بكر: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ. وكان زيد بن ثابت ربما غاب، فكُتِبَ الوحي غيره. وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي بن كعب، وهو أول من كتب له بالمدينة. وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح. وممن كتب له في الجملة: الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وحنظلة بن الربيع الأسدي، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة، وعبد الله بن الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، في آخرين).

جمعه القرآن العظيم:

● ● قال الذهبي في ترجمته من «السِّيَر»: (ومن جلاله زيد: أن الصِّدِّيقَ اعتمد عليه في كتابة القرآن العظيم في صُحُف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرِّقَاع، واحتفظوا بتلك الصحف مدة، فكانت عند الصديق، ثم تسلّمها الفاروق، ثم كانت بعد عند أم المؤمنين حَفْصَةَ، إلى أن ندبَ عثمانُ زيدَ بن ثابت ونقرأ من قريش إلى كتاب هذا المصحف العثماني، الذي به الآن في الأرض أزيد من ألفي ألف نسخة. ولم يبقَ بأيدي الأمة قرآنٌ سواه؛ والله الحمد).

وقال في أحداث سنة (١٢هـ) من «تاريخ الإسلام»: (وفيها: لما استَحَرَّ

(١) في هذا نظر، فقد ذكرنا أن زيدا حفظ سبع عشرة سورة قبل مقدم النبي ﷺ المدينة، فهل يحفظ القرآن قبل أن يُسَلَّم ١٩ فالصواب أنه أسلم قبل الهجرة.

القتل بِقِرَاءِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ بِكِتَابَةِ الْقُرْآنِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَأَخَذَ يَتَّبِعُهُ
مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرَّجَالِ، حَتَّى جَمَعَهُ زَيْدٌ فِي صُحُفٍ.

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعيد: حدثنا ابن
شهاب، عن عبيد بن السباق: أن زيدا بن ثابت رضي الله عنه قال: (أرسل إلي أبو
بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه:
إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراءة القرآن، وإنني أخشى أن
يستحرَّ القتل بالقرآن بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع
القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله
خير، فلم يزل عمر يرأجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي
رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت
تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فأجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من
الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا
لم يفعله رسول الله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يرأجعني حتى
شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتبعت
القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة
مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى
توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه^(١).

قال الحافظ في «الفتح»: (قوله (قال أبو بكر): أي قال لي. (إنك رجل
شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي): ذكر له أربع صفات مقتضية
خصوصيته بذلك: كونه شابا؛ فيكون أنشط لما يطلب منه. وكونه عاقلا؛ فيكون

(١) أخرجه البخاري - وهذا لفظه - وأحمد، والترمذي، والفسوي، والطبراني، وابن أبي داود
في «المصاحف»، وابن عساكر في «تاريخه».

أوعى له، وكونه لا يُتَمَّ؛ فتركن النفس إليه. وكونه كان يكتب الوحي؛ فيكون أكثر ممارسة له. وهذه الصفات التي اجتمعت له قد تُوجد في غيره، لكن مفرقة).

● ● وقال البخاري: حدثنا موسى: حدثنا إبراهيم: حدثنا ابن شهاب: أن أنس بن مالك حدثه: (أنَّ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُعَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِزْمِينَةَ وَأَذْرَبِجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْرَعُ حُدَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أُرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَتَسَخَّوْهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا تَسَخَّوْ الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَقْفٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا تَسَخَّوْا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ^(١)).

وأخرج ابن أبي داود في «المصاحف» عن كثير بن أفلح قال: (لما أَرَادَ عُثْمَانُ أَنْ يَكْتُبَ الْمَصَاحِفَ، جَمَعَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ). الحديث.

وأخرج في «المصاحف» - أيضاً - بإسناده إلى مصعب بن سعد قال: قال عثمان: (مَنْ أَكْتُبُ النَّاسُ؟ قَالُوا: كَاتِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَعْرَبُ؟ قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ. قَالَ عُثْمَانُ: فَلْيَمِلْ سَعِيدٌ، وَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ. فَكُتِبَ زَيْدٌ، وَكُتِبَ مَصَاحِفٌ. فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ).

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - والترمذي، وابن أبي داود في «المصاحف»، وابن عساكر في «تاريخه».

وقد شقَّ على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أنه لم يحضر هذا العملَ البارَّ العظيم، وقد بيَّنَّا ذلك مفصلاً في ترجمته.

المحدث:

روى زيد عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان.

وحَدَّث عنه: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو سعيد الخُدْرِيُّ، وأنس بن مالك، وسَهْل بن سَعْد السَّاعِدِيُّ، وسَهْل بن حُنَيْف، وعبد الله بن يزيد الخَطْمِيُّ، وسَهْل بن أَبِي حَثْمَةَ، وغيرُهم من الصحابة.

ومن التابعين: ابناه خَارِجَة وسُلَيْمَان، ومَرَوَان بن الحَكَم، وسعيد بن المسيَّب، وقَيْصَة بن دُؤَيْب، وعَطَاء بن يَسَار، وأخوه سَلِيمَان بن يَسَار، وعُبَيْد بن السَّبَّاق، والقَاسِم بن مُحَمَّد، وعُرْوَة بن الزبير، وحُجْر المَدْرِي، وطاووس بن كَيْسَان، وخلق كثير.

● ● له في كتب الحديث عن رسول الله ﷺ اثنان وتسعون حديثاً، اتفق الشيخان منها على خمسة، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بحديثين^(١).

وأخرج حديثه أصحاب الكتب الستة، وغيرهم.

الفقيه:

زيد أحد كبار فقهاء الصحابة، كان يفتي في عهد النبي ﷺ وصاحبيه، وحجسه عمر في المدينة ليفتي فيها، وكثر الآخذون عنه، وصار له تلامذة يقولون بقوله.

● ● عن عامر الشعبي، عن مسروق قال: (كان أصحاب الفُتوى من

(١) في «تهذيب الأسماء واللغات»: (وانفرد مسلم بحديث)، وتابعه صاحب «الرياض المستطابة»، والصواب ما ذكرناه، والحديثان اللذان انفرد بهما مسلم في «صحيحه» برقم

أصحاب رسول الله ﷺ: عُمر، وعليّ، وابن مسعود، وزيد، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري^(١).

وعن محمد بن سهل بن أبي حنمة^(٢)، عن أبيه قال: (كان الذين يُفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة من الأنصار: عمر وعثمان وعليّ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت)^(٣).

وعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه قال: (كان عُمر يستخلف زيد بن ثابت في كل سفر - أو قال: سفر يسافره - وكان يُفرق الناس في البلدان، ويوجهه في الأمور المهمة، ويُطلب إليه الرجال المُسمّون، فيقال له: زيد بن ثابت، فيقول: لم يسقط عليّ مكان زيد، ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده فيما يحدث لهم، ما لا يجدون عند غيره)^(٤).

● ● قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: (والذين حُفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مئة وثلاثون نفساً، ما بين رجل وامرأة. وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عُمر. قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يُجمع من فتوى كل واحد منهم سفرٌ ضخم).

وأخرج ابن عساکر عن عليّ بن المديني قال: (لم يكن من الصحابة أحد له أصحابٌ حفظوا عنه، وقاموا بقوله في الفقه، إلا ثلاثة: زيد، وعبد الله، وابن عباس).

-
- (١) أخرجه ابن سعد، والفسوي، وأبو زرعة في «تاريخ دمشق»، وابن عساکر في «تاريخه».
وقال الحافظ في «الإصابة»: رواه ابن سعد بإسناد صحيح.
(٢) في الطبقات: (حنّمة)، وهو تحريف.
(٣) أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي.
(٤) أخرجه ابن سعد، وابن عساکر، وفيه الواقدي. وقوله (لم يسقط عليّ): أي لم أغفل عنه.

قال ابن القيم في (إعلام الموقعين): (والذين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبد الله بن عمر، وأصحاب عبد الله بن عباس. فعلم الناس عايمته عن أصحاب هؤلاء الأربعة).

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه: (أنه كان لا يقول برأيه في شيء يُسأل عنه حتى يقول: أنزل أم لا؟ فإن لم يكن نزل لم يقل فيه، وإن يكن وقّع تكلم فيه. قال: وكان إذا سُئل عن مسألة فيقول: أوقعت؟ فيقال له: يا أبا سعيد، ما وقعت ولكن نعدّها. فيقول: دعوها. فإن كانت وقعت أخبرهم^(١)).

الفرَضِيُّ:

عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «أفرضُ أمتي زيدُ بن ثابت»^(٢).

لقد نهض زيد بأعباء علم الفرائض - الموارث - وبرع فيه وساد، واشتهر بتفوقه فيه بين الصحابة، حتى غدا أعلمهم بمسائله وفروعه ودقائقه؛ فنال ذلك الشناء الغالي من الرسول ﷺ.

وحفظت الأمة - الصحابة فمن بعدهم - لزيد هذه الميزة، فاقتدت به، وأخذت برأيه، وامتدحته وأثنت عليه.

فقد كان عمر وعثمان لا يقدّمان على زيد أحداً في الفرائض.

عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله: (أنه كان يقول في أخواتِ لأبٍ وأمٍّ، وإخوةٍ وأخواتِ لأبٍ: للأخواتِ للأبِ والأُمِّ الثلثان، فما بقي فللذكورِ دونَ الإناث. فقَدِمَ مسروقُ المدينة، فسمعَ قولَ زيدَ فيها، فأعجبه. فقال له بعضُ أصحابه: أتترُكُ قولَ عبدِ الله؟! فقال: أتيتُ المدينة، فوجدتُ زيدَ بنَ

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم»، وأخرجه ابن عساكر عن الزهري قال: (بلغنا)، فذكره.

(٢) تقدّم مطوّلاً ص ٥٨٧.

ثابت من الراسخين في العلم. يعني: كان زيدٌ يُشْرِكُ بين الباقيين^(١).

وعن ابن أبي الزناد قال: حدّثني أبي، أنه أخذ هذه الرسالة من خارجة بن زيد ومن كُبراء آل زيد: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدِ الله معاوية أمير المؤمنين، من زيد بن ثابت. سلامٌ عليك أمير المؤمنين ورحمة الله، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنك تسألني عن ميراث الجدّ والإخوة - فذكرَ الرسالة - . ونسألُ الله الهدى والحفظ والتثبيت في أمرنا كله، ونعوذ بالله أن نضلَّ أو نجهد أو نكلف ما ليس لنا بعلم. والسلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته)^(٢).

وعن الزهري قال: (لو هلكَ عثمانٌ وزيدٌ في بعض الزمان، لَهَلَكَ عِلْمُ الفرائض؛ لقد أتى على الناس زمانٌ وما يَعلمها غيرُهُما)^(٣).

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: (الناسُ على قراءة زيد، وعلى فرض زيد).

القاضي:

عن عامر الشعبي قال: (قُضَاةُ هذه الأمة أربعة: عمر، وعلي، وزيد، وأبو موسى الأشعري)^(٤).

وعن نافع قال: (استعملَ عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على القضاء، وفرضَ له رِزْقاً)^(٥).

وعن الشعبي قال: (تنازَعَ في جِدَادِ نَخْلِ أَبِي بن كعب وعمر بن الخطاب،

(١) أخرجه ابن عساکر، وذكره الذهبي في «السِّيَر» بهذا اللفظ، وقال شعيب: إسناده صحيح. وقوله (يشْرِكُ بين الباقيين): أي يسوي بينهم في القسمة.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، والبيهقي في «السنن».

(٣) أخرجه الدارمي، وابن عساکر.

(٤) أخرجه ابن سعد بهذا اللفظ، وابن عساکر لكن عنده: (ابن مسعود) بدل (أبي موسى).

(٥) أخرجه ابن سعد، وابن عساکر.

فبكى أبي، ثم قال: أفي سلطانك يا عمر؟! قال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً من المسلمين. قال أبي: زيد. قال: رضي. فانطلقا حتى دخلا على زيد، فلما رأى زيد عمر تنحى عن فراشه، فقال له عمر: في بيته يؤتى الحَكَم، فعرف زيد أنهما جاءا ليتحاكما إليه. فقال عمر لأبي يقص، فقص. فقال له عمر: تذكّر، لعلك نسيت شيئاً! فتذكّر، ثم قصّ حتى قال: ما أذكر شيئاً. ثم قصّ عمر. فقال زيد: بَيْتُكَ يا أباي؟ قال: ما لي بيته. قال: فأعقب أمير المؤمنين من اليمين! فقال عمر: لا تُعقب أمير المؤمنين من اليمين إن رأيتها عليه^(١).

مكانته، وثناؤهم عليه:

● ● عن يعقوب بن عُتبة: (أن عمر استخلف زيدا، وكتب إليه من الشام: إلى زيد بن ثابت، من عمر)

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي، عن سالم بن عبد الله قال: (كُنّا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت، فقلْتُ: مات عالمُ الناس اليوم! فقال ابن عمر: يرحمه الله، فقد كان عالمَ الناس في خلافة عمر وحَبْرها. فَرَقَّهم عمرُ في البلدان، ونهاهم أن يُفتوا برأيهم، وحَبَسَ زيدَ بن ثابت بالمدينة يُفتي أهلَ المدينة وغيرها من الطّراء - يعني القُدّام -).

وعن ابن عباس قال: (لقد عَلِمَ المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت كان من الراسخين في العلم)^(٢).

وعن أبي سلمة، عن ابن عباس: (أنه أَخَذَ لزيد بن ثابت بالركاب، فقال: تَنَحَّ يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ! فقال: هكذا نفعلُ بعلمائنا وكبرائنا)^(٣).

(١) أخرجه وكيع في «أخبار القضاة»، وسعيد بن منصور، والبيهقي وابن عساكر. والجَداد: صِرَام النَّخْل، وهو قطع ثمرتها.

(٢) أخرجه ابن عساكر، ونسبه الحافظ في «الإصابة» إلى البغوي.

(٣) أخرجه ابن سعد، والحاكم وصححه، والطبراني من طريق رزين الرُّماني عن الشعبي أن =

وعن حماد بن سلمة، عن عَمَّارِ بْنِ أَبِي عِمَارٍ قَالَ: (لَمَّا مَاتَ زَيْدٌ بْنُ ثَابِتٍ، قَعَدْنَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ظِلِّ الْقَصْرِ، فَقَالَ: هَكَذَا ذَهَابَ الْعِلْمُ، لَقَدْ دُفِنَ الْيَوْمَ عِلْمٌ كَثِيرٌ)^(١)!

عن حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ حِينَ مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: (الْيَوْمَ مَاتَ حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ! وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْهُ خَلْفًا)^(٢).

● ● عن أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: (قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَسَأَلْتُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ)^(٣).

وأخرج ابن عساکر عن الشعبي قال: (غلبَ زيدُ الناسَ علي اثنتين: الفرائض، والقرآن).

وأخرج الفسوي في «تاريخه» عن الإمام مالك قال: (كان إمامَ الناس عندنا، بعد عمر، زيدُ بنُ ثابت. وكان إمامَ الناس عندنا، بعد زيد، ابنُ عمر)!

● ● وقال ابن عبد البر في ترجمة زيد من «الاستيعاب»: (كان أحدَ فقهاء الصحابة الجِلَّةِ الفَرَّاضِ).

وحلَّاهُ الذهبي في «السِّيَرِ» بقوله: (الإمامُ الكبير، شيخُ المُقرَّئين، والفَرَضِيِّينَ، مُفتي المدينة، أبو سعيد، وأبو خارجة، الخزرجي، النجاري،

= زيد بن ثابت، فذكره، وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله رجال الصحيح غير رزين الرماني وهو ثقة، وأورده الحافظ في «الإصابة» من طريق الشعبي، ونسبه ليعقوب الفسوي، وصحَّح إسناده.

(١) أخرجه ابن سعد، والحاكم، والفسوي، والطبراني، وقال شعيب: رجاله ثقات. وأخرجه ابن عساکر عن سعيد بن المسيب قال: شهدت جنازة زيد بن ثابت... فذكره.

(٢) أخرجه ابن سعد، والطبراني، والحاكم، وابن عساکر، وأورده الهيثمي في «المجمع» وقال: رجاله رجال الصحيح، إلا أن يحيى بن سعيد الأنصاري لم يسمع من أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن سعد، وأخرجه أبو زرعة في «تاريخ دمشق» عن أبي الضحى عن مسروق، قال شعيب: إسناده صحيح.

الأنصاري، كاتب الوحي، رضي الله عنه... وكان من حملة الحجة).
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (كان حافظاً لبيباً، عالماً عاقلاً).

من أخباره الشخصية:
أبواه:

قُتل أبوه ثابت قبل الهجرة يوم بُعث، وكان زيد ابن ست سنين، فرُبي يتيماً رضي الله عنه.

وبُعث: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج في الجاهلية، فقتل فيها كثير منهم، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين.

وأمه هي: النّوّار بنت مالك بن صرمة بن مالك بن عدي بن عامر بن عَنَم بن عدي بن النجار. تزوّجها ثابت بن الضحاك، فولدت له زيدا ويزيد ابني ثابت. ثم خَلَفَ عليها عمارَةُ بن حَزْم بن زيد بن لوزان، فولدت له مالكا، دَرَج. أسلمت النوار، وبايعت رسول الله ﷺ.

وقال الحافظ في ترجمتها من «الإصابة»: (روت عن النبي ﷺ، روت عنها أمُّ سعد بنت أسعد بن زُرارة).

أخرج ابن سعد عن ثابت بن عبيد: (أن زيد بن ثابت كَبُرَ على أمّه أربعا).

أخوه يزيد:

صحابي جليل، كان أسنَّ من زيد. قال خليفة: شهد بدرًا. وقال ابن سعد والبغوي وغير واحد: لم يشهدا. قيل: استشهد يوم اليمامة، رضي الله عنه.

أزواجه:

لزيد ثلاث نسوة حرائر، وأمّتان.

فالحرائر هن: أم جميل بنت قُطبة بن عامر بن حديدة، من بني سلمة.

أسلمت وبايعت .

أُم سَعْدِ جَمِيلَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، أَحَدِ الْبَدْرِيِّينَ .
عَمْرَةَ بِنْتِ مَعَاذِ بْنِ أَنَسٍ .

أولاده :

وَلَدَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : سَعِيدًا ، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى ، وَأُمُّهُ أُمُّ جَمِيلٍ .
وَوُلِدَ لَزَيْدٍ : سَعْدُ ، وَخَارِجَةُ ، وَسُلَيْمَانُ ، وَيَحْيَى ، وَعُمَارَةُ ، وَإِسْمَاعِيلُ ،
وَأَسْعَدُ ، وَعُبَادَةُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَحَسَنَةُ ، وَعَمْرَةُ ، وَأُمُّ إِسْحَاقَ ، وَأُمُّ كُلْثُومَ ، وَأُمُّهُمْ :
جَمِيلَةُ أُمُّ سَعْدِ .

وَوُلِدَ لَهُ : إِبْرَاهِيمُ ، وَمُحَمَّدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأُمُّ الْحَسَنِ ، وَأُمُّهُمْ : عَمْرَةَ بِنْتِ
مَعَاذِ .

وَزَيْدٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَأُمُّ كُلْثُومَ ؛ لِأُمِّ وَلَدٍ .
وَسَلِيطُ ، وَعِمْرَانُ ، وَالْحَارِثُ ، وَثَابِتُ ، وَصَفِيَّةُ ، وَقَرِيْبَةُ ، وَأُمُّ مُحَمَّدٍ ؛ لِأُمِّ
وَلَدٍ .

فمجموع أولاده تسعة وعشرون ، عشرون ذكرًا ، وتسع بنات .
وأجلُّ أولاده خَارِجَةُ ، الْفَقِيْهَةُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الْأَعْلَامِ ،
وَسَنَفَرْدَ لَهُ تَرْجَمَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وفاته :

اختلفوا في وفاة زيد على أقوال : فقال الواقدي : مات سنة خمس وأربعين ،
عن ست وخمسين سنة . وتبعه على وفاته يحيى بن بكير ، وخليفة ، ومحمد بن
عبد الله بن نمير ، وأبو الزناد .

وقال أحمد بن حنبل ، وعمرو بن علي : سنة إحدى وخمسين .
وقال المدائني ، والهيثم بن عدي ، ويحيى بن معين : سنة خمس وخمسين .

وصحح الذهبي وابن كثير أنه توفي سنة خمس وأربعين . وقال الحافظ في «الإصابة»: هو قول الأكثر .

قلتُ: أكثر الذين ترجموا له ذكروا أنه توفي عن ستِّ وخمسين سنةً، وقد كان عُمره مَقْدَمَ النبي ﷺ المدينة؛ إحدى عشرة سنة، فتكون وفاته سنة (٤٥هـ) على الصحيح . والله أعلم .

عن زيد بن ثابت قال: (قَدِمَ النبي ﷺ المدينة، وأنا ابنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سنةً)^(١) .

● ● أخرج ابن عساكر عن خارِجَةَ بن زيد قال: (توفي أبي زيد قبل أن تصفر الشمس، فكان رأيي دفنه قبل أن أصبح، فجاءت الأنصارُ فقالت: لا يُدفن إلا نهاراً؛ يجتمع له الناس . فسمع مروان الأصوات، فأقبل يمشي حتى دخل عَلَيَّ، فقال: عزيمةٌ مني أن يُدفنَ حتى تُصبح . فلما أصبحنا غسلناه ثلاثاً: الأولى بالماء، والثانية بالمار والسُدر، والثالثة بالماء والكافور . وكفناه في ثلاثة أثواب: أحدها برد كان كساه إياه معاوية . وصلينا عليه بعد طلوع الشمس، صلى عليه مروان بن الحكم . وأرسل مروان بِجُزْرِ فَنَحَرَتْ، وأطعمنا الناس).

ونزل نساء العوالي^(٢)، وجاء نساء الأنصار، فبكين عليه . وفيه يقول حسانُ بن ثابت:

فَمَنْ لِلقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانِ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

* * *

(١) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني وإسناده حسن .

(٢) موضع بينه وبين المدينة أربعة أميال .

فهرس المقدمة

٩ المقدمة
١٠ أهمية السنة
١١ الاهتمام بها ونقلها، ودور الصحابة في ذلك
١٣ الإسناد
١٥ الجرح والتعديل
١٩ نقد الحديث سنداً ومتناً
٢١ مصطلح الحديث
٢١ تدوين الحديث
٢٧ اهتمام أئمة الحديث بطلب العلم ومذاكرته
٤٣ ثمرة هذه الجهود
٤٤ أولاً: الكتب المصنفة في الحديث النبوي
٤٩ ثانياً: تصانيف في شروح كتب الحديث
٥٢ ثالثاً: المصنفات في الرجال
٦٠ رابعاً: كتب التراجم والوفيات
٦٨ ركود ثم يقظة ونهضة
٧٤ فصل فيه تعريف المسند والمحدث والحافظ وأمير المؤمنين في الحديث
٧٨ فائدتان
٧٩ منهجي في الكتاب
٨١ الغاية التي من أجلها وضع هذا الكتاب
٩٤ كلمة جامعة موجزة عن القرن الأول الهجري

فهرس المترجموهم حسب ورودهم في الكتاب

الصفحة	اسم المترجم	رقم الترجمة
١٤٤ - ١١١	أبو بكر الصديق	١
١٩٣ - ١٤٥	عمر بن الخطاب	٢
٢٣٤ - ١٩٤	عثمان بن عفان	٣
٢٨٠ - ٢٣٥	علي بن أبي طالب	٤
٣٠٢ - ٢٨١	مُعَاذ بن جبل	٥
٣٣٦ - ٣٠٣	أبو ذر العفاري	٦
٣٧٥ - ٣٣٧	عبدالله بن مسعود	٧
٣٩٦ - ٣٧٦	أبو الذرذاء	٨
٤١٩ - ٣٩٧	وعبادة بن الصامت	٩
٤٤١ - ٤٢٠	وأبي بن كعب	١٠
٤٧٢ - ٤٤٢	حذيفة بن اليمان	١١
٥٠٧ - ٤٧٣	سلمان الفارسي	١٢
٥٢٢ - ٥٠٨	أبو مسعود البذري	١٣
٥٣٨ - ٥٢٣	عبدالله بن سلام	١٤
٥٨٦ - ٥٣٩	أبو موسى الأشعري	١٥
٦١١ - ٥٨٧	زيد بن ثابت	١٦

فَهْرَسُ الْمَتْرَجِّهِمْ عَلَى نَسَقِ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ

الصفحة	اسم المترجم	رقم الترجمة
٤٤١ - ٤٢٠	أبي بن كعب	١٠
١٤٤ - ١١١	أبو بكر الصديق=عبدالله بن عثمان	١
...	جندب بن جنادة=أبو ذر الغفاري	١٠٠
٤٧٢ - ٤٤٢	حذيفة بن اليمان	١١
٣٩٦ - ٣٧٦	أبو الدرداء=عويمر بن زيد	٨
٣٣٦ - ٣٠٣	أبو ذر الغفاري=جندب بن جنادة	٦
٦١١ - ٥٨٧	زيد بن ثابت	١٦
٥٠٧ - ٤٧٣	سلمان الفارسي	١٢
٤١٩ - ٣٩٧	عبادة بن الصامت	٩
٥٣٨ - ٥٢٣	عبدالله بن سلام	١٤
...	عبدالله بن عثمان=أبو بكر الصديق	١٠٠
...	عبدالله بن قيس=أبو موسى الأشعري	١٠٠
٣٧٥ - ٣٣٧	عبدالله بن مسعود	٧
٢٣٤ - ١٩٤	عثمان بن عفان	٣
...	عقبة بن عمرو=أبو مسعود البديري	١٠٠
٢٨٠ - ٢٣٥	علي بن أبي طالب	٤
١٩٣ - ١٤٥	عمر بن الخطاب	٢
...	عويمر بن زيد=أبو الدرداء	١٠٠
٥٢٢ - ٥٠٨	أبو مسعود البديري=عقبة بن عمرو	١٣
٣٠٢ - ٢٨١	معاذ بن جبل	٥
٥٩٤ - ٥٣٩	أبو موسى الأشعري=عبدالله بن قيس	١٥